

المجلة الأردنية الخامسة

مَجَلَّة مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُرْدُنِيَّةِ

مكتبة مجمع اللغة العربية الأردنية
الرقم التسلسلي ٢٦٦٥
رقم التصنيف
التاريخ ١٤٤٠/١٠/٢٨

المجلد الأول

المعد الأول

كانون الثاني ١٩٧٨ م.

صفر ١٣٩٨ هـ.

كلمة العدد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

يُسَعِدُنَا انْ نَقْدَمَ الى العالم العربي هذا العدد الأول من (مجلّة مجمع اللغة العربية الاردني) ، راجين ان تستمرّ أعداد هذه المجلة بعد اليوم في الماضي في طريقها ، بجهود المخلصين من أبناء هذه الأمة العربية المجيدة ، الحريصين على لغة الضاد العزيزة ، وعلى خدمة النهضة العلمية في وطننا العربي الكبير .

لقد مضى على تاسيس مجمعنا الاردني عامٌ وبعض العام ، بعد ان تغلب على بعض الصعاب التي اعترضت سبيله في بدايته ، وقد أصبح في وسعه الآن ان يمضي قُدماً في تحقيق الأهداف السامية التي قام من اجل تحقيقها في خدمة اللغة العربية ، والمشاركة في خدمة التراث العربي والاسلامي الزاهر ، والحضارة العربية المعاصرة .

والمجمع يضمّ جهوده المتواضعة الى جهود أشقائه من الجامعات العربية العريقة ، بعد ان أصبح عضواً في اتحاد الجامعات ، وبعد ان استكمل عدّته ، واصبح موضع امل في ان يعمل عملاً فعّالاً مثمراً في تادية رسالته العلمية واللغوية .

ونحن نؤمن بان المجلّة ركن من اركان العمل المجمعّي لا غنى عنه ، تستقطب جهود الاعلام من اهل الفكر ، من الاخوة العرب ، ومن الزملاء المستشرقين ؛ فالمجلة هي صوت المجمع وصوت سنده

اللفة العربية والتراث العربي والاسلامي معا . ونحن نأمل ان يؤدي
هذا الصوت الأمانة التي يرتفع لتأديتها ، بجدارة وكفاءة وصديق .

لقد بذلنا جهداً خيراً من أجل ان يكون هذا العدد الأول جديراً
بمكانه في استهلال صدور المجلة ، ولكننا نعلم ان الكمال لله وحده .
ولهذا نرجو ان يكون لنا من تسامح الاخوان وتقديرهم ما يعذر عن
النقص، وما يحفز على المضي قُدماً لما نرجو ، ويرجون منا ، من
الكمال الممكن .

والله وليّ التوفيق .

مقرر لجنة المجلة

نائب رئيس المجمع

الدكتور محمود السمرة

ابن رشد في أدب

للدكتور عبد الكريم خليف

مقدمة

تهدف هذه الدراسة الى القضاء الضوء على جانب مهم من جوانب انتاج فكر من اعلام الفكر في حضارتنا العربية الاسلامية ؛ وهذا الجانب يتمثل في « ادب » ابن رشد ، وهو واحد من اشهر الكتاب ومن اكثرهم خصبا وانتاجا .

وان هذه الدراسة شائكة في نظرنا ، وذلك لصعوبة الفصل بين مجال الفكر والفلسفة من ناحية ، والادب من ناحية اخرى . فان مفاهيم الادب وتعريفاته تتعدد وتختلف باختلاف الاتجاهات الفكرية والثقافية والاجتماعية عند الباحثين . وربما كان اهم من ذلك كله ان نصل الى مفهوم الادب عند الكاتب ذاته . ليس من السهل ان تحدد مفهوم الادب عند ابن رشد ، دون النظر في فلسفته وفي مفهوم الادب عند معلمه الاول « أرسطو » .

ليس من الخطأ ان تعتبر مفهوما واحدا للادب ، تحاول إقحامه على جميع أنشطة الفكر الانساني ؟ ... الا تتداخل مفاهيم الادب هذه بألوانه ومذاهبه ؟ ..

لا شك ان هنالك فرقا كبيرا بين أدب واقعي يحتل فيه جدية الفكر مكانة ممتازة ، وأدب لا يضيف عليه الا ادب رونق النكتة والظرف .

فقد كان ابن رشد جادا ، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية . وبلغت جدية الى الحد الذي عبّر عنه صاحب كتاب التكملة بقوله : « ... وعني بالعلم ومن صغره الى كبره ، حتى حكى عنه انه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة ونهاة ابيه ، وليلة بنائه على اهله ... وانه سؤد في ما صنف وقيد وألف وهذب واختصر نحواً من عشرة آلاف ورقة . ومال الى علوم الاوائل ، فكانت لم فيها الامامة دون اهل

عصره « (١) . ونحن لا يهمنّا في هذا المجال مدى دقة هذه الرواية ، ولكنّ ما توحى به من نظرة ابن رشد الجادة الى الحياة وتحكيمه العقل ، وذلك بغلبة الدراية عنده على الرواية ...

فإذا نظرنا مثلاً الى المساجلة الفكرية باعتبارها أحد الفنون الأدبية الراقية ، الا يحقُّ لنا ان نُصنّف في اطارها تلك المساجلة التي دارت بين ابن رشد والغزالي ؟ فقد وصفها العقاد بقوله : « فلم يحفظ لنا تاريخ الفكر مساجلة بين حكيمين في قوة المساجلة التي دارت بين ابن رشد والغزالي ، ومضاء سلاحها ، ونفاذ حججها وبراهينها ... » (٢) .

وهنا يشير الكاتب في الواقع الى معركتين فكريتين ما زال اثرهما العميق في التفكير الفلسفي الاسلامي . فقد اثار الاولى الغزالي في كتابه : « تهاافت الفلاسفة » واثار الثانية ابن رشد بكتابه : « تهاافت التهاافت » .

وبالرغم من أن ابن رشد قد ذاع صيته لدى الافرنج في مجالين اساسيين من المعرفة ، هما الطب والفلسفة ، فإنّ جوانبه الفكرية والثقافية الأخرى لم تكن أقل إشراقاً ؛ فهو على حدّ تعبير بعض الروايات ، كما سنرى فيما بعد : « كان يُفزع الى فتواه في الطب كما يُفزع الى فتواه في الفقه » ، مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب « (٣) .

وإنّ الدارس للحركة العلمية في ذلك العصر ، لا يعجب من هذا كله ، فقد عاش ابن رشد في بيئة علمية عالية جمعت مشاهير عصره ، يعينه في ذلك طبعٌ مؤاتٍ واستعداد فطريّ أصيل .

أمّا في مجال الحركة العلمية في الأندلس ، ورغبة أهلها في العلم ، فنحن نستذكر ما أورده المقرئ ، اذ قال : « وأما حال أهل

(١) التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

(٢) العقاد ، ص ٥٥ .

(٣) شرح ، ص ٢٧ .

الاندلس في فنون العلم ، فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب ، انهم احرص الناس على التميز : فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعه ، ويرى بنفسه ان يرى فارغا عالة على الناس ، لان هذا عندهم في غاية القبح ، والعالم عندهم معظّم من الخاصة والعامة ... فالعالم منهم بارع ، لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه ، يحمله على ان يترك الشغل الذي يستفيد منه ، وينفق ما عنده حتى يعلم . وكلّ العلوم لها عندهم حظّ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم ، فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ، ولا يُنظَاهَرُ بها خوف العامة . فانه كلما قيل « فلان يقرأ الفلسفة » او « يشتغل بالتنجيم » اطلقت عليه اسم زنديق ، وقيدت عليه انفسه . فان زلّ في شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبل ان يصل امره للسلطان ، او يقتله السلطان تقرّبا لقلوب العامة . وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت ... » (٤) .

إن ظاهرة التضييق على حرية الفكر ، التي اثار اليها المقرئ ، قد اصابته بلهيبها ابن رشد ذاته في محنته التي حلت به في أخريات عمره ؛ وإن هذه الظاهرة لم تكن في الحقيقة لتقتصر على الاندلس ، بل امتدت من مشرق دار الاسلام الى مغربه الاقصى ، وذلك في فترات معينة .

ولو القينا نظرة على أحداث الفترة الزمنية التي لقي بها ابن رشد محنته ، لوجدنا امثلة كثيرة في هراة وواسط ودمشق وبغداد (٥) .

اسمه ونسبه وكنيته :

هو محمد بن ابي القاسم أحمد ابن ابي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، يكنى ابا الوليد . وهو حفيد قاضي الجماعة بقرطبة . (٦) .

(٤) النسخ ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

(٥) انظر المبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(٦) النباهي ، ص ١١١ . انظر : ابن ابي اصيبعة ، ص ٥٣٠ ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

ولد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ . ١١٢٦ م . وأدرك من حياة جدّه شهرا سنة عشرين (٧) . وقد اشتهر في أوروبا في القرون الوسطى باسم AVEROES (٨) .

نشأ ابن رشد في بيت علم وفضل ، وكان أبوه أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد أبو القاسم ، قد تولّى القضاء (٩) . وتحدّث المصادر من نشأة أبي القاسم هذا ، فنقول : « إنه من أهل بيت فقه وعلم » (١٠) . وربما ساهمت شهرة ابن رشد الحفيد وابن رشد الجدّ ، في قلة المعلومات التي وصلتنا عن أبي القاسم . وتوفي والد ابن رشد سنة ٥٦٢ هـ . (١١) . وهذا يعني أن الأديب الفيلسوف ابن رشد ، قد ذاعت شهرته العلمية في حياة والده .

أما جدّه محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد (١٢) فيروى أن أصله من بلدة سرقسطة (١٣) . وكان قاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها ، يكنى أبا الوليد . . . وكان قطبها ، عالما حافظا للفقه ، مقدّما فيه على جميع أهل عصره ، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيراً بأقوالهم وأتقائهم واختلافهم ، نافذا في علم الفرائض والأصول ، من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم مع الدين والفضل والوقار والحلم والسمت ، والهدي الصالح . ويستمرّ صاحب كتاب الصلة فيقول : « سمعت الفقيه أبا مروان عبد الملك بن مسرة صاحبنا أكرمه الله ، ومكانه من العلم والفضل والثقة مكانه ، يقول : شأدت شيخنا القاضي أبا الوليد ، رحمه الله ، يصوم يوم الجمعة دائما في الحضر والسفر » (١٤) .

(٧) العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٧ ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ .

(٨) Encyclo . Vol. II , P. 410 - 413

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) بغية اللامع ، ص ١٥٦ .

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) النباهي ، ص ٩٨ .

(١٣) الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٧٦ ، من هاشم الأصل ، قال مير بن حجة : أصله من بلدة سرقسطة .

(١٤) الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٧٦ : النباهي ، ص ٩٨ .

ولد أبو الوليد ابن رشد (الجد) في شوال سنة ٤٥٠ هـ . (١٥) .
وقد روى عن أبي جعفر أحمد بن رزق الفقيه ، وعن أبي مروان ابن
سراج ، وأبي عبد الله بن خيرة ، وأبي عبد الله محمد بن فرج ، وأبي
علي الغساني ، وأجاز له أبو العباس العذري ما رواه (١٦) .

وتَقَلَّد أبو الوليد القضاء بقرطبة ، وسار فيه ، على حدّ تعبير
الرواية ، بأحسن سيرة وأقوم طريقة ، ثم استعفى عنه فأعفى ؛
ونشر كتبه وتوابعه ومساائله وتصانيفه (١٧) . ومن توابعه كتاب
المقدمات لأوائل كتب المدونة ، وكتاب البيان والتحصيل لما في
المستخرجة من التوجيه والتعليل ، واختصار المبسوطة ، واختصار
مشكل الآثار للطحاوي ، إلى غير ذلك من توابعه . ويعقب على ذلك
صاحب كتاب الصلة بقوله : « سمعنا عليه بعضها ، وأجاز لنا
سائرها » (١٨) .

ومن مؤلفاته أيضا ، « الفتاوى » (١٩) . فقد جمع ابن الفران ،
شيخ الجامع الكبير في قرطبة ، فتاوى أبي الوليد ابن رشد (الجد) ،
في كتاب خطّي (٢٠) . ولا شك أن هذه المكانة العلمية الرفيعة التي
كان يشغلها الجد ، قد كان لها آثارها العميقة وطوابعها الواضحة
في شخصية ابن رشد (الحفيد) وتكوينه العلمي والثقافي . وتوفي
أبو الوليد ابن رشد (الجد) ، ليلة الأحد ، ودفن عشي يوم الأحد
الجادي عشر من ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة
العباس ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم ، وشهده جمع عظيم من
الناس ؛ وكان الثناء عليه حسنا جميلا (٢١) . وهكذا فقد ولد أبو

(١٥) الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .

(١٦) المصدر نفسه .

(١٧) النباهي ، ص ٩٩ ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .

(١٨) الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .

(١٩) الإسلام ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .

(٢٠) يوجد هذا المخطوط ، على حد رواية الجامعة / برج انطون ، ص ٨ في مكتبة

باريس وقد نقل إليها من دير سان نيكولر في إسبانيا .

(٢١) الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .

الوليد ابن رشد (الحفيد) سنة ٥٢٠ هـ . بقرطبة ونشأ فيها ، في بيت علم وفضل، ممّا كان له أكبر الأثر في تكوينه الفكري والثقافي .

مجريات حياته :

ولد ابن رشد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ . ، ونشأ فيها حيث درس الفقه والطبّ وعلوم الأوائل ، وتلمذ على مشاهير علمائها ... وفي سنة ٥٤٨ هـ . نراه في مراكش ، حاضرة الدولة الموحّدية التي بسطت سلطانها على الاندلس والمغرب . وربما كان ابن طُفيل ، المفكّر المشهور ، وطبيب البلاط الموحّدي، هو الذي أشار عليه بالقدوم الى عدوة المغرب ؛ اذ قام ابن طُفيل بتقديم « ابن رشد » الشاب الى أبي يعقوب يوسف سلطان الموحّدين ؛ وتروي لنا المصادر قصّة هذه المقابلة التي كان من نتائجها حتّ ابن رشد بوضع شروحٍ مُبسّرة لأرسطو ... (٢٢) .

وتعاقبت الأحداث في حياة ابن رشد ... ففي سنة ٥٦٥ هـ . تولّى القضاء بأشبيلية ، وبعد ذلك بسنتين أصبح قاضي قرطبة . وبالرغم من مشاغله الكثيرة ، فقد ألّف أهمّ كتبه في هذه الفترة ..

وفي سنة ٥٧٨ هـ . استدعاه يعقوب المنصور، الذي خلف أباه يوسف، لكي يصبح طبيبه بمراكش ، فقد تقدّمت السن كثيراً بابن طفيل . ولم يلبث ابن رشد طويلاً في البلاط الموحّدي ، اذ نراه بعد فترة قصيرة يعود الى قرطبة ، لكي يشغل فيها منصب قاضي القضاة .

كلّ ابن رشد ذا حظوة عند خليفة الموحّدين ، يعقوب المنصور، في بداية الامر، ثم مال به أن نقم عليه ، بعد أن اتّهم بالزندقة . فامر الخليفة باحراق كتب الفلسفة ، ما عدا كتب الطبّ والحساب ، وفرض على ابن رشد أن يقيم في « اليسانة » وهي بلد قريب من قرطبة ، كانت اولا لليهود ، وأن لا يخرج عنها (٢٢) . وقد نقم السلطان ايضاً

(٢٢) انظر : Encyclo . Vol. II , P. 410 - 413

(٢٢) انظر : ابن أبي اصيصة ، ص ٥٢٢ .

على جماعة أخرى من الفضلاء الأعيان ، وأمر أن يكونوا في مواضع
أخر ، وأظهر أنه فعل لهم ذلك بسبب ما يدعى فيهم أنهم مشتغلون
بالحكمة وعلوم الأوائل . وهم أبو جعفر الذهبي ، والفقير أبو عبد الله
محمد بن إبراهيم قاضي بجاية ، وأبو الربيع الكفيف ، وأبو العباس
الحافظ الشاعر القرابي (٢٤) .

وفي الحديث عن نهاية محنة ابن رشد ورفاقه يقول ابن أبي
أصيبعة : « وبقوا مدة ، ثم إن جماعة من الأعيان باشبيلية شهدوا لابن رشد
أنه على غير ما نسب إليه ، فرفض المنصور عنه وعن سائر الجماعة ،
وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسائة ، وجعل أبا جعفر الذهبي
مزوارا للطلبة ومزوارا للأطباء (٢٥) .

وقد أورد « رينان » قطعة من سيرة ابن رشد للأنصاري (وفق
مخطوط المكتبة الإمبراطورية ملحق عربي سنة ٦٨٢ ، ص ٧) جاء
فيها عن محنة أبي الوليد : (٢٦)

« فكمدت سوق السعيات ، وضرب عن كل طالب ومطلوب ،
والأعداء كانوا لا يسامون من الانتظار ، ويرقبون أوقات الضرار ،
فلما كان التلوم من المنصور بمدينة قرطبة ، وامتد بها أمد الإقامة ،
وانبسط الناس لمجالس المذاكرة ، تجددت للطلابين آفاقهم ، وقوي
تألبهم واسترسالهم ، فادلوا بتلك الالتفات ، وأوضحوا ما ارتقبوا فيه
من شنيع السوءات ، الماحية لأبي الوليد كثيرا من الحسنات . فقرئت
بالمجلس ، وتداولت أغراضها ومعانيها وقواعدها ومبانيها ، فخرجت بما
دلّت عليه أسوأ مخرج . وربما ذبلها مكر الطالبين ، فلم يكن عند
اجتماع الملا إلا المدافعة عن شريعة الإسلام ؛ ثم أثر الخليفة فضيلة
الإبقاء ، وأغمد السيف التماس جميل الجزاء ، وأمر طلبة مجلسه
وفقهاء دولته بالحضور بجامع المسلمين ، وتعريف الملا بأنه مرق من
الدين ، وأنه استوجب لعنة الضالين . وأضيف إليه القاضي أبو

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) انظر : ابن أبي أصيبعة ، ص ٥٢٢ .

(٢٦) انظر : رينان ، ص ٤٣٨ - ٤٤٤ .

عبد الله ابن ابراهيم الاصولي في هذا الازدحام ، وَلَفَّ معه في حريق هذا الملام ، لاشياء ايضا نقتت عليه في مجالس المذاكرة ، وفي اثناء كلامه مع توالي الايام ... » ثم يستمر الانصاري في الحديث عن الاجتماع بالجامع الاعظم بقرطبة ، الى ان يقول : « فنالهم ما شاء الله من الجفاء ، وتفرقوا على حكم من يعلم السرّ واخفى ؛ ثم امر أبو الوليد بسكنى اليسانة ، لقول من قال : انه ينسب في بني اسرائيل ، وانه لا يُعرَف له نسبة في قبائل الاندلس ... » ثم يتابع الحديث عن ابن رشد وصاحبه الذي لفه الحريق معه فيقول الانصاري « وليس في زمانهما من بكمالهما ولا من نسج على منوالهما ، وتفرق تلاميذ ابي الوليد ايدي سباء » (٢٧)

ومن الواضح ان هنالك اسباباً خفية قد دفعت الى نكبة ابن رشد : فالانصاري مثلاً يواصل حديثه فيقول : « ويذكر ان من اسباب نكبته هذه اختصاصه بابي يحيى اخي المنصور والي قرطبة » . وقد اورد ابن ابي اصيبعة اسباباً اخرى . قال القاضي ابو مروان : « ومّا كان في قلب المنصور من ابن رشد انه كان متى حضر مجلس المنصور ، وتكلّم معه او بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي . وايضا فان ابن رشد كان قد صَنَّف كتاباً في الحيوان ، وذكر فيه انواع الحيوان ، ونعت كل واحد منها . فلما ذكر الزرافة وصفها ثم قال : « وقد رايت الزرافة عند ملك البربر » ، يعني المنصور . فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان احد الاسباب الموجبة في انه نقم على ابن رشد وابعده ... » (٢٨) .

وكانت هذه المحنة التي اصابته ابا الوليد ، مناسبة اغتنامها خصومه للتشنيع عليه (٢٩) .

وبعد عودة الخليفة المنصور الى مراكش ، ما لبث ان عفا عن ابن رشد ورفاقه واستدعاه اليها . ولكن ما لبث ابن رشد ان

(٢٧) انظر : المصدر نفسه .

(٢٨) ابن ابي اصيبعة ، ص ٥٢٢ .

(٢٩) انظر : النباهي ، ص ١١١ ، رينان ، ص ٢٣٧ - ٢٤٤ .

توفي فيها ، بعد ذلك بقليل ؟ فكانت وفاته كما أوردها الإنصاري ، ليلة الخميس التاسعة من صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة بموافقة عاشر دجنبر . ودفن بجبانة باب تاغزوت . وبعد ثلاثة أشهر حمل الى قرطبة ، فدفن بها في روضة سلفه بمقبرة ابن عباس (٢٠) .

شخصية ابن رشد وأثرها في أدبه :

كان لشخصية ابن رشد أثرها العميق في أدبه ، فقد طبعته بطابع العمق والجدية ، ونأت به عن الفنون الأدبية التقليدية ؛ ولا عجب اذا رأينا العقلانية والواقعية تطبعان أدبه وانتاجه الفكري في جميع فنون المعرفة ، ولذا كانت الدراية أغلب عليه من الرواية (٢١) .

فني أبو الوليد ابن رشد بالعلم من صغره الى كبره ، وكانت لهذه الحياة الجادة آثارها في تكوين شخصيته . فكان على حد تعبير بعض الروايات ، على شرفه ، أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا (٢٢) . ويورد ابن أبي أصيبعة حديثا للقاضي أبي مروان الباجي يقول : « كان القاضي أبو الوليد ابن رشد حسن الرأي ، ذكيا ، رث البزّة ، قوي النفس ، .. » (٢٣) .

كان لهذه المقومات الشخصية أثرها البعيد في حياة ابن رشد ، وما تركته من طوابع مميزة في أدبه . فكان الى جانب السيرة الحميدة ، قد وهب ذاته للعلم والمعرفة ، وقصّر حياته على خدمة وطنه .

فهذا صاحب التكملة يتحدث عن هذه الجوانب في شخصية ابن رشد فيقول : « وولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد بن مغيث فحمدت سيرته ، وتأنثت له عند الملوك وجاهة عظيمة ، لم يصرفها في ترفيع حال ، ولا جمع مال ، انها قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ، ومنافع أهل الأندلس عامة (٢٤) . وكان الى ذلك كله ،

(٢٠) انظر : رينان ، ص ٤٤٢ .

(٢١) انظر : التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

(٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) ابن أبي أصيبعة ، ص ٥٣١ .

(٢٤) التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

سمحا كريم النفس، فكان يبذل العطاء لُقْصَّاده ، ويُلام أحيانا على
البذل لمن لا يُحِبُّونه ولا يُكْفُون عَنْ اتِّهامه فيقول : إِنَّ اعطاء العدو
هو الفضيلة ، أما اعطاء الصديق ، فلا فضل فيه . وقد اعطى مرة
رجلا أهانه ، وحذَّره من فعل ذلك بغيره لأنه لا يأمن بوادِر غضبه (٢٥) .

وإذا كان ابن رشد متسامحا في أمر نفسه ، فإنه لم يكن
متسامحا في أمر غيره ؛ ومن ذاك قَصَّته مع الشاعر ابن خروف حين
هجا أبا جعفر الحميري العالم المؤدب ، فقد أوجع الشاعر ضربا،
وانذره ألا يعود لمثلها .

كانت شخصية ابن رشد مطبوعة على مزاج الفيلسوف الحكيم ،
تنأى به عن الاتجاه الى تلك الفنون الأدبية والفنية ، في الظرف والنغم
والإيقاع ، كما كان الشأن مع جَلَّة حُكماء ذلك العصر وأطبائه ، مثل
ابن طفيل، وابن باجة، وابن زهراء وغيرهم . وهكذا كان ابن رشد يحسن
المساجلة ولا يحسن المنادمة . ولا يبالي بتزييف لغة « البلاط » في
سبيل تحقيق لغة العلم، ورفع الكلفة من مجالس الباحثين فيه (٢٦) .
وربما كانت هذه الصفات من الأسباب الخفية التي أدت الى التنكيل
بهذا المفكر الاسلامي العظيم .

لقد أجمع أكثر الدارسين لابن رشد على وصفه بأنه « أكثر
شُرَّاح مؤلفات أرسطو عمقا » (٢٧) . كان ابن رشد معجبا بالاعجاب
كله بالمعلم الأول « أرسطو » .

ولكن يبقى السؤال الضخم أمام دارس أدب ابن رشد ، وهو :
الى أي حدَّ تأثر ابن رشد شخصيا بأراء أرسطو وفلسفته في الأخلاق
والسياسة والخطابة والشعر ؟ وبعبارة أخرى فنحن نتساءل الى أي
حدَّ نستطيع أن نعتبر هذه الآراء تمثِّل فلسفة ابن رشد واتجاهاته
في فهم العلوم والآداب ؟

(٢٥) انظر : المعاد ، ص ١٩ .

(٢٦) انظر : المعاد ، ص ٢٦ .

(٢٧) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ٢٨ .

ومما لا شك فيه أن هنالك عاملين أساسيين أثرًا في مفهومه المتميز للأدب ، وهذان العاملان هما : شخصيته الجادة ، وتكوينه الثقافي ، واشتغاله بعلوم الأوائل بانتصرافه الى دراسة أرسطو والتعميق بشرح فلسفته وآرائه .

وان نظرة شاملة في مؤلفات ابن رشد (٢٨) تظهر لنا الطابع العقلاني لأدب أبي الوليد : بمؤلفاته بصورة عامة يمكن تقسيمها الى أربعة أقسام : فهناك شروح أو مصنفات فلسفية وعلمية ، وشروح أو مصنفات طبية ؛ وكذلك هنالك مصنفات كلامية وفقهية ، ومصنفات أدبية ولغوية .

وكان مجال التأليف عند ابن رشد قد تأثر بطبيعة نظريته الفلسفية ؛ فقد حرص دائما على تأكيد ذلك المذهب الفلسفي الذي تميزت به الفلسفة العربية في الأندلس خاصة ، والفكر العربي بصورة عامة ؛ فحواه تقسيم الأقيسة الى ثلاثة أصناف : برهانية وجدلية وخطابية . وبناء على ذلك يقسم الناس الى فئات أو طبقات ثلاث متقابلة : هم أهل البرهان ، فالجدليون ، فالخطابيون . وهو يعني بأهل البرهان الفلاسفة أو الخاصة ، وبالخطابين جمهور الناس الغالب أو العامة ، والجدليين طائفة من الناس هي دون الفلاسفة مرتبة ، إلا أنها مع ذلك تتميز عن الجمهور ، هم المتكلمون (٢٩) .

وربما يُسهّل على دارس مؤلفات ابن رشد ، بعد هذا ، أن يصنّفها وفق هذه الأقيسة . فنحن نعتقد مثلا أن كتابة « تهافت التهافت »

(٢٨) في مؤلفات ابن رشد أنظر : ابن أبي أصيبعة ، ص ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، التكملة ج ٢ ، ص ٥٤٤ - ص ٥٥٥ ، الذهبي ، ص ، رضان ، ص ٧٩ - ٩٢ وهما من أكثر القوائم ضبطا وتفصيلا ؛ وهناك نشرة الأب « بونج » من مخطوطات ابن رشد الموجودة في أنحاء العالم . وقد أشارت المصادر أيضا الى تلك القائمة المهمة التي تحوي مؤلفات ابن رشد في المخطوطة رقم (٨٨) بمكتبة الاسكوريال بإسبانيا .

(٢٩) أنظر : خصري ، ص ٣٣ .

هو مساجلة أدبية قام بائها بفحص دقيق، وتأويل عميق متبصر لكتاب « تهافت الفلاسفة » للغزالي . فهو ينعي بحرارة على الغزالي حين يصرّح بأنه لم يقصد من تهافته بيان الحق في نفسه ، وإنما قصد التشويش على الفلاسفة ، ونزع الثقة بهم ... (٤٠) . وكذلك تستطيع أن تدرج في إطار الأدب ، وفق مفهوم ابن رشد ، كتابه الذي سَمَّاه « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ، وكتاب « منهاج الأدلة في علم الأصول » ... وغيرها ، دون أن نضع حدًّا فاصلاً بين علم الكلام وأثره في الأدب .

أما في مجال اللغة ، فقد أشارت المصادر إلى « كتابه في العربية الذي وسمه بالضروري » (٤١) . وكذلك كتابه في الكلام على الكلمة والاسم المشتق (٤٢) . وهكذا نستطيع القول إن مجاله الأدبي قد أُنْسِمَ بتلك المعركة الفكرية التي تركت أثراً عميقاً في التفكير الإسلامي ؛ هذا مع العلم أن الفلسفة الأدبية لم تشغل سوى حيز صغير في مذهب هذا الفيلسوف ، بازاء فلسفته المادية . فقد كان الخلاف ، بينه وبين المتكلمين في الفلسفة الأدبية، شبيهاً بالخلاف بينه وبينهم في فلسفته الطبيعية (٤٣) .

لقد كانت شخصية ابن رشد واضحة متميزة في أدبه، وفي اجتهاده الفكري، وفي فلسفته . وإن تصانيفه التي وسمها بالشروح ، كانت على مستويات مختلفة من حيث المنهج والغاية التي يرمي إليها . وهو في ذلك كله كان يميز أحياناً ، حتى في هذه الشروح ، بين رأيه ورأي المتن الذي يشرحه .

وهكذا فإن شخصية هذا القاضي الفيلسوف ، التي طُبِعَتْ على الجِدِّ ، قد تركت آثارها العميقة في مفهومه للأدب . فقد كان

(٤٠) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ١٩٧ .

(٤١) الكلمة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

(٤٢) انظر : رينسان ، ص ٩٠ .

(٤٣) انظر : شرح ، ص ٥٨ .

يتعفف عن حضور مجالس اللهو والطرب ، مما استباحه جملة من علماء عصره وحكمائه . وقد بلغ من تعفّفه عمّا لا يراه خليقا بعلمه ومكانه من القضاء انه ، « أحرق شعره الذي نظمه في الغزل أيام شبابه » . وبذلك ، مع الأسف ، حُرِم الدارسون من مصدر مهم من مصادر دراسة أدبه وحياته .

وفي هذا الإطار العقلاني لمفهوم الأدب ، وتغليب هذا الجانب على الجانب الفني ، نورد الرواية التالية :

قال أبو الفضل التفاشي : جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبي الوليد ابن رشد والرئيس أبي بكر ابن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدري ما تقول ، غير أنه إذا مات عالمٌ بأشبيلية ، فأريدُ بَيْعُ كتبه، حُمِلَت الى قرطبة حتى تُباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريدُ بَيْعُ آلاته، حُمِلَت الى اشبيلية (٤٤) .

ارتباط الأدب عند ابن رشد بالحقيقة والمعرفة :

نظر ابن رشد الى الأدب نظرة شاملة وعميقة ، وقد فهم رسالته الأدبية من خلال اتجاهين أساسيين استغرقا حياته الأدبية كلّها . وهذان الاتجاهان يتميزان بالبحث عن الحقيقة وواجب الوجود، من ناحية ، وعن المعرفة التي هي عبادة للخالق ؛ ويلتقي ابن رشد في ذلك مع الفارابي وغيره من المفكرين الإسلاميين الذين يعتبرون البحث عن المعرفة عبادةً لله سبحانه وتعالى وتسيبها له في ملكوته . ولنستمع الى ابن رشد في هذه العبارة التي حُذِفَتْ على حدّ تعبير « رينان » من شرح ما بعد الطبيعة في الطبقات اللاتينية ، وقد ترجمها مسيو « منك » من العبرية .

قال ، قال ابن رشد : « يقوم دين الفيلسوف الخاص على دراسة ما هو كائن ؛ وذلك لأن أرنسح عبادة يمكن أن يعبد الله بها ، تقوم

على معرفة ما صنع ، لما يؤدي اليه هذا من معرفتنا اياه على حقيقته كلها . وهذا هو اصلح الأعمال عند الله ... » (٤٥) .

اتجه ابن رشد الى البحث عن الحقيقة ، تاركا لنا في ذلك نتاجا خصبا وأدبا رفيعا يقع على حد تعبير بعض الروايات ، في حوالي عشرة آلاف ورقة .

وهو في بحثه عن الحقيقة ، كان له موقف متميز عن المسائل الكبرى التي أثارت الجدل في عصره وفيما تلاه من القرون الوسطى . فقد ثار الجدل حول مسألة قَدَم العالم ، ومسألة علم الله بالجزئيات ، ومسألة النفس وبقائها ؛ هذا فضلا عن مسألتين أخريين ، ثار حولهما الجدل واحتدم وهما : مسألة الصفات الالهية ، ومسألة الحقيقتين . والمسألة الأخيرة مؤداها ان حقيقة الشرع وحقيقة العلم والحكمة شيء واحد ، يختلف في العبارة ولا يختلف في الجوهر . وقد شغلت هذه القضية أعلام الكتاب والمفكرين في ذلك العصر . فوضع ابن طفيل قصته المعروفة « حي بن يقظان » ، ووضع ابن رشد كتابه الموسوم « فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال » . فالفكرة التي أملت على ابن طفيل قصته ، هي ذاتها التي أملت على ابن رشد كتابه . وان الفرق بين الأسلوبين يعود الى الفرق بين شخصيتي الكاتبين .

فابن طفيل ، كما يبدو من أخباره وآثاره ، صاحب مزاج طريف ، يحسن فنَّ المنادمة والمسامرة ، في حين ان شخصية ابن رشد الجادة ، ونظرته العقلانية الى الأشياء ، قد تردد أصدائها في أدبه ، مما حدا بمن ترجموا له بوصفه بأن الدراية كانت أغلب عليه من الرواية (٤٦) . وكان وصفه هذا في مجال الفقه ، ولكنه ينسحب بطبيعة الحال على حياته الثقافية والفكرية كلها . فقد تميز ابن رشد منذ وقت مبكر في

(٤٥) رينان ، ص ١٧٦ .

(٤٦) التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

مجال الفقه ، بالنظرة العقلية والقياس في الأحكام . هذا مع العلم أن محصوله في الرواية كان واسعا . وإن المصادر تُحدِّثنا مثلا بأنه كان يحفظ الموطنًا عن ظهر قلب (٤٧) .

وإن نزعة التوفيق بين الشريعة والفلسفة تُعتبر معتد الأصل والطرافة في تفكيره . أما في مجال المعرفة ، فلم يتوان ابن رشد في البحث والتنقيب عن جميع المعارف الانسانية دراسة وتدقيقا وشرحا ، وفي مختلف الحقول ، في الطب والمنطق والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها من صنوف المعارف الانسانية

فالبحث وراء المعرفة ، في نظر ابن رشد يُقَرِّبه الى فهم حقيقة الخالق ؛ فهو عبادة وتسبيح لله في ملكوته وبالتالي فإن هذا المسرى يؤدي به الى فهم جوهر الدين وحقيقته حيث يُتَمِّم « الوحي » ما عجز عنه العقل . وهكذا فإن الادب ونتاج الفكر الانساني يرتبط في نظر ابن رشد بالحقيقة والمعرفة من حيث الغاية والهدف .

الخطابة عند ابن رشد :

وفي هذا الموضوع لا بُدُّ لنا أن نقف عند كتاب « تلخيص الخطابة » ، حيث يبدأ ابن رشد الكلام فيه في كل فقرة بقوله : « قال » ثم يورد بضع كلمات من أوائل الفقرة ، ويمضي بعد ذلك في الشرح ، دون أن يتميز ما لأرسطو مما له هو ذاته ، ويستطرد أحيانا ويأتي بكثير من الأمثلة من عنده ، ولكنه في هذا كله يتابع ترتيب النص الاصل لارسطو ويتقيد به . ويتوسع أحيانا ، فيزيد كثيرا عن حجم نص أرسطو (٤٨) . وقد فرغ ابن رشد من كتابه هذا يوم الجمعة الثالث من شعبان من عام سبعين وخمسمائة ، بقرطبة (٤٩) .

وقد توسَّع ابن رشد في ايضاح معاني أرسطو التي يذكرها النص ؛ وهو يعترف في نهاية الكتاب أن ما سجَّله لم يتعدَّ فهمه

(٤٧) انظر : رينان ، ص ٦٢ .

(٤٨) انظر : تلخيص الخطابة ، ص ر .

(٤٩) تلخيص الخطابة ، ص ٣٣٢ .

واستيعابه لهذه النصوص ، اذ يقول : « وقد لخصنا منها ما تآدى
الينا فهمه ، وغلب على ظننا أنه مقصوده ؛ وعسى الله أن يبين^{٥١}
بالتفرغ التام ، للفحص عن نص اتاويله في هذه الاشياء (٥٠) .

وان هذا الاتجاه يحملنا على الاعتقاد بطابع ابن رشد وشخصيته
في هذه الشروح ، ولا سيما في « تلخيص الخطابة » فتراه مثلاً يستبدل
في كتابه هذا بالأمثلة اليونانية نظائرها في اللغة العربية ، متلائماً
مع البيئة العربية الاسلامية التي يكتب لها ويعيش فيها ؛ فيورد
شواهد من الفقه والتاريخ الاسلامي واللغة العربية . وقد نجح
ابن رشد نجاحاً كبيراً في تطبيق القواعد والنماذج التي يذكرها أرسطو ،
على اللغة العربية وتراثها ، ولا سيما في المقالة الثالثة : اقسام فن
الخطابة ، في صفات الاسلوب ... الخ (٥١) .

فان ابن رشد يتبنّى مذهب « المعلم الاول » أرسطو في الخطابة ،
كما يتبناه في الشعر ، كما سنرى فيما بعد . « فصناعة الخطابة »
تناسب صناعة الجدل ، وذلك ان كليهما تؤمّن غاية واحدة وهي
مخاطبة الغير ... ويوجد استعمالهما مشتركاً للجميع ؛ اعني ان
كل واحد من الناس يستعمل ، بالطبع ، الاقاويل الجدلية والاقاويل
الخطابية ... (٥٢) . وفي موضع آخر يقول : « وكل واحد من الناس
يوجد مستعملاً لنحو ما من انحاء البلاغة ، ومنتهياً منها الى مقدار
ما ، وذلك في صنفى الاقاويل اللذين أحدهما المناظرة ، والثاني التعليم
والارشاد . واكثر ذلك في الموضوعات الخاصة بهذه الصناعة ، وهي
مثل الشكاية والاعتذار وسائر الاقاويل التي في الامور الجزئية ... (٥٣) .

فالكلام عنده على مذهب أرسطو ، مركّب من ثلاثة : من قائل ،
وهو الخطيب ؛ ومن مقول فيه ، وهو الذي يعمل فيه القول ؛ ومن

(٥٠) تلخيص الخطابة ، ص ٣٢٢ .

(٥١) انظر : تلخيص الخطابة ، ص ٢٤٨ - ٣٢٢ .

(٥٢) تلخيص الخطابة ، ص ٣ .

(٥٣) تلخيص الخطابة ، ص ٤ .

الذين يوجه اليهم القول ، وهم السامعون . والغاية بالقول انما هي متوجهة نحو هؤلاء السامعين . والسامعون لا محالة إمّا مُنَاطِر ، وإمّا حاكم ، وإمّا المقصود اقتناعه ... والحاكم في الأمور المستقبلية ، هو الرئيس ، والحاكم في الأمور الكائنة هو الذي ينصبه الرئيس ، مثل القاضي في مدنتنا هذه وهي مدن الاسلام . وإما الناظر فانما ينظر بقوة الملكة الخطابية (٥٤) .

ولنستمع لابن رشد كيف يطبّق نظريات أرسطو في تفصيل الأتاويل الخطابية على نصوص من اللغة العربية ، بل يستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم . قال : والمكرور والمعاطف في الأتاويل الخطابية ، هو أن يكون أول القول وآخره بلفظ واحد ، أو قريب من الواحد . وهذا مثل قولهم : « القتل أنفى للقتل » ، ومثل قوله تعالى (الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة) .. (٥٥) .

وهناك أمثلة كثيرة ؛ بل ان المقالة الثالثة كما اشرنا سابقا ، هي محاولة جادة من ابن رشد ، لكي يتمثل نظريات أرسطو في الخطابة ويطبقها على اللغة العربية وآدابها . ولنستمع اليه يقول : « وأما الأسماء المترادفة ، فصالحة جداً لصناعة الشعر ، وقد تصح أيضاً لصناعة الخطابة . والشاعر يستعمل هذا الصنف لأسباب أخصها به استعمالها لتصحیح الوزن والقافية ، مثل قوله : « وَهَنَدُ اتى مِنْ دُونِهَا النَّائِي وَالْبُعْدُ » (٥٦) .

فابن رشد يشير بهذا النص الى بيت للحطيئة من داليته المشهورة التي يمدح بها بغض بن عامر ، ومطلعها : « الْأَطْرَقَتْنَا بَعْدَهَا هَجَمُوا هِنْدُ — وَقَدْ سِرْنَ خَمْساً وَأَتَلَابَ بَنَا نَجْدُ » .

وتمام البيت الذي استشهد به ابن رشد هو :

(٥٤) تلخيص الخطابة ، ص ٢٨ — ٢٩ .

(٥٥) تلخيص الخطابة ، ص ٢٨٨ .

(٥٦) تلخيص الخطابة ، ص ٢٦٣ .

أَلَا حَبْذَا هِنْدُ وَأَرْضُهَا بِهَا هِنْدُ : وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيَ وَالْبَعْدَ
وَفِي حَدِيثِهِ عَنْ تَوَابِعِ الْأَلْفَاظِ يَقُولُ :

« وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَخْذَ بِالْوُجُوهِ (٥٧) لَيْسَ لَهُ غِنَاءٌ فِي الْخُطْبِ
الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا غِنَاؤُهُ فِي الْمَتَلَوَةِ ؛ وَأَنَّ عَادَةَ الْعَرَبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا قَلِيلَةٌ .
وَأَمَّا مَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ ، فَرُبَّمَا أَقَامُوهَا فِي الْأَشْعَارِ مَقَامَ الْأَلْفَاظِ ،
أَعْنَى التَّشْكِيلَاتِ ، وَيَحْذِفُونَ اللَّفْظَ الدَّالَّ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى أَمَّا ارَادَةُ
لِلْإِخْتِصَارِ ، وَإِنَّمَا طَلِبًا لِلْوِزْنِ وَالْإِذَاذِ ؛ وَهَذَا لَمْ تَجْرِبْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ .
وَلِهَذَا صَارَ مَا يَقُولُ أَرِسْطُو فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، كَمَا يَقُولُ أَبُو
نَصْرٍ ، غَيْرَ مَلْهُومٍ عِنْدُنَا وَلَا نَافِعٍ . وَالْأَخْذَ بِالْوُجُوهِ أَمَّا هُوَ نَافِعٌ
أَكْثَرَ فِي الْخُطْبِ الَّتِي تَتْلَى عَلَى جِهَةِ الْمَنَازَعَةِ ، لِأَنَّهُ أَمَّا يَحْتَاجُ إِلَى
الِاسْتِعْمَالَةِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمُغْنَعَةِ فِي مَوْضِعِ الْمَنَازَعَةِ لِتَحْصُلِ الْغَلْبَةِ .
وَأَمثالُ هَذِهِ الْخُطْبِ هِيَ الْخُطْبُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ .
وَأَمثالُ ذَلِكَ فِي الْأَشْعَارِ ، كَالْأَشْعَارِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ (٥٨) .

وَهَكَذَا مَقَّدَ أَضَافَ ابْنُ رَشْدٍ أَضَافَاتٍ أَصِيلَةً فِي الشُّرُوحِ الَّتِي
وَضَعَهَا عَلَى مَصْنُفَاتِ أَرِسْطُو . وَلَمْ يَكْتَفِ بِالنَّقْلِ ، بَلْ تَرَكَ آثَارَ
مُبْتَرِئِهِ الْفِدَّةِ عَلَى تِلْكَ النِّظَرِيَّاتِ وَالْأَرَاءِ ، الَّتِي قَامَتْ بِدَوْرٍ مَهْمٍ فِي
النُّهْضَةِ الْأَدَبِيَّةِ فِيهَا بَعْدَ .

ابن رشد والشعر :

لَمْ يَكُنْ أَبُو الْوَلِيدِ ابْنُ رَشْدٍ شَاعِرًا وَلَا ذَا طَبِيعَةٍ شِعْرِيَّةٍ ؛
فَإِنْ اتَّجَاهَهُ الْفِكْرِيُّ ، وَمَا جُبِّلَ عَلَيْهِ مِنْ جَدِّيةٍ فِي التَّفَكُّيرِ وَالسُّلُوكِ ،
كَانَا يَنْبَإِيَانِ بِهِ عَنْ حَيَاةِ الْفَنِّ وَالشَّعْرِ .

وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ رَشْدٍ فِي عَالَمِ الشَّعْرِ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ ، بَاقِلٌ مِنْ أَوْلَئِكَ
الْغُنْبَاءِ ، الْأَلْبَاءِ مِنْ نَظَرَانِهِ مِنْ كِبَارِ الْفَلَسَفَةِ ، وَالْأَطْبَاءِ وَالْفُقَهَاءِ ،

(٥٧) وَمَقَّدَ هُزْلُفُ « الْأَخْذَ بِالْوُجُوهِ » يَقُولُهُ : « الْأُمُورُ الْمُسْتَعْمَلَةُ مَعَ الْأَلْفَاظِ عَلَى
جِهَةِ الْمَعْنَى فِي جُودَةِ التَّقْسِيمِ وَابْتِغَاءِ التَّصْدِيقِ وَبُلُوغِ الْفَرَسِ الْمَقْصُودِ » . انْظُرْ :
تَلْخِيسُ الْخُطَابَةِ ، ص ٢٥٠ .

(٥٨) تَلْخِيسُ الْخُطَابَةِ ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

كابن سينا وابن حزم وغيرهما ، في المشرق ، كما هو في المغرب .
والأندلس ؛ وقد كان الشعر في الأندلس ، على حد تعبير بعض الروايات ،
سائرا على جميع الألسنة في الأندلس ؛ فالشعر يجري على ألسنة
الرجال كما يجري على ألسنة النساء ، ويجري على ألسنة الشعراء
كما يجري على ألسنة الفقهاء والعلماء . ولكن شعر هؤلاء العلماء لم
يكن ليتجاوز النظم والتأليف المحكم بين المقاطع والألفاظ . ونحن اذا
استثنينا بعض الأمثلة القليلة ، فاننا نستطيع القول : إن جميع هؤلاء
العلماء قد نظموا الشعر وانتطوه ، دون أن يكونوا ذوي شأن في
مجال الفغائية أو الفن ، ولكنه حلية يتصف بها كل نجيب . وكان ابن
رشد من كبار هؤلاء النجباء الألباء ، فلا بد من أن يضيف الشعر الى
جملة علومه وكفاياته .

فهذا ابن الأبار يصفه فيقول :

« وكان يُفزع الى فتواه في الطب كما يُفزع الى فتواه في الفقه ،
مع الحظّ الوافر من الأعراب والآداب . حكى عنه أبو القاسم بن
الطليسان أنه كان يحفظ شعر حبيب والمتنبي ، ويكثر التمثّل بهما في
مجلسه ، ويورد ذلك أحسن إيراد » (٥٩) .

ويحدثنا ابن سعيد ، صاحب المغرب ، وقد كان قريب عهد من
الفترة التي عاش فيها ابن رشد ، فيقول : « أدركه والدي وقرا عليه ،
وقال في وصفه الشقندي : « نقيه الأندلس ، وفيلسوفها الذي لا
يحتاج في نباهته الى تنبيهه » . وأنشد من شعره قوله :

ما العِشْقُ شأني ، ولكن لست أنكره
كس حُلٍّ مقدّة سلواني تفكره

من لي بغض جنوني من مخبرة الـ
أفغان قد اظهرت ما لست أضمره

لولا النّهي لأطغمت اللّحظ نائيّة
فيمس يردّ سنا الإلحاظ منظره

ما لأبن سقين قادته إغايته
عشيرة فنّاي عنه تبصره

قد كان رضوى وقاراً فهو سافية
الحسن بورده ، والهون يصدّره (٦٠) .

وفي هذا الموضوع ، يتحدث الفيلسوف الفرنسي المشهور ،
أرنست رينان ، فيقول :

« ونعلم من ليون الأفريقي أن ابن رشد كان قد نظم عدة قصائد
خلقية وغزلية ، فأحرقها في مشييه ؛ وينقل ليون الينا قطعة منها
تجعلنا نفترض بالحيقة ، كون الحكمة ، من بعض النواحي ، لم تأت
ابن رشد إلا مع السنين . . (٦١) . ومهما يكن من أمر ، فقد راض
ابن رشد نفسه على التوقّر فبالغ في رياضتها ، وربّما دفعه ذلك
إلى حرق أشعار نظمها في صباه ؛ وبذلك مع الأسف ، فقدّمنا لونا مهماً
من نتاج عبقريته ، يمكن أن يلقي ضوءاً على حياته الخاصة ونتاجه
الأدبي .

لم يكن ابن رشد ممن نكّم الشعر وانتحلّه ، على مذهب نظرائه
من العلماء والفلاسفة ، ولكنه كان له موقف من الشعر ، بصورة عامّة ،
يتداخل مع موقف أرسطو ونظريته في الشعر . والواقع أن تلخيصه
« من الشعر » لأرسطو يشهد بعلوّ كعبه في الأدب العربي ، ولا سيما
شعر ما قبل الإسلام .

وتجد في كل صفحة من هذا الكتاب ، على حدّ تعبير المستشرق
الفرنسي أرنست رينان ، استشهاده بعنثرة وامرء القيس والأعشى
والنابغة وأبي تمام والمتنبي وكتاب الأغاني . . . (٦٢) .

(٦٠) المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٦١) رينان ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٦٢) انظر : رينان ، ص ٦٣ .

ويربط ابن رشد بين الموسيقى والشعر ، كما هو الأمر عند أرسطو ؛ فالموسيقى بنظره تُعنى بتنقيف النفس وتمريسيها على الفضائل الخلقية . وهو يعني بالموسيقى الأقاويل المحلّية ذات اللحن ، على حدّ تعبيره . فكانت بهذا الفن خادمة لصناعة الشعر الذي يؤثر في الصبّة والاحداث أكثر من الخطابة والبرهان — وهما ضربان من ضروب الاقتناع — . فاذا رتوا عن هذا الطور استعملت معهم الأقاويل الخطابية والجدلية ، وفي الطور الأخير البرهانية التي يراد بها الفلاسفة أو الحكماء خاصة (١٢) .

فابن رشد ينظر الى الشعر ، وفق نظرة أرسطو ، وذلك من خلال وظيفته في التربية وتأثيره في الناشئة ؛ ومن ناحية أخرى فإنه يرى فيه صنفا من صنوف الاقتناع ؛ والاقتناع أحد سبيلين رئيسيين لغرس الفضائل في نفوس سكان الدولة . فالأقاويل الخطابية والشعرية يخاطبُ بها الجمهور ، وقد اعتمدها أيضا أفلاطون في « الجمهورية » (١٤) .

فابن رشد يقف من الشعر من خلال وظيفته التربوية موقفا هادفا ؛ فمن القصص التي ، كما يقول ، ينبغي نبذها ما كان حائثا على طلب اللذة أو على ابتغاء المال ، لأنها تحول دون التمرّس بحياة الجندية . وهذه المفاصد ، كما يقول ابن رشد ، يكثر ذكرها في أشعار العرب ، « فلم يكن أضر من تلقينها للصبية منذ نعومة أظفارهم » ؛ وهو ما درج عليه معلومهم منذ القدم (١٥) .

لا شك أن أبا الوليد يقف موقفا انتقائيا من الشعر العربي في مجال التربية . وهذا أمر ينسجم والأهداف التربوية السامية ، التي رسمها منذ البداية ، من وجوب غرس الفضائل في نفوس أبناء المدينة الفاضلة . ولا يمكن أن يكون هذا الموقف كُرّها للشعر العربي

(١٢) انظر : مخري ، ص ١٢٢ .

(١٤) انظر : مخري ، ص ١٢٢ .

(١٥) انظر : مخري ، ص ١٢٦ .

بصورة عامة ، وهو الذي كان يحفظ شعر حبيب والمتنبي ، ويُكثّر التمثل بهما في مجلسه .

كان لابن رشد باع في قول الشعر ، ولكنه لم يكن يمثل جوانب عبقريته المشرقة ؛ وكانت له آراء ونظرات فنية ونقدية فيه امتزجت بآراء أرسطو ونظرته للشعر امتزاجا كليًا . ونحن نعتقد أن ابن رشد قد حالفه التوفيق في مجال الشعر كما حالفه في مجال الخطابة ، من حيث محاولته لتطبيق نظريات أرسطو على نماذج أصيلة في اللغة العربية وآدابها ، شعرا ونثرا ...

أدب ابن رشد ونزعة الإنسانية والاجتماعية :

لقد ذاع صيت ابن رشد بين « اللاتين » لأميرين ؛ لكونه طبيبا وكونه شارحا لأرسطو ؛ بيد أن فخره شارحا أعظم من فخره طبيبا بهراحل . فمهما يكن من شهرة نالتها « الكليات » لم تبلغ ما ناله « قانون » ابن سينا من اعتبار بالغ (٦٦) . وانما انتهى بشرحه الأكبر الى تكوين قطب ثبت في الفلسفة ، « فالطبيعة تفسر بأرسطو، وأرسطو يفسر بابن رشد » (٦٧) .

وألّف ابن رشد، عدا هذه الشروح ، عددا كبيرا من الكتب يُعبر احصاؤها تماما . وقد شكّلت مؤلفاته مختلف مجالات المعرفة الإنسانية : في الفلسفة ، وعلم الكلام ، والفقه ، والفلك ، والطب ، والنحو ، واللغة .

ونحن اذا تجاوزنا مفهوم الأدب من حيث هو نتاج فكري هدفه التسلية والموعظة الى مفهوم أعمّ ، وذلك من حيث هو نتاج فكري يؤثر الكاتب من خلاله في القارئ ويحركه نحو الأفضل ، نكون قد اقتربنا كثيرا لكي نصنّف في هذا الاطار مجموعة من مؤلفات ابن رشد الأدبية ، وأهمّها :

(٦٦) انظر : رينان ، ص ٧٢ .

(٦٧) المصدر ذاته .

١ - كتاب « تهافت التهافت » ، وقد وضعه ابن رشد لكي يدحض به كتاب الغزالي الذي عنوانه « تهافت الفلاسفة » .

٢ - كتاب « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ، وقد حاول فيه ابن رشد أن يوفق بين الشريعة والفلسفة .

٣ - كتاب « الكشف عن مناهج الأدلة » .

ولكي نستطيع أن نفهم اتجاهات ابن رشد في مصنّفاته المختلفة ، لا بُدَّ لنا أن نتعرف على نظرة ابن رشد للكاتب ، من ناحية ، ولتنوعية الجمهور الذي يكتب اليه من ناحية أخرى . فالناس في نظره مختلفون حسب استعداداتهم وقدراتهم ، ومن هذا التفاوت في الفطر والمقول ، جعل الناس على حد تعبيره طوائف ثلاثا :

١ - الخطابيّون ، وهم الجمهور الغالب الذي يصدق بالأدلة الخطابية .

٢ - أهل الجدل ، ومنهم رجال علم الكلام ؛ وهم الذين ارتفعوا من العامة ولكنهم لم يصلوا لأهل البرهان اليقيني .

٣ - البرهانيون ، بطبيعتهم وبالحكمة التي أخذوا أنفسهم بها .

وبناء على ذلك يقول ابن رشد بانقسام الشريعة الى ظاهر له أهله ، وهم العامة وأشباههم ، وباطن له أهله ، وهم ذوو البرهان (٦٨) .

وان نظرية ابن رشد في التعلّم تقوم على هذه الفروق الفردية ، اذ كان ينادي دائما « بَأَنَّ جَعَلَ الناس شرعا واحدا في التعلّم خلاف المحسوس والمعقول » ؛ هذه النظرية التي كانت معروفة جيدا عند الكثير من الفلاسفة قبله ، مثل الفارابي وابن سينا وغيرهما ...

كان ابن رشد يرى وجوب تقيد الكاتب بنوعية الجمهور الذي يكتب اليه . فمقد حرم مثلا الحديث مع الجمهور في علم الله على النحو

(٦٨) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ٩٣ .

الفلسفي . وقد أخذ على الغزالي اثباته التأويل في غير كتب البرهان ،
وتدبيه ذلك الى جمهور الناس . وشجب المتكلمين ، وبخاصة
المعتزلة ، أنهم بتأويلهم التي صرّحوا بها للجمهور ، أوقعوا الناس في
شكات وتباغض وحروب ، ومزقوا الشرع (٦٩) .

ولكننا نجد ابن رشد يتبع في مثل هذا الطبع ، فيعتذر . بأن
الجمهور قد عرف من أولئك الذين يلومهم هذه التأويل . فكان لا بدّ
له أن يتكلم فيها ، وذلك لبيان الحق من جهة ، ولدفع الأذى عن
الجمهور من جهة أخرى .

وان هذا اللون من الكتابة التي خرج بها من اطار كتب الخاصة ،
اهل البرهان ، الى نطاق العامة ، اهل الجدل والخطابة ، ليست
في جوهرها سوى مساجلات ومناظرات كتابية ، يحاول الكاتب تحض
آراء خصومه ، واصلاح ما افسده ، على حد تعبيره ، لدى الجمهور . بل
ينصّ أحيانا أن بعض الأفكار ، لا سبيل الى انشائها في هذا الكتاب ، مما
يؤكد أن كتاب « تهافت التهافت » ، ليس من الكتب التي تُدخّر للخاصة، وإنما
هو كتاب للعامة، على حدّ مفهومه ؛ اذ يقول أحيانا في مناقشة بعض
الموضوعات : « وهذا العلم لا سبيل الى افشائه في هذا الموضع » (٧٠) .

وان أسلوب ابن رشد في « تهافت التهافت » ، يبتعد كثيرا عن
الأساليب البرهانية ، فقد خرج به من هذه الدائرة من حيث الهدف ،
ولكنه يتلوّن أحيانا بانفعالية تُخرج الكاتب عن وقاره وموضوعيته
الى السباب والتهكم اللاذع .

فيشير الى أبي حامد الغزالي فيقول : « ماتيانه بمثل هذه
الأتاويل السفسطائية قبيح ، فانه يُظنّ به أنه ممن لا يذهب عليه
ذلك ، وإنما أراد بذلك مداهنة أهل زمانه » (٧١) وهذه تهمة ، ولا
شك ، خطيرة يوجّها ابن رشد الى أبي حامد . وفي موضع آخر يقول :

(٦٩) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ١٠١ .

(٧٠) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٧١) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٩٣ .

« قلت : هذا الكلام الذي هو جواب عن الفلاسفة ، في نهاية السقوط » (٧٢) . وفي مكان آخر « قلت : هذا كله سفسطائي خبيث » (٧٣) . وكذلك : « هذا بين بنفسه » وقائل هذا ، هو الملبس ، لا الفلاسفة ، فان الملبس هو الذي يقصد التغليب لا الحق . واذا اخطأ في الحق فليس يقال فيه : انه ملبس » (٧٤) . وفي تعليق له حول بعض الإنكار يقول : « وهذا كله عند الفلاسفة هوس وتخليط » (٧٥) . وكثيرا ما يُتهم ابنُ رشد ابنُ سينا وشيعته فيقول : « فانظر هذا الغلط ، ما اكثره على الحكماء ؟ فعليك أن تتبين قولهم هذا : هل هو برهان ؟ أم لا ؟ أعني في كتب القدماء ، لا في كتب ابن سينا وغيره ، الذين غيروا مذهب القوم في العلم الالهي ، حتى صار ظنيا » (٧٦) .

ويتهم أحيانا ابن سينا ، والفارابي أحيانا ، بعدم فهم مذاهب قدماء الفلاسفة ، فيقول : « قلت : هذا كله تخرُّص على الفلاسفة من ابن سينا وأبي نصر ، وغيره ... » (٧٧) . وقد يهاجم الغزالي بعنف ، مع دحضه لأراء ابن سينا اذ يقول : « وأما الكلام فيما صدر منها (أي العقول) فانفرد ابن سينا بالقول الذي حكاه (أي الغزالي) من الفلاسفة وتجرَّد هو للرد عليهم ، ليوهم أنه ردّ على جميعهم .

وهذا ، كما قال ، « تعمّق ممّن قاله في الهوس » (٧٨) . وهذا هو أيضا ينمي على الفارابي وابن سينا مقالهما ، اذ يصيح مندهشا : « والعجب كلّ العجب ، كيف خفي هذا على أبي نصر وابن سينا ، لأنهما أول من قال هذه الخرافات ، فقلّدها الناس ، ونسبوا هذا القول الى الفلاسفة ... » (٧٩) .

-
- (٧٢) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ١٦٠ .
 - (٧٣) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
 - (٧٤) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .
 - (٧٥) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .
 - (٧٦) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٣٠١ .
 - (٧٧) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .
 - (٧٨) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .
 - (٧٩) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٣٩٧ .

وان مثل هذه الاشارات التي تنم عن أسلوب انفعالي كثيرة جدا . وهو في أسلوبه هذا قد يَعْنَفُ الى حدّ السباب، ويهزا الى حدّ السخرية اللاذعة . ففي مناقشته لبعض آراء أبي حامد يقول : « فهو صادق في ذلك ، اذ لم يبلغ الرجل المرتبة من العلم المحيطة بهذه المسألة . وهذا هو الظاهر من حاله فيما بعد .. » (٨٠) .

وقد وقع أبو حامد الغزالي في تيّار السباب والعنف أيضا ؛ ولنستمع الى الغزالي وقد جاوز حدّ الانفعال الى السباب تقريبا اذ يقول :

« قال أبو حامد رادّا على الفلاسفة :

« قلنا : ما ذكرتموه تحكّمات ، وهي على التحقيق ظلمات فوق ظلمات ، لو حكاها الانسان عن منام رآه ، لاستدلّ به على سوء مزاجه ، او اورد جنسه في الفقهيات ، التي قصارى الطلب فيها تخمينات ، لقيل : إنها ترّهات ، لا تفيد غلبة الظنون » .

فهي على حدّ تعبير أبي حامد ، تحكّمات ... وظلمات ... وترّهات ... السخ . وعندما يناقشه ابن رشد ، يقابله انفعالا بانفعال ، وانتقاصا بانتقاص .

يقول ابن رشد في الرد على الغزالي، بعد أن اورد ما حكاها سابقا : « قلت : « لا يبعد أن يعرض مثل هذا للجهال مع العلماء ، وللجمهور مع الخواص ، كما يعرف ذلك لهم في المصنوعات ؛ فان الصنّاع ، اذا اوردوا صفات كثيرة من مصنوعاتهم على العوام، وتضمنوا الاعمال العجيبة عنها ، هزىء بهم الجمهور ، وظنوا أنهم مبرسمون ، وهم في الحقيقة الذين ينزلون منزلة المبرسمين من العقلاء ، والجهال من العلماء . وامثال هذه الاماويل لا ينبغي أن نتلقى بها آراء العلماء واهل النظر » (٨١) .

(٨٠) نهات الفهات ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٨١) نهات الفهات ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

وهكذا فنحن نستطيع أن نصنّف كتب ابن رشد هذه خارج دائرة الخاصة ، وانها موجهة الى العامة من القراء، وهي بذلك تخرج من ميدان البحث الفلسفي الرصين ، الى ميدان المساجلات الادبية واساليبها ... لقد كتب ابن رشد مؤلفاته هذه وقد وجهها الى العامة ، وفق مفهومه ، يريد اصلاح ما افسدته اقاوال السابقين . فهو يحاول اصلاح ما افسده سابقوه بالتصريح بأراء مُفسدة ، وتآويل ضالة ، تلقفها غير أهلها ، فعمّ بذلك ضررها ... (٨٢) .

وفي هذه المساجلة الفكرية ، يقول العقاد : « فلم يحفظ لنا تاريخ الفكر مساجلة بين حكيمين في قوة المساجلة التي دارت بين ابن رشد والغزالي ، ومضاء سلاحها، ونفاذ حججها، وبراهينها ... » (٨٣) .

ولم يكن ابن رشد في شروحه المشهورة وفي تصانيفه ، العلمية منها والفقهية والادبية ، سوى مفكر عظيم يُوجِّهُ جميع طاقاته وجهة انسانية رفيعة ، هدفها الاسمي تنمية الفضائل لدى افراد الامة ، وخلق مجتمع اسلامي قوي .

ونحن نلمس هذه النزعة الواقعية في مختلف مصنفاته، الى جانب تلك النزعة الانسانية السامية .

ونحن، اذا استثنينا بعض الاشارات المقتضبة الى قضايا اخلاقية وسياسية ، نلمحها في بعض مؤلفاته ، كتهافت التهافت ، والكشف عن مناهج الادلة، وسواها ؛ فقد اقتصر ابن رشد في تأليفه في الاخلاق والسياسة ، على شرح الاخلاق الى نيقوماخس . وجوامع سياسة افلاطون ... (٨٤) . وقد فصل ابن رشد في شروحه هذه ما فعله في شرح الخطابة والشعر . فهو لا يكتفي بشرح الجمهورية ، بل يعمد الى تطبيق بعض مبادئها على الاوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في البلاد الاسلامية آنذاك ، وخاصة الاندلس والمغرب .

(٨٢) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ١٠١ .

(٨٣) العقاد ، ص ٥٥ .

(٨٤) انظر : نصري ، ص ١١٨ .

صالح المجتمع وسعادته ، هو الهدف الاسمى ، البذي كان يرمي اليه ابن رشد في جميع مصنفاته ، العلمية منها والفلسفية واللغوية ؛ فقد ختم كتابه المشهور في ميدان الفقه « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » ، بقوله :

« وينبغي قبل هذا ان يُعْلَمَ ان السنن المشروعة العملية المقصود منها هو الفضائل النفسانية ، فمنها ما يرجع الى تعظيم من يجب تعظيمه ، وشكر من يجب شكره ، وفي هذا الجنس تدخل العبادات ... ومنها ما يرجع الى الفضيلة التي نسميها « عفة » ... ومنها ما يرجع الى طلب العدل والكف عن الجور ... ومنها السنن الواردة في الاعراض ، ومنها السنن الواردة في جمع الاموال وتقويمها ، وهي التي يُقَصَّدُ بها طلب الفضيلة التي تسمى السخاء ، وتجنَّب الرذيلة التي تسمى البخل ؛ والزكاة تدخل في هذا الباب من وجه ، وتدخل في باب الاشتراك في الاموال ؛ وكذلك الامر في الصدقات .

ومنها سنن واردة في الاجتماع الذي هو شرط في حياة الانسان وحفظ فضائله العلمية والعملية ... ومن السنن المهمة في حيز الاجتماع السنن الواردة في المحبة والبغضة والتعاون على اقامة هذه السنن ؛ وهو الذي يسمى النهي عن المنكر والامر بالمعروف ... الخ .. » (٨٥) .

فمن الواضح ان ابن رشد يرى ان الدين يرمي بشعائره واوامره الى غايات انسانية واجتماعية رفيعة ، هدفها صالح المجتمع وسعادته . وكان لابن رشد ، من خلال ادبه ، موقف واضح من اهم القضايا الاجتماعية والسياسية ؛ فقد كان لسه رأي واضح في السياسة ، والاجتماع ، والتربية ، والمرأة ، وحرية الانسان ؛ ففي مجال السياسة ، فان نظريته كانت مبنية على فلسفة افلاطون ، وقد بسطها في شرحه « جمهورية » هذا الفيلسوف وجوهر تعاليمها ، أنه يجب القاء

(٨٥) انظر : بداية المجتهد ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ .

زمام الأحكام الى الشيوخ والفلاسفة ليديروها بـبـسـط وعـدل . و يجب
حث الناس على الفضائل بتعليمهم البيان والعلوم التي تثقف العقل (٨٦) .
ويتناول ابو الوليد ثلاث قضايا هي بمثابة المدخل الى علم
السياسة ، وهي :

اولا - ما هي الشروط التي ينبغي أن تتوافر لكي توجد هذه الفضائل
المشار اليها . . . اذ ليس الغرض من هذا العلم معرفة ماهية
هذه الفضائل ، كما يقول ارسطو ، بل العمل بها .

ثانيا - كيف يمكن غرس هذه الفضائل في نفوس الأحداث ، بحيث تنمو
تدرجياً ، وكيف تصان بعد ان تبلغ مرتبة الكمال ؟ وكيف يمكن
استئصال الشر من نفوس الاشرار .

ثالثا - ما هي الصفات والفضائل التي تشتد إذا اقترنت بفضيلة ما ،
وتضعف اذا اقترنت بفضيلة أخرى ؟ اي كيف تؤثر هذه الفضائل
احداها في الأخرى (٨٧) .

وكان ابن رشد يكره الاستبداد العسكري والاقطاعات
المسكينة ، ويرى استغناء الدولة عن القضاة والاطباء ،
دليلا على انتظام شؤونها . ويقوم كمثل الدولة الاعلى على عدم
الاحتياج الى قاض ، ولا الى طبيب ؛ وليس على الجيش واجب غير
السهر على حرس الامة . وما يحدث لو اكلت كلاب الراعي غنمه ؟
وتعد اقطاعات الجيش آفة الدول (٨٨) .

وقد رأى ابن رشد أن الحاكم الظالم هو ذلك الذي يحكم
الشعب من اجل نفسه لا من اجل الشعب . وأن شر الظلم ظلم الكهنة ؛
وان احوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من
الصلاح ، « فكانما وصف افلاطون حكومتهم ، لما وصف في « جمهوريته »
الحكومة الجمهورية الصحيحة التي يجب أن تكون مثالا لجميع الحكومات » .

(٨٦) انظر : رينان ، ص ١٧٠ ، مرج ، ص ٥٩ .

(٨٧) انظر : مخري ، ص ١٢٢ .

(٨٨) رينان ، ص ١٧٠ ، وهذا النص اوردته من طبعيات ص ٢١ — PRIHERM

ولكن معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم ، واقام مكانه دولة بني امية وسلطانها الشديد ، ففتح بذلك بابا للفتن ما تزال الى الآن قائمة قاعدة حتى في بلادنا هذه (اي الاندلس) . « (٨٩) . اما موقفه من المرأة فهو يساوي بين المرأة والرجل من حيث الطبيعة فيقول : وتختلف النساء عن الرجال درجة لا طبيعة ، وهنَّ اهل لكل ما يفعل الرجال من حرب وفلسفة . الخ . . . ، ولكن على درجة دون درجتهم . وهنَّ يَفْقَهُنَّ احيانا، كما في الموسيقى ، وذلك مع كون كمال هذه الصناعة يقوم على التلحين من قبل رجل والغناء من قبل امرأة . ويدلُّ مثال بعض الدول الامريقية على استعدادهن الكبير للحرب ؛ ولا يعمدُ من الخوارق امكان انتهائهن الى الحكومة الجمهورية . اولا يرى ، كما هو الواقع ، ان اناث الكلاب تحرس القطيع كما تحرس ذكورها ؟ والى هذا اضاف ابن رشد قوله :

« لا تدعنا حالنا الاجتماعية نبصر كل ما يوجد من امكانيات في المرأة ؛ ويظهر انهن لم يخلقن لغير الولادة وارضاع الاولاد » .

وقد قضت هذه الحال من العبودية فيهن على قدرة القيام بجلال الاعمال . ولذا فاننا لا نرى بيننا امرأة مزيَّنة بفضائل خلقية . وتمرُّ حياتهن كما تمرُّ حياة النباتات ، وهن في كخالة ازواجهن انفسهم . ومن هنا ، ايضا ، اتى البؤس الذي يلتهن مدنتنا ؛ وذلك لان عدد النساء فيها ضعف عدد الرجال ، ولا يستطيعن كسب الحاجي بعملهن . « (٩٠) .

وتطرق ابن رشد الى حرية الانسان ، ووصل هذا المفهوم الانساني الرفيع بما ورد عنه في آي القرآن الكريم . فالانسان غير مطلق الحرية تماما ولا مقيدُها تماما . وذلك انه اذا نُظر اليه

(٨٩) انظر : رينان ، ص ١٧١ .

(٩٠) رينان ، ص ١٧٠ - ١٧١ وقد نقل النصوص من « طبيعيات » ص ٢١

(PRIHERM) ، ص ٤٨ .

من جهة نفسه وباطنه ، فهو حُرٌّ مطلق لأن نفسه مطلقة الحرية في جسمه . ولكن اذا نُظِرَ اليه من جهة حوادث الحياة الخارجية ، كان مقيداً بها ، لما لها من التأثير على أعماله . « وهو يقول : " أن هذا هو السر في أن القرآن يجعل الانسان تارة مختاراً وتارة مقيداً . » (٩١) .

ويسير ابن رشد على منوال أفلاطون في قضايا التربية ، فيحذّر في مجال تربية الصغار من التمثيل بالحكايات الكاذبة « اي الاساطير » التي ترسخ في اذهانهم مُتَفَسِّدِ سريرتهم (٩٢) . وهو على مذهب أفلاطون بالتربية الجماعية ، وحاجة الفرد لأقرانه . فقد تبين أن اكتساب المرء لأي من هذه الفضائل دون معونة الأقران مستحيل ، إذ . أن الانسان يحتاج الى من عداه ، في اكتساب الفضيلة ؛ فهو كائن مدني بالطبع (٩٣) .

وفي حديثه عن الخصال المكتسبة التي ينبغي على الحاكم أو الرئيس أن يتصف بها ، يرسم ابن رشد منهاجاً تربوياً واضحاً ، فيما يتعلق بالرئيس ، من الطفولة الأولى حتى يبلغ سن الخمسين ، لأنه على حُدِّ تعبيره، يجب تفويض الحكومة الى الشيوخ .

فبعد أن يتحدث عن الطفولة الأولى للحاكم أو الرئيس ، يقول : ومنها ، أي من الخصال المكتسبة ، الاقبال على العلوم المختلفة والتوفّر على دراستها . وتبدأ هذه الدراسة بعلم الحساب ، فالهندسة ، فعلم النجوم ، فالموسيقى ؛ وهي علوم لا تُطلَب من أجل الكمال الانساني ، شيمية الطبيعية والالهيات ، بل من أجل إعداد الفكر للاقبال على هذين العلمين ... وحين يبلغ الحكّام سنّ السادسة عشرة أو السابعة عشرة ينبغي أن يُقبلوا على تعلم الفروسية حتى سن العشرين ، وعندها يأخذون بتعلم الفلسفة حتى سنّ الثلاثين . فإذا بلغوا الخامسة والثلاثين دُعيت لهم رئاسة الجيش ، طوال

(٩١) انظر : شرح ، ص ٥٨ .

(٩٢) انظر : فخرى ، ص ١٢٤ .

(٩٣) فخرى ، ص ١٢٠ .

خمس عشرة سنة ؛ فاذا بلغوا سن الخمسين ، باتوا قادرين على الاضطلاع بمهام الرئاسة وادارة شؤون الدولة ...

اما التربية الاخلاقية لجميع المواطنين ، فهي تقوم ، في نظر ابن رشد ، على تلقينهم الفضيلة بتعليمهم الخطابة والشعر والجدل . ولا شك أن فيلسوفنا يقصد الانتقاء في مجال الخطابة والشعر والجدل ، فهي وسائل من أجل تربية الفضيلة في نفوس جميع المواطنين . ومن هنا نستطيع ان نفهم قوله عندما يُعقَّب على ذلك قائلا : « والشعر مفسد ، ولا سيما شعر العرب » (٩٤) . فان ابن رشد لا ينال من قيمة الشعر الفنية ، ولم يهدف ان ينتقص من شعر العرب من حيث هو ، ولكنه يرى ان يختار المزيبي من هذه الاشعار ما يكفل بتلقين الفضيلة ، وتربيتها في نفوس المواطنين .

العلاقة بين الشكل والمحتوى :

يشغل الجدل ، بصورة عامة ، مكانة مهمة من مؤلفات ابن رشد . وهو على حشد تعبير رينان : « يدخل اليه من الرشاقة ما هو ممتع . ومما كان يقع احيانا ، ان يرتقي بحماسة العلمية ، وكلِّفه بالفلسفة الى نبرة من الخلقية ، بليفة الى الغاية . ويسود الاسهاب شروحه ، ولكن بلا جفاف . وتتجلى شخصية المؤلف فيما يعرف ان يسوقه الى المواضيع المهمة من استطرادات وتأملات ... » (٩٥) .

والحقيقة ان هذه الاشارات تُكوِّن أهم خصائص ابن رشد في أسلوب كتابته . أما جفاف أسلوبه فلا بد لنا ان نستذكر حقيقة مهمة ، حيث ان طبقات كتبه في الحقيقة لا تعرض في نصوصها العربية سوى شرح قام على ترجمة عربية من ترجمة سريانية من اصل يوناني . اما في نصوصها باللفات الأجنبية فهي تقوم على ترجمة لاتينية من ترجمة عبرية . هذا مع العلم ان كثيرا من مصنفاته قد مُقِّدَت أصولها العربية .

(٩٤) انظر : رينان ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٩٥) رينان ، ص ٦٧ .

وان الدارس لادب ابن رشد ومصنفاته يمكن ان يلمح ركائز يمكن ان تُميّز نظرة ابن رشد في أسلوبه، من ناحية، وفي فن الكتابة، من ناحية أخرى . فهناك طبيعة الجمهور الذي يكتب اليه الكاتب ؛ وهذه النظرة رايناها واضحة تماما في ابحاثنا السابقة ؛ فهو ينادي بأن على الكاتب ان يكون على بصيرة من نوعية الجمهور الذي يكتب اليه ، وبالتالي بنوعية الأفكار وطبيعة الأبحاث التي يقدمها الى قرائه ، والا وقع في خطيئة كبيرة، وأدّى جهده الى الانسداد . « فليس كل صنف من اصناف الناس ينبغي ان يُستعمل معهم البرهان ، في الاشياء النظرية التي يراد منهم اعتقادها . وذلك إمّا لان الانسان قد نشأ على مشهورات تخالف الحق ، فاذا سلك به نحو الاشياء التي نشأ عليها ، سهل اقتناعه ، وإمّا لان نظرتة ليست مُعدّة لقبول البرهان اصلا ، وإمّا لانه لا يمكن بيانه له في ذلك الزمان اليسر الذي يراد منه وقوع التصديق فيه ... » (٩٦) .

فهو في ذلك يقول بوجود علاقة وثيقة بين طبيعة الجمهور وحقائق المعرفة التي يمكن ان تُعرض عليهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، يجعل للانفعالات النفسية دورا مهماً نحو استمالة الحكام والناظرين ، حيث يقول : ... الاشياء المعينة في وقوع التصديق ، مثل التكلم في الخوف والرحمة والغضب، وما أشبه ذلك من الانفعالات النفسانية التي ليست مُعدّة نحو الأمر المقصود تبينه اولاً وبالذات ، وانما هي مُعدّة نحو استمالة الحكام والناظرين ، ولذلك كانت كأنها موطئة للتصديق لا فاعلة له ... (٩٧) .

ويجعل ابن رشد للألفاظ مكانتها في زيادة التصديق ؛ وإن هذه المكانة تختلف باختلاف طبيعة المعارف ، وذلك على حد تعبير ابن رشد، لأن للألفاظ في ذلك معونة في زيادة التصديق الحاصل عن

(٩٦) تلخيص الخطابة ، ص ١١ .

(٩٧) تلخيص الخطابة ، ص ٥ .

البرهان وقوته ، كالحال في الصنائع الأخرى ، فانها يلقى لها معونة في ايقاع التصديق المستعمل فيها وان كانت في ذلك تختلف .

فأقلها حاجة في ذلك صناعة الجدل ، ثم من بعدها صناعة السفسطة ، ثم من بعدها الخطابة ، ثم من بعدها صناعة الشعر .
فهاتان الصناعتان اكثر حاجة الى ذلك ...

وانما صارت الالفاظ والأصوات تفعل في هاتين الصناعتين هذا الفعل من أجل انها تخيل في المعنى رفعة او خسة ، وبالجمله أمرا زائدا على مفهوم اللفظ ، مثل غرابه اللفظ ، فانها تخيل غرابه المعنى ، ولذلك فخامته تخيل فخامة المعنى . والنغم كذلك يفيد فيه هذا المعنى ... وليس يقصد ذلك أحد عندما يتكلم على طريق الهندسة ولا على طريق العدد (٩٨) .

فقد أدرك ابن رشد العلاقة الوثيقة بين الشكل والمحتوى ، وقد اقترب في مفهوم ذلك الى المدى الذي لا يرى منه الشكل منفصلا عن المحتوى ، بل ان الصورة مرتبطة ارتباطا عفويا مع المادة . فابن رشد يرى مع أرسطو ان الكون هو تغير في الجوهر ، وانه لا يتكوّن شيء من لا شيء ، بل من موضوع . وهذا على حدّ تعبير ابن رشد في تفسير ما بعد الطبيعة حيث يقول : " ... المذهب الذي أخذناه عن أرسطو ، وهو ان الفاعل انما يفعل المركب من المادة والصورة ، وذلك بأن يحرك المادة ويغيرها حتى يخرج ما فيها من القوة الى الفعل ... » .

ان هذه النظرة الفلسفية للعلاقة بين المادة والصورة قد انعكست تماما في موقف ابن رشد من الأدب بصورة عامة ، حيث يرى المادة متصلة اتصالا عفويا بالشكل، وليست منفصلة عنه . وهي النظرة التي يأخذ بها النقد الأدبي في مناهجه الحديثة .

وربما كانت هذه النظرة الى العلاقة بين الشكل والمحتوى ،
بين المادة والصورة ، وتطبيقاتها على الادب ، وفق مفهومه العقلاني
له ، اهمّ قضيتين يمكن ان يطرحهما الدارس لأدب ابن رشد . أما
القضية الأخرى ، فقد اشرنا اليها فيما سبق ، وهي ارتباط الادب
بالحقيقة والمعرفة ، في نظر ابن رشد ...

ابن رشد في مجال اللغة والبلاغة والنحو :

كان للغة اثر كبير في تحديد فكر ابن رشد ، وتطويع نظريات
ارسطو وفلسفته الى واقع الحضارة العربية الاسلامية بمفاهيمها
وعقيدتها ، بل الى لغتها وأدبها .

فقد اعتذر ابن رشد عن ذكر الامثلة اليونانية لانه رآها مجهولة
تماما لدى القارئ العربي الذي يتوجّه اليه ، ولا تتلاءم أيضا مع
الجو الاسلامي الذي يكتب له ويعيش فيه ؛ على أنه استبدل
بهذه الامثلة اليونانية نظائرها في الاسلام ، فاستشهد بشواهد من الفقه
والتاريخ الاسلامي واللغة العربية ... حيث اراد ان يطبق القواعد
والنماذج التي يذكرها ارسطو على اللغة والادب والخطب العربية .. (٩٩) .

وكان ابن رشد يقول منذ البداية ، بأن الشريعة الاسلامية
تحضّ من خلال الآيات القرآنية والحديث على النظر الفلسفي .
وهي توجب استعمال البرهان المنطقي ، على حد تعبيره ،
لمعرفة الله تعالى وموجوداته . ويستشهد على ذلك بآيات من القرآن
الكريم ، فيورد مثلا الآية الكريمة : « فاعتبروا يا أولي الأبصار » (١٠٠) .
ويبيّن أن الاعتبار هنا ليس الا استنباط المجهول من المعلوم ، وهو
القياس الفلسفي أو المنطقي المعروف (١٠١) .

وبناء على هذا الاتجاه ، فقد استخدم ابن رشد امثلة عربية
واسلامية كثيرة في كتاب « تلخيص الخطابة » وفي كتاب « الشعر »

(٩٩) انظر : مقدمة تلخيص الخطابة ، ص ٩١ .

(١٠٠) سورة الحشر ٢/٥٩ .

(١٠١) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ٩١ .

أيضا . وبالرغم من أنها شروح لكتب أرسطو ، غير أن ابن رشد في التلخيص أو التحليل يتكلم باسمه الخاص دائما ، فيعرض مذهب الفيلسوف مضيئا ، حاذفا ، باحثا في الرسائل الأخرى ما تكمل به الفكرة، متخذاً ترتيباً ومنهاجا من اختياره ؛ وهكذا على حدّ تعبير الفيلسوف الفرنسي « رينان » : « فإن التخليصات رسائل حقيقية كرسائل أرسطو » (١٠٢) . ففي حديثه مثلا عن الأمور المستعملة مع الانفاظ على جهة المعونة في جودة التقسيم وإيقاع التصديق وبلوغ الغرض المقصود ، وهي على حدّ تعبير ابن رشد نفسه ، التي جرت عادة القدماء أن يُسمّوها الأخذ بالوجوه . فيقول : « وذلك أن هذه الأشياء ، لما كان من شأنها أن تميل السامعين الى الإصغاء والاستماع والاقبال على المتكلم بالوجه ، وتفرغ النفس لما يورده ، أُستعير لها هذا الاسم . وهذه الأشياء صنفان : إمّا أشكال ، وإمّا أصوات ونغم ... والأشكال بالجملة ، يقصد بها أحد أمرين : إمّا تفهيم المعنى وتخيله الموقع للتصديق ، كما روي عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال في آخر خطبة : « بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين » وأشار بأصبعيه يقرنهما ... » (١٠٣) .

وتراه يخرج في شروح الى دراسات مقارنة ، فيتحدث عن موقع بعض النظرات البلاغية في أشعار الأمم ، ويقارنها بما هو في لغة العرب وآدابها . فنرى ابن رشد يتحدث في موضع آخر من « تلخيص الخطابة » فيقول : « وفيها أيضا أنها تُستعمل بضرب من الوزن في الكلام الخطبي ... وهذا الضرب من النغم ضروري في أوزان أشعار من سلف من الأمم ما عدا العرب ؛ فإن من سلف من الأمم كانوا يزنون أبياتهم بالنغم والوقفات ، والعرب تزنها بالوقفات فقط . ومنها أيضا أن تُستعمل أشعارا في افتتاح القول وختمه ومواضع الوصف ... » (١٠٤) .

(١٠٢) رينان ، ص ٧٤ .

(١٠٣) انظر : تلخيص الخطابة ، ص ٢٥٠ .

(١٠٤) تلخيص الخطابة ، ص ٢٥١ .

وقد نُظِرَ الى البلاغة بهذه النظرة المبدعة ، حيث استطاع ان يتمثل نظريات أرسطو من خلال نثر اللغة العربية وشعرها
ويستخدم، بطبيعة الحال ، الاصطلاحات البلاغية التي سبقه اليها
البلاغيون الاعلام قبله ؛ اذ يقول مثلاً : « والاستعارة التي تكون من
هذا النوع كثيرة موجودة في اشعار العرب وخطبها ، والاقاويل التي
يخصها اهل لساننا من الناظرين في الشعر والبلاغة بالاستعارة هي
داخلة في هذا الجنس ، ولذلك يقولون : إن المجاز استعارة
وتشبيهه » (١٠٥) .

وكان لابن رشد مجال واسع في التعريب ، وكيفية استخدام
الالفاظ للدلالة على معانٍ مستجدة ؛ وكذلك توليد الكلمات عن طريق
الاشتقاق وغيره . فقد ذُكِرَتْ لنا المصادر المختلفة بين قائمة كتبه ،
كلاماً له على الكلمة والاسم المشتق (١٠٦) .

ففي حديثه عن تأثير الالفاظ والأصوات في الاقاويل يقول :
« والذين وقعوا أولاً على تأثير هذه الأحوال من الالفاظ والأصوات
في الاقاويل هم الشعراء ، وذلك ان هذا المعنى اظهر ما يكون في
الاقاويل الشعرية ، مع ان الوقوف على الاقاويل الشعرية هو متقدم
بالزمان على الاقاويل البلاغية ... » (١٠٧) .

ويعمّق نظريته في استعمال الالفاظ في لغات مختلفة ، فيقول :
« وأما اللغات فهي صنفان ، أحدهما ... مثل ان يستعمل الحجازي
لغة حميرية ؛ والصنف الثاني ان يستعمل في مخاطبة أمة ما ، لفظاً
ليس من الفاظ اهل لسانهم ، وانما هو من لسان أمة أخرى ، مثل
ما يوجد في لسان العرب الفاظ كثيرة من الفاظ الفرس والامم المجاورة
لها . وهذا يُستعمل على وجهين : أحدهما ان يأتي بذلك اللفظ بعينه
من غير ان يغيّر بنيته وتركيبه : والوجه الثاني ان يُغيّر تغييراً يقرب

(١٠٥) تلخيص الخطابة ، ص ٢٩٤ .

(١٠٦) انظر : القائبة التي اوردها رينان ، ص ٤٥٦ — ٤٥٧ . وفي مخطوط الاسكوريال .

(١٠٧) تلخيص الخطابة ، ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

من الابنية المستعملة في لسانهم ليسهل بذلك عليهم النطق به، مثل :
السَّجِّل وغير ذلك مما هو موجود في كتب اللغة (١٠٨) .

فابن رشد يقف هنا موقفاً واضحاً ومتميزاً ، تجاه قضية التعريب ، سواء اكان ذلك بإحياء الفاظ ميتة ، مثل استعمال الحجازي الفاظ حميرية ، أم استعمال اللفظة الأجنبية ، كما هي ، وإحخالها الى العربية من ناحية، أو ادخالها بعد اضعاء رونق العربية عليها ... وقد أورد لفظة « السَّجِّل » وهي لفظة قرآنية ... وهناك ايضا الفاظ موضوعة ، يحددها ابن رشد من خلال شرحه فيقول : « وهي الالفاظ المخترعة في لسان جنس ما ، يُخترعها أهل ذلك اللسان ، على نحو التركيب الذي لحرومهم » (١٠٩) . ويبحث « تلخيص الخطابة » اللفظة من حيث أصوات الحروف وتناسقها أو عدمه . وهنا ايضا ، تمتزج آراء أرسطو بآراء شارحه ابن رشد ، الى الحد الذي تُرى فيه شخصية الشارح واضحة بارزة ، وذلك من خلال تقصّياته وإيراده الأمثلة في نطاق العربية وحروفها وأصواتها، اذ يقول :

« وأما المُطَّلَعة فهي الالفاظ التي يعسر النطق بها ، وذلك يعرض لأسباب : منها أن تكون تلك الحروف حروفاً يُعسرُ النطق بها ، وإن كانت قليلة ؛ ومنها أن يكون سبب العسر فيها كثرة الحروف التي رُكِّبت منها ، والتي يعسر النطق بها ، إمّا أن يكون من أجل مخرج الحرف نفسه وأن ينطق به وحده ، مثل كثير من حروف الحلق ، وإمّا أن يكون العسر يحدث له عند تركيبه مع غيره ؛ وذلك إمّا لتقارب مخرجها ، وهذا هو سبب الادغام في لسان العرب ، وإمّا لتكرارها ، مثل قولهم : « قصصت اظفاري » . ولذلك بعض العرب يبدلون احدى الصادين « ياء » في مثل هذا . وربما كان السبب في ذلك تضادّ المخارج . ولذلك قُلَّ في لسان العرب اسم يوجد على وزن

(١٠٨) تلخيص الخطابة ، ص ٢٥٧ .

(١٠٩) تلخيص الخطابة ، ص ٢٥٩ .

« فعلى » إلا ما حكوا من « البغلى » . وأكثر الانقلابات والتغيرات التي يضعها النحاة هذا هو سببها (١١٠) .

وهنا نستبين خصائص نظرة ابن رشد في النحو ، وقد كانت له مساهمة فيه . ولا عجب من ذلك ، فالنحو عند أهل الأندلس ، على حد تعبير المقرئ « في نهاية من علو الطبقة ، حتى أنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جِدَّة ؛ وهم كثيرو البحث فيه ، وحفظ مذهبهم كمذاهب الفقه . وكل عالم في أي علم لا يكون متمكناً من علم النحو ، بحيث لا تخفى عليه الدقائق ، فليس عندهم بمستحق للتميز ، ولا سالم من الإزدراء ... » (١١١) .

ولم يخرج ابن رشد عن هذه القاعدة ، فقد أسهم في هذا المجال بكتاب سماه « الضروري في النحو » (١١٢) . وإن هذه التسمية ، تذكرنا بكتاب أبي بكر الزبيدي القرطبي الذي وضعه قبل ذلك بحوالي قرنين من الزمن وأطلق عليه « الواضح » .

فكرت أكثر المصادر التي أوردت مصنفات ابن رشد ، كتابه هذا في النحو ، ولكن مع الأسف لم يصل إلينا ، ولا نعرف عنه شيئاً ؛ فربما ما زال تائها في بعض الأقبية أو زوايا المكتبات ، وربما مُقْبَدُ إلى الأبد كما مُقْبَدَت مصنفات كثيرة من هذا التراث الضخم ، نتيجة النكبات والحروب وما حلَّ بالأندلس من استئصال لجذور حضارة عربية إسلامية أصيلة . وإن التسمية بحسب ذاتها « الضروري في النحو » توحى لنا باتجاهه العملي ، في استخدام ما هو ضروري من قواعد النحو ؛ وهذا الاتجاه ينسجم تماماً مع طبيعة فلسفة ابن رشد العقلانية والواقعية ... وهو في ذلك استمرار لهذه المدرسة

(١١٠) تلخيص الخطابة ، ص ٢٥٨ .

(١١١) أنظر : النسخ ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

(١١٢) أنظر : قائمة كتب ابن رشد التي أوردتها ريفان ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ ومق مخطوط اسكوريال .

القرطبية ، التي اتَّجهت اتَّجاهها عمليا مناهضةً لتعقيدات النحاة ،
وانشغالهم بجزئيات لا فائدة منها .

وجملة القول ، فقد كانت لابن رشد جهود طيبة في مجال البلاغة
والنقد ، وفي مجال النحو والاشتقاق ، والترجمة والتعريب والشرح ؛
وان هذه المجالات لتستحق الدراسة المتعمقة في مصنفات هذا
الفيلسوف الاسلامي ، الذي كان على حد تعبير ابن الأبار : « كان
يُنزَع الى فتواه في الطب كما يُنزَع الى فتواه في الفقه » مع الحظ الوافر
من الاعراب والآداب ...

خاتمة

ربما كان ابن رشد من المفكرين القلائل في الدنيا ، الذين
أهملتهم أمتهم وعُنيَت بهم أمم أخرى ؛ لقد تجاوزت مصنفات ابن
رشد حدود الزمان والمكان ، وكانت ركيزة أساسية في النهضة
الأوروبية فيما بعد .

عرَّفت أوروبا القرون الوسطى ابن رشد باسم (Averroes)
وطارت شهرته لديها بالطب ، من ناحية ، وبالفلسفة من ناحية أخرى .
وربما كان من الطبيعي أن لا يُعْنَى الفرنج بالجوانب الأخرى في فكر
ابن رشد ، في مجال الفقه واللغة والآداب . وقد بقيت جميع هذه
الجوانب ، مع الأسف ، في زوايا الإهمال والنسيان ... ولا شك أن
العصور المظلمة التي توالى على الأمة العربية والإسلامية ، كانت
تقف وراء هذا الإهمال .

لم يكن ابن رشد فيلسوفا وطبيباً محسوباً ، بل كان فقيهاً
مجتهداً ، كما ينمُّ عليه كتابه « بداية المجتهد » ؛ كما كان أديباً كاتباً ،
يعالج أهم القضايا السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي تَمَسُّ
كيان أمته . وقد سار على درب صديقه « ابن طفيل » وكثير من
الفلاسفة المسلمين الذين سبقوه ، في محاولة التوفيق بين الحكمة
والشريعة ، وبين ما يصل اليه من طريق الوحي والرسلى ...

ولذا فنحن نستطيع ان نعتبر بحقِّ ما كتبه في « تهافت التهافت » وفي كتابه « فصل المقال » ... وكذلك في « كشف مناهج الأدلة ... » وغيرها ، من الادب العقلاني الرفيع الذي يحاول الكاتب فيه معالجة قضايا انسانية واجتماعية واخلاقية وسياسية ، يهدف من ورائها اصلاح ما فسد في بنيان هذه الأمة .

ولم يقف ابن رشد عند هذه الحدود من الادب ، بل تعدَّاه الى تول الشعر ، والإسهام في البحوث اللغوية والبلاغية، ولا سيما في مجال النحو والتعريب والاشتقاق والنقد ... الخ ... وإنَّ شروحه لمصنِّفات أرسطو لم تكن لتقعد بسنه عند حد النقل ، بل كانت تتمداه الى حد الابداع في فهم فكر « المعلم الاول » وتمثُّله ، وتطبيقه على بيئته العربية الاسلامية. ولا أدل على ذلك من تعقيبه في خاتمة كتاب « تلخيص الخطابة » بقوله : « وهنا انقضت معاني هذه المقالة الثالثة ، وقد لخصنا منها ما تادى اليها فهمهم ، وغلب على ظننا أنه مقصوده ... » (١١٢) .

(١١٢) انظر : تلخيص الخطابة ، ص ٢٢٢ .

المصادر والمراجع

- ابن الأبار : ابن الأبار القضاعي البننسي ، التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ - ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ابن أبي أصيعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت ، ١٩٥٦ م .
- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١ - ١٢ ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، الصلة ، مصر ، ١٩٦٦ م .
- ابن تغري بردى : جمال الدين أبو الحسن يوسف تغري بردى الأتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ - ١٢ ، القاهرة .
- ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ١ - ٢ ، القاهرة .
- ابن رشد : أبو الوليد ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- ابن رشد : أبو الوليد ابن رشد ، تلخيص السفسطة ، تحقيق محمد سليم سالم ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- ابن رشد : أبو الوليد محمد بن رشد ، تهافت التهافت ،
ج ١ - ٢ ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ،
القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد
القرطبي ، رسائل ابن رشد ، حيدر آباد الدكن ،
١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- ابن سعيد : علي بن موسى ، المغرب في حلى المغرب ، ج ١ - ٢ ،
مصر ، ١٩٦٤ م .
- ابن طفيل : ابن طفيل الأندلسي ، حي بن يقظان (لابن سينا
وابن طفيل والسهورودي) ، تحقيق أحمد أمين ،
القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات
الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ - ٨ ، مصر ، ١٣٥٠ هـ
- الانصاري : أبو عبد الله محمد الأنصاري ، فهرست الرصاع ،
تونس ، ١٩٦٧ م .
- الذهبي : الحافظ الذهبي ، المعبر في خبر من عبر ، ج ١ - ٥ ،
الكويت ، ١٩٦٣ م .
- الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، بغية الملتبس
في تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- رينان : أرنست رينان ، ابن رشد ، والرشدية ، ترجمة
عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- زيدان : جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ،
ج ١ - ٤ ، القاهرة .
- الزركلي : خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ج ١ - ١١ .
- المقتاد : عباس محمود العقاد ، ابن رشد ، القاهرة .

الغزالي : الامام الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

فـرح : فرح أنطون ، ابن رشد وفلسفته ، الاسكندرية ، ١٩٠٣ م .

فـري : ماجد فخري ، ابن رشد فيلسوف قرطبة ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

المقري : أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ج ١ - ١٠ ، بيروت ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٩ م

موسى : محمد يوسف موسى ، بين الدين والفلسفة ، القاهرة .

النباهي : الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الاندلسي ، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، بيروت .

— BROCKELMAN - Geschichte d. Arab. Literatur Ers. Sup. LEIDEN , 1937 .

— The Encyclopaedia of Islam , LEYDEN , 1927 .

— Encyclopaedia of Religion and Ethics , vol. I-VIII , NEW-YORK , 1962 .

نشأة الثقافة العربية الإسلامية

نظرة إلى العراق

للدكتور عبد العزيز الدوري

ان نشأة الثقافة العربية الإسلامية ظاهرة معقدة تتطلب دراسة
بيئاتها والعناصر المكونة لها ، والاتجاهات والتطورات الخاصة .
وفيما يلي محاولة أولية لرسم الخطوط العامة (١) .

أدى التوسُّع العربي الإسلامي - الذي رافقه الشعور
برسالة - الى فتح ابواب البلاد الخصيبة الى الشمال أمام القبائل
المندفعة باستمرار من الجزيرة العربية ، وشجعت الخلافة الهجرة
الى الأمصار واعتبرتها لازمة للانتماء الكلي للأمة (٢) . واعتبرت
العودة الى البادية ، بعد الهجرة ، أمراً مكروهاً (٣) . وهذا أدى
الى استقرار متزايد للقبائل في البلاد المفتوحة .

واتجهت سياسة التمسك ببدء الى وضع المقاتلة في مجموعات
متناسكة في المراكز الجديدة ، في دور هجرة مثل البصرة والكوفة ،
وفي قرى أو مناطق قرب المدن القديمة (كما في الأجناد في الشام) ،
أو في أماكن استراتيجية (كما في أنحاء من الجزيرة الفراتية) .

واستمرت القبيلة أو العشيرة أساساً في تنظيم السكن والعلاقات
الاجتماعية في الأمصار . وكانت القبيلة - عند خروجها من الجزيرة -
تتوزع عادة بين أكثر من مركز أو منطقة ، ثم نُظِّمَت المجموعات القبلية ،
لأغراض التعبئة العسكرية، في وحدات كبيرة ، على الأسباع (ثم
الأرباع) في الكوفة مثلاً، وعلى الأخماس في البصرة .

وساعدت الإقامة في بلد واحد ، وظهور مصالح جديدة ،
والمصاهرات بسين القبائل ، إضافة الى تأثير المفاهيم الإسلامية، على
ظهور ولاءات محلية ، وأوجدت ظروفًا ثقافية جديدة ، وساعدت

على قيام تكتلات جديدة (٤) . وهذا يوضح كيف ان القبائل الواحدة او القريبة ، والتي تعيش في اوصار او اقطار مختلفة ، لم تتخذ موقفا واحدا في القضايا العامة . وكل ذلك ساعد على ظهور اتجاه نحو الوحدة بين القبائل في مصر الواحد .

وكان كلٌّ من الكوفة والبصرة بابا للبادية الى السواد ؛ وهذا يوضح، لحدّ ما، اطراد الهجرة اليهما . واكد هذه الهجرة استمرار الصلات بين عشائر المصريين وبين اقربائهما من القبائل الرحالة في البوادي المجاورة . هذا الى ان جماعات من المقاتلة (خاصة من ربيعة وتميم) استمرّت على العيش في البادية مع استعدادها لتلبية النداء للمشاركة في الحملات حين استقر الآخرون في الكوفة والبصرة (٥) .

ولم تشجّع الاقامة بين السكان المحليين في البدء ، ونظر اليها بشيء من الإنكار (٦) . وهكذا فان عزلة المقاتلة ، وهي ضرورة عسكرية واجتماعية في البدء ، كان لها اثرها في توفير جسر للوحدة والاستمرار الثقافي ، وساعدت على جذب الآخرين الى اطار المجموعات العربية - الى الاسلام والعروبة .

- وكانت اللغة العربية اساس الهوية العربية ، فالتناس عرب او عجم بلغتهم . اما المفاهيم المتصلة بالنسب والتسي تنطوي على مفهوم الجذور البشرية عند القبائل ، فانها لم تطمس هذا الاساس . فحين قال الحجاج لاهل الكوفة : « لا يؤمنكم الا عربي » ، وثب بعضهم بالقاريء يحيى بن وثاب ، وهو مولى ، لعزله عن الامامة ، فاعترض الحجاج قائلا : « وَيُحْكَم، إِنَّمَا قُلْتُ عَرَبِي اللِّسَان » (٧) . وهكذا صارت اللغة ، لا الدم ، اساس العروبة (٨) .

ولما كانت العربية لغة القرآن ، فقد ارتبطت بالاسلام ، مما اكسبها حرمة وساعد على انتشارها . فكان دخول الاسلام يعني تعلّم العربية ، وربما المشاركة في الثقافة العربية . وتكاد « العربية »

ان تكون مرادفة للاسلام في الفترات الاولى (٩) . فلما سأل أبو جعفر (المنصور) مولى لهشام بن عبد الملك عن هويته ، قال : « ان كانت العربية لسانا فقد نطقنا بها ، وان كانت ديننا فقد دخلنا فيه » (١٠) .

— كانت القبائل العربية تندفع باستمرار الى الاراضي الخصبة . وقد انتشرت في الجزيرة الفراتية بين دجلة والفرات قبل الميلاد ، وكان بعضها متبديا والاخر مستقرا (١١) ، فكان مركز قضاة في الحضر (١٢) ، وكانت ربيعة وتنوخ في الجزيرة (١٣) ، والتمر بن قاسط في عين التمر (١٤) . وانتشرت تغلب من عين التمر وعانات على الفرات شمالا حتى جبل بشري، وكانت من رعاة وفلاحين (١٥) . وكان في حاضر الرقة (ريفها) قوم من العرب (١٦) . وكانت اياد في الفرات الاوسط واطراف الجزيرة الفراتية ، ثم تحركت في فترة الفتوح الى الجزيرة (١٧) .

وكانت في الحيرة قبائل عربية — تنوخ والعباد وجعاعات اخرى (الاحلاف) ، وامتد بعضها الى الانبار (١٨) . ويقول الهمداني : « الانبار والحيرة والقمر الابيض ... وسنداد والخوزنق والمسدير وبارق ، محاضر العرب القديمة من حيز العراق » (١٩) . وانتشرت بكر بن وائل في البوادي المطلة على السواد بين القادسية والخليج العربي (٢٠) .

هكذا وبنهاية القرن السابع للميلاد كانت مناطق الفرات الاسفل والاوسط والجزيرة الفراتية قد تعرضت لحج كبير .

وفي فترة الفتوح وبعدها جاءت قبائل وجعاعات جديدة الى العراق ؛ فقد ارتفع ديوان البصرة مثلا من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ ر.هـ ، ايام عثمان ، ثم الى ٤٠٠٠ ر.هـ و (٨٠٠٠ من العيالات) ايام علي ، ثم الى ٨٠٠٠ ر.هـ (و ١٢٠٠٠ من العيالات) في ولاية زياد بن ابيه (٢١) ، ثم الى ٩٠٠٠ ر.هـ (١٤٠٠٠ من العيالات) في ولاية عبيد الله بن زياد (٢٢) . وفي الكوفة ارتفع الديوان من ٢٠٠٠ ر.هـ سنة ١٧ هـ الى ٤٠٠٠ ر.هـ سنة ٢٥ هـ (٢٣) ، الى ٦٠٠٠ ر.هـ في اواسط القرن الاول الهجري (٢٤) .

ونزلت مجموعات قبلية ، من تميم وبكر واليمن — خاصة خولان وهمدان والأزد — الموصل في خلافة عمر . وتحوّلت الحديثة ، على الزاب الأعلى ، الى قرية عربية بن نزلها من المغرب (٢٥) . ونزلت قبائل عربية في سنجار ورأس العين (٢٦) ، وجاءت جماعات كبيرة من قيس الى الجزيرة . ثم ان معاوية أتى بمجموعات من قيس واسد وأوطنهم اماكن استراتيجية بين الرقة وسنجار ، كما بُنيت ربيعة في ديارها من الجزيرة (٢٧) . واستمرت الهجرة الى الجزيرة الفراتية، وأدت الى تكوين ديار مضر وديار ربيعة (٢٨) . لذا رأى مروان بن محمد ، آخر الأمويين ، انه يستطيع الاستناد الى قيس في تكوين قوّاته، وانتدب منها عشرين الفا (٢٩) .

— وكان للعوامل الجغرافية والبشرية أثرها في العراق ، فقد كان ملتقى الثقافات السامية والآرية، إضافة الى كونه مهد الحضارة السامية .

كان سكان العراق (النبط) ، وهم ساميون يتكلمون الآرامية . أما الفرس فكانوا فئة حاكمة في المدن الرئيسية (مثل طيسفون ونصيبين) ، وبينهم الملاكون الكبار والجنود في الحاميات ، وجُلُّهم طردوا اثناء الفتح أو أُسروا (٣٠) . ولكنَّ بعضهم بقي في المدن، مثل الحيرة ونصيبين وسنجار، أو على الحدود الشرقية للسهول ، بينما جاء آخرون الى المراكز الجديدة (خاصة الكوفة والبصرة) . وبقي كثير من الدهاقين ، وبعضهم من أهل البلاد (نبطا أو عربا)، وأسلموا وحافظوا على أراضيهم (٣١) .

وكانت لفظة « نبط » ابتداءً ذات دلالة بشرية (٣٢) ، ثم صارت بعدئذ مرتبطة بالفلاحة والرّي (٣٣) . وكان يشار للنبط عادة بـ « أهل السواد » أو « العلوج » تمييزا لهم عن العجم (٣٤) . وتتباين الروايات عن وضعهم ، بين ما يشير الى الشعور بالرابطة والكيان (٣٥) وبين الادعاء بالأصل الفارسي (٣٦) .

اعتَبَر المسلمون النبط غير محاربين، ولم يتعرَّضوا لهم في أثناء الفتح (٢٧) . يذكر المدائني أن عمر بن الخطاب « رفع الرق عنهم ، ووضع عليهم الخراج في رقابهم، وجعلهم أكره الأرض » (٢٨) . وكان بإمكانهم استغلال الأرض وبيعها وتوريثها ورهنها (٢٩) . وإذا أسلموا أَعْفُوا من الجزية عادةً ، ولكنهم يستمرون على دفع الخراج . ورأى عمر بن عبد العزيز أن لهم الحرية في ترك الأرض عند إسلامهم ، ولكن أرضهم تؤول إلى القرية، والأصارت للدولة .

ومع أن النبط اعتُبروا أحراراً من حيث المبدأ ، إلا أن المفاهيم المحلية الموروثة التي تربطهم بالأرض والاعتبارات الاقتصادية أثَّرت على وضعهم . وكانت الهجرة من الريف إلى المدينة أمراً مألوفاً ، بسبب وواسعة أحياناً ؛ وهي ظاهرة ساعدت على التعريب . ومما يثير التعريب أن النبط ساميون يتكلمون لغة لها قرابة بالعربية . ولعل هذا يفسر سكوت المصادر عن انتشار التعريب بينهم (٤٠) .

هناك إشارات قليلة إلى موال من النبط مع أنهم — عددياً — يكونون جبهة الموالى ؛ ولعل ذلك يعود إلى ارتباطهم بالعرب في الأصول والثقافة . فالحجاج ، وقد أغضبه اشتراك مجموعة من القراء في ثورة ابن الأشعث ، قال عنهم « إنما الموالى علوج ، وإنما أتى بهم من القرى » ، ونفاهم إلى قراهم (٤١) . وتُميَّز بعض النبط في أمور المال (٤٢) ، مثل عميرة وحسان النبطي (٤٣) ، وفي الحرب مثل مقاتل بن حيان . وكان لهم أثرهم خاصة على العربية في الكوفة (٤٤) .

ولقي العرب في الفرات الأوسط (٤٥) وتغلب في الجزيرة (٤٦) ، معاملةً مفردةً ، مما يشعر بالتوجيه الإسلامي ، إذ كانوا أحراراً في بيع أراضيهم ، وعند إسلامهم تصبح أرضهم عشيرة .

كان أثر العرب في المسدن والريف واسماً ؛ فقد أصبح التسجيل في الديوان محدوداً زمن الروائيين ، ولم يعد مفتوحاً للجميع ؛ وكان على الذين لا يسجلون في الديوان (وبالتالي لا يأخذون العطاء) أن يبحثوا عن وسائل أخرى للعيش ، في التجارة أو الزراعة أو

المهن . يذكر المبرد ان المهلب دسَّ الجواسيس الى عسكر الخوارج فاتوه باخبارهم « فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد ... » (٤٧) . ويبدو ان هذه الظاهرة عامة لا تختص بالعراق ، ففي اخبار حملة ابن ابي بكرة على سجستان (٦٩٩/٧٩) قتلت جماعة متطوعة من مذحج وهمدان (٤٨) . كما ان بعض الاعراب القادمين الى المدن، مثل البصرة، صاروا في عداد « المساكين » على اطرافها (٤٩) . هذا الى ان بعض المقاتلة بقوا في البوادي المطلّة على السواد يرعون مواشيهم وابلهم (٥٠) . وترد اخبار شعراء يتنقلون بين قبائلهم في البوادي وبين عشائرها الموجودة في المراكز الحضرية، وخاصة تميم (٥١) . وهذه الجماعات اختلطت بحريّة باهالي البلاد السابقين .

والتفت العرب ، وخاصة الاشراف واهل المدن، الى امتلاك الاراضي، وحصلوا عليها بطرق مختلفة — بالاقتطاع من الصوافي ، وباحياء الارض الموات (خاصة في منطقة البصرة) ، وبتجفيف المستنقعات (خاصة قرب الكوفة) ، وباستثمار الاراضي الخالية (٥٢) ، وبالشراء، وخاصة في منطقة الحيرة حيث كان بيع الاراضي مباحا (٥٣) . وكان جنل الضياع في البصرة من الارض الموات التي تم احياؤها بجنر القنوات وباستيراد الابدی العاملة (من الزنج خاصة) . وشمل الشراء اراضي الخراج على نطاق واسع، حتى ان منع بيع الارض الخراجية من قبل عمر بن عبد العزيز واخلافه لم يوقف هذا النشاط . وساعد الاحياء على توسيع الملكيات .

ادى هذا الاقبال على الارض الى ظهور ملكيات كبيرة ، بعضها يشمل قرى بكاملها . وقد أدت هذه التطورات الى خلخلة المجتمعات القروية المتناسكة والى فتحها للمؤثرات الخارجية .

واعتاد العرب ان يستخدموا « وكلاء » للإشراف على ضياعهم ، وكان على الوكلاء ان يجلبوا الفلاحين الى الارض، او ان يشغلوا فلاحين من القرى المجاورة . ومما يشر مهمة الوكلاء ضرب الاقتطاع القديم

وحالة الفراغ الناشئة من ذلك، مما دفع الفلاحين للتحرك الى كُواطن العمل الجديدة . وقد أدّى هذا الوضع ، اضافة الى العلاقات المتزايدة بين القرى والمراكز العربية — وهي الاسواق الرئيسية للريف — ، والصلات بين القرى والقبائل في البوادي المجاورة للكوفة والبصرة ، الى انتشار العربية تدريجيا وبصورة متزايدة في الارياف (٥٤) .

وفي مطلع القرن الثاني للهجرة بدأ العرب بالاستقرار في القرى ، وساعدت السياسة العباسية على ذلك ؛ فقد اتخذ العباسيون موقفا سلبيا من بعض القبائل (المضرية) منذ بداية عهدهم ، ثم انتهوا الى اسقاط العرب من الديوان ايام المأمون والمعتصم ، وهذا دفع العرب الى التوسع في الاستقرار على الارض (في الريف) ، والى اتخاذ مَهَن أخرى . فانتشر العرب في سواد الكوفة (٥٥) ، وانتقل الكثيرون من البوادي المجاورة الى الارياف (٥٦) ؛ وهكذا ترد اشارات الى قرى عربية (٥٧) . وفي الجزيرة الفراتية تزايد عدد الجماعات العربية التي استقرت في القرى وانتشرت في الريف (٥٨) . ويعطي ديونيس التلمحري البيانات على وجود عدد كبير من القرى العربية في الجزيرة (٥٩) ، ويُشِيرُ بوقوفهم الى جانب اهل القرى المحليين في وجه الادارة العباسية (٦٠) ، ويشير الى حصول مصاهرات بين الطرفين (٦١) . وهذا يشير الى تغير العلاقات بين العرب والاخرين، والى توسع التعريب ؛ وهو تطوّر بلغ مدى بعيدا في القرن الثالث الهجري، وجعل التعريب شاملا .

وَيُنْتَظَرُ ان تكون العربية الدارجة في الريف ضعيفة ، كما يُتَوَقَّعُ ان لا تنجو عربية القرويين من اللحن (٦٢) ، وهذا لا يمنع ان تكون لغة البعض حسنة ؛ فقد اشار الجاحظ الى ان بعض اهالي سواد الكوفة يتكلمون عربية حسنة بالفاظ متميزة، ومع ذلك يُحَسِّسُ السامع بأنهم نبط (٦٣) .

وكان انتشار الاسلام ، وحركة العرب ، ونظام السواء ، عوامل في نجاح العربية وفي التعريب .

ترجع جذور الولاء الى الجزيرة العربية قبل الاسلام . وقد يكون أئسر عرب الجنوب مُهمًّا في تطوُّر الولاء ، ولكن تراثهم لا يزال ينتظر الدراسة . فهناك اشارات في النقوش الجنوبية الى أن قبائل (سيدة) كانت تربط مجموعات أضعف بها عن طريق الخلف بسبب المصلحة لا النسب . وقد تطلَّب استغلال الأرض ربط جماعات خارجية بالقبيلة، وادَّى الى نوع من الطبقة الاجتماعية، فهناك جماعات تستثمر الأرض (العائدة لقبيلة) لقاء جزء من الحاصل ، وهناك طبقة أدنى محبَّة تعمل لقبيلة في فلاحه الأرض (٦٤) .

أما بين عرب الشمال فان الولاء بالعتق أو الحلف أو الحماية كان مألوفاً . وكان بإمكان جماعات أن ترتبط بقبائل قوية بالحلف، ويُسَمُّون موالى موالاة (٦٥) . والحلف لا يعني بالضرورة المساواة في المنزل، مع أنه قد يعني مساواة في بعض المسؤوليات (٦٦) .

هذه المفاهيم استمرت في صدر الاسلام ؛ ففي ديوان عمر بن الخطاب جُعِلَت القبيلة ومواليها في سجل (ديوان) واحد ويعطاء واحد (٦٧) ، وفي الكوفة والبصرة حالفت الكتائب الفارسية (حمراء ديلم والاساورة) ، إضافة الى الأندغان والسيابجة ، قبيلة تميم (٦٨) . وانتقل بنو العم من الأهواز الى البصرة وحالفوا بني تميم (٦٩) .

وكان الموالى ابتداءً من أرقاء (أسرى حرب) أعتقوا (موالى عتاقة) (٧٠) ، ولكنَّ جُلَّ الموالى كانوا من أحرار أسلموا وانتقلوا الى المراكز العربية ، وأكثرهم نبط (٧١) . وبعد أن أوقف عمر بن الخطاب سبي العرب (٧٢) ، صارت كلمة « مولى » تشير الى غير العرب ، بينما تشير كلمة « حليف » عادة الى العرب (٧٣) .

واستمر الولاء بهذه المفاهيم أيام الأمويين ؛ فقد صنَّف عمر بن عبد العزيز الموالى الى : موالى عقد (اتفاق) وموالى رحم، وموالى عتاقة .

وكان ارتباط البعض بأمير أو قائد سبباً لظهور « مولى التباعة » ؛ وهر اتجاه يفسر ما فعله العباسيون بعدئذ (٧٤) .

وكان الولاء يعنى « الاسلام » « والعربية » في وقت واحد (٧٥) ؛
فالأعاجم (من غير المسلمين) كانوا يَرون أن من دخل الاسلام صار
عربيا (٧٦) . وكان الموالي يتعلمون العربية ويتخذونها لغتهم ؛ وهكذا
اعتبر الحجاج القراء من الموالي عربا (٧٧) . ويلاحظ أن بعض الموالي
سُموا بـ « المستعربة » (٧٨) ، وهو تعبير يطلق عادة على عرب الشمال .
جاء في اللسان « والعرب المستعربة هم الذين دخلوا فيما بعد فاستعربوا .
قال الأزهري : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب ،
فتكلموا بلسانهم، وحكوا هيئاتهم، وليسوا بصرحاء فيهم » (٧٩) . ويبدو
أن المصاهرات ، وكانت مألوفة قبل فترة الحجاج ورائجة في الكوفة
أيام عمر بن عبد العزيز (٨٠) ، ساعدت على توسيع التعريب . وهكذا
اخترق الولاء اطار النسب القبلي، ووسّع الاطار العربي، وساعد على
انتشار العربية .

ظهر الاسلام في بيئة مدنية ، وأُكِّد على طلب العلم ، وعنه
نشأت اتجاهات الدراسة الأولى في المجتمع الاسلامي . وهذه
الدراسات ، مع اهتمامات العرب الثقافية الموروثة ، كَوَّنت الخطوط
الأولية للثقافة العربية الاسلامية . واستمرّ الحال كذلك لدرجة أن
النظر الى الثقافات القديمة كان عرضيا خلال فترة تتجاوز القرن .
وفي حين أن العربية اضطُرَّت لمواجهة المفاهيم القبلية المحافظة والضيقة،
بما فيها من عصبية، قبل أن تستطيع تحقيق قاعدة ثقافية واسعة ،
فإن الاسلام كان قوة دافعة متوسعة ، وكان بشكل ملحوظ عوناً
للعربية .

تركزت الفعاليات الثقافية في صدر الاسلام في دور الهجرة
— البصرة والكوفة خاصة — ، واقتصرت في الأساس على الموضوعات
الاسلامية والدراسات العربية . كان هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥ هـ)
يرى أن أسس الثقافة هي القرآن ، والآثار ، وأحاديث العرب،
وأشعارها، وإيامها ، وأنساب قريش وسائر بني نزار (٨١) .

وبدأت الفعاليات الثقافية بين العرب ، وبدرجة متواضعة ،

بين الموالى الذين اتقنوا العربية (٨٢) . وتأثرت هذه الفعاليات بتيارين أساسيين : الأول - الاسلامي ، ممثلا في الدراسات القرآنية والحديث والفقه والمغازي ، والثاني - العبري (القبلي) وهو استمرار لميول سابقة ، في الشعر والايام والاخبار والانساب واللغة .

ويسترعى الانتباه ان التطورات الثقافية سارت في خطوط متوازية ومتدرجة : روايات فردية ومحدودة ابتداءً ، ثم حلقات من الطلبة يأخذون عن شيخ ويضيفون ابحاثهم الى علمه (٨٢) ، ثم تراكم للمعرفة والدراسات يؤدي الى ظهور مدارس محلية ، واخيرا تبادل المعرفة والتأثير بين المراكز او المدارس المحلية عن طريق الرحلات، مما أدى الى ظهور علماء متميزين رسموا خطوط التطور المقبل . ويتضح هذا التطور في دراسة الحديث والفقه والتاريخ وفي الدراسات اللغوية .

واجهت الأمة الاسلامية الناشئة مشاكل وحاجات مباشرة - منها انشاء الخلافة ومشاكلها ، ومعاملة المغلوبين والاراضي المفتوحة ، وتطبيق المبادئ الاسلامية في الامصار لمواجهة الحاجات الجديدة . وكانت هذه النواحي بالغة الاهمية للتطور الثقافي .

لقد شهد القرن الاول للهجرة رسم الخطوط الاساسية لمؤسسة الخلافة، مع ما رافقها من تباين واختلاف في الاتجاه ؛ ونشأت الاحزاب السياسية وطوّرت آراءها التي كان لها بعض الاثر في الفقه (٨٤) . وظهرت آراء في الجبر والاختيار ومسؤولية البشر عن اعمالهم ، وبدا التنظيم الاداري والمالي من التراث المحلي بعد تعديله بضوء مفاهيم اسلامية ، وكان يختلف في واقعه بين قطر وآخر ، ثم عُرّب وطُوّر بالتدرج لينتهي الى إطار موحد في بلاد الخلافة في اواخر الفترة الاموية .

وفي حين ان الفعاليات الثقافية بدأت عربية اسلامية ولم تأخذ من الثقافات القديمة الا في فترة تالية ، فان الموقف من التراث الاداري والمالي المحلي المتباين في الاقطار اتخذ اتجاها معاكسا ، اذ عُرّب وطُوّر لينسجم مع المفاهيم الاسلامية بصورة تدريجية، حتى ادخل اخيرا في النطاق الاسلامي الثقافي والحضاري .

ارتبطت الفعاليات الثقافية بالحاجات الناشئة : فالدراسات الإسلامية الأولى تتمثل بالقرآن ، اذ حاول القراء ان يعلّموا الناس القراءة الصحيحة، وان يُبَصِّروهم بالمفاهيم الإسلامية (٨٥) . بُعِثَ عمر بن الخطاب بعض الصحابة الى الأمصار (مثل ابن مسعود في الكوفة، وأبي موسى الأشعري في البصرة) ليعلموا الناس القرآن والسنة (٨٦) . قال اهل الكوفة لابن مسعود : « جُزِيتُ خيراً فقد علّمت جاهلنا، وثبّت عالمنا، وأقرأنا القرآن، وفقّهنا في الدين » (٨٧) . ويُروى الكثير عن عدد تلاميذ ابن مسعود وعن نشاطهم في الكوفة ، اذ كانوا « بُرّج هذه القرية (الكوفة) » كما قال سعيد بن جبير (٨٨) . وقد نالوا منزلة اجتماعية عالية بسبب تقواهم وحرصهم على رسالتهم (٨٩) . وشاركوا في الحياة العامة وفي الاحداث الكبرى من ايام عثمان الى ثورة ابن الاشعث (٩٠) . وكانوا يدافعون عن المبادئ الإسلامية، وعن العدالة الاجتماعية . وانضم اليهم بعض الاشراف ، وتزايد عدد الموالي بينهم (٩١) ، ولعل هذا يوضح سبب الارتباك في بداية ظهورهم . وتُسمّرُ فعاليتهم بالصلة الوثيقة بين النشاط الثقافي وبين الحياة العامة .

وشهد جيل التابعين بين القراء قضاة ، واصحاب فتيا (٩٢) ، وعلماء (٩٣) ، وفقهاء (٩٤) . يقول ابن سعد : « ثم كان التابعون بعد اصحاب رسول الله من ابناء المهاجرين ؛ والانصار وغيرهم فيهم فقهاء وعلماء، وعندهم رواية الحديث والآثار والفقه والفتوى » (٩٥) . وشملت دراساتهم الحديث والنحو والتفسير والفقه (٩٦) .

وكان دور القراء والعلماء والقضاة مهمّاً لتطوّر الفقه ويجنب الاعتماد على القرآن رجوعاً الى السنة ؛ ويشار الى سنة الرسول في فترة مبكرة . ثم ان المشاكل الجديدة في الامصار ادت الى الاجتهاد بالرأي منذ زمن الراشدين (٩٧) . وواضح ان قيام الخلافة ومعاملة البلاد المغلوبة تطلّبت الاجتهاد والرأي . وبالإضافة الى ذلك كان هناك الاتجاه الى اعتماد المفاهيم والقيم الإسلامية في مختلف نواحي الحياة، والى تطويع العرف المحلي ليلامس الإسلام .

وقد لجأ الصحابة الى الاجتهاد بصورة فردية أو بالشورى ، وصارت أقوالهم جزءاً من الآثار ، كما كان للتابعين رأيهم واجتهادهم . وأدى الوضع في الحديث الى تحديد استعماله من قبل البعض ، بينما لجأ آخرون — مع التشدد في النقد — الى الآثار . وكان الرأي يعطى بالقياس، أو وفق متطلبات المصلحة . ونشأ حُطَّان في الفقه : فقه الرأي وفقه الاثر ، وذلك بضوء التوسُّع في استعمال الرأي أو تقييده . ولم يكن التقسيم يستند الى قاعدة جغرافية (الكوفة — المدينة) بل الى الوجهة الخاصة بالفقيه (٩٨) .

وأدى التباين في الظروف المحلية ومدى الاخذ بالرأي أو الاستناد الى الحديث والآثار الى ان تظهر بصورة تدريجية سنن محلية أو طرق « عمل » . وتطورت هذه البدايات المحلية بعد فترة ليخلفها الإجماع بمفهومه العام، وليكون أصلاً آخر من أصول الفقه .

وقد أدت الجهود الجماعية والمتكاملة للعلماء الى قيام مدارس فقهية في العقود الأولى من القرن الثاني للهجرة . ويسترعى الانتباه أنه لا توجد خلافات أساسية بين هذه المدارس في المبادئ أو الطريقة . وعلى العموم فإن الرجوع للرأي كان أوسع في العراق ، بينما كان التأكيد على الحديث أقوى في المدينة . وتُمَيِّز بعض العلماء بدراساتهم الواسعة وبعلمهم في المدارس (المراكز العلمية)، مثل إبراهيم النخعي (٧١٥/٩٦) وحماد بن أبي سليمان (٧٣٨/١٢٠) في الكوفة ؛ والزهري (٧٤١/١٢٤) وربيعة الرأي (٧٥٣/١٣٦) في المدينة ، وكان دورهم بداية التطور الذي أدى الى ظهور أئمة المذاهب (أبو حنيفة ، مالك ، الشافعي ، أحمد بن حنبل) . وهذا التطور من الدراسات المشتركة المتكاملة (في المدارس) الى قيام أئمة (في الفقه) — وهو اتجاه يظهر أيضاً في حقول ثقافية أخرى — يُشِيرُ بنضج المدارس الفقهية ، مما أدى الى ظهور المذاهب بطلوع القرن الثالث للهجرة (٩٩) .

وبدأت دراسة حديث الرسول (ص) في فترة مبكرة بين الصحابة ،

ثم شملت الدراسة آثار وسنن الصحابة . وكانت التطورات
والحاجات الجديدة سببا لذلك ، كما أدت هذه الى الوضع في الحديث ،
فالمصالح السياسية والحزبية والمحلية والمذهبية وجدت مجالا في
وضع الاحاديث ، وادى الوضع بدوره الى التدقيق في نقد الحديث ؛
وهو تدقيق بدأ في المتن وتركز تدريجيا وبمرور الزمن على الاسناد ،
وجاء علم الجرح والتعديل مثلا رائعا للتدقيق والحيلة والتوثيق .

وكان الاهتمام بجمع الحديث مبكرا زمن الصحابة والتابعين في
صحف واجزاء ، وتسللا ذلك « تقييد » الاحاديث في الصحف والروايات في
اواخر القرن الاول واولئل القرن الثاني للهجرة ، ثم بدأ « التصنيف »
او جمع الاحاديث حسب الموضوعات لفائدة المشتغلين بالفقه وذلك
في الربع الثاني للقرن الثاني للهجرة . وادى حرص المحدثين على
احاديث الرسول (ص) الى عمل مجموعات للحديث مرتبة حسب
رواتها من الصحابة من اواخر القرن الثاني للهجرة ، ورافق ذلك تأكيد
خاص على الاسانيد . ومما يلاحظ ان كُتِب الطبقات الأولى جاءت من
نفس الفترة . واخيرا ، وخلال القرن الثالث للهجرة ، وُضعت المجاميع
الاكثر شمولا وتدقيقا ، وهي كتب الصحاح ، ونُظمت على فصول
الفقه (١٠٠) .

وَأُسْتُخْدِمَت الكتابة لحفظ الحديث جنباً الرواية الشفوية ؛ وقد
عرف الزهري بكتابة الحديث (١٠١) . وجاءت المجموعات الاولى للحديث
من الثلث الثاني للقرن الثاني للهجرة ؛ وهي نفس الفترة التي جاءت
منها المؤلفات الاولى في التاريخ (١٠٢) .

بدأ التفسير مبكرا في قراءة القرآن وكان على صلة وثيقة بعلم
الحديث . وكانت المحاولات الاولى في الاساس شروحا لغوية للنصوص ،
واشارات الى ظروف نزول الآيات . وقد افيد من الشعر (الجاهلي)
لتوضيح بعض الكلمات ، كما استند التفسير الى المأثور — حديث
الرسول (ص) واقوال الصحابة (١٠٣) .

وَتَطَوَّرَ التفسير بسرعة في عصر التابعين ، وأَخَذَ بَعْضُهُم بِالرأي
إضافة إلى الآثار والشروح اللغوية ، ورجع البعض إلى أهل الكتاب
لتوضيح بعض الإشارات القرآنية ، فتسربت الأسرانيات ، واثارت
شكنا من الشك والتحفّظ (١٠٤) . وهكذا بدت بوادر اتجاهين في
التفسير : التأكيد على المأثور ، والرجوع إلى الرأي .

وقد أهتمَّ بالدراسات القرآنية جماعات لهم اتجاهات دراسية
مختلفة ؛ إذ نرى القراء واللغويين والمحدثين يشغلون بالتفسير .
وقد أسهم بعض القراء، مثل نصر بن عاصم (٨٩ هـ / ٧٠٧ م) ويحيى
بن يعمر (١٢٩ / ٧٤٦) وبعض اللغويين، مثل عيسى بن عمر النخعي
(١٤٦ / ٧٧٦) وأبي عمرو بن العلاء (١٥٢ / ٧٧٠) في التفسير .

واستُعملت الكتابة في التفسير زمن التابعين ، ووُضِعَت تفاسير
من أواخر القرن الأول (مجاهد ١٠٤ / ٧٢٢ ، قتادة ١١٨ / ٧٣٦ ، عطاء
الخراساني ١٣٣ / ٧٥١) .

واتسمت التفاسير من أواخر القرن الثاني بصورة عائنة بطابع
الجمع ، واحتوت على مواد تاريخية وفقهية ولغوية . كما وُضِعَت في
هذا القرن تفاسير لغوية لها أهمية خاصة، مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة
ممر بن المثنى (٢١٠ / ٨٢٥) ومعاني القرآن للفراء (٢٠٧ / ٨٢٢) .

ولجأ المعتزلة إلى الرأي في التفسير (منذ القرن الثاني) مستفيدين
من المواد اللغوية . ووضع المحدثون - الذين تحوي مجموعاتهم في
الحديث عادة على قسم في التفسير - تفاسير منذ النصف الأول من
القرن الثالث الهجري، معتمدين على الآثار بالدرجة الأولى .

وهكذا ظهر خُطآن واضحان في التفسير : التفسير بالآثار ،
وهذا بلغ قمته في تفسير الطبري (٣١٠ / ٩٢٣) ، والتفسير بالرأي،
الذي بلغ درجة عالية في الكشف للزمخشري (٥٣٨ / ١١٤٣) (١٠٥) .

— ازدهر الشعر خلال القرن الاول الهجري ، وتأثر بالوضع السياسية والاجتماعية الجديدة في المراكز الجديدة ، كما تأثر بالمفاهيم والقيم الاسلامية . ومع أن الكثير من الشعر ينطوي على استثمار للشعر القديم في الاسلوب والاخيلة ، فان موضوعات جديدة ظهرت بالاضافة الى النظرات والمنطلقات الجديدة (مثل الشعر الاسلامي ، شعر النقائص ، الشعر السياسي ، شعر الغزل) ؛ هذا الى وجود الشعر الحضري جنب شعر البادية ؛ كما أن تطورات جديدة حصلت في الاسلوب . وجاءت حركة التجديد الشعرية في العصر العباسي الاول بشعر أكثر رقة وأعلى ثقافة ، واكثرت على موضوعات جديدة . ومع هذا بقي للشعر القديم منزلة رفيعة في عالم النظم (١٠٦) .

خرج العرب من الجزيرة بلغة راقية وشعر رائع وتراث حضري جنوبي . وكانت للقبائل لهجاتها (لغاتها) ولكن سكانها مجتمعة في المراكز الجديدة انت الى ظهور عربية مشتركة نسي التخاطب . يقول الجاحظ : « واهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف في الفاظ من الفاظ اهل الكوفة والبصرة والشام ومصر » (١٠٧) . ولكن القرآن الكريم أعطى المثال للعربية في الكتابة ، واعطاها وحدة واستمراراً عبر العصور .

وبدأت الدراسات اللغوية في فترة مبكرة ، وهي تُشعر بالحرص على قراءة القرآن بصورة صحيحة ، والحماس لنقاء اللغة العربية . لقد استعملت العربية اعداداً متزايدة من الموالي، وتعرضت للحن . واختلط العرب بالاعاجم في الامصار ، كما فتحت بيوتهم للسبايا ، مما أثر في لغة الكثيرين (١٠٨) . ويتخذ اللحن خطورة واضحة في قراءة المصحف ؛ وهي مشكلة تعرض لها حتى البعض من الاعراب . جاء في رسالة لعثمان تخوفه من الابتداع « بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعمة ، وبلوغ اولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والاعاجم القرآن » (١٠٩) .

بدا اللحن في أواسط القرن الاول للهجرة وانتشر في فترة التابعين ،
 وادى الى رَدِّ فعلٍ قوِيٍّ في الدوائر العربية وبين بعض الموالي المتعربين،
 لحماية العربية وللحفاظ على صفاتها . يُبيِّن الزبيدي أن ظهور الاسلام
 ودخول الناس فيه وكثرة من وُجد تحت لوائه أدَّى الى أن « اجتمعت
 فيه الالسنة المتفرقة واللغات المختلفة، ففشا الفساد في العربية .
 فَعَظُمَ الاشفاق من مُشَوِّ ذلك وَغَلَبَتْهُ ، حتي دعاهم الحذر من ذهاب
 لغتهم وفساد كلامهم الى أن سَبَّيُوا الاسباب في تقييدها لمن ضاعت
 عليه، وتقيفها لمن زاغت عنه » (١١٠) . كل ذلك أوجد دافعا قويا
 للدراسات العربية (١١١) .

وترتبط بدايات النحو أولاً بقراءة القرآن : فقد أُحْدِثَتْ نُقْطُ
 لتمييز حركات الاعجام في القرآن من قِبَلِ ابي الاسود الدؤلي (٦٦٩ هـ /
 ٦٨٨ م) ، ولذا يُنسَبُ اليه وضع النحو . ويعود الى الفترة ذاتها
 وَضَعُ النقط لتمييز الحروف المتماثلة، لضمان القراءة السليمة (١١٢) .

وكان رُوَاد علم النحو من يحيى بن يعمر (١٢٩ / ٧٤٧) وعبد الله
 بن ابي اسحق الحضرمي (١١٧ / ٧٣٥) الى الكسائي (١٨٩ / ٨٠٥)
 قُرَاء (١١٢) ؛ فَفُهِمَ القرآن يعني معرفة جيدة بلغته وبإعراب نصوصه .
 يقول الذهبي عن الكسائي : « وكان من أهل القراءة، وهي كانت
 علمه وصناعته » (١١٤) .

ونظر البعض الى اللغة على أنها في الاساس تواضُّعٌ واصطلاح ،
 بينما ذهب البعض الآخر الى أنها توقيف ؛ وهما وجهتان متدرجتان،
 تعبّران عن نظرتين في النحو ؛ فقد كان السماع من أسس الدراسات
 اللغوية ، كما أُعْتَبِرَ القياس مع التعليل قاعدةً أخرى في النحو .
 وكان لكلٍّ من الاتجاهين مؤيدون في البصرة (١١٥) . ثم ساد القياس
 في البصرة (مهد النحو) والسماع في الكوفة . ويبدو أن بيئة
 الكوفة العربية السامية في الاساس اقرب الى الاتجاه الى السماع
 والسليقة ، أما بيئة البصرة التجارية المختلطة فانها تطلّبت قواعد
 أكثر تحديدا لفهم اللغة . اكدت البصرة على القياس لوضع قواعد

عامّة، إما الشواذُ فإنها سُجِّلَتْ وأُهِمِلَتْ ؛ وإما الكوفة فإنها رأت في أن يُسارَ وفق السماع، وتجوّزت في وضع القواعد الى حدّ الاستناد الى النوادر عند الحاجة (١١٦) . وقد ورثت بغداد المدرستين ، ولكنها كانت أميل الى الاتجاه الكوفي . واخيراً تَفوّق الاتجاه الى السماع على وجهة القياس، وانتصرت بذلك المحافظة . وهذا يثير السؤال عن مدى تأثير القراءات المقبولة في تَفوّق السماع (١١٧) .

وسارت الدراسات اللغوية الى جنب دراسة النصوص ؛ فالحاجة الى فهم القرآن ، والحديث أحيانا ، دعت الى الرجوع للشعر والى عربية البادية . ذهب اللغويون الى البادية، الى الاعراب الفصحاء، (وجاء بعض هؤلاء الاعراب الى المدن) للأخذ عنهم (١١٨) . وكانوا — وخاصة البصريون — حذرين في بحثهم عن العربية الصافية ، ولذا تجنّبوا في الغالب القبائل التي تأثرت بأهل الحواضر القريبة . ومع أن تأكيد الروايات على الأخذ من الاعراب البادين لا يخلو من مبالغة ، فإن هذا الأخذ في عامّته أدى الى تسجيل ما يتصل أساسا بالحياة البدوية .

كان أبو عمرو بن العلاء (١٥٤/٧٧٠) شيخ الدراسات اللغوية في عصره ، يُعرَف بأنه أعلم الناس بالعرب وبلغتهم، وبالشعر والايام، وبالقرآن . وكانت « عامة اخباره عن أعراب قد ادرکوا الجاهلية » . وكان اثره كبيرا في إعداد طلبة نابيهين من الجيل التالي (١١٩) . وقامت ابحاث واسعة ومركزة على يد الجيل التالي في البصرة ، وتُميَّز بينهم ثلاثة من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء : أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢١١/٨٢٦) وأبو زيد الانصاري (٢١٥/٨٣٠) والاصمعي (٢١٧/٨٣١) ، وهؤلاء امتازوا في بحوثهم من اساتذة آخرين ومن ثقات الأعراب ، حتى قيل فيهم : « عنهم أخذ ما في أيدي الناس من هذا العلم، بل كلّه » (١٢٠) . وكان اعلام المدرسة اللغوية في الكوفة الكسائي (١٨٩/٨٠٥) والفراء (٢٠٧/٨٢٢) والمفضل الضبي (١٧٠/٧٨٦) وابن الاعرابي (٢٣١/٨٤٤) . وهكذا نضج هذا الاتجاه في الدراسات في أوائل القرن الثالث للهجرة (١٢١) .

وكانت المجموعات الاولى للكلمات عفوية دون خطة ، ثم تلتها مجموعات تدور حول موضوع او مادة . واخيرا جاء الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥/٧٩١) بفكرة أول معجم (العين) ، وتحققت فكرته على يد تلميذ له ، وربما بمشاركة آخرين . وسار علماء اللغة بعده على خطه ، الى ان وضع الجوهري (٣٠٨/١٠٠٧) خطة اخرى (١٢٢) .

جاءت القبائل بلهجاتها (لغاتها) الى المراكز الجديدة (١٢٣) ؛ وهذا اكسب العربية حيوية وغنى . ثم ان استعمال العربية على نطاق واسع بين غير العرب ، والاختلاط في البيئات الجديدة ، وتطور الحياة في المدن ، ترك آثاره وأدّى بالتدريج وبين الطبقات الدنيا الى ظهور عربية للتخاطب تُصَف بالبساطة ، ولا تلتزم بقواعد النحو (١٢٤) ؛ وبدأ ذلك بوضوح في اواخر القرن الأول . ومع ذلك فان الحجاج كان يرى ان دور الهجرة (الكوفة ، البصرة) هي « موضع الفصاحة والاعراب » . واثنى بحشل على اهل واسط لفصاحتهم ، وعُلِّل ذلك بأن الحجاج « كان لا يدع احدا من اهل السواد يسكن واسطا » (١٢٥) .

وفي القرن الثالث الهجري ، والعربية لغة الثقافة ، كانت الفصاحة ما تزال تُقرَن بعربية الاعراب الأتجاج . وبجنب هذه اللغة يشير الجاحظ الى لغة المولدين والبلديين بتركيبها واعرابها (١٢٦) . وعلى كلٍّ ، فبالاضافة الى لغة التخاطب اليومية ، التي لا تخلو من لون محلي ، صارت العربية لغة الحضارة ، وفيها المرونة التي تتطلبها الحاجات الثقافية والحضرية . ومع ذلك استمرت الجهود للحفاظ على صفاء اللغة ، وعلى جعل النحو اداة فعالة تمكِّن الجميع من اتقانها عن طريق التعلم (١٢٧) .

وبدأت دراسة التاريخ وكتابه في خطين — اسلامي وقبلي ؛ ففي المدينة اتجهت الدراسات التاريخية الى المغازي والجماعة الاسلامية الاولى ، ثم شملت تاريخ الأمة . وفي الكوفة (ثم البصرة) اتجهت الدراسات الى نشاط الخلافة ، والى فعاليات القبائل وشؤون الامصار .

وكان المحدثون رواد المغازي، في حين نهض الأخباريون بالدراسات التاريخية في الكوفة، وشارك فيها لحد ما بعض النسابين واللغويين .

تناول الأخباريون في دراساتهم كل جوانب التاريخ الاسلامي في كتب تتعلق كل منها بموضوع أو بفترة . وبينما يلاحظ أسلوب المحدثين في التدقيق والاسناد في كتابة المغازي، فان الاخباريين يشعرون باستمرار نواحي الاهتمام القبلية، وبأثر أسلوب قصص الايام . وكان عروة بن الزبير (٧١٢/٩٤) رائد مدرسة المغازي، واستقر هيكل السيرة على يد تلميذه الزهري (٧٤٢/١٢٤) بينما كتب الاخباريون في الجيل التالي له .

وهكذا نشأت الدراسات التاريخية في الاسلام، وتطورت في نطاق الثقافة العربية الاسلامية . أما الترجمات لسير الملوك من الفهلوية، والأخذ من الاسرائيليات، فانها أدخلت مادة ضعيفة الى الدراسات التاريخية، ولكنها لم تات بفكرة أو بمنهج .

وشهد القرن الثالث الهجري تبادل التأثير بين مدرستي التاريخ في المدينة والكوفة، في الأسلوب والافق والمفاهيم التاريخية، ويلي ذلك ظهور المؤرخين الكبار بعد منتصف هذا القرن، وهم يمثلون قمة التطور في الدراسات التاريخية في فترة التكوين (١٢٨) .

وكانت الصلات بالثقافات الاخرى شفووية ومحدودة : فهناك الاسرائيليات، وبعض اللاهوت المسيحي، وبعض الاقوال القانونية التي تسربت عن طريق الداخلين في الاسلام، اضافة الى قليل من الهلنية . واثرت اسئلة عن حرية الرأي، والصفات الالهية، وخلق القرآن . ولا يخفى ان مسألة حرية الارادة والاختيار - كما في كثير من القضايا الاساسية - بدأت كمشكلة سياسية في العصر الاموي، ولكن الاتصال قد يترك بعض الاثر . ويلاحظ تسلسل بعض الآراء الدينية الفارسية في بيئة الكوفة عن طريق بعض المسلمين الجدد؛ وهذا يلحظ عند الغلاة . ولكن هذه الصلات كانت أولية، ولا يوجد ما يدل على اقتباس متعمد الا في الحاجات المادية .

وأدى تعريب الدواوين زمن الأمويين (من أيام عبد الملك بن مروان الى أيام هشام بن عبد الملك) الى إغناء العربية ، وساعد على ان تصبح لغة الثقافة للمسلمين وغيرهم . وقد فتح التعريب الباب للشعوب الاخرى في المجتمع الاسلامي للمساهمة في الثقافة وتؤكد ذلك بعد الثورة العباسية .

وكان للتراث المحلى ، الاداري والمالي خاصة ، اثره ؛ وكان للمسلمين ان يأخذوا ما يرون ما دام لا يتعارض والمفاهيم الاسلامية . وقد ادخل المسلمون عليه ابتداءً تعديلات بضوء المبادئ الاسلامية ، ثم طوّروه وعربّوه، وأخيرا تمثلوه في مجرى الحضارة العربية الاسلامية .

وان وُجِدَتْ اشارات الى بدايات اولية وفردية للترجمة زمن الامويين ، فان العباسيين نظّموا الترجمة وشجّعوها في العلوم والطب والفلك، وأخيرا — من اواخر القرن الثاني — في الفلسفة . وهذه الترجمات لم تدخل عنصرا غريبا غير مؤلف في الثقافة، عدا الفلسفة التي تضمّنت احيانا آراء ومفاهيم لا تنسجم والمبادئ الاسلامية . وحاول العلماء المسلمون ان يفيدوا من المنطق اليوناني، وان يوفقوا بين الفلسفة والاسلام في الشكل والمضمون .

وهناك خُط آخر للترجمة — من الفهلوية بالدرجة الاولى — تبنّاه الكتاب وبعض رجال الأدب ، وشمل مؤلفات ادبية وتاريخية ودينية . وكان لهذه الترجمات بعض الاثر في الآراء وفي بعض الحركات الدينية السياسية الخارجية ، وكانت تتصل بالصراع الثقافي مع الشموعية . وربما كان للاحتكاك والصراع الثقافي اثر في تجديد الاهتمام بالتراث الادبي العربي، وفي تأكيد جديد على العربية وصلتها بالاسلام، وفي تجديد التأكيد على العربية أساسا للعروبة .

وفي هذه الفترة لم تعد الرسالة الدينية التي حملها العرب ابتداءً قاصرة عليهم، بل شاركهم فيها المسلمون من مختلف الشعوب ، وأصبحت رسالة العرب ثقافية حضارية .

(١) انظر :

N. Poliak - L'Arabisation de L'Orient Sémitique, R. E. I. 1938, pp. 35-63
W. Marçais - Comment L'Afrique du nord a été Arabisée, Articles & Conférences (Paris 1961) pp. 171 - 192 ;

R. Blachere - Regards sur L'acculturation des Arabo-Musulmanes, Arabica, III, pp. 247 - 65.

(٢) الشيباني - السير ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) الطبري - تاريخ ، ص ١ ، ص ٢٨٦٠ . البلاذري - انساب الاشراف ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١١٤ . قال الاحنف بن قيس أثناء الفتنة في البصرة سنة (٥٦٤ هـ) : « ورد على القراح الغضبان البعثري بأن تترك تميم البصرة » أما خروجنا من مصر فانا لا ندع مهاجرنا ومركزنا ونسبي الله علينا فنتمرب بمسد الفتنة » . وجاء في لسان العرب : « وكان من يرجع بمسد الهجرة الى موضعه ، من غير علم ، يمدونه كالرند » ، مادة « عرب » .

(٤) المبرد - الكامل « باعثناء أبي الفضل إبراهيم وشحماته ، القاهرة ١٩٥٦ » ج ١ ، ص ١٤١ .

(٥) يقول ابن سمند عن الزبير بن بدر ، الذي ثبت على الاسلام خلال الردة : « وكان ينزل أرض بنسي تميم ببادية البصرة » ، وكان ينزل البصرة كثيرا » . ويقول عن الاقرع ابن حابس « وكان ينزل أرض بنسي تميم ببادية البصرة » . الطبقات ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٢٤ .

(٦) في ابن سمند ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٣٩ : « سمعت أبي يقول : نهاني رسول الله ، أو سمعت رسول الله (ص) ينهى عن التناوة ، فمن أقام ببلاد الفراج فقد تنا ، فانا أكره أن أقيم » .

وجاء في اللسان : « من تنا في أرض المعجم فعمل ثيروزهم ومهرجاتهم حشر معهم » ، مادة « تنا » . وانظر : حلية الاولياء .

(٧) البلاذري - انساب ، (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ ، ص ١٢٣٥ .

(٨) انظر : رسائل الجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون) ، ج ١ ، ص ١٠ - ١١ .

(٩) الطبري ، ص ٢ ، ص ١٥٠٥ - ٦ .

(١٠) البلاذري - انساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ .

(١١) في طور عابدين وآمد ورأس العين وسنجار والرها .

Dillemann - Haute Mesopotamie Orientale (Paris 1962) : انظر : P.P. 34 - 8, 88 - 9 .

الطبري ، ص ١ ، ص ٨٢٧ ، الاغاثي ، ج ٢ ، ص ١٤٠ - ١ .
البكري - معجم ما استعجم (باعثناء السقا ، القاهرة ١٩٥٤) ج ١ ، ص ٢٣ .

(١٢) الطبري ، ص ١ ، ص ٢٤٨٩ ، ص ٢٥٠٥ . البكري - معجم ، ج ١ ، ص ٢٢ - ٤ .
ابن اعمش - فتوح ، ج ١ ، ص ٨٨ - ٨٩ .

Musil - Middle Euphrates (New york 1927), p. 285

- (١٤) البلاذري - فتوح ، ص ٢٤٨ ، وانظر : ص ٢٤٩ .
- (١٥) الهمداني - صفة جزيرة العرب (باعثناء الاكوع) دار البياضة ، ص ٧٠ ، ص ٢٧٥ ، ص ٣١٩ . البكري - معجم ، ج ١ ، ص ٢٢ - ٢٤ . البلاذري - فتوح ، ص ١٨٢ ، Musil, op. cit., p. 312.
- (١٦) البلاذري - فتوح ، ص ١٧٧ .
- (١٧) البكري - معجم ، ج ١ ، ص ٦٩ - ٧١ ، E. I. Bakr b. Wail⁽³⁾
- (١٨) الطبري ، ص ١ ، ص ٨٢١ - ٨٢٢ ، ص ٢٤٩ . وانظر : ص ١ ، ص ٧٢٤ ، ص ٧٤٧ من قدم العرب في العراق ، البكري - معجم ، ج ١ ، ص ٥٢ - ٥٣ . هذا الخانة السجامة من بكر بن وائل ، المبرد - الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .
- (١٩) الهمداني ، ص ١٤٩ .
- (٢٠) البكري - معجم ، ج ١ ، ص ٨٥ - ٨٦ . ابن اعثم الكوفي - فتوح ، ج ١ ، ص ٨٨ - ٨٩ . ويذكر الهمداني أنها تمتد من الإبله الى هيت ، ص ١٦٩ . وكان اماره ميسن (ميسان) عند مصب دجلة يحكمها عرب والندون من عمان وذلك قبل قيام الحيرة . كرسنسن - ايران زمن الساسانيين ، ص ٧٥ .
- وانظر : Musil, op. cit., p. 285. E. I. Bakr ibn Wail⁽⁴⁾
- (٢١) الجاحظ - البيان والتبيين (باعثناء) عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦١ ، ج ٢ ، ص ١٢٠ . البلاذري - فتوح ، ص ٤٨٨ ، أنساب ، ج ٤ ، ص ١٩٠ ، ص ٢٠٢ . الطبري ، ص ٢ ، ص ٤٣٣ .
- (٢٢) الطبري ، ص ٢ ، ص ٤٣٤ . البلاذري - أنساب ، ج ٤ ، ص ٢ ، ص ١١٦ .
- (٢٣) الطبري ، ص ١ ، ص ٢٨٠٤ .
- (٢٤) ن . م . ، ص ١ ، ص ٢٨٠٥ . البلاذري - فتوح ، ص ٣٥٠ . ياقوت - معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .
- (٢٥) البلاذري - فتوح ، ص ٣٣٤ . الأزدي - تاريخ الموصل (باعثناء علي حبيبة ، القاهرة ١٩٧٦) ج ٢ ، ص ١٨٣ ، ص ٣١٣ - ٣١٥ ، ص ٣٣٢ ، ص ٣٥٠ . ياقوت - بلدان ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .
- (٢٦) البلاذري - فتوح ، ص ١٧٧ .
- (٢٧) ن . م . ، ص ١٧٨ . ياقوت - بلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .
- (٢٨) الهمداني ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ . الأزدي - تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- (٢٩) الطبري ، ص ٢ ، ص ١٨٧٤ .
- (٣٠) يشير البلاذري مثلا الى مسالح أو حاميات في الإبله والخريبة والعذيب وعين القمر وعلى اطراف الفسرات الاوسط ، فتوح ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ص ٣٤١ . وانظر : ابن سعد

- ج ٧ ، ق ١ ، ص ٧٧ ، ص ١٢١ . أبو يوسف - الخراج (بولاق ١٢٠٢) ،
ص ٨٢ - ٤ . المسمودي - مروج ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ - ١ .
- (٢١) الصولي - أدب الكتاب ، ص ٧٥ . البلاذري - فتوح ، ص ٢٦٥ . يحيى بن
آدم - الخراج ، ص ٤ . أبو يوسف - الخراج ، ص ٨٥ .
- (٢٢) المسمودي - التنبية والاشراف ، ص ٢٨ . أبو يوسف - الخراج ، ص ٢٢ .
- (٢٣) تاج العروس ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ - ١ (نبط) ، ويسمون أيضا الكلدانية .
هالوت جبلدان ، ج ١ ، ص ٢٤٧ - ٨ ، ج ٢ ، ص ١٧٥ . المسمودي - مروج ،
ج ٢ ، ص ٩٥ وما بعدها .
- (٢٤) انظر : يحيى بن آدم - الخراج ، ص ٥٧ - ٩ .
- (٢٥) ن . م . ص ٢٢ - ٢٣ . ابن وحشية - الفلاحة النبطية (خط - مكتبة أحمد
الثالث ، رقم ١/١٩٨٩) ، ص ١ - ٢ .
- (٢٦) المسمودي - التنبية ، ص ٢٩ .
- (٢٧) يحيى بن آدم - الخراج ، ص ٢٢ ، ص ٤٨ . بحثل - تاريخ واسط (باعثناء :
كوركيك هواد ، بغداد ١٩٦٧) ، ص ٣٩ - ٤٠ . الطبري ، ص ١ ، ص ٢٠٢٦ ،
ص ٢٠٢٨ - ٩ ، ص ٢٠٣١ ، ص ٢٠٣٦ .
- (٢٨) العسكري - الاوائل ، ص ١٣٦ . البلاذري - فتوح ، ص ٢٢٦ وما بعدها . وانظر :
أبو عبيد - الاموال ، ص ١١٣ وما بعدها . الطبري ، ص ١ ، ص ٢٣٧٠ .
- (٢٩) يحيى بن آدم ، ص ٤٥ ، ص ٥١ . البلاذري - فتوح ، ص ٢٤٢ - ٣ . أبو
عبيد ، ص ٨٢ - ٨٣ . قدابة بن جعفر - كتاب الخراج (باعثناء : دي خوبة) ،
ص ١٤٥ .
- (٣٠) ذكر وكيع أن داود الطائي تكلم امام الحجاج فقال له الحجاج : « الكلام كلام
مريسي ، والوجه وجه نبطي » مما يشعر بأن تمييز من يسم من النبط لم يكن
مألوسا . اخبار الغصاة ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .
- (٤١) انظر : المبرد - الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٢٩ - ٤٤٠ .
- (٤٢) انظر : تاج العروس ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، والبلاذري - فتوح ، ص ٢٧٩ . وندح
سعد بن أبي وقاص بأنه « نبطي في جبابته » .
- (٤٣) كان عميرة كاتب ائرس بن عبد الله أمير خراسان سنة ١١٠ هـ نبطيا . انظر :
البلاذري - انساب (خط) ق ٢ ، ص ٢٥٢ .
- (٤٤) انظر : رسائل الجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون) ج ١ ، ص ٦٦ .
- (٤٥) اعتبرت اراضي الحيرة وباتقيا واليس ارض صلح ، وكان اهل هذه القرى
يخدمون جزيرة مشتركة فقط . انظر : البلاذري - فتوح ، ص ٢٤٣ - ٤ . أبو
عبيد - الاموال ، ص ٢٩ - ٤٢ ، ص ١١٦ - ١١٨ . يحيى بن آدم ، ص ٥ .
واتبع نفس الاجراء مع صحن التمر ، البلاذري - فتوح ، ص ٢٤٨ .

(٤٦) كانت تغلب تدفع ضعف الصدقة ، أبو عبيد ، ص ٣٩ — ٤٢ .

(٤٧) المبرد — الكامل ، ج ٢ ، ص ١٠٦٢ — ٢ . ويشير البلاذري الى نساج من بني سليم في الكوفة قال : « وان ما شهدت عسكريا قط ولا اثبت لى اسم قط في ديوان ، وانما انسا نساج » انساب (خط) ، ق ٢ ، ص ٣ .

(٤٨) البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ١٦ . وانظر : يحيى بن آدم — الخراج ، ص ٢٠ .

(٤٩) البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٣ ، ص ٨٢٢ . الطبري ، ص ٢ ، ص ١٦٨٢ — ٤ . ديونيسيوس التلمحي (الترجمة الفرنسية) ، ص ٩٣ .

(٥٠) يقول ابن سعد عن العباس بن مرداس بن أبي عامر : « وكان ينزل بوادي البصرة ، وكان يأتي البصرة ، وروى عنه البصريون ، وبقيّة ولده ببادية البصرة ، وقد نزل منهم قوم البصرة » ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٢١ .

(٥١) Blachere - Histoire de la Literature, t. 3, pp. 276-7.

(٥٢) أبو عبيد — الاموال ، ص ٢٧٦ . أبو يوسف ، ص ١٥ . ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١١٧ — ٨ . الطبري ، ص ١ ، ص ٢٢٧٦ ، البلاذري — فتوح ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ ، ص ٢٨٢ ، ص ٤١٦ ، ص ٤٨٠ .

(٥٣) البلاذري — فتوح ، ص ٢٤٢ — ٤ . أبو عبيد — الاموال ١١٦ . يحيى بن آدم ، ص ٥١ . « وأكّد عمر بن عبد العزيز على أن أهل الحيرة من يهود ونصارى ومجوس لا يندفعون الا الصدقة بمعد اسلامهم » ، « من أسلم ... فعله في ماله الصدقة » . الصولي — ادب الكتاب ، ص ٧٥ .

(٥٤) أنظر : المبرد — الكامل ، ج ١ ، ص ٤٢٩ — ٤٠ .

(٥٥) الطبري ، ص ٢ ، ص ١٦٤٨ .

(٥٦) ن . م . ص ٢ ، ص ٩٧٧ .

(٥٧) ن . م . ص ٢ ، ص ١٠١٨ قرية الاعراب .

(٥٨) الأزدي — تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، ص ٢٨٧ .

(٥٩) ديونيسيوس التلمحي — تاريخ ، ص ٤٧ ، ص ٨٩ ، ص ١١٤ ، ص ١٢٩ .

(٦٠) ن . م . ص ٤٧ .

(٦١) ن . م . ص ٩٤ .

(٦٢) أنظر : الجاحظ — بيان ، ج ٢ ، ص ٧١ . يقول الجاحظ : « وزعم أبو العاص أنه لم ير قرويا قط لا يلحن في حديثه ، وفيما يجري بينه وبين الناس » بيان ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٦٣) يقول الجاحظ : « وتعد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا، ومعناه شريفا كريما، ويعلم مع ذلك السامع

لكلامه في مخارج حروفه أنه نبطي « رسائل الجاحظ (هارون) ج ١ ، ص ٦٦ .
Ryckmans - Arabie Meridionale, p.67, pp.71-2 : انظر (٦٤)

(٦٥) أبو مبيدة — النقاظ (تحقيق بيان) ص ٢٤ . تاج العروس ، مادة (ولاء) .
وانظر : البلاذري — أنساب ، ج ١ ص ١٥٧ ، ص ١٨٩ ، ١٩٢ .

(٦٦) انظر : ابن هشام — السيرة ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٦٧) البلاذري — أنساب ، ج ١ ، ص ١٩٢ — ٣ من مطاء خنم والاحابيش .

(٦٨) الطبري ، ص ١ ، ص ٢٥٣٨ ، ص ٢٥٦٢ . البلاذري — فتوح ، ص ٢٨٠ .
الأنساب ، ج ٤ ، ت ٢ ، ص ١٠٧ ، ص ١١٢ . الأنساب (خط) ق ١ ،
ص ٨٨٣ — ٤ .

(٦٩) الطبري ، ص ١ ، ص ٢٥٣٨ . انظر : السرخسي — المبسوط (القاهرة ١٩٣٢) ،
ج ٨ ، ص ٨١٥ .

(٧٠) الطبري ، ص ١ ، ص ٢٠٢٨ — ٩ ، ص ٢٠٣١ ، ص ٢١٢٢ ، ص ٢١٦٧ ،
ص ٢١٧٠ .

(٧١) انظر : الطبري ، ص ٢ ، ص ٧٤٨ ، ص ٧٥٠ .

(٧٢) اليعقوبي ، ج ٢ (ط . هوتسما) ص ١٠٥٨ . صالح العلي — التنظيمات الاجتماعية
في البصرة ، ص ٦٥ .

(٧٣) البلاذري — الأنساب ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ١٨٠ ، ص ١٨٥ . ابن سعد ،
ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٦٠ . يقول الشيرازي من عبد الله بن أبي اسحق أنه
« مولى آل الحضرمي وهم خلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف ، والحليف عند
العرب مولى » . طبقات الفقهاء ، ص ٣٧ .

(٧٤) الطبري ، ص ٢ ، ص ٨٢٤ — ٥ . كون البعض مثل مباد بن زياد ، والمختار
وسليمان بن هشام بن عبد الملك كتائب من الموالي . انظر الطبري ص ٢ ،
ص ٥٢٣ — ٤ . البلاذري — أنساب ، ج ٥ ، ص ١٣٦ ، فتوح ، ص ٢٣٦ .
أنساب (خط) ق ٢ ، ص ٤٣ ، ص ٣٦ . ابن سعد ، ج ٥ ، ص ٢٨٥ .

(٧٥) انظر : البلاذري — أنساب (خط) ق ١ ، ص ٥٩٩ .

(٧٦) جينا وعد ائرس أمير خراسان (١١٠ هـ) اعفاء من يسلم من الجزية
واقبل الناس على دخول الاسلام « نجاء دهاتين بخارى السى ائرس فقالوا .
من نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم مريسا » الطبري ص ٢ ، ص ١٥٠٥ — ٦ .

(٧٧) البلاذري — أنساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ .

ولسانى العريان صاحب شرطة خالد القسري عليه منع الموالي من استعمال
العربية ، اجاب مولى بلهجة ساخرة « اما الكلام فلن يتكلم الا بالزنجية ا »
البلاذري — أنساب (خط) ق ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٧٨) الخصائص لابن جني ، ج ١ ، ص ٢٢٩ - ٢٤٠ ، أبو الطيب - مراتب ، ص ٥ (المتعربين) . أنظر : الإغاني (دار الكتب) ج ١٤ ، ص ٢٨٨ .

(٧٩) لسان العرب ، مادة « عرب » .

(٨٠) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢ ، ص ١٢٥٨ ، ص ١٧٧ .

ومع أن الولاء لا يساوي النسب تبارا ، فإنه قد يؤدي إلى الاندماج في الجماعة العربية « الإسلامية » . انظر : الخلاف حول نسب إبراهيم النخعي في المبرد ، ج ٣ ، ص ١١٨٤ . وجاء في ابن سعد على لسان سعيد بن جبير - « وقال لي ابن عباس : ممن أنت ؟ قلت من بني أسد ، قال : أمن عريم أو موالهم ؟ قلت : لا ، بل من موالهم ، قال : فقل أنا ممن أنعم الله عليه من بني أسد » . الطبقات ، ج ٦ ، ص ١٩٨ .

(٨١) جاء في البلاذري ، أن هشام بن عبد الملك سأل رجلا من بني مخزوم (أخواله) : « يا خال ! اتقرا كتاب الله ؟ قال : اقرأ منه ما أقيم به صلاتي ، قال : أتروي من الآثار شيئا ؟ قال : لا ، قال : افتعرف أحاديث العرب وأشعارها وأيامها ما يعرفه مثلك ؟ قال : لا ، قال : انتسب قريشا وسائر بني نزار ؟ قال : لا أحسن من النسب شيئا . قال : يا غلام ... فليس من خالنا حشمة » . أنساب (خط) ق ٢ ، ص ٢٤٠ . وأنظر : الجاحظ - البيان ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

(٨٢) أن استعراض أسماء من ترجم لهم (من فترة صدر الإسلام) في مؤلفات مثل طبقات ابن سعد ، وأخبار القضاة لوكيع ، وطبقات الفقهاء للشرازي ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، ونزعة الألباء في طبقات الأدباء للنجاشي ، يبين أن الموالي كانوا أقلية - حوالي ٢٥ - ٣٠ ٪ .

(٨٣) يروي الأعمش عن هلال بن يسار « قال : قدمت البصرة فدخلت المسجد فإذا أنا بشيخ أبيض الرأس والحية ، مستند إلى أسطوانة في حلقة يحدثهم ، فسألت من هذا ؟ فقالوا عمر بن الحصين » (ت سنة ٥٣ هـ) . ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٥ .

(٨٤) أنظر : ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٥١ - ٥٢ ، ص ٥٤ ، ص ٥٥ ، ص ١٧٣ ، ص ١٩٢ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٣٦ . الطبري ص ٢ ، ص ١٩٦٦ .

(٨٥) في الذهبي - معرفة القراء الكبار (القاهرة ١٩٦٧) ج ١ ، ص ٤٦ « فكنا نتعلم القرآن والعمل به » . وأنظر : ص ٤٨ ، ص ٧٣ - ٧٤ . وأنظر الشرير - طبقات الفقهاء (باعتناء احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠) ص ٤٣ ، ص ٤٤ ، ص ٤٦ ، ص ٥١ .

(٨٦) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٥ ، ص ٧٦١ . وأنظر : ابن سعد ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٢٧ . الذهبي - القراء الكبار ، ص ٢٤ ، ص ٣٧ - ٣٩ .

(٨٧) البلاذري - أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

(٨٨) الشرير - طبقات الفقهاء ، ص ٨١ ، وأنظر : البلاذري - أنساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٥ ، ج ٥ ، ص ٣٦ . ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤ ، ص ٥ ، ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٦٢ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١٦٢ . المجستاني - المصاحف تحقيق

جلري) ، ص ١٢ - ١٥ . الاصباحي - حلية ، ج ١١ ، ص ٩٤ . الذهبي -
القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٢٤ ، ص ٢٨ - ٩ .

(٨٩) وقد رشحهم أبو موسى لشرف العطاء ، ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٨٩ .
واقترح سعد بن أبي وقاص جعلهم في الدين ، البلاذري - فتوح ، ص ٥٦ .
جاء رسول مصعب بن الزبير السى عمرو بن النعمان بن مقرن (في البصرة)
بمال فقال له : الامر بقرنك السلام ويقول : انا لم ندع بالكوفة قارنا الا وقد
قاله معروفنا ناستمن على نفقة شهر رمضان بهذا . فقال : وعلى الامر السلام ،
قل له انا والله ما قرانا القرآن لنطلب به الدنيا ، ورد عليه . البلاذري -
انساب ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ .

(٩٠) انظر مثلاً : الطبري ، ص ١ ، ص ٢٢٧٢ ، ص ٢٢٨٢ ، ص ٢ ، ص ١٠٠٦ .
ص ١٠٧٢ ، ص ١٠٧٦ - ٧ . ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤٦ ، ص ١٢٧ ، ص ٢٠٤ .
ص ٢١٦ ، ص ٥٢ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٦٥ . البلاذري - انساب (خط) .
ق ٢ ، ص ٣٠ - ٣١ ، ص ٥٤ . المسرد - الكامل ، ج ٢ ، ص ١١٢٧ ، الذهبي -
القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٦٢ - ٦٣ ، ص ٧٩ .

(٩١) الطبري ، ص ١ ، ص ٢٠٩٢ . البلاذري - انساب (خط) ، ق ٢ ، ص ٥٢ .
ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١١٤ ، ص ١٤٠ ، ج ٧ ، ق ٢ ، ص ٢١ ، ص ١٧١ .
وانظر : الذهبي - القراء الكبار ، ص ٦٨ .

(٩٢) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ . الذهبي - القراء الكبار ، ج ١ ،
ص ٤٤ - ٥ .

(٩٣) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤ ، ص ٧٤ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١١٤ . الاصباحي -
حلية ، ج ٢ ، ص ٩٨ - ٩٩ . الذهبي - القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٥٦ ،
ص ٦٢ - ٣ ، ص ٧٥ ، ص ٧٩ .

(٩٤) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٥ ، ص ٦٣ . الذهبي - تذكرة الحفاظ (دار المعارف
المعثمانية ١٣٢٣ - ٢٤) ج ٨ ، ص ١٠٦ . وانظر : الشرازي - طبقات
الفقهاء ، ص ٨٠ ، ص ٨١ ، ص ٨٢ - ٨٣ ، ص ٧٩ . الذهبي - القراء الكبار ،
ص ٥٤ .

(٩٥) ابن سعد ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٩٦) انظر : الذهبي - القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ص ٥٤ ، ص ٥٦ ، ص ٦٢ -
٦٣ ، ص ٩٣ .

(٩٧) انظر : الطبري ، ص ١ ، ص ٢٢١٢ .

Bravamann - Spiritual Background of Early Islam, pp.169 off, pp. 176off.

(٩٨) أبو زهرة - المذاهب الفقهية ، ص ٢٧ وما بعدها ، ص ٢٩ وما بعدها . وانظر :

Schacht - Origins of Muhammadan Jurisprudence (Oxford 1959),
pp. 25 off., pp. 82 off.

Schacht - Introduction to Law, pp. 16 off. P. 233 , P. 237 , P. 247 (٩٩)

(١٠٠) أنظر : فؤاد سزكين - تاريخ التراث العربي ، ج ١ ، ص ٢٢٦ وما بعدها ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٦٠ ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(١٠١) أنظر : ابن حجر - تهذيب ، ج ١٢ ، ص ٩٩ ، طلب مير بن عبد العزيز من أبي بكر بن حزم كتابة « ما كان من حديث رسول الله أو سنة ماضية أو حديث مرة » . البانمي - مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ٢٦١ . الدوري - علم التاريخ عند العرب ، ص ١٠٠ - ١٠١ . الراهبرمي - المحدث الفاضل « بعناية محمد حجاج الخطيب » ص ٢٢٣ ، ص ٢٣٠ .

(١٠٢) سزكين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(١٠٣) أنظر : ابن سعد ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٢٤ . الطبري - تفسير ، ج ٧ ، ص ١٢٩ . ابن حجر - الإصابة (القاهرة ١٩٣٩) ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . الف ابن عباس كتاب لغات القرآن (نشر باعتماد المنجد ، القاهرة ١٩٤٦) .

(١٠٤) أنظر : الجاحظ - الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٤٢ . ومرف مجاهد (ت ٧٢٢/١٠٤) باستعمال الراي . سزكين ، ج ١ ، ص ١٧٦ وما بعدها . جولد تسيير - المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ، ص ٧٥ وما بعدها ، ص ٦٨ - ٨٨ .

(١٠٥) سزكين ، ج ١ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، بروكلمان - تاريخ الادب العربي ، ج ٤ ، ص ١٧٣ وما بعدها .

(١٠٦) أنظر : بلاشير - تاريخ الادب العربي . شوقي ضيف - التطور والتجديد في الشعر الاسوي (ط ٥ ، ١٩٧٣) .

(١٠٧) الجاحظ - البيان ، ج ١ ، ص ١٩ . أنظر : السيوطي - المزه ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ . الزبيدي - طبقات النحويين (باعتماد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، ص ١٤ . الانساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨١ . أبو الطيب - مراتب ، ص ٥ .

(١٠٨) يقول أبو الطيب : « ان أول ما اختلف من كلام العرب ما حوج الى التعليم الإمراب ، لان اللحن ظهر في كلام المولدين والمتعربين بعد عهد النبي » . مراتب النحويين (أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٧) ، ص ٥ . وأنظر : السيوطي - المزه ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ . والزبيدي - طبقات النحويين (باعتماد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، ص ١٤ .

ويروي السيرافي ان أبا الاسود قال لزياد : « اني رايت العرب قد خالطت الاماجم وتغيرت السننهم .. » أنظر : أخبار النحويين البعريين (باعتماد كرنكو) ص ١٧ - ١٨ . وأنظر : البلاذري - انساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨٩ عن اللحن إسماء زياد . ويشير بحثسل ، تاريخ واسط ، ص ٤٦ الى الاختلاط في الكوفة والبصرة . ويتحدث المبرد من عدد من العرب البارزين ممن عرفوا بلكنتهم الامجية « مثل عبيد الله بن زياد ، وزياد الامجم ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ - ٦ . وأنظر : الزبيدي - طبقات ، ص ١٤ . وكان زياد يقول : « اذا لم يجد أحدكم سعة لتزوج من يرغب فيه لموضع فليزوج سبية » . البلاذري - انساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨١ .

(١٠٩) الطبري ، ص ١ ، ص ٢٨٠٢ - ٤ .

(١١٠) الزبيدي — طبقات النحويين ، ص ١ — ٢ .

(١١١) أنظر : موك — العربية ، ص ٢٩ — ٣٠ .

(١١٢) أنظر : عبد المال سالم مكرم — القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، ص ٨ وما بعدها . ابن النديم — الفهرست ، ص ٥ .

Haywood - Arab Lexicography, p. 25 off.

الزبيدي — طبقات ، ص ١٢ — ١٤ ، السيوطي — الزهر ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
الداني : نقط المصاحف (دمشق ١٩٦٠) ص ١٢٢ — ٢ . وينسب البعض نقط الامجاء الى نمر بن حاصم (٧٠٧/٨٩) ، أنظر : المصاحف للسجستاني ، ص ١٦٨ .
الذهبي — معرفة القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ص ٥٨ . وجاء في الذهبي « قال خلف بن هشام كتبت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقون مصاحفهم بقرائته عليهم » . معرفة القراء الكبار ، ج ١ ، ص ١٠١ ، وأنظر ص ١٠٢ .
أبو الطيب — مراتب ، ص ٨ .

(١١٣) السيرافي — أخبار ، ص ٢١ وما بعدها ، السيوطي — الزهر ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٧٢ — ٥ ، ص ٨٤ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٦ . شوقي ضيف — المدارس النحوية ، ص ١٨ .

(١١٤) معرفة القراء الكبار ، ص ١٠١ . وأنظر : الزبيدي — طبقات ، ص ٢ .
أبو الطيب — مراتب ، ص ٢٤ ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، ص ١٢٧ ، ص ١٦٥ .
السيوطي — الزهر ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

(١١٥) وهكذا وقف أبو عمرو بن الملاء وتلميذه يونس بن حبيب الى جانب السباع .
وأنظر : السيرافي — أخبار ، ص ٢٥ ، ص ٣٢ — ٤ . شوقي ضيف — المدارس النحوية ، ص ١٩ — ٢٠ .

(١١٦) تمثل نظرة الكوفة في القول : « كل من كان لقبيلة قيس عليه » ، السيوطي — الزهر ، ج ١ ، ص ٧٥٨ . أنظر : أحمد أمين — غنى الاسلام (ط ٧) ، القاهرة ١٩٣٥ ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ وما بعدها . شوقي ضيف ، ص ١٥٧ — ١٦١ .

(١١٧) قال حاصم بن أبي النجود الاسدي (القاري) : « من لم يحسن من العربية الا وجهها واحدا لم يحسن شيئا » . الذهبي — معرفة القراء الكبار ، ص ٧٥ .
أنظر : شوقي ضيف — المدارس النحوية ، ص ١٩ ، ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(١١٨) أنظر البلاذري — أنساب (خط) ق ٢ ، ص ٨٣٦ — ٣٧ ، من المفصل الفصحي .

(١١٩) الجاحظ — بيان ، ج ١ ، ص ٣١١ والمرزباني — مختصر ، ص ٣٦ — ٣٧ ، ص ٢٥ . بلاشير — تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، ص ١٢٣ ، وأنظر : نهاد الموسى — أبو عبيدة معمر بن المثنى (رسالة دكتوراة خطية) ، ص ٨٢ ، وما بعدها .

(١٢٠) أبو الطيب — مراتب ، ص ٣٩ — ٤٠ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٨٣ وما بعدها . السيوطي — الزهر ، ج ٢ ، ص ٤٠١ . يقول السيرافي من يونس بن حبيب : « وقد سمع من العرب كما سمع من قبله ... وكانت

هلقة بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب الأدب ونصحاء الأعراب والبادية » .
أخبار النحويين البصريين ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(١٢١) أنظر : المخزومي - مدرسة الكوفة ، ص ٧٩ وما بعدها . شوقي
شيف المدارس النحوية ، ص ١٥٥ وما بعدها . بروكلمان - تاريخ الأدب ،
ج ٢ ، ص ١٢٨ ، ص ١٧٩ وما بعدها .

(١٢٢) أبو الطيب - مراتب ، ص ٢٠ - ١ .

Haywood, op. cit. p. 24 off., p. 68 off.

(١٢٣) ذكر المبرد : « قال معاوية يوما : من أنصح الناس ؟ فقام رجل فقال :
قوم تبعوا عن نرائية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كشكشة بكر ،
ليس لهم منة قضامة ولا طبطبانية حمير » ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٥٨١ .

(١٢٤) الجاحظ - البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ . وأنظر : ج ١ ، ص ٣٦٨ .

(١٢٥) بحثل - تاريخ واسط ، ص ٢٦ .

(١٢٦) يقول الجاحظ : « ولم أجد في خطب السلف الطيب والأمراب الإقحاح الفاظا
مسخوطة ولا معاني مخولة ولا قولا مستكرها ، وأكثر ما تجد ذلك في خطب
المولفين وفي خطب البلديين المتكفين ، ومن أهل المنمة المتأدين » .
البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٨ - ٩ .

(١٢٧) أنظر : Fuck - Arabiya (Paris 1955), p. 9 off.

(١٢٨) أنظر : الدوري - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب . روز نال - علم
التاريخ عند المسلمين . جب - دراسات في حضارة الإسلام ، مقال : التاريخ .

الاندلس في المغرب

عيسى الناعوري

في عام ١٩٦٧ ، وفي مؤتمر الدراسات الاسبانية / الاسلامية في قرطبة ، التقيتُ بالاستاذ المؤرخ والاديب المغربي عبد الله كُتُون ، وكان بيننا حديث على الاندلس ، وعلى روائع الفنون المعمارية والزخرفية فيه . وكنت اظن ان هذه الفنون قد جمعت على ما خلفه عرب الاندلس في اسبانيا . غير ان الاستاذ كُتُون أكد لي ان هذه الفنون لم تَجُود ، بل هي تعيش الآن وتتطور في المغرب بازهى واحديث مما هي في الاندلس . ودهشتُ لذلك ، وحسبتُ انه من قبيل المفاخرة الوطنية .

ثم اتيج لي ان ازور المغرب عام ١٩٧٤ بحثاً عن اثر الفنون الاندلسية هناك : من طراز معماري ، ومن زخرفة ونقش ، ومن غناء وموسيقى ورقص . وقد قضيتُ في تلك الزيارة واحداً وعشرين يوماً ، وتجوّلتُ في المدن الرئيسية : من طنجة غرباً ، الى وجدة شرقاً ، والى مراكش جنوباً ، وبينها زرتُ كذلك الرباط ، ومكناس ، وفاس ، وتطوان . وفي كل مدينة قضيتُ يومين او اكثر ، ازور القصور ، والمساجد ، والزوايا ، والمقابر ، والمدارس القديمة ، والاسوار والقصبات . وذهلتُ فعلاً وأنا اعيش جنو الاندلس من جديد ، ولكن بشكل احدث واكثر تطوراً واشد روعة .

كنت قبل زيارة المغرب أحسبُ ان فنون الزخرفة الاندلسية قد دخلت الى الاندلس من المغرب ، مع الفتح الاسلامي الذي دخل من المغرب ، ولكنني تيقنتُ بعد زيارة المغرب من ان هذه الفنون المدهشة انما دخلت الى الاندلس مع الأمويين ، الذين حملوها معهم من دمشق ، بعد ان كانت دمشق قد أخذتها عن القاشاني الفارسي ، وعن

البيزنطيين ، وطبعتها بطابعٍ دمشقيٍّ خاص . ثم تطوّرت في إسبانيا مع الأيام ، ولم تدخل الى المغرب الا في عهد المرابطين ، في القرن الحادي عشر الميلادي ، الخامس الهجري ، بعد ان ضمّ يوسف بن تاشفين الاندلس الى المغرب ، فأصبح البلدان بلدًا واحدًا . وبذلك احتضن المغربُ الفنونَ الاندلسيّة منذ ذلك الحين . وحين خرج العرب من الاندلس في القرن الخامس عشر الميلادي هاربين الى بلدان المغرب ، حملوا معهم فنونهم ، وظلّوا يمارسونها هناك . ومذ ذاك راحت تتطوّر مع الزمن الى يومنا هذا .

والواقع أن الذي يريد دراسة الفنون الاندلسية كلها ، ومنها الغناء ، والرقص ، والموسيقى ، لا بُدَّ له من زيارة المغرب ، والتجول في مختلف مُدُنِه ؛ فالاندلس تعيش هناك بأجمل ما في فنونها الرفيعة الخالدة .

وفي ما يلي أُدَوِّن ما شاهدته وأُعجبتُ به في عدد من أهم المدن المغربية، مع شيء مما لا يسدّ منه من الربط التاريخي :

- ١ - سَبْتَةُ وَطَنْجَة

في الزاوية الشمالية الغربية من المملكة المغربية ومن القارة
الافريقية ، وعلى شاطئ البحر المحيط والبحر المتوسط معا ، تقوم
مدينة طنجة ، وعلى مسافة قريبة منها الى الشرق تقع مدينة سَبْتَةُ
ايضا . وبين المدينتين العريقتين ينتصب شامخاً جبل موسى - نسبة
الى موسى بن نصر - ويقابله على العُدوة الاسبانية ، شاهقاً
مغططرا ، جبل طارق . وكان هذان الجبلان والجبَّالُ العالية المتقابلة
بينهما ، وُمن حولهما ، تُدعى باسم (اعمدة هرقل) . وهي تتقابل
متمَرِّدةً على جانبي ما كان يُدعى من قَبْلُ (بحر الزقاق) او (بحر المجاز) ،
ويُدعى اليوم (مضيق جبل طارق) . وانما كانت تسميته بالزقاق او
المجاز لضيقه ، فهو ضَيِّقٌ صغير ، لا تزيد ابعُدُ مسافة فيه بين
العدوتين عن ثلاثة عشر كيلو مترا .

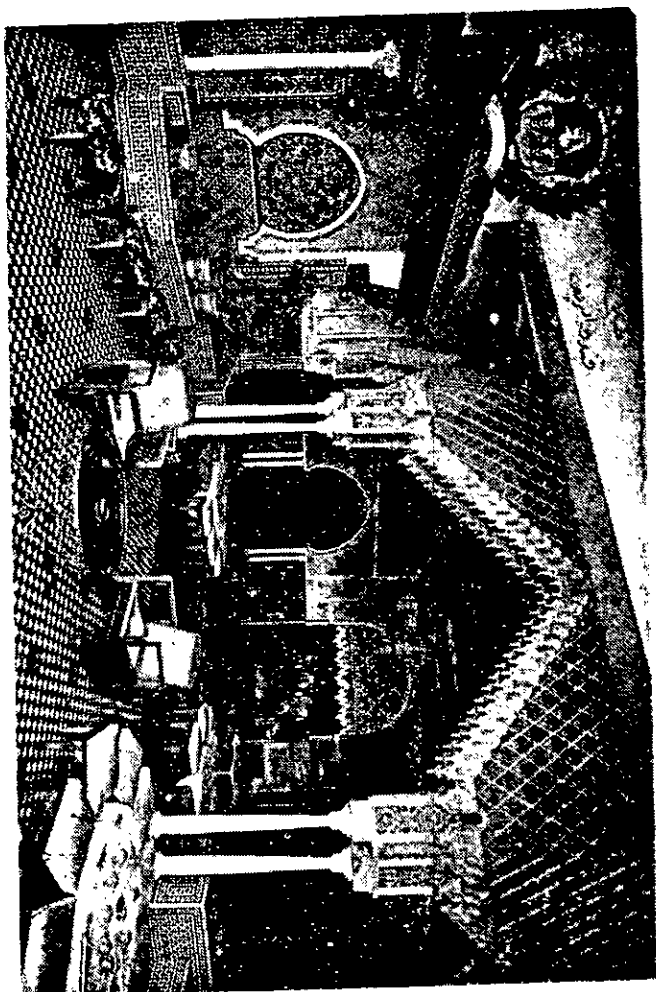
اما تسمية الجبال المتقابلة الجبَّارة باسم (اعمدة هرقل) فلها
اسطورة قديمة، تقول إِنَّ الارض كانت مُتصلة بين المغرب واسبانيا ،
وكانت تُفصل بين مياه الاطلنطي والمتوسط . ثم تَزَوَّج هرقل ، وجاء
بزوجته الى طنجة . ولئلا يتمكن احدٌ من الوصول اليها وسَلَّبه اياها ،
سَقَّى الارض بين القارتين ، وانشأ بينهما الزقاق المائي ، واصلاً الماء
بالماء ، واقام الجبال الشاهقة حارسة على طرفي الماء ؛ فدُعِيت
هذه الجبالُ المارِدة بِأسم (اعمدة هرقل) .

وفي طنجة مغارة هائلة على البحر تُدعى (مغارة هرقل) حَفَرُها
أمواج البحر القويّة التي ظَلَّت تضرب اطراف الجبال قرونا لا حصر لها .

ويقف المسرع على شاطئ طنجة وسبتة ، فيرى البواخر والقوارب
تَمَحَّرُ البحر غاديةً رائحة بين هاتين المدينتين ومُؤَدِّن (قادس) ، وطريف ،
والجزيرة الخضراء ، وجبل طارق ، ومالقة) على العُدوة الاسبانية .
وحين يقف على سفح جبل موسى ، بين سبتة وطنجة ، وينظر الى

الشمال عبر بحر الزقاق ، يُروعه شموخُ صخرة جبل طارق ، كأنها
 أنشَقَّ عنها البحر ، فتمَرَّدت شامخةً فوق تيجانِ الفيوم المتصاعدة
 من البحر .

داخل فندق الريف في طنجة



من هذه البقعة انطلقت جيوش الفتح العربي الاسلامي لفتح
 بلاد اسبانيا ، مبتدئةً عام ٩١ هـ . ٧٠٩ م . وكانت هذه البقعة قبل
 الفتح الاسلامي للمغرب وخلال مُدَّةٍ من بدايته ، ذاتُ صلةٍ متينةٍ
 باسبانيا ؛ فقد كانت سبَّعة في عهد عقبة بن نافع ، ثم موسى بن

نصر من بعده ، في أيدي الاسبان ، وكان يحكمها بوليان ، الذي تعاون مع العرب على غزو اسبانيا لانقاذها من حكم عدوّه لفريق ، ومهدّ لهم السبيل لفتحها ؛ وسبّتهُ اليوم يحكمها الاسبان ، وكانوا الى عام ١٩٥٦ يحكمون الشمال المغربيّ كلّهُ ، وجزءاً من الشاطئ الغربي ، في حين كان الفرنسيون يحكمون بقيّة المغرب .

وظلّت سبتة وطنجة مُعبراً طبيعياً بين المغرب والاندلس ، مثلما هما اليوم المُعبرُ بين البلدين : منها عبّرت سرايا طريف بن مالك ، للاستكشاف أولا ، عام ٩١ هـ . وعادت بالغنائم الوفيرة ، وببشائر سهولة الفتح . ثم عبّرت بعدها جيوش طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ . وتوغّلت في الجنوب الاسباني والغرب ؛ ثم تلتها جيوش موسى بن نصير سنة ٩٣ هـ . لاستكمال فتح اسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا .

ومن هذه البقعة ايضا كان الأمويّون يدخلون احيانا من الاندلس الى المغرب ، لمنع المغاربة من التدخّل في شؤون الأندلس . ثمّ من هذه البقعة عينها دخلت فيما بعد جيوش المرابطين ، بقيادة يوسف بن تاشفين ، مرّتين : مرّة لانقاذ إمارات الطوائف من غارات الجيوش الاسبانية ، والمرّة الثانية لاحتلال الاندلس برمتها وضّمّها الى المغرب . ومن هناك عادت الصلة التامة بين المغرب والاندلس ، واصبحت هذه جزءاً من المغرب ، ودخلت فنون الاندلس الى المغرب ، واتّصلت الحضارة بين البلدين فصارت واحدة . واستفاد المغرب من ذلك فائدة عظيمة ، فقد كانت الأندلس متقدّمةً عليه من حيث العلم والثقافة ، وكان هو متقدّماً عليها في القوة والسلاح ، « فكان هو يبذل للاندلس حمايته — كما يقول الاستاذ عبد الله كتّون في الجزء الاول من كتابه (النبوغ المغربي) — والاندلس تبذل له ثقافتها ومعارفها » (١) . وحين استولى يوسف بن تاشفين على الاندلس ، حمل ملك إشبيلية ، المعتمد بن عبّاد ، أسيراً مكبلاً بالقيود الى طنجة ، ومنها الى فاس ، ثم الى أغمات — في الجنوب المغربي ، قرب مراكش — حيث مات سجيناً ذليلاً .

(١) النبوغ المغربي ، لمبد الله كتّون ، ص ٧١ ، الجزء الاول — الطبعة الثانية .

لقد تأثرت طنجة ، مثلما تأثر المغرب كله ، بحضارة الاندلس ، وظلَّ هذا الاثر الى يومنا هذا بارزا في العناية البالغة بالهندسة المعمارية ، والزخارف والنقوش الاندلسية ، والمقرِّصات الرائعة البارزة في الجبس وفي الخشب — والمقرِّصات تعني (النقوش المجسَّمة النافرة) وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية (CORPUS) التي تعني (الجسم) ؛ ويُخطىء من يدعوها (المقرنسات) او (المقرنصات) ، فهي كلُّها مُجسَّمات نافرة .

وتعتمد الزخارف الاندلسية على قطع الزليج الخزفية الصغيرة ، ذات الالوان الجميلة الزاهية ، ولا سيما اللون الازرق واللون الاخضر ، وذات الاشكال البارعة الصناعة ، كأوراق الشجر حياً ، او بأشكال مريئة او مثلثة احياناً اخرى . وهي تُلصقُ لصاقاً على الجدران ، وتُصنَّع منها صُورٌ واشكالٌ فنيَّة غاية في الجمال والرهافة والدقَّة . وقد تغطَّى بها الجدران بأكملها ، او قد يُغطَّى جزءٌ من الجدران الى علوِّ معين .

وحين تجتمع هذه الزخارف الخزفية الى المقرِّصات البارزة في السقوف الجصية ، او في الخشب ، ورفوف الابواب الدقيقة الصناعة ، تبدو فتنة للنظر وبهجة للقلب .

هذا الطراز من الزخارف الزليجية والمقرِّصات الجميلة ما يزال الاسبان الى اليوم يحافظون عليه في متاحفهم ، وقصورهم ، وبيوتهم ؛ غير ان الحفاظ عليه في المغرب اشدُّ واعظم ، واكثر اتساعاً : فمقصور المغرب كلها ، ومساجده ، وفنادقه ، والكثير من بيوته ، هي قطع روائع من الفن الاندلسي الساحر .

في طنجة ذهبت لزيارة الصديق عبد الله كنون في منزله في القصبة — وهي مدينة طنجة التاريخية القديمة — فراعني ما شاهدت في المنزل من جمال النقوش والزخارف الاندلسية : من مدخل الدار ، الى بهوها السفلي ، الى السلم الصاعدة الى الطابق الثاني ، الى ما رايته من غرف المنزل ، وطراز اثائها . كلُّ شيء فيه اندلسي ،

حتى طراز الفراش ، والستائر ، والمقاعد المكدودة على الأرض ،
أو المرتفعة على مساطب مفروشة .

ومثل منزل عبد الله كنون ، بل أكثر زخرفة ، كان كذلك الفندق
المعروف باسم (فندق الريف) ، ففي قاعاته آيات باهرات من هذه
النقوش والزخارف الاندلسية .

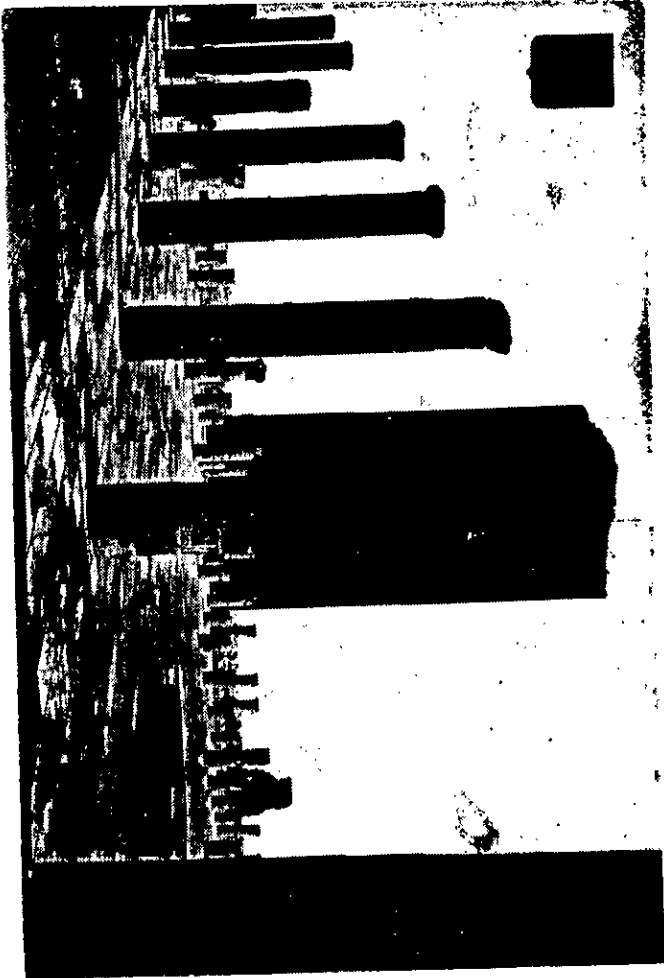
وتنتقل من هناك لتتجول في (القسبة) المطلّة على البحر ،
والمحاطة بالاسوار العالية ، فتتخيّل أنك في إحدى قصبات الاندلس ؛
والقسبة كانت من قبل مقرّ الحاكم ، وفيها دوائر الدولة ، وثكنات
الجيش . وفي طنجة ما تزال القسبة يبدو عليها القدم ، في البيوت ،
والشوارع ، الا من بعض الأبنية الحديثة التي تكاد لا تبدو فيها .
واسوارها شبيهة بأسوار كثيرة ما تزال قائمة في العديد من المدن
الاندلسية . الطراز واحد ، والفتوحات المديّبة في أعلى الاسوار والأبراج
واحدة . ولا عجب في ذلك ، فقد تعاقب على حكم الاندلس من
المغاربة — من القرن الحادي عشر الميلادي الى اواخر القرن الخامس
عشر — المرابطون ، والموحّدون ، والمرينيّون ، الذين في اواخر عهدهم
خرج العرب نهائياً من الاندلس . وكلّ هؤلاء تركوا آثاراً متشابهة في
الاندلس والمغرب معاً ، وكلّهم شيّدوا القلاع والحصون والقصبات
والقصور ، وبنوا المساجد والاسوار ، وأسّسوا المدارس في عدوّتي
بحر الزقاق . وكثير من هذه الآثار ما يزال قائماً الى اليوم على
الأرض المغربية والأرض الإسبانية .

واما الغناء الاندلسي والموسيقى فما يزالان يعيشان كذلك في
طنجة ، وفي المغرب برمتيه. والمغاربة يدعونه باسمه الحقيقي : (الغناء
الاندلسي) ، في حين يدعوه التونسيون والليبيون باسم آخر ، هو
(المالوف) . والمغاربة يقيمون حفلات الغناء الاندلسي باستمرار في
كلّ مكان من الأرض المغربية ، باعتباره فنّاً لهم فيه حصّة ، ولهم في
بقائه نصيب ؛ فهو لذلك بعض من التراث الشعبي المغربي .

الرباط

من طنجة ننحدر - مع الخريطة الجغرافية ، لا مع التاريخ - جنوبا ، لنصل الى مدينة الرباط ، عاصمة المملكة المغربية اليوم ، وجارة مدينة (سلا) على شاطئ الاطلنطي ، لا يفصل بينهما غير نهر

مقبرة حسان في الرباط



ضحل المياه ، قليل العرض ، هو نهر (بورقراق) . وفي (سلا)
تُؤمّن الملك عبد المؤمن ، اول ملوك الموحّدين .

وقبل ان أبدا الحديث على الرباط ، أرى ان أذكر ان جارتها
(سلا) مدينة أندلسية، بمعنى ان سُكَّانها من اصل أندلسي ، نزحوا
من الأندلس فعمروها ، وأقاموا يمارسون فيها أنساب حياتهم ،
وعاداتهم وتقاليدهم ، وصناعاتهم الأندلسية ، مثلما فعل إخوان لهم
خرجوا من الأندلس ، وأنشأوا مدينة تطوان ، وبعض المدن المغربية
الأخرى ؛ وكانت سلا من قبل مدينة رومانية عريقة . فهي من المدن
المغربية القديمة .

ولكنني لن أقف طويلا عند مدينة سلا ، وقد زُرْتُها وتجوَّلتُ
فيها ، فلم أجِد فيها من مظاهر الفنون الأندلسية الا القليل الذي
لا يستحق الوقوف عنده بالنسبة الى ما شاهدته في المدن الأخرى الكبيرة .

وأما مدينة الرباط ، او « رباط الفتح » ، كما كان اسمها ،
فتزخر بالكثير جدًّا من مظاهر الفنون الأندلسية بشكل يسترعى
النظر ، ويستوقف الزائر للتأمل والاعجاب .

هذه المدينة بناها سلطان الموحِّدين الأشهر يعقوب المنصور ،
سنة ١١٩٨ م . ٥٩٣ هـ . وأنشأ فيها مسجد حَسَن وصومعته — مؤذنته —
أخت مؤذنة (الكُتْبِيَّة) في مراكش ، ومؤذنة (الخير السدا) في اشبيلية ،
بالأندلس ، وكلُّها من أعماله الخالدة . وأما مسجد حَسَن فقد دُرِس ،
ولم يبق منه اليوم غير أنصاف أعمدة مزروعة في الأرض ، يقوم بينها
جزء من المؤذنة يستدعي الشفاق حين يتذكَّر المرء أن شقيقتيها في
مراكش واشبيلية لا تزالان قائمتين تحدِّيان الزمان . ويُقال ان المؤذنة
لم تكمل ، مثلما كملت شقيقتاها .

وفي الطرف الغربي من المدينة تقوم (قسبة الاودية) ؛ وهي
أخت لقسبات عديدة مثلها في الطراز ، باقية الى اليوم في الأندلس ،
تشابهها في البناء الداخلي ، وفي الأسوار ، وفي كسل شيء . وكان
قد أنشأها ملك الموحِّدين الأوَّل عبد المؤمن بن علي سنة ١١٥٠ م .
وهي اصل مدينة الرباط .

وفي جهة أخرى من المدينة تقوم بقايا مدينة رومانية تُدعى (شيل)، وقد اتخذها ملوك المرينيين مقبرة لهم، واحاطوها بأسوار عالية، واتاموا فيها مسجدا ومئذنية. وكلها ما تزال قائمة هناك الى اليوم.

ولم تصبح الرباط عاصمة للمغرب إلا في عهد الاسرة العلوية التي تحكم المغرب منذ زمن مولاي رشيد، في القرن السابع عشر الميلادي. وكانت في اول عهدهم مقراً مؤقتاً للوكهم، ثم تحولت الى عاصمة رسمية لهم في زمن الملك يوسف، والد الملك محمد الخامس، وجدّ الملك الحسن الثاني. وكانت عاصمتهم من قبل هي مدينة فاس، او مدينة مراكش. وقبل ذلك كانت مدن أخرى عواصم للمغرب، فالعاصمة هي (وليلي) مرة، وحيناً مراكش، وحيناً آخر مكناس، او فاس. وأحياناً كانت المدينة الواحدة تتحول مراراً الى عاصمة، مثل مدينة فاس، ومدينة مراكش.

ولقد تقلّبت على المغرب كلّ حكومات متعددة: من عهد إدريس الأول، حفيد الرسول، الذي لجأ الى المغرب في القرن الثامن للميلادي، هرباً من بطش هرون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي، وأسس هناك الدولة الإدريسية، اول مملكة مغربية اسلامية، وقد استمر حكمها نحو قرنين من الزمن. ثم قامت الدولة الفاطمية، فدولة المرابطين، فالموحدين، فالمرينيين، فالوطاسيين، فالسعديين، وأخيراً الدولة العلوية الحاكمة الى اليوم. وعُرف المغرب الحكم الاجنبي فترة من تاريخه الحديث، وكان حكماً استعماريّاً مزدوجاً: فهو اسباني في الشمال والغرب، وفرنسي في الوسط كلّ، الى ان جلا الاستعمار المزدوج في عهد الملك محمد الخامس، ثم في عهد ابنه الحسن الثاني، ملك المغرب اليوم. ولم يبق من المغرب في أيدي الاسبان غير مدينتي سبتة ومليليا، في الشمال المغربي، على ساحل البحر المتوسط، وذلك بعد ان خرج الاسبان أخيراً من الصحراء المغربية، على الساحل الجنوبي الغربي.

وكان المرابطون ، وَمِنْ بَعْدِهِم الموحِّدون ، ثُمَّ المُرِينِيُّونَ قد حَكَمُوا
الاندلس ، وجعلوا منها جزءاً من دولة المغرب . وفي أواخر العهد
المرينيّ وبداية العهد الوطّاسي خَرَجَ العرب مِنَ الاندلس ، فكان من
الطَّبْعِيّ جنداً ان يلجأوا الى الشمال الافريقي ، وَيُنْشِئُوا فيه مُدُنًا
وقرى ، كان منها في الشمال تلمسان وتطوان ، وفي الوسط سلا -
وتلمسان اليوم من الجزائر - .

هذا من الجانب التاريخي الذي يربط بين المغرب والاندلس ،
ومن حيث الآثار العديدة الباقية اليوم في مدينة الرباط ، مِمَّا له أشباه
كثيرة في الاندلس .

أمَّا الطراز الاندلسي في البناء والزخرفة ، فان في الرباط منه
الكثير مِمَّا يدهش النظر ويبهج النفس . وانت حين تصل الى مئذنة
حسّان ، تجد الى جانبها ، وعند طُرْف الأعمدة الباقية من جامع
حسّان ، بناءً من أفخم الابنية وابهاها ، هو ضريح الملك محمد
الخامس ، والى جانبه مسجد محمد الخامس كذلك . والبنائان آيتان
من آيات الصناعة الاندلسية الحيّة المتطورة في المغرب ؛ وأدعاهما
الى الدهشة والانبهار بجمال صناعته الاندلسية هو الضريح ذو
الطابقتين ، بِقُبَّتِهِ العالية المذهبة ، وجدرانهِ التي تَفْنُنُ فيها الصنّاع حتى لم
يَبْقَ بعدَ مُنْتَهَم فنِّ في زخارف الزليّج والمقرصات الرائعة . وانت تقف
تحت قُبَّتِهِ ، وتحتار في تلك الصناعة العجيبة التي لم تُعْرِفْ عصورُ
الاندلس لها مثيلاً ، حتى في قصر الحمراء ، وقصر جُنة العريف ،
وجامع قُرطبة ، وقصر اشبيلية - وكلّها من عجائب الدنيا في جمال
الصناعة الزخرفية والهندسية الاندلسية - .

والجديد في ضريح محمد الخامس هو إدخال الذهب في الطراز
الاندلسي بأشكال لم تعرفها زخارف الاندلس من قبل ، وبكثرة تُخلب
النظر ؛ وكذلك التَفْنُنُ في الأشكال الزخرفية الأخرى غير المألوفة
كذلك . وتُحَسُّ وانت في داخل الضريح ، نُكْمٌ في المسجد من بعده ،
بانك تودّ لو تُطِيل البقاء ، مستمتعاً بروعة الصناعة وجمال الفن .

وتستعيد في خيالك كلَّ قصور الاندلس ومساجدها وماآذنها ، فتحسُّ بعظمة الأندلسيين الذين خَلَقُوا هذه الفنون المدهشة : مِن دَقَّةِ الْقَطْع الزَّليجِيَّةِ الصغيرة ، ورهافة الفن في ترصيعها ، وجمال النقوش المصنوعة منها ، ومن رهافة المقربصات الجبسية والخشبية التي خَلَقَتْهَا عبقريةُ الفنان الأندلسي . ثم يأخذك العجب من بقاء هذه الصناعة العجيبة مزدهرة ، ومن تَطَوُّرها وتحديثها في مدن المغرب كلَّها الى اليوم ، وحفاظ المغرب على ان تظلَّ "الاندلسُ حَيَّةً" فيه ، لا يمحو جمالها الزمان ، بهندستها المعمارية ، وزخارفها ونقوشها ومقربصاتنا ، وكذلك بموسيقاها ، وغنائها ورقصها .

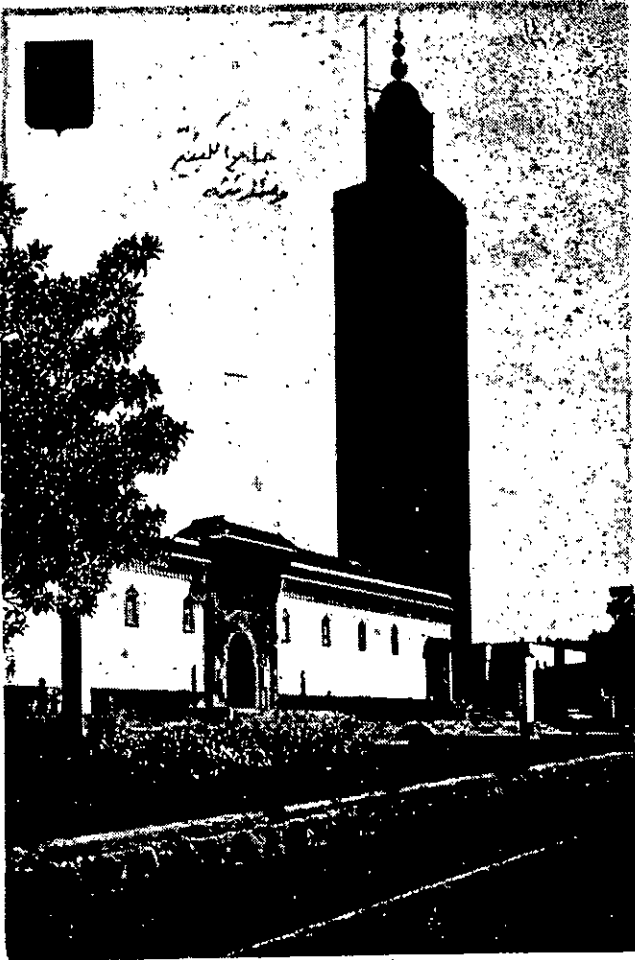
وتَخْرُجُ من الضريح والجامع لتتجولَّ في أنحاء مدينة الرباط ، فتدهشك القصور الملكية ، بزليجها الأخضر الجميل في السطوح ، وفي الجدران الخارجية ، وفي ظلال الحدائق الفسيحة : قصر المَشُور ، وقصر السلام ، والقصر القديم الذي بناه محمد بن عبد الله العلوي . وهذه القصور الملكية تُحَفُّ روائع من الصناعة الأندلسية الطراز ، تُفَنِّنُ فيها الصُّنَّاعُ المغاربة فابدعوا غاية الابداع .

ثُمَّ تمضي الى جامع السُّنة ، وجامع مولاي يوسف ، وهما متقاربان في المكان ، فتقف متأملاً جمال الزليج الأخضر الذي يُغَطِّي سطوحهما . وتمضي الى الداخل ، فتدهشك البساطة الأنيقة في رهافة الصناعة الاندلسية — وللبساطة جمالها ايضاً متى كانت من صُنع يَدِ فنانةٍ بارعة — .

ولا يقتصر الطراز الأندلسي على الجوامع والقصور ، بل تجده كذلك في بعض الفنادق ، وأخص بالذكر (فندق حسان) ، في وسط المدينة ؛ وهو تحفة فنية رائعة من الداخل ، بجمال الصناعة الخزرفية الاندلسية ، التي تستريح اليها النفس ، ويستريح النظر .

مراكش

ونمضي مع خريطة المغرب انحدارا الى الجنوب ، حتى نصل الى مراكش ، مدينة النخيل ، او المدينة الحمراء ، كما تدعى احيانا .



مئذنة الكتبة في مراكش

وهي تدعى كذلك لأن لون بيوتها الخارجي أحمر ، بعكس مدن المغرب الأخرى وقراها ، وكلها تقريباً مطلية من الخارج باللون الأبيض -

ومثلها كذلك الجزائر وتونس وليبيا — وتكثر في المدينة ومن حولها أشجار النخيل الجميلة . وبيوتها صغيرة وقليلة الطوابق .

هذه المدينة بناها أمير المرابطين يوسف بن تاشفين سنة ١٠٥٤ هـ . ١٠٦٢ م . واتخذها عاصمة لدولته بدلاً من العاصمة فاس . ومن بعد ظلت مراكش عاصمة للموحدين ، ثم كانت عاصمة كذلك للسعديين في القرن السادس عشر للميلاد ، العاشر للهجرة . واتخذها ملوك العلويين الأولون كذلك عاصمة لهم ، الى ان انتقلت العاصمة الى الرباط في عهد مولاي يوسف ، والد محمد الخامس ، وجد الحسن الثاني . وقد تركت كل واحدة من هذه الدول المغربية آثارا من آثارها في هذه المدينة المريقة .

وجدير بالذكر أن معظم أعلام الفلسفة والطب من الاندلسيين ، من عهد المرابطين الى اواخر عهد المرينيين خاصة ، قد انتقلوا من الاندلس ليقیموا في مراكش أو فاس ، في رعاية ملوك هذه الدول الثلاث وامرائها . وفي ذلك يقول عبد الله كتون في كتابه (النبوغ المغربي) : « فابو بكر بن باجة ، المعروف بابن الصايغ ، والفيلسوف والطبيب والموسيقي ، هو ممن اظلتهم دولة المرابطين ، وخدم رجالها بعلمه وفنه ؛ وابو الوليد ابن رشد ، وابو بكر ابن طفيل ، وابناء زهر ، هم ممن نبغوا في اعتاب عصر المرابطين ، وانتشرت معارفهم في العصر الموحد الذي يليه . واعلام الفقه والتصوف ، مثل ابن رشد الكبير ، وابي بكر ابن العربي ، وابن عربي الحاتمي ، وابن سبعين ، هم من رجال عصر المرابطين او عصر الموحدين » (١) .

وفي مراكش ضريح بسيط متواضع ليوسف بن تاشفين ، على مقربة من جامع الكتبية ، اقيم في عهد الملك محمد الخامس فقط ، في حين يقوم ضريح خصمه واسيره الشاعر الاشبيلي المعتمد بن عباد غير بعيد عنه ، في أعماق ، في مخامة لا يعرفها ضريح ابن تاشفين .

(١) النبوغ المغربي ، لعبد الله كتون ، الجزء الاول ، ص ٦٦/٦٧ .

وكانت اغمات عاصم المرابطين قبل ان يبني يوسف بن تاشفين
مدينة مراكش .

وجدير بنا ان نشير هنا الى ان ابن تاشفين كان قد دخل الى
الاندلس بجيوشه مرتين في القرن الحادي عشر الميلادي ، الخامس
الهجري ، الأولى لصد غارات الجيوش الاسبانية عن ممالك الاندلس ،
ولا سيما عن مملكة اشبيلية التي كان يحكمها المعتمد بن عباد ،
والثانية بعدها بقليل ، لكي يُضَمَّ الاندلس الى المغرب ، ويسيطر
سلطانه على العدوتين . وفي هذه المرة الثانية ساق المعتمد مكبلاً
بالقيود الى طنجة ، ومنها الى فاس ، ثم الى اغمات ، حيث مات
المعتمد في ذلّة الاسر ، وخلف لزوجته وبناته مذلّة التشرّد والفاقة .
ثم ماتت زوجته ودُفنت الى جانبه .

وبتألف مبنى ضريح ابن عباد من مدخل ، تقوم الى يساره غرفة
فيها سجل للزائرين . ويُفضى المدخل الى باحة مكشوفة ، ثم الى
غرفة فيها قبر ابن عباد وقبر زوجته الى جانبه . وعلى الجدار الأيمن
والجدار الأيسر أبيات نظمها الشاعر الوزير لسان الدين ابن الخطيب
حين زار قبر المعتمد . وهذه أبيات منها :

قبر الغريب ، سقاك الرائح الغادي حقا ظفرت بأشلاء ابن عباد
كفك ، فأرقق بها استودعت من كرم رواق كل قطوب البرق رعاد
ولا تزل صلوات الله دائمة على دفينك ، لا تحصى بتعداد

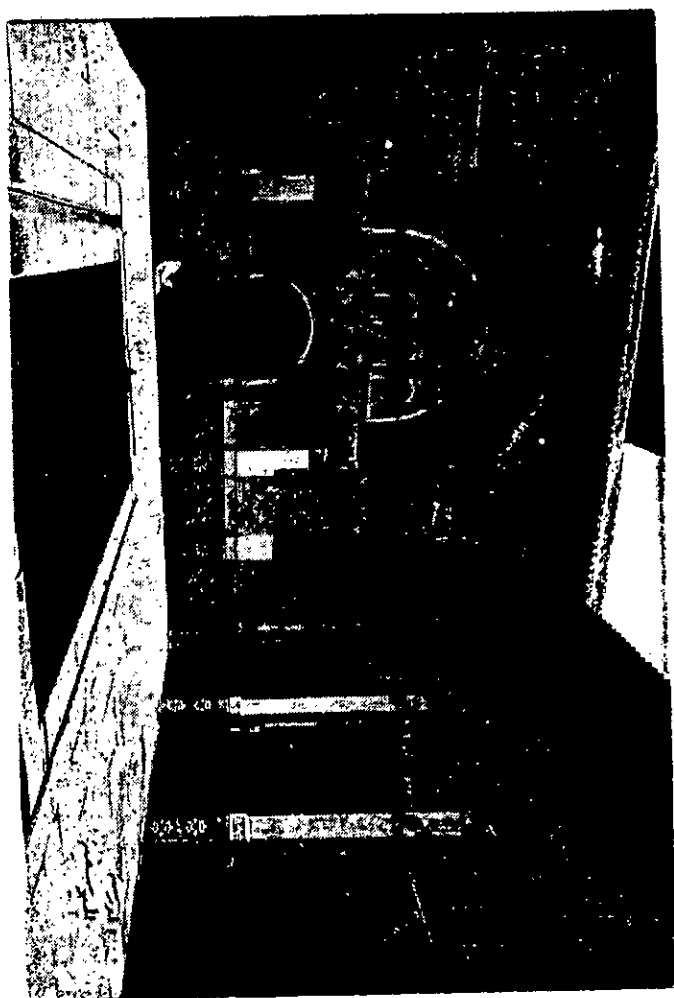
وكان ابن الخطيب قد رثى ابن عباد بأبيات أخرى حينما وقف
على قبره ، فقال :

قد زرت قبرك عن طوع باغمات رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدًا وباسراج الليالي المدلهمات؟
وانت من كو تخطى الدهر مضرعه الى زماني، لجادت فيه أبياتي

لكنها شاعت الأتدار أن تقارب بين ضريح السلطان الغالب ،
والملك الشاعر المفلوب ، الذي كان له من دنياه السلطان والشعر

مَعًا ، مَخْلُودٌ بِالشَّعْرِ ، وَظَلٌّ أَغْرِيْدَةٌ فِي نَسَمِ الزَّمَانِ ، وَظَلٌّ قَبْرُهُ مَحَجَّةٌ
لِلزَّوَارِ مِمَّنْ يَعْشَقُوْنَ الْفَنِّ وَالشَّعْرَ . وَبِجَمْعِ الضَّرِيحِيْنَ الْمُتَقَارِبِيْنَ ،
اجْتَمَعَ الْمَغْرِبُ وَالْأَنْدَلُسُ اجْتِمَاعًا أَبَدِيًّا ، كَانَ الضَّرِيحَانِ رَمْزًا خَالِدًا
لَهُ وَعُنْوَانًا .

المدرسة اليريسقية في مراكش



وَالِى جَانِبِ ذَلِكَ يَجْتَمِعُ الْمَغْرِبُ وَالْأَنْدَلُسُ فِي آثَارِ أُخْرَى بَاقِيَةٍ
فِي مَرَاكَشَ ، لَعَلَّ أَهْمَهَا جَامِعُ الْكُتُبَةِ وَمُثَنَّنَتُهُ — أَوْ صُومَعَتُهُ — اخْتِ
مُثَنَّنَةُ أَشْبِيلِيَّةِ الشَّهْرَةِ بِاسْمِ (الْخَيْرِ الدَّاءِ) ، وَمُثَنَّنَةُ حَسَّانِ فِي الرِّبَاطِ .

ستاز مئذنة الكتبية ومئذنتا الخير الدا وحسان ، بأن السعود اليها ليس على سلالم ، بل في طريق عريضة مئذنة ، تنتهي كل دورة منها يشرفات من جميع الجوانب ، تطل على المدينة ؛ حتى اذا بلغ الصاعد أعلى المئذنة ، واطل من شرفاتها ، انبسطت تحت عينيها المدينة كلها كما تنبسط راحة اليد . ويقال إن المنصور قد اراد من بنائها بهذا الشكل ان يكون في وسعه الصعود الى أعلى المئذنة على صهوة جواده . هذه الميزة هي اهم ما يجمع بين المآذن الثلاث . واما احجامها فمختلفات : فالخير الدا يبلغ علوها أكثر من خمسة وسبعين مترا ، وعلو الكتبية اثنان وستون مترا ، ولا أدري كم كان ارتفاع مئذنة حسان ، في الرباط ، فهي الآن بقيت مئذنة فقط ؛ أما من حيث الشكل الخارجي فان الخير الدا ، في اشبيلية ، تحفة رائعة من آيات الفن المعماري ، لا تضاهيها في ذلك مئذنة الكتبية . وقد أقيمت هذه المآذن الثلاث في القرن الثاني عشر الميلادي ، السادس الهجري .

وليس في وسمي ان أطيل الحديث على سائر الآثار المراكشية ، فهي كثيرة جدًا ، وكلها جدير بوقفات طوال مشيعات . غير أنني اكتفي بذكرها فقط ، ومنها : مقابر السعديين ، وفي وسطها قبر أحمد المنصور الذهبي ، اعظم ملوك السعديين وابعدهم شهرة ، وهي من القرن السادس عشر ، وفيها الكثير من اثر الصناعة الاندلسية . وهناك قصر (دار الهناء) وحدائق الأوكدال الفسيحة الواسعة الأرجاء ، وقد انشأها الملك محمد بن عبد الله العلوي . وفي هذه الحدائق غابات من شجر الزيتون ، وبركتان كبيرتان هائلتا الانتاع ، في وسط إحداها مكان لجلوس جوقة موسيقية وغنائية ؛ فهي بذلك شبيهة ببركة القيروان في تونس . وهنالك أيضا قصر البديع ، الذي بناه أحمد المنصور الذهبي ، من ملوك السعديين ، في القرن السادس عشر .

وأما أقدم اثر مغربي يبدو فيه الطابع الاندلسي ، في المغرب كله ، فهو المدرسة اليوسفيّة ، في مراكش ؛ وكان قد بناها الأمير علي بن يوسف بن تاشفين ، ودعاها باسم أبيه . وكل ما في هذه

المدرسة اندلسي الطراز ، سواء في هندسة البناء ، ام في المقرّصات الخشبية السوداء ؛ وهذه أوّل مدرسة اندلسية الطراز شاهدتها في حياتي ، ولم أر من قبل مثلها في الاندلس . اما المغرب فتكثر فيه



مقبرة السعديين في مراكش

هذه المدارس ، وكثير منها مما انشاه الملك ابو عنان المريني ، وتدعى مدارسها كلها باسمه : (المدرسة البوعنانية) . وقد شاهدت من المدارس البوعنانية ثلاثا : في سلا ، وفاس ، ومكناس ؛ وهي وسواها من المدارس القديمة متشابهة في طرازها ، وغرّف الطلاب فيها اثنه

بالترزانات ، وَكُنْهَا تُطَلُّ عَلَى بهو اوسط مفتوح ، وتقوم في الطابق الثاني من المدرسة .

واما الزخارف الاندلسيَّة المدهشة فيجدها الزائر في قصر (الجلاوي باشا) المهجور الآن ، بكلِّ ما كان فيه من اثاث ورياش فاخرة ، كلُّ اقمشتها من الدِّمَقْس الحرِّ . وكذلك في (قصر الباهية) ذي الحقائق الأنيقة ، بطرازها الاندلسيَّ الجميل المتع . في هُنيْن القصرين يعود المرء بخياله الى الاندلس ، ويعيش في جَوْ اندلسيَّ صرف ، ولكنَّه جَوْ اندلسيَّ حديث متجدد .

- ٤ -

مدينة فاس

يا فاسُ ، يا جَنَّةَ اِمالَ باسمُةٌ وجَنَّةَ المغربِ الأُمِّيِّ لِمَا رُحِبَا
ما زالَ جامِعُكَ المَعْمورُ مُفخَرَةً للضادِّ ، طَوَّقَ طَوَّقَ المِنَّةِ الحَقْبَا

(محمد الجبوري)

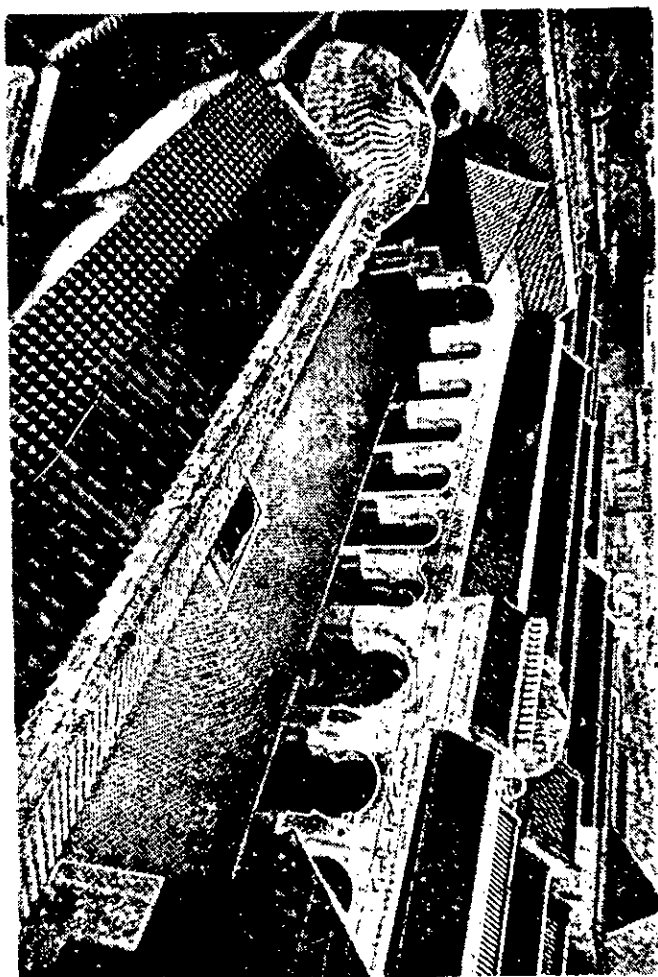
وتنطلق من مراکش مصعداً في الأطلس الأوسط نحو الشمال ، حتى تصلُ الى مدينتين عريقتين ، هما مكناس وفاس . ولكليهما تاريخ طويل مجيد من تاريخ المغرب السياسيِّ والفكريِّ ، وُصِّلَت مَتيْنَةٌ بالأندلس وعرب الأندلس في القديم ، ويفنون الأندلس في العصر الحاضر .

ولستُ أقف طويلا عند مدينة مكناس ، بل : اكتفي منها بذكر القليل من آثارها الباقية ، واهمُّها : قصر اسماعيل بن علي بن الشريف ، رأس الأسرة العلوية ، ومَسْجِدُهُ الأندلسيَّ الطراز ، ذو الألوان الجبيلة الشبيهة بالألوان قصر إشبيلية ؛ وكذلك المدرسة البوعنانية ؛ وهي احدى المدارس التي انشاها أبو عنان ابن أبي الحسن المرينيِّ . ويضاف اليها قصرُ الجامعيِّ ، الاندلسيُّ الجميل .

وأما مدينة فاس فيرجع تاريخ بنائها الى الملك ادريس الثاني ، ابن الامام ادريس الاول ؛ فهو الذي وضع حجر الاساس للمدينة في غرة

ربيع الاول عام ١٩٢ هـ ، الرابع من يناير ٨٠٨ م . ثم نُقل اليها عاصمة ملكه من مدينة (وِليلى) أو (فولوبوليس) التي كانت عاصمة ابيه . وسرعان ما توافد عليه العرب من إفريقية (تونس) ومن الأندلس : فجاءه خمسةة فارس من افريقية ، ومئات من الاسر

صحن جامع القرويين في فاس ، وبعض سقفه الزجاجية



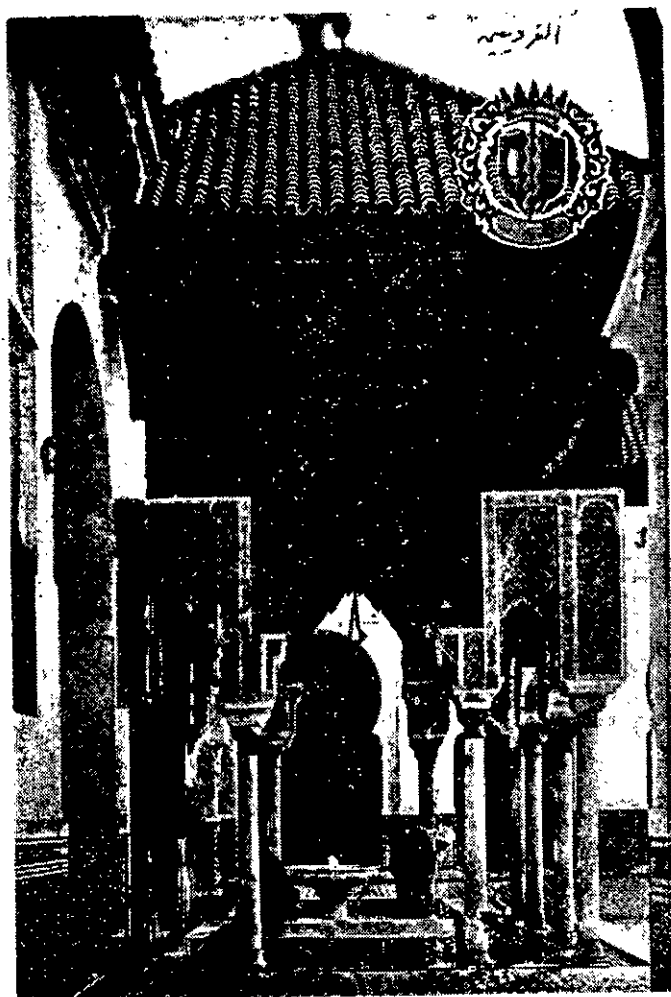
الأندلسية . فجعل المدينة قسمين ، دعا أحدهما (عدوة الأندلس) — وهي القسم الشرقي من المدينة — وأنزل فيه الأسر القادمة من الأندلس ، ودعا القسم الثاني (عدوة القرويين) — وهي القسم الغربي — وقد أخذ منه الملك ادريس مقرًا له .

وظلت فاس عاصمة الدولة الإدريسية ، التي قامت في المغرب
 على يد الإمام إدريس الأول ، بعد هربه من المشرق خوفا من بطش
 الرشيد به . غير أن البطش لحق به الى المغرب ، فمات مسموما في
 حاصمته (ولبلى) على يد الشماخ ، بتدبير من هرون الرشيد ووزيره
 جعفر البرمكي . ولما قامت دولة المرابطين في القرن الحادي عشر
 الميلادي ، الخامس الهجري ، انتقلت العاصمة من فاس الى مراكش ،
 التي بناها يوسف بن تاشفين . ولما جاء المرينيون في القرن السابع
 الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، نقلوا العاصمة من مراكش الى
 فاس من جديد ، وأضافوا الى المدينة قسما دعوه (فاس الجديدة)
 وأحاطوه بالأسوار ، كما كانت المدينة القديمة محاطة بالأسوار أيضا .
 ونقلت فاس عاصمة للمغرب بعد ذلك في عهد الوطاسيين ودولتهم
 القصيرة العمر ..

وكثر نزوح الأندلسيين الى فاس ، وقد حملوا معهم مظاهر
 حضارتهم وفنونهم ، فكان لذلك اثره الكبير جدًا في التقدم الفكري
 والحضاري الذي عرفته فاس . وممن وفدوا عليها ومارسوا علومهم
 وفنونهم فيها : الطبيب والعالم عبد الملك بن زهر ، والفيلسوف
 ابن رشد ، والوزير الشاعر لسان الدين بن الخطيب ، والكاظم
 جزي بن عبد الله الغرناطي ، والوزير الشاعر ابن زمرك ، وغيرهم ،
 وكلهم عملوا في المغرب في عهد المرابطين أو الموحيدين أو المرينيين .
 والمؤلم حقًا أن كل واحد من هؤلاء الأعلام قد رُمي بتهمة الإلحاد
 والزندقة ، وبعضهم مات حرقا ، أو مات مسموما . ولا يزال قبر
 لسان الدين بن الخطيب بارزًا أثره خارج أسوار مدينة فاس .

وما تذكر مدينة فاس إلا ذكر معها جامع القرويين ، وكان دائما
 في المغرب صنو الأزهر في مصر ، وفيه تخرج كبار علماء البلاد المغربية
 على توالي العصور الى يومنا هذا . وقد تحول اليوم الى جامعة
 عصرية . وهذا الجامع أنشأته في القرن الثالث الهجري ، التاسع
 الميلادي ، السيدة فاطمة أم البنين الفهريّة ، من مهاجرات القيروان .

ولم يلبث الجامع ان اصبحت جامعة ، هي اقدم جامعات العالم على الاطلاق ، واصبح مصدر إشعاع فكري إسلامي غمر بلدان المغرب والأندلس ، وتوافد عليه العلماء وطلاب العلم من كل صوب . وجامع القرويين صارت فاس عاصمة المغرب العلمية الى اليوم . وهو اول



مبىضة جامع القرويين في فاس

جامع تقيمه سيّدة مسلمة في العالم الاسلامي كلّه ؛ وكلّ الدول التي تعاقبت على حكم المغرب منذ ذلك الحين كانت تتبارى في دعم القرويين ، وإغداق المال عليه ، وإجراء التوسّعات التي يتطلبها ، وتوفير العلماء له ، (والمدارس) العديدة لايواء طلابه وتدريبهم .

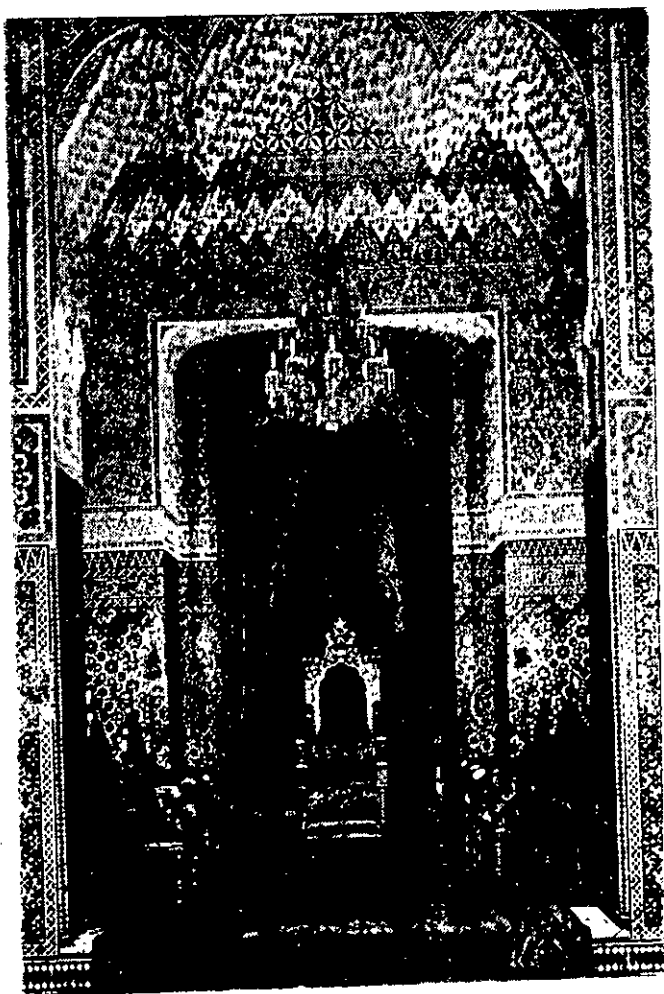
أما اثر الاندلس في القرويين فنُطالعه في كل مكان من هذا للجامع العريق : ففي المحراب نرى الطراز الاندلسي يزخره زخرفة بديعة ؛ وفي صحن الجامع نُدْهِشُنا قِطْعُ الزليج — او الخزف الصغير الملوّن — البديعة الألوان تغطي الأرضية كلها ، وتزخر الميضأة الجميلة ، والجدران جميعها . ومن فوق زليج الجدران والأرضية تتدلى المقرّصات والنقوش الجصّية والخشبيّة المدهشة ، تفتّت فيها ايدي الصنّاع الفاسّتين الذين اخذوها في الأصل عن الاندلسيين ، ومضت تبدع فيها ما شاء لها الابداع . وعلى طرفي الصحن تقوم ظلّتان — سقيفتان — جميلتان ، تزيّنهما السقوف الخشبية البديعة في نصفهما الأعلى ، والأعمدة الرقيقة الدقيقة من اسفلها ، والزليج الأخضر البهيج في سطوحها . وعلى الجدران قِطْعٌ صغيرة من الفسيفساء الزليجية البهية الألوان .

وعلى مقربة من الجامع عدّة مدارس قديمة ، اندلسية الطراز ، نذكر منها : البوعنانية ، ومدرسة النجارين ، والعطارين ، والصقارين ؛ وهذه كلّها من المعهد الرئيسي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . وهناك ايضا مدرسة الشراطين ، وهي من عهد الأسرة الملوّية . وكل هذه المدارس وسواها من المدارس القديمة في مختلف مدن المغرب هي من طراز المدارس التي نشأت في الأندلس من قبل ، والتي جعلت من الأندلس منارة علم وحضارة قبل أن تقوم النهضة الحديثة في أوروبا .

وتتجلى الصناعة الأندلسية في كل مكان من مدينة فاس : في المساجد ، والزوايا ، وفي المدارس ، والأضرحة . ومن أهمّ الزوايا في فاس زاوية مولاي إدريس ، مؤسس المدينة ؛ ويتبدّى جمالها في زليج سطوحها وأفاريزها ، وزخارف جدرانها وأرضيتها .

غير أن أحدث الاعمال الزخرفية الجميلة المتطورة يبهّر الزائر في (فندق قصر الجامعي) ، وهو فندق كبير حديث ، نصفه كان قصرا قديما من القرن التاسع عشر لأحد كبار اغنياء المغرب ليدعى (الجامعي)

— وله تصور أخرى في مكتاس وبعض المدن المغربية الأخرى — ثم
اضيفت إليه أجنحة حديثة ، واستُغِلَّت حدائقه الفسيحة ، وَزِيَّنَ
بالتقوش والزخارف الأندلسية المحدثّة ، فجاء قطعة مدهشة من جنة



قاعة العرش في القصر الملكي في تطوان

الأندلس ، يُعَمَّرُ مثلها في تصور غرناطة وإشبيلية ؛ وفي فسحاته
الواسعة ، حَوْلَ بركة الماء الكبيرة في حدائقه ، تُقام حفلات الغناء
والرقص والموسيقى الأندلسية ، فيعيش الساهرون في جوٍّ أندلسيٍّ
خالص ، وفي مُتعةٍ للعين والنفْس لذيدةٍ حاملة .

لقد امتزج تاريخُ فاس : تاريخ الأندلس في أشياء كثيرة : امتزج بالأسر الأندلسية العديدة التي نَزَّحت الى المدينة منذ انشائها ؛ وامتزج بفنون الهندسة المعمارية والنقش والزخرفة ؛ وامتزج في رحاب جامع القرويين ، أساتذة وطلّاباً وزوّاراً ؛ وامتزج في قصور الملوك والحُكّام بمن وفد عليهم من أعلام الأدب والشعر والفقه والعلم من الأندلسيين ، ولا سيما في عهد المرينيين وسُلطانهم الأشهر أبي عنان . وقد ذُكرنا في ما تقدّم اسماً بعض هؤلاء الأعلام .

وهناك مظاهر أخرى كثيرة من امتزاج الأندلس بمدينة فاس ، نجدُ بعضها في الطُرُقَات الضيّقة التي تسير في وسط المتاجر المصطفة على الجانبين، لتُبرزَ أعمال النّساجين والصّاعة والصّنّاع الفاسيين البارة الجميلة . ونجدُ بعضها كذلك في طراز الأسوار ذات النّتوءات المديّنة .

والواقع أن مدينة فاس من أكثر المدن المغربية تأثراً بالأندلس وبفنون الأندلس ، ومن أكثرها احتضانا لفنون النقش والزخرفة والبناء الأندلسية .

- ٥ -

تَطْوَان

تقوم مدينة تطوان — أو المدينة البيضاء ، كما تدعى أيضا — على سفح تل (تَرْسَة) الى الجنوب من سَبْطة . ومن حَوْلها يُسقي وادي الحلو — ويدعى أيضا وادي مَرْتَل — بساتينها الجميلة المحيطة بها . وقد بَنَى هذه المدينة المهاجرون الذين جاؤا من غرناطة في أيامها الاخيرة ، وعلى رأسهم أبو الحسن المنظري . ثم لَحِقَ بهم غيرُهم ممن اضْطَرّوا الى النزوح عن الأندلس . وقد حافظت هذه الأسر النازحة على أسلوب حياتها الأندلسية ، بحيث يُخيّل اليك ، وأنت تدخل الى تطوان ، انك تدخل الى مدينة أندلسية . والواقع أنني هناك رَجَعْتُ بي الخيال الى مدينة (رُنْدَة) في الجنوب الأندلسي ، بشكل خاص ، وشِعَرْتُ بأنني قد عُدْتُ اليها من جديد — وكان عهدي بزيارة رُنْدَة قريبا .

وتطوان هي العاصمة العلميّة في الشمال المغربي ، واللغة
الاجنبية التي يتكلم بها التطوانيون هي الاسبانية ، وبيوتها تُعكس
جمال الطراز العمراني والهنديّ الأندلسيّ .

جوقة موسيقى أندلسية في قصر البريشة في تطوان



وقبل أن امضي في الحديث على المدينة وطابعها الأندلسي ، أودّ
أن أذكر أنني حرصتُ هناك على زيارة مؤرخ تطوان وشيخ علمائها ،
الاستاذ الحاج محمد داود ، صاحب (تاريخ تطوان) ، الذي يقع في
أربعة عشر مجلدا ضخما ، سِتّة منها مطبوعة ، والثمانية الأخرى

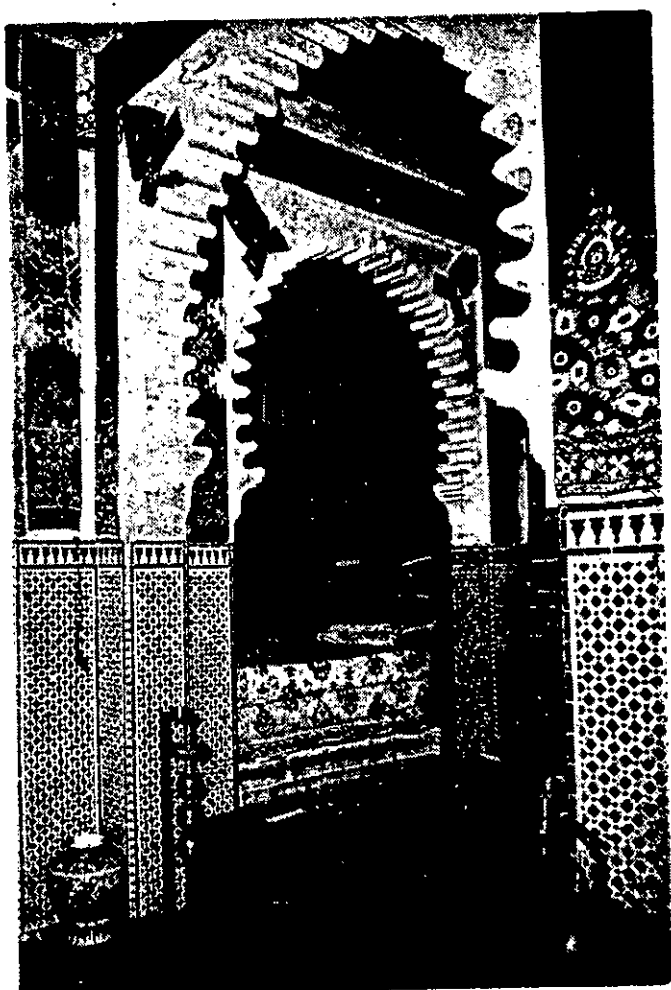
تنتظر الطبع ، يُضاف اليها اربعة مجلدات ضخمة اخرى بعنوان (عائلات تطوان) ، مما يصل بتاريخ تطوان الى ثمانية عشر مجلداً ، اطلعتني عليها الأستاذ محمد داود في تلك الزيارة .

ان روح الاندلس ما تزال تعيش مع الحاج محمد داود ، متحدرة اليه من اجداده الذين نزحوا عن غرناطة . ومُنزلُه قطعة فنية من الأندلس : بتنظيم الهندسي ، وبنقوشه وزخارفه ، وأُرشه وأثاثه ، وجدرانهِ وسقفهِ ؛ ولأول مرة ، وفي منزل الحاج محمد داود ، رأيت طراز المخادع الاندلسية ، بالسريـر العالي ، والسائر المصنوعة من الدِمْقُس الأصلي الجميل ، ورأيت كيف يكون (البيت الأندلسي) بفراشه على سطح مرتفعة عن الأرض ، وبمسارده المستديرة الطويلة المغطاة بقماش حريري زاهي الالوان . كل ما في منزل الحاج محمد داود ينقلك الى الأندلس ، فتعيش مع التاريخ الزاهي العزيز الذي مضى .

ومثل منزل الحاج محمد داود كذلك منازل عديدة اخرى ، أهلها كلهم من أبناء المهاجرين الأندلسيين ، ولم يستطيعوا التخلي عن أسلوب الحياة الاندلسية . وقد زرت من هذه المنازل منزل عبد السلام الصقار ، مدير مدرسة الفضيلة للبنات ، كما زرت مدرسته ايضا ، فرأيت في كليهما ما يبهج النفس والنظر من روعة الطراز الأندلسي في كل شيء .

حتى الساحات والحدائق العامة في وسط المدينة ، من مثل ساحة الحسن الثاني ، وحديقة (روضة العشاق) ، هي ايضا قطع من جنان الأندلس وساحاته العربية القديمة . وحين تدخل الى حديقة (روضة العشاق) تجد في وسطها ظلة — سقفة — جميلة لجلوس المنتزهين ، سطحها من الزليج الجميل الملوف جيداً في الأندلس والمغرب . وعلى مقربة منها بركة صغيرة مستطيلة ، على جانبيها نوافير رشيقة تنفث اقواسا من الماء الى وسط البركة ، فيعود بسك الخيال الى (بركة الساقية) في قصر جنة العريف ، في غرناطة .

وساحة الحسن الثاني في وسط المدينة ، تتوسطها ظلّة انيقة
كذلك ، تقوم على اعمدة دقيقة ، تُذكر الزائر بدقتها ، ولطفها ، وجمال
هندستها ، وزليجها ، وزخارف ارضيتها ، بكثير مما يُعرف في الأندلس .
الأعمدة الرهيفة الجميلة ، بشكل خاص ، تُذكرني بأعمدة جامع قرطبة ،
وقصر الزهراء ، وقصر الحمراء في غرناطة .



مُخدع أندلسي في المغرب

ثم تنتقل من الساحة الى القصر الملكي المجاور لها ، وهناك
يتجلى الفنّ المعماري المنقول عن الأندلس ، والزخارف والنقوش

والمقريصات الأندلسية : بأشكال لا تشبّع العين من تأملها ، ولا النفس من الاستمتاع بسحرها الدائم . وهذا الجمال هو بعضُ التّفنّ البارِع المدهش الذي يتنافس فيه الصّناع التّطوانيون والصّناع الفاسيّون بشكل خاص ، ويحاول كلّ منهم أن يتفوّق فيه على زميله .

هذا القصر الملكي بُني سنة ١٦٠٠ م . ، القرن العاشر الهجري ؛ بناه القائد أحمد الريفي ، خليفة الملك سليمان العلويّ في الشمال الغربي ، ثم أُدخلت عليه مع تعاقب الأجيال ترميمات وإصلاحات عديدة ، نجّد تواريخها مدوّنة على جانب باب القاعة الكبرى ، في الطابق العلويّ ، وأما الهندسة الأصليّة فلم يطرأ عليها أيّ تغيير . وقد علّمت من وكيل القصر ، الذي رافقني في جولتي هناك ، أن الصناعة الجبصيّة في القصر ، ينقوشها المقرّبة الجميلة الأنيقة ، هي صناعة فاسيّة ، وأما الزليج الصغير البديع الألوان ممزيج من صناعة تطوان وصناعة فاس ، وأما المقريصات الخشبيّة وكلّ النقوش الخشبيّة فصناعة تطوانية . والفرق بين صناعة تطوان وصناعة فاس في أعمال الزليج الصغيرة — كما قال لي وكيل القصر — هو أنّ الصّناع الفاسيّين يصنعون الشكل الكامل قطعاً واحدة ويشوونه في النار ، وأما التطوانيون فيقطعونه قطعاً صغيرة ثم يشوونها ، وبعد ذلك يلصقونها على الجدار قطعة قطعة . وكان الصانع التطواني الأوّل الذي صنّع نقوش القصر يدعى (المعلم أحمد البوري) .

وتنقل من القصر الملكي في طريق ضيّقة نازلة متعرّجة — هي طريق أندلسيّة صرف — لتصل إلى قصر آخر عظيم الفخامة في طرازه الأندلسيّ . ذلك هو (قصر البريشة) ؛ وهو جناحان كبيران ، عاليا السقوف ، أحدهما مخصّص لبيع المصنوعات الجليديّة والمنسوجات المغربيّة المشهورة في جمالها ، والثاني سياحي : تدخّل من الباب مُتّجاً بمنظر قد لا تتّسع عليه العين في أيّ مكان آخر : بهو عريض فسيح الجوانب ، وفي وسطه بركة ماء صغيرة جميلة ، يُنفرُ الماء من نافورة فيها ؛ ومن حول البركة جوقة رجال ونساء بملابس أندلسيّة

مزرکشة ، وفي أيديهم آلات طرب أندلسية . وما إن يجسّوا بوقع خطاك عند الباب حتى يأخذوا في العزف والغناء ، وترقص في وسطهم الراقصات الجميلات ، وكلّ ذلك بفن أندلسي جميل أخاذ . وعلى جوانب البهو العريض مقاعد منخفضة لجلوس السوّار والسّباح للاستمتاع بالرقص والغناء وبالموسيقى الأندلسية .

هذا القصر أقامه سنة ١٨٩٧ الحاج عبد الكريم البريشة ، وكان سفيرا ووزيرا وثريا كبيرا ، تولى مناصب رفيعة في تطوان وفاس والبيضاء في عهد الملك الحسن الأول والملك عبد العزيز ؛ ويُقال إنه بنى قصرًا آخر مثله كذلك ، وجعل القصرين لبنتيه . وهذا القصر مُتعة للعين والنفس ، بما فيه من جمال النقوش والزخارف الأندلسية .

والجدير بالذكر أنّ في تطوان وغيرها من مدن المغرب مدارس خاصة ، يدعونها (دور الصناعة) تُدرّس فيها فنون النقش والمقرصات والترصيع الأندلسية ، لتُطلَّ حيّة متطورة باستمرار . وقد دخلت دار الصناعة في تطوان ، وتجوّلت في أرجائها ، فادهشتني الصناعات الأندلسية الجميلة التي يصنعها المتدربون هناك ، حتى إذا ما وصلت إلى القاعة الأندلسية في الطابق العلوي ، وقفت ذاهلا أمام الجمال الباهر المتجلّي في الجدران والسقف ، وفي قطع الأثاث الخشبية البديعة الصنع .

إنّ كلّ شيء في تطوان ، حتى مداخل البيوت ، يوحي اليك بأنك في قطعة من الأندلس العربية في أزهى عصورها .



وآتي الآن إلى الختام من هذه الجولة السريعة ، لأقول إنّ ما قدّمته في هذه الدراسة الموجزة ليس سوى خلاصة للانطباعات التي عُدّت بها من جُولتي في مدن المغرب . ولكنّ الواقع الذي شاهدته ، وعِشّته ثلاثة أسابيع هناك ، يظلُّ أكبر من الكلمات ، وهو جدير بمزيد من التفاصيل ، وجدير كذلك بمزيد من الصُّور ، لتُقرَّب الوصف من الحقيقة .

لقد زُرْتُ الأندلسَ مُرَّتَيْنِ قَبْلَ زِيَارَةِ المَغْرِبِ : كانت الأولى سنة ١٩٦٧ ، والثانية سنة ١٩٧٤ . وكانت الزيارتان للدراسة الفاحصة المتأنية ، لا لِجَرْدِ السَّيَاحَةِ والنَّزْهَةِ . وقد امتلأتُ نفسي بها شاهدتُ هناك من روائع آثار الحضارة العربية الإسلامية الباقية إلى اليوم .

وحيث زُرْتُ المَغْرِبَ عام ١٩٧٤ — بعد زيارتي الثانية للأندلس مباشرة — احسستُ بأن هذه الزَّيَارَةَ كانت ضروريةً لكي تُكْمَلَ بها دراستي للأندلس : ذلك لأنَّ بين البلدين ، إلى جانب التاريخ الطويل المشترك ، حضارةً مشتركةً باقيةً ، ولأنَّ المَغْرِبَ اليوم امتدادٌ رائع للأندلس ، وتاريخه ، وحضارته ، وفنونه .

حول تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوجيا

للدكتور أحمد سعدان

لا غرو ان دعوات كثيرة قد انطلقت، وما تزال تنطلق ، من افراد وهيئات ومؤتمرات ، تدعو الى تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوجيا، وان هنالك افراداً وجماعات يضيّقون ذرعاً بهذه الدعوات، فيعارضونها ويطرحون في الممارسة حججاً وآراء جدية بالتأمل والتفكير . وان دعوات الداعين ونواهي الناهين تصطبغ أحياناً بصبغة انشائية خطابية او عاطفية انفعالية تنأى بها عن رزانة القرار الحكيم المسؤول؛ وهي تكاد دائماً تصدر من منطلقات متعددة متباينة ؛ فهي تارةً قومية وطنية ، وتارةً فقهية لغوية ، وهي أحياناً تاريخية او اجتماعية ، وكثيراً ما تتعارض او تتشابك او تتناقض، حتى لتكاد تضيع الحجة، وتحتجب الشجيرة بأغصانها ، كما يقولون .

واني لأهمّ ان أقول راني عازم على ان اتحو في عرض القضية منحنى موضوعياً، لولا اني اجد في من تعرّضوا للقضية من يستهلّون البحث بزعم كهذا، ثم هم يُغرقون السامع او القارئ في متاهات من مغالطات ومتناقضات كغريق يضرب على غير هدى، او يدور في دوامة .

وكيلا اضرب على غير هدى او ادور في دوامة ساجنح الى النهج العلمي، فاحاول تحليل الموضوع الى عناصر متميزة بعضها عن بعض ، ثم القي نظرة على هذه العناصر متفرقة ، لأخلص من ذلك الى موازنة عامة، فيها حساب الريح والخسارة، وكشف الحساب، وفيها خطة واقتراح وبناء .

ولو كان ما نجابه عبارة جبرية أو مركباً كيميائياً لوجدنا على الغالب نهجاً تقليدياً لتحليله الى عناصر متميزة ؛ ولكننا نجابه قضية تعيش معنا وتنطوي على واقع مائل امامنا، يقوم على جذور ضاربة في اعماق تاريخنا، ويمتد الى كثير من خططنا وتطلعاتنا . فليس ثمة، على ما اعلم، نهج لتحليله الى عناصر سوى إناعام النظر فيه من زوايا مختلفة محدّدة .

الزاوية التربوية :

وأولى الزوايا المحدّدة التي منها أنظر في الأمر هي الزاوية التربوية، التي قلّما أولاها من تعرّضوا للأمر ما ينبغي من عناية واهتمام .

إنّ عملية التعليم عملية تربوية ؛ فطبيعيّ أن ننظر في تعريب التعليم من الزاوية التربوية المحضة. وتعريب التعليم يعني عندنا في الأردن تعريب التعليم الجامعي، وينصبّ على التعليم في الكليات العلمية. وهذا ما أحضر البحث هنا فيه، وإن كنت اعلم أنّ التعليم غير الجامعي يفتقر في اقطار أخرى عربية الى التعريب . وفي مستهلّ حديثنا عن تعريب التعليم في الكليات العلمية طبيعيّ أن نستفكر ماذا ينبغي من التعليم في هذه الكليات .

إنّ إعطاء الطالب معارف وخبرات تُمكنه من اجتياز امتحانات معيّنة، ومن ممارسة مهنة محدّدة يؤهّله تخصّصه لها، ليس وحده الهدف من التعليم الجامعي، اذ لعلّ ما في كتب محدودة قليلة العدد ما هو أكثر واولى ممّا يعطي المحضرون في الجامعة ؛ ولعلّ في خبرة هندسيّة يأخذها الطالب من بناء، او خبرة حسابيّة يفيدنها من مصرف ما، يربو على الخبرة المقتنّة التي تعطيها الأعمال المخبريّة الجامعيّة في اوضاع افتراضيّة مصطنعة .

ان الجامعة جَوّ أكاديميّ مثاليّ، يمارس فيه الطالب الحياة الموضوعيّة المنظّمة المضبّطة بحريّة راي، وحرية تصرّف في حدود الموضوعية والنظام والانضباط، وعلى نحو يستهدف أن ينمي الطالب

نفسه بناءً متكاملًا، تَبَرَّرَ فيه شخصيته، وتَلَمَّسَ به مواهبه الكامنة،
ويغدو به مواطنًا صالحًا، إيجابيًا غير سلبي، قابلاً للتفاعل مع مَنْ حوله
وممارسة القيادة والريادة، على خلفية من المميزات والقيم التي تسود
في المجتمع الذي سيعيش الطالب فيه .

في ضوء هذه الأهداف نسترجع للذاكرة واتسع الكليات العلمية
للمتواثرة، أو التي يُمكن أن تتوارى على أرضنا، فنُمثل أمامنا ثلاثة أنواع
من هذه الكليات :

أولا : كليات أجنبية اللغة والطابع، كالكليات الانكليزية والامريكية التي
نعرنها ؛ لغة التعليم والمعاملات والحديث فيها غير العربية ،
حتى يندر أن تجد فيها اثنين يتكلمان بالعربية .

يَدْخُلُها الطالب العربي فيصدمه فيها امران : لغة لا يُتقن
فهمها ولا التحدث بها ، وبيئة لا يالفها . فاذا هو تكيف مع البيئة
وعَجَلَ في اتقان اللغة، سارت معه الريح رخاءً، ومضت أموره
بأمان في جَوِّ أكاديمي مثالي خصب . أما اذا هو تَعَثَّرَ في هذا
أو ذاك، فقد ينقطع به الحبلُ في وَسَطِ الطريق؛ وقد يَبْلُغُ نهاية
الشوط خائرَ القوى مَقْطَعِ الأنفاس .

ونظلم هذه الكليات اذا لم نَعْتَرِفْ بأنها تُحَقِّقُ لابنائنا معظم
الأهداف التي استرجعناها فيما سبق .

ولكننا نظلم أنفسنا اذا لم نَعْتَرِفْ ايضا بأنها تُصَدِّرُ عن قيم
وأخلاقيات لا تنبعث من بيئتنا وجذورنا التاريخية، وأنها تُعَدُّ
الطالب لمجتمع غير المجتمع الذي سيعيش فيه .

لقد خَرَجَتْ لنا هذه الكليات نفرا من خيرة ابنائنا وقادة
الفكر فيها بيننا ؛ ولكنّها أجنبية ، فهي لغيرنا؛ ادارتها ليست
بيدنا، وسياساتها ليست من صُنْعنا. وان من حقنا ، كسائر شعوب
الارض ، أن يكون لنا جامعاتنا التي تُنشأ بماننا، ويديرها رجالنا،
ويملؤها ابنائنا، وترسّم سياستها في ضوء حاجتنا وخططنا
وتطلعاتنا .

انطلاقاً من هذه الحاجة ظَهَرَ بيننا النوعُ الثاني من الكليات، وهي :

ثانياً : كلياتٌ عربيةٌ الوجه واليد واللسان :

تد يدور في خلدنا أنَّ هذه الكليات تُحَقِّقُ كُلَّ مَا تُحَقِّقُهُ الكليات الأجنبية وتزيد على ذلك ، أولاً لأنَّ الطالب العربي أكثرُ استيعاباً للمعرفة بلغته، ومن ثَمَّ فهو أعمقُ فهمًا وأولى بالابداع، وثانياً لأنه لن يُضِيع وقتاً وجهداً في اتقان لغةٍ جديدةٍ؛ وثالثاً لأنَّ الكلية تُعِدُّه لمجتمعنا العربي، وتُنَشِّئُهُ على خُلُقِيَّةٍ مِنْ قِيَمِنَا وأَخْلَاقِنَا وبيئتنا وتراثنا .

ولكن الواقعُ غيَّرَ ما نتوقَّعُ ، لا في الكليات العلمية ولا في الكليات الانسانية أو غيرها من الكليات . ذلك ان العلم ينمو في هذا العصر على نحوٍ يوصَفُ بالتدفُّق أو التفجُّر ؛ ومع نموِّ العلم وتدفُّقه يمضي تطوُّرُ مناهجه بسرعةٍ فائقةٍ، حتى ايندر ان يعيش كتابٌ علمي صالحاً دون حاجة الى تعديل ، أكثر من خمس سنوات . وهو ينمو مادةً ومناهجٌ على أيدي غير عربيَّة، وتُعَبَّرُ من الجديد فيه والتجديدُ أُلْسِنَةُ غيرِ عربيةٍ ، في دوريات كثيرة أجنبية .

فالكليات العلمية التي جُمِلَتِ العربيَّةُ لغةُ التداول والتعليم، حَبَّتْ نَفْسَهَا عَنْ مَنَابِعِ العلم، ولذا ما لبثت ان وَقَفَتْ بمعزل عن تيار التطور، سواء في المادة العلمية والتعليمية ، ام في اساليب مُرَضِّها ، بل . في اجهزة البحث والتدريس . انَّ جُلَّ ما تنتجُه هذه الكليات إنما هو اجترار وتكرار .

هذا واقعٌ كُلُّ مَنْ يُدرك التطوُّرَ العلميَّ المعاصر لا يستطيع إنكاره ؛ ولقد قال قائلون جَدَلًا إِنَّ القِلَّةَ القليلة من خريجي هذه الكليات هي وحدها المؤهلة للاستزادة من العلم، وهي وحدها التي ستحتاج عندما تستزيد الى اتقان لغة أجنبية ، وعندها نُنْفَعُ بها الى موطن هذه اللغة . وهذا قولٌ يَنَمُّ على سطحية وسذاجة ؛ فالعلم الحديث ليس حُلِيَّةً يَحُلِّي بها من يقدر

او من يشاء، ولكنه حياة وطريقة حياة، تلمسها في البيت والمدرسة والمكتب والشارع وكل مكان، وينبغي أن تجدّها لدى المعلم والطالب على السواء . حتى الكليات الانسانية، التي مادتها عربية في كل شيء، قد تحجّرت لانها افتقرت الى المنهجية التي نلمسها واضحة في الكتب الأجنبية المتقدمة ، والتي بدونها قلما يكتمل بحث او تكتمل دراسة .

وهنا امران يتبرّم بهما جُلّ الحاديين على العربية، الداعين الى استعمالها في كلّ مراحل التعليم : أحدهما الحديث عن هذا التدفّق السريع في المادة العلمية واساليبها، وثانيهما هذه المنهجية التي ازعجنا اننا نفتقدها في الكتب العربية ؛ فقد يحسن الأمر بهما سراعا دون مزيد من التوضيح .

أما عن تزايد المعرفة، فيكفي أن نشير الى أن مؤسسة اليونسكو نشرت قبل حوالي عشر سنوات احصائية تشير الى أنّ مطابع العالم كُخرج في كلّ أربعين دقيقة من الكلام المطبوع ما لو جُمع في كتاب واحد لبلغ هذا الكتاب أربعة وعشرين مجلّدا ، كلّ منها بحجم المجلّد الواحد في الموسوعة البريطانية المعروفة ؛ وأنّ ما تُصدره هذه المطابع في اليوم الواحد ينطوي على أكثر من خمسين مصطلحا علميا جديدا، لم يكن له قبل يوم واحد وجود .

ولعلمي أن الناس يُنسَوْنَ، ادعو القارئ الى أن يتذكّر كيف كانت وسائل المواصلات، مثلاً قبل ثلاثين عاماً، وكيف هي اليوم . إنّ الذي مكّن لهذه الطفرة الواسعة إنما هو فيض من المنجزات العلمية والتكنولوجية، نُقلت العالم من عصر الكهرباء الى عصر الطاقة النووية والحاسبات الالكترونية وسباق الفضاء .

وهذه المنجزات لم تُحقّقها عقول عربية، ولم تُفصّلها لنا كتب عربية ، وهي المادة العلمية التي تُسرّ حياة العصر وتزحم مناهج الدراسة، وبتطوّرها تتغيّر الحياة، وتتبدّل المناهج. ونحن لا

نملك حياتها الا ان نقصف تلاميذ مستقبليين؛ هذا اذا اتيح لنا ان
نفتح النوافذ لاستقبالها ، فان لم نفعل فذلك هو التوقع الذي
لا يلبث ان ينجلي عن تخلف من فائته القطار .

هذه حقائق ، لا مبالغه فيها ولا سبيل الى تجاهلها او
انكارها ؛ وإن من الخير ان نضعها نصب أعيننا اذا كنا نتطلع
الى تخطيط محكم لمعال .

سيقول قائل : إن دخول العربية من الباب لا يعني هرب
الانكليزية، مثلاً، من الشباك . صحيح انه لا يعني ذلك ، فلا
لزوم لان تهرب اللغة الأجنبية لأنها لم توجد أصلاً ، الا اذا
حسبنا ان الفيزيائي الذي يقضي عمره يدرس الفيزياء في كتب
عربية يسهل عليه فهمها في مراجع اجنبية . كسلاً ، حتى لو كان
يتقن اللغة الأجنبية قراءة وحديثاً . ليس صحيحاً عندنا ان
العلم ليس له لغة؛ وإن خبرتنا في الجامعة الاردنية لدليل مائل
على ذلك .

اما المنهجية التي اشرت اليها فهي أسم آخر للطريقة العلمية
في البحث والاسلوب العلمي في عرض نتائج البحث .

المنهجية اخلاق ؛ انها موضوعية تتوخى البحث عن الحق وحده،
وتبحث عنه بلا هوى ولا نزق ولا انفعال، ثم تعرض الحق، ولا
شيء غيره ، بسلا تكلف ولا رياء ، ولا بهرجة ولا تلوين ، وباسلوب
يعطي الكلمة حجمها الطبيعي، فلا يصف بالعظمة الا من كان
له منها نصيب ، ولا يعد عظيمًا جدًا الا من كان نصيبه منها
واثراً ؛ المنهجية تعطي كل ذي حق حقه؛ لماذا عرض امرى نتيجة
بحثه، ذكر من ساروا في الدرب قبله، وايسن وصلوا، وماذا حققوا ،
ثم ماذا كان دوره هو، واتي جديد حقيق ؛ والمنهجية امانة ، امانة
تجاه الحقيقة، وتجاه القارىء والتاريخ .

ليس في المنهجية نفاق ولا أسلوب خطابي ولا ،بالغة ولا بهرجة كلام غير ذي مضمون ، وليس فيها تلوين للحق ولا تحريف له ولا افتراء عليه . وما أحوجنا الى هذا كله في ما نقرا وما نكتب .

ولم يسبق الغرب الى المنهجية : لقد بدأت بالاسلام في مصوره الأولى عندما كان رواة الحديث يشتدون الرحال، ويقطعون آلاف الفراسخ من أجل التأكد من نص ما نسب لراويها . ولكن المنهجية ضاعت في العصور الاسلامية المتأخرة ، ولقيها الغرب في أواخر القرن الماضي بعد معاناة طويلة شهد فيها كثيرا من الافتراء وكثيرا من الادعاء . وها نحن اليوم نجدُها في البحوث العلمية الغربية، وفي الكتب العلمية الاوروبية، وكثيرا ما نفتقدها في البحوث والدراسات العربية . لقد جمع بيرسون في فهرسه الاول كل ما نُشر في الدوريات من بحوث ودراسات حول الفكر الاسلامي، من مطلع هذا القرن الى سنة ١٩٥٥ (المجلد الاول) زهاء ٢٦ الف بحث، ليس بينها بالعربية بحث واحد تتوافر فيه عناصر المنهجية .

خوفا من التوقع، وحبا بالمنهجية، اختارت بعض الجامعات العربية نوعا ثالثا من الكليات العلمية، وهي :

ثالثا : كليات عربية انكليزية :

لغة الحياة والمعاملات في هذه الكليات هي العربية ، ولكن لغة المحاضرات والدرس والامتحان هي الانكليزية ، فالكتب المقررة والمراجع انكليزية، وعلى هذا فالباب مفتوح على مصراعيه لأحدث المناهج ، ولا خوف عندنا من توقع أو تحجّر .

بعض الناس يصعب عليهم ان يروا الواقع ، وبعضهم يصعب عليهم ان يعترفوا بما يرون، وهؤلاء جميعا قد يعتبون علي اذا قلتُ إِنَّ الطالب المتوسط عندنا يفقد لغته ولا يتقن الانكليزية ،

بالضبط كالغراب الذي قُلِدَ مشية غيره . اننا لم نضعه في جَوْ
يتعلّم فيه الانكليزية ، لا حديثا ولا كتابة ، وانما طالبناه ان يفهم
ما يقرأ وما يسمع . اما ما يقرأ فتلك مادة الكتب المقررة، يفاجأ
بها الطالب منذ اللحظة الاولى، فتحدث لديه رعشة وفي نفسه
مقعدة ، وقلما تزول تلك الرعشة، وقلما تحلّ تلك العقدة ؛ فلا
ينبغي ان نحسب أنه يفهم ما يقرأ فهما تامّا ، ولكنها صور
لذلك المقروء ترتسم في مخيلته، ومعها تصورات غائمة قلقة لا
تلبث ان تنمحى، فيغدو وكأنه لم يقرأ شيئا .

وأما ما يسمع الطالب في المحاضرات فقلما يكون انكليزيا،
وانما هو خليط من انكليزية سقيمة وعربية عامية، ومع ذلك ربّما
كان هذا الذي يسمعه هو وحده الذي يفيد منه الطالب في
جامعته اذا هو احسن الاستماع، او اذا احسن المعلم الاداء ؛
لأنّ طلابنا قلما يرجعون الى المراجع لأنهم لا يفهمونها ، وقلما
يحسنون استعمال كتبهم المقررة لانهم لم يهيّأوا لها ؛ وهم قلما
يناقشون في المادة العلمية لانهم لا يحسنون الحديث بالانكليزية ،
فما هي النتيجة ؟ ينضمّون الى تلك الاكثريّة الصامتة السلبية،
التي تُجهّد نفسها في تحصيل بعض الفهم تحصيلًا مؤقتًا من
اجل الامتحان، وينتهى بانتهائه .

جاءتني قبيل الامتحان طالبة في السنة الاولى في حالة
هستيرية تقول : كُلُّ مسائل PERCENTAGE هي طلاس
بالنسبة التي أهملنا فهمتها عمّا تبحث ؟ قلت : ألم تدرسي النسبة
المئوية في الصف التوجيهي ؟ قالت بلى ؛ قلت ذلك هو ما
تبحث فيه ؟

— صحيح ؟

— نعم

— اذن " PERCENT " معناها " في المائة " ؟

— بالضبط

— ما أغباني !

وفي الامتحان رأيت طالبا مضطربا يريد ان يستوضح معنى كلمة " Sphere ". وبعد الامتحان جاء الطالب يجادلني مؤكدا ان معلمه فسر الكلمة بمعنى "الجوّ" فلما أكّدت له ان الجوّ يقابلها بالانكليزية كلمة " Atmosphere " ، شعرت بالطالب كأنّ شبكة معقّدة قد انحلت أمام بصيرته .

سيقول قائل : هذا الذي تصفه حالاتٌ مريضة شاذة، تحدث في مرحلة مبكرة ولا تحدث فيما بعد ذلك، ولكنني اتنّى لو ان أحد المهتمّين بالامر كلّ مجموعة من الطلاب العلميين، في نهاية المرحلة او بعد التخرج، ان يكتبوا له أسطورا قليلة ، بالانكليزية او العربية، في موضوع ما يتعلق بتخصّصهم ؛ عندها سيجد عجبا . لي مع طالب منخناه الماجستير في الرياضيات قصة محببة ؛ هذا الطالب لا اذكر اسمه ولكنّي لا أنسى قصتي معه ؛ علّمته في كلّ سنة من سنوات دراسته للبكالوريوس، ولا اذكر انه في مرّة واحدة ناقش أو وقّف لالقاء سؤالٍ أو اقتراح حلّ . كان دائما مع الصامتين الذين يحسنون الاستماع ، فاذا جاء الامتحان يخلّق مع المتفوقين .

ومنح الطالب البكالوريوس بدرجة "جيد جدًا" ، وتقدم للماجستير، وكان من نصيبي ان اعطيه مساقا من هذا المستوى . وكان من واجباته في هذا المساق ان يعدّ تقريرا مكتوبا، وان يشرح مادته في الصفّ كيما نناقشه . وقد أكّدت على الطلاب ان يعدّ كلّ منهم تقريره بالعربية، كيما يجري النقاش بالعربية ؛ هذا بالرغم من ان المراجع كلّها بالانكليزية . لقد أردت ذلك لأحول بين الطلاب وبين النقل الحرفي من المراجع ؛ لقد أردت ان يكون لهم نور أكثر من مجرد التلخيص . ولقد قام الطلاب بهذه المحاولة، إلا أن تقاريرهم كانت كمحاضرات اسانذتهم، خليطا عجيبا من العربية والانكليزية ، الا هذا الطالب، فقبّل الموعد المحدّد لمناقشة تقريره، جاغني يرجو ان يقدّم تقريره بالانكليزية

لانه لا يستطيع نقله الى العربية . وحين اخذ الطالب يقرأ تقريره، مضى حوالي ربع ساعة حتى تأكد لدي أنه يتكلم حقاً بالانكليزية، كان تقريره على النحو الذي ألفناه من طلابنا : فقرات مقتبسة من المرجع او المراجع، ولكن الفاظ الطالب كانت عجيبة ، لا تمت الى أية لغة ؛ حتى تلك الالفاظ التي تتكرر في كل محاضرة في موضوع تخصصه ؛ لقد سمعها اكثر من مائة مرة من عدد من الحاضرين ، ولكن لم يتقن لفظها، بلفظها بطريقة مضحكة تبعث في النفس السخرية ؛ والتفسير واضح : لقد كان الطالب يحضر المحاضرات ويصغي ، ولكن فكره كان مشغولاً، كان يعمل على ان يحفظ صور المادة التي يجدها في الكتاب، فيعيد رسمها على نحو ما في الامتحان ؛ ولو كان اعمق من ذلك فمهملنا عجز من نقل المعاني الى لغته .

والنتيجة واضحة، أننا لم نخرج فيه طالبا يستطيع ان يكون مواظنا صالحا، يفيد مجتمعه بعلمه وتخصصه ، لا بالعربية ولا بالانكليزية ولا بخليط من اللغتين ، ولا خريجاً يمكن في أي مجتمع ان يعطى عن جامعتهم فكرة طيبة . وما اكثر الدلائل على ان الغلة من خريجينا هم احسن حالا من هذا الطالب .

إنني أقدرُ لزملائي في الكليات العلمية جهودهم، ولا يدور في خلدي لحظة أن أنتقص من هذه الجهود وهذا الجهاد ؛ ولكن النقد الذاتي دليل عافية، والاعتراف بالواقع علامة قوة، والتطلع الى الأحسن والعمل من أجله بشر صحة، وإن من القوة والصحة والعافية ان نراجع مواقفنا، ونبتين مواقع اقدامنا .

ما العمل ؟

تقتصر الكليات العربية والانكليزية عن تأدية رسالتها كما ينبغي، لانها لا تهتئ الطالب للفهم والتفاعل مع العلم الذي يتعلمه، بحيث يصير هذا العلم جزءاً من شخصيته وكيانه وحياته ؛ فلي كنهها يعيش

الطالب بشخصيتين : شخصية عربية حياتها ومعاملاتها بالعربية ، ولكن لا يتعلم بهذه اللغة، ومن ثمَّ فعلمه ليس عاملاً على تهذيب لغة حياته ومعاملاته ؛ وشخصية محيرة تحاول ان تتعلم بالانجليزية وهي لا تفهمها، وتحاول ان تُعبّر عن علمها بهذه اللغة فتتعثّر . انها ازدواجية ذات وجهين : وجه ساذج لا يوجد ما يصقله، ووجه متخاذل لا يجد ما يبعث فيه نفحة من ثقة أو قبسا من قوّة .

وتتصرّ الكليات العربية المحضة عن تأدية رسالتها كما ينبغي، لانها بمعزل عن ينباع العلم . كان ينبغي ان يرافقتها جهداً دائباً لتعريب العلم ؛ اي تكوين اجهزة تعمل باستمرار لنقل الفكر العلمي الى العربية ، كُتباً ومراجع ودوريات. وهذا يقضي بإقامة مؤسسات للترجمة والتعريب، تقوم بجانب المؤسسات الاكاديمية التي تُعنى بتخريج المتخصصين، سواء في العلم أو في التكنولوجيا ، حتى يستطيع الطالب والمعلم على السواء ان يصلا الى ينباع المعرفة بلفتهم انى شاعوا .

ولكن اقامة مؤسسات الترجمة التي تُمدّنا بما نحتاج اليه من كتب ومراجع ودوريات مترجمة ومعربة، مشروع يقتضي عملاً دائماً غير منقطع، لن يؤتي أكله على نحو مرضٍ في أقل من نصف قرن . فهل ننظر خمسين عاماً حتى تتكاثر لدينا الكتب المترجمة في شتى فروع العلم، ثم نبدا بتأدية رسالتنا ؟ لا ، فهناك بالتأكيد حلّ وسط يُغني قبل تعريب العلم، ويمهّد لتعريبه .

يقتضي هذا الحل الوسط ان يجري التعليم في الكليات العلمية على نحو كالآتي :

١ - في السنة الأولى الاكاديمية يتلقّى الطالب علومه الانسانية بالعربية وباستعمال كتب مترجمة ، أو غير مترجمة ، ويأخذ في كلّ فصل دراسي مساقاً في اللغة الانكليزية ، يُعرّفه بالمصطلحات العلمية، ويزيده في هذه اللغة قوّة .

٢ - في السنة الثانية يبدأ تخصص الطالب، وفيها يتلقى علومه بالعربية، الا مساقا واحدا في كل فصل يتعلمه بالانكليزية ، من موضوعات تخصصه .

٣ - في السنتين التاليتين يجري تعليم الطالب بالعربية، مع التأكيد على استعمال مراجع اجنبية ؛ على ان ياخذ في كل فصل مساقا واحدا على الأتمل من موضوعات تخصصه بالانكليزية . وينظم استعمال الطالب للمراجع الأجنبية بحيث يغدو الرجوع اليها من مستلزمات تخرجه .

إذا جرى في الوقت نفسه ترجمة الكتب العلمية بنشاط ،
أمكن تحقيق الهدف المنشود في وقت غير طويل .

اننا نعتقد ان مثل هذا الحل الوسط أكثر فائدة للطالب العربي مما تنتجه الكليات العربية المحضة، والكليات العربية الانكليزية ؛ وهو بالتأكيد أقل خطرا . انه يضمن تقوية الطالب باللغة الانكليزية ، ثم هو نهج مرّن قابل للتعديل، ولعل مما يلزمنا في هذه المرحلة من حياتنا ان نقوّي الطالب في لغتين، لا واحدة، بالاضافة الى اللغة الام .

الزاوية اللغوية :

أما وقد بان من الزاوية التربوية اي نهج ينبغي ان نسلك، فذلك هو القول الفصل .

ولكن هنالك من يتساءلون : أأستطيع العربية ان أستمع لفنة العلم والتكنولوجيا ؟

هل اللغة تخلق الفكر ام الفكر يخلق اللغة ؟

وهناك من يجيبون، مبتدئون عن مرونة العربية واشتقاقيتها، ومن تجربتها السابقة. وفي طيات هذا الحديث وذاك ترد أقوال هي مثار جدل ونقطة حوار . وهذه كلها في تقديري معارك جانبية لا تضر

ولا تنفع ، فلكل لغة خصائصها وعبريتها ؛ ونحن نعرف من خصائص اللغة العربية وطواغيتها للفكرة الدقيقة ما قد يتسع فيه مجال الحديث ، ونخرج به عما نستهدفه من هذه الكلمات .

ولكن الخبرة الماثلة امامنا تشير الى ان لغات نجبت من لا شيء ، وأريد لها ان تنشأ وليس لها من الخصائص شيء ؛ ثم هي بإرادة أهلها استوعبت لغة العلم والتكنولوجيا ، لم تضق بها ولم تخنقها .

ان مئات الأقطار في الشرق والغرب تعلّم بلغاتها، وتسهم في خدمة العلم على قدر طاقتها، وتحرز انجازات ؛ وأكثر هذه الاقطار لم تكن لغاتها ولا طاقاتها حتى وقت قريب ذات وزن في المقاييس العالمية .

ومن التساؤلات التي تثار : هل نترجم أم نعرب ؟

قد لا يكون هنالك قاعدة ذهبية علّمة أولى من قاعدة وضعها المجمع اللغوي في القاهرة، اذ قال : الاصطلاح العالمي نُعَرَّبُهُ ، اما غير العالمي فنبحث له عن لفظ عربي .

وقد اعتبروا الاصطلاح عالمياً اذا كان يُستعمل في الانكليزية والفرنسية والالمانية .

على ان الاستعمال هو وحده الحكم في هذه الامور؛ فقد يشيع بالاستعمال لفظ اجنبي، ويسقط لفظ عربي ؛ وذلك كله حسب ذوق الناس واستحسانهم اللفظ او استجاباتهم له .

يبقى امر لا بد من ذكره لمن يتسألون : هل تتسع العربية لغة للعلم ، وامام من يجيئون تغزلاً بخصائصها .

تقدر الكلمات المختلفة التي استعمالها شكسبير في مسرحياته بنحو ١٤ ألف كلمة ؛ وعلى هذا نستطيع ان نفترض ان تلك هي سعة اللغة الانكليزية في ايام شكسبير ، عندما كانت خلواً من الالفاظ العلمية، لان لغة العلم في البلاد الاوروبية كانت ما تزال هي اللاتينية .

أما الآن فقد أُحْدِثَتِ المصطلحاتُ الإنكليزية التي تُستعمل في حقل الطبِّ العام وحده، دون فروع التخصص، فبلغت ٧٤ ألفاً .

ماذا يعني ذلك ؟ اذ نحسب أن اللغة الإنكليزية قد اتسعت حتى بلغت المصطلحات العلمية فيها مئات الآلاف، تسترعى انتباهنا احصائية أخرى تشير إلى أنَّ معظم هذه المصطلحات هي نفسها في الفرنسية والألمانية . وإنَّ لغات البلاد المتقدمة قد تفتحت بعضها على بعض، وتعاونت معاً في استيعاب الأفكار العلمية .

إن العلم ينمو بأسرع ممَّا تنمو اللغة ، بل بأسرع من خيال الشعراء ؛ وإنَّ كلَّ لغة لتضيق عن استيعاب العلم أو مجاراته . ولهذا تلهث اللغات وراء العلم، ويضيق العلماء بلهائهما فيلجأون إلى الرمزية يعبرون بها عن أفكارهم .

أما رجال اللغة فيأخذ بعضهم من بعض دون تحرُّج، وهم يعتزُّون بما يأخذون ويعُدُّونه إثراءً للغة .

واني أتمنى لو نُنسج نحن على هذا المنوال، فنأخذ عن اللغات دون تحرُّج الفاظاً وطُرُق تعبير، ونُعَدُّ ذلك إثراءً للعربية نعتزُّ به ؛ وذلك كيما نواكب التقدم العلمي، ونُساير الركب، ونعترف عملياً وواقعياً بأن اللغة كيان متطور .

هذا ما صنَّعه أجدادنا عندما قاموا بنقل الفكر العالمي إلى العربية، وإذا يضيرنا أن تأخذ العربية من السدم العالمي الحديث كما أخذت في الماضي من الدماء الفارسيَّة والهنديَّة والإغريقيَّة ؟

الزاوية القوميَّة الوطنيَّة :

إذا شئنا أن نتناول الموضوع من كلِّ جوانبه ، فلا بدَّ من النظر فيه من الزاوية القوميَّة والوطنية . وهنا يتَّسع مجال الحديث ؛ محامِلو لواء القوميَّة والوطنية يقولون إنَّ لغتنا هي هويتنا، وهي مرآة شخصيتنا العريقة المميَّزة ، ثم إنَّ الإسلام والعربية هما اللذان يحفظان للأمة وحدتها، رغم ظواهر التفرق والتشرذم التي تنجم

لأسباب سياسية . وعلى هذا فهم يرون أن تعريب التعليم واجب قومي وطني، به نحافظ على هويتنا وشخصيتنا، وبه نقوي روابط وحدتنا .

ولكن من الناس من يجادلون، فيُشِرون إلى بلاد متفرقة رغم أنها تتكلم لغة واحدة، ويشيرون إلى بلاد مُتَّحِدَة رغم أن فيها لغتين رسميتين .

وفي تقديرنا أن الخوض في هذين الرأيين، وتفاصيل ما لهما وما عليهما، يخرج بنا عن موضوع التعريب .

وفي يقيني أنه لو وقَّف كلُّ أصحاب الرأي ضدَّ العمل من أجل وحدتنا وتوحيدها، لوجب ألا يعوق ذلك العمل من أجل الوحدة، لأن بها بقاها وتكاملنا وقوتنا .

ولكنَّ لذلك حديثا آخر .

نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه

المستشرق الفرنسي الأستاذ جوارثو
استاذ لغة العربية في السوربون - باريس

لا شك أن النظام النحوي في كل لغة له أهمية كبرى ، لأن النظام النحوي يعبر عن بُنية اللغة ويصوغ فكر الناطقين بها ؛ ويُمكننا القول إن النظام النحوي العربي يحتلّ محلاً بارزاً بين النظم النحوية الكبرى الموجودة في العالم ، من أجل موقعه المتوسط بين النظام اليوناني ، في الغرب ، والنظام الهندي ، في الشرق ؛ فكان من الطبيعي أن يلتفت المستشرقون أنظارهم إليه ، ليدرسوا نشأته وتطوّره .

إن المستشرق الألماني Merx ، الذي نشر في منتهى القرن التاسع عشر كتاباً عنوانه « تاريخ صناعة النحو عند السريان » ، هو الذي زعم لأول مرة أن المنطق اليوناني أثر في النحو العربي ، لأن الثاني قد اقتبس من الأول بضعة من المفاهيم والمصطلحات . ثم نرى معظم المستشرقين قد اتخذوا هذا الرأي بدون تحفظ ؛ فقال المستشرق الفرنسي Fleisch في كتاب ألفه في علم اللغة : « أنه من الواجب أن نشير إلى تأثير يوناني في النحو العربي ، فقد اقتبس الفكر النحوي العربي مفاهيم أصلية من العلم اليوناني ، لا من النحو اليوناني ، ولكن من منطق أرسطو » .

غير أن المستشرق الإنكليزي Carter رفض هذا الرأي في مقالة نشرها منذ عدة سنوات ، وسماها : « في أصول النحو العربي » . فبيّن في هذه المقالة أنّ سيبويه يستعمل في الكتاب مجموعتين من المصطلحات ؛ مجموعة قليلة العدد تتضمن مصطلحات لعلها يونانية الأصل ، ومجموعة كثيرة العدد تتضمن المصطلحات العربية الأصل ، منقولة من الفقه إلى النحو .

ومع ذلك فإن المستشرق الهندي Versteegh نشر في مسنهل هذه السنة ، كتابا عنوانه « العناصر اليونانية في الفكر اللساني العربي » ، يدافع فيه عن نظرية التأثير اليوناني في النحو العربي ، فيعتبر أن النحاة العرب القدامى قد اقتبسوا بضعة من المفاهيم والمصطلحات ، لا من المنطق اليوناني ، كما زعم Merx ، بل من النحو اليوناني ، وذلك بواسطة اتصالهم المباشر باستعمال النحو اليوناني الحي ، كما يقول ، في مراكز الثقافة اليونانية الموجودة في الشرق الأدنى بعد الفتح العربي .

ماود في هذه المحاضرة أن افحص تلك الآراء المتناقضة في نشأة النحو العربي ؛ وهذا في ضوء كتاب سيبيويه ، الذي سماه الناس « قرآن النحو » حسبما روى عنه النحوي الحلبي أبو الطيب اللغوي .



ان المستشرقين ، ليبيّنوا التأثير اليوناني في النحو العربي ، يحتجّون على العموم بأن النحاة العرب القدامى قد اقتبسوا من المنطق اليوناني تقسيم الكلام الثلاثي ، ومصطلحات أربعة هي : الإعراب والصرف والتصريف والحركة . فينبغي لنا أولا أن نتساءل : هل كان من الممكن ، من الناحية اللسانية ، أن يكون هؤلاء النحاة قد اقتبسوا هذا التقسيم .

إن تقسيم الكلام أمر مهم جدا في كل نظام نحوي ، لأنه يشترط هذا النظام ، وبالنسبة الى بنية كل لغة ، ممّيز النحاة عددا مختلفا من الأقسام . فان النحاة اليونان قد ميّزوا في لغتهم ثمانية أقسام ، وهي ، حسبما قال أرسطو في كتابه في الشعر : الحرف : stoikeyon

المجموع : syllabe | الرباط : syndesmos الفاصلة : arthron
الاسم : onoma الكلمة : rhema الوقعة : ptosis القول : logos
أما النحاة العرب فانهم كما تعلمون ، لم يميّزوا في لغتهم الا ثلاثة أقسام ، وهي ، حسبما قال سيبيويه في الكتاب : الاسم والفعل والحرف .

ولكن ، على الرغم من الفرق الكبير الذي يظهر بين عدد الاقسام في النظامين ، يدعى بعض المستشرقين ان النحاة العرب قد اقتبسوا هذا التقسيم عن المنطق اليوناني . فليستطيع ان نرد على هذا الادعاء الفاسد ، سنبحث عن كل واحد من هذه الاقسام في النظام اليوناني ، وعن القسم المقابل له في النظام العربي .

ليس لقسم الحرف اليوناني قسم يقابله في النظام العربي ، لأن سيبويه لم يجعل حروف الهجاء قسما مستقلا في تقسيمه ، كما فعل ارسطو . وكذلك ليس لقسم المجموع اليوناني قسم يقابله في النظام العربي ، لان مفهوم المجموع المركب من حرف غير مصوت وحرف مصوت ، مفهوم صوتي يختلف عن مفهوم الحرف الساكن والحرف المتحرك الذي نجده عند سيبويه .

اما قسم الرباط اليوناني فانه لا يقابل الا جزءا من قسم الحرف العربي ؛ ونجد فرقا بينهما ، لأن الرباط عند ارسطو لفظ خال من المعنى ، بيد ان الحرف عند سيبويه لفظ له معنى .

يشتمل قسم الفاصلة اليوناني على آلة التعريف والاسم الموصول ، وهما عند ارسطو لفظان خاليان من المعنى ؛ فليس لهذا القسم قسم يقابله في النظام العربي ، لأن سيبويه يعتبر ان الاسم الموصول اسم غير تام ، يحتاج الى صلة ، فيدخله في قسم الاسم ، كما انه يعتبر ان آلة التعريف لفظ له معنى ، فيدخله في قسم الحرف .

اما قسم الاسم اليوناني فانه يقابل قسم الاسم العربي ، غير اننا نجد فرقا بين القسمين ، لان الاسم عند ارسطو لفظ له معنى يدل على شيء ، بيد ان الاسم عند سيبويه لفظ يقع على الشيء ، فهو ذلك الشيء بعينه .

وكذلك يقابل قسم الكلمة اليوناني قسم الفعل العربي ؛ فالكلمة عند ارسطو لفظ له معنى يدل على زمان ، والفعل عند سيبويه مثال اخذ من لفظ حدث الاسم ، فيه دليل على ما مضى وما

لم يَمْض ؛ غير أننا نجد فرقا بين القسمين ، لان الصيغة غير
 المبينة **aparemphatos** مضئنة في قسم الكلمة اليوناني ،
 بيد ان المصدر مضئ في قسم الاسم العربي ، كما ان الصيغة
 المشتركة **metochikon** مضئنة في قسمي الاسم والكلمة معا
 في النظام اليوناني ؛ بيد ان اسم الفاعل مضئ في قسم الاسم فقط
 في النظام العربي .

وأخيرا ، فليس لقسم الوقعة اليوناني قسم يقابله في النظام
 العربي ، لان مفهوم الوقعة التي تحدث في آخر الاسم او في آخر
 الفعل ، مفهوم غير موجود عند سيبويه ؛ وكذلك قسم القول ، الذي
 هو عند أرسطو مركب من الفاظ لها معنى ، ليس له قسم يقابله في
 النظام العربي ، لأن سيبويه لم يجعل من القول قسما مستقلا
 في تقسيمه .

فمن الناحية اللسانية ، يظهر لنا انه من المستحيل أن يكون
 التقسيم العربي منقولا من التقسيم اليوناني ، لان عدد الاقسام
 ومضمونها يختلف في النظامين اختلافا تاما .

ثم يجب علينا أن نتساءل هل كان من الممكن ، من الناحية
 اللغوية ، أن يكون النحاة العرب القدامى قد أخذوا عن النحو
 اليوناني تلك المصطلحات الاربعة التي هي : الاعراب ، والصرف ،
 والتصريف ، والحركة .

يزعم أتباع التأثير اليوناني أن كلمة الإعراب نقلت من الكلمة
 اليونانية **hellenismos** . ما معنى هذه الكلمة في اصل
 اللغة اليونانية ؟ **hellenismos** اسم فعل يوناني تعريبه ،
 هَلَنْ شَيْئًا تَهْلِينًا ، اي صَيَّرَهُ هَلِينِيًّا .

قال أرسطو في كتابه في الخطابة : « ان اصل الكلام هو الوجه
 الهليني في التكلم » ، اي الوجه الصحيح الذي يحصل عليه بمرآة
 خمسة أشياء :

١ - باستعمال الروابط، أي حروف العطف ،

٢ - باستعمال الكلمات الخاصة ،

٣ - بعدم استعمال الكلمات الملتبسة ،

٤ - بتمييز الأجناس في الأسماء ،

٥ - بتمييز الأعداد فيها .

ويرى فيلسوف رواقى أن التهلين هو التكلم الصحيح على وجه الصناعة ، لا على وجه العامة .

فلاحظ أن الكلمة hellenismos كلمة عامة تختص بالكلام برمته ؛ فانها اصطلاح خطابي وليس باصطلاح نحوي .

أما معاني الإعراب في أصل اللغة العربية فهي ثلاثة : أولا الإبانة والإنصاح عن الخواطر ، ثانيا إزالة الفساد في الكلام ، ثالثا تغير آخر الكلمة .

فقال ابن جني في كتاب الخصائص : « وكان الاعراب من قولهم : عربت معدته أي فسدت ، كأنها استحالت من حال الى حال ، كاستحالة الاعراب من صورة الى صورة » . وقال ابن الأنباري في كتاب اسرار العربية : « ان الإعراب سُمي إعرابا لانه تَغَيَّرَ يلحق أواخر الكلم ، من قولهم : عربت معدة الفصيل اذا تغيرت » .

والواقع أن سيبويه يستعمل كلمة الاعراب ليدل على ما يسميه « مجاري أواخر الكلم »، يعني التغيرات التي تحدث في آخر الاسم المتمكن، والفعل المضارع لاسم الفاعل . والاعراب عند سيبويه نقيض البناء الذي يدل على عدم التغير في آخر الكلمة .

فلاحظ أن الإعراب كلمة تختص ببعض الكلمات فقط في الكلام ، فانها اصطلاح نحوي وليست باصطلاح خطابي .

ثم يدعى انصار التأثير اليوناني أن كلمة الصرف نُقلت من

الكلمة اليونانية klisis ، وان كلمة التصريف نُقِلَت من الكلمة اليونانية ptosis . ما هو السبب الذي دفعهم الى هذا الادعاء ؟ السبب هو ان النحاة اليونان كانوا يعتبرون ان الاسم ، بالنسبة الى حالته الاصلية التي هي حالة التسمية onomasticos ، له ميل klisis الى حالات اخرى ، كما ان الفعل بالنسبة الى حالته الاصلية التي هي حالة الحاضر enestos ، له ميل الى حالات اخرى ؛ وكان النحاة اليونان يسمّون كل واحدة من هذه الحالات المتغيرة وقعة : ptosis

قال أرسطو في كتابه في الشعر : « اما الوقعة فهي للاسم او الفعل ، وتدل على معنى حرف « ل » او حرف « الى » وما أشبه ذلك ، او على الإفراد او الجمع او نوع كلام القائل ، مثل الاستفهام او الأمر » .

وقال في كتابه في الخطابة : « تَغَيَّرَات الاسم المائل هي وقعتات الاسم ، كما ان تَغَيَّرَات الفعل المائل هي وقعتات الفعل » .

اما معنى كلمة الصرف في كتاب سيويوه، فان هذه الكلمة تدلّ على إلحاق حرف النون للاسم، وللإسم فقط ، لان هذا الحرف علامة التمكن ، يعني استقرار الكلمة في قسم الاسم .

واما معنى كلمة التصريف فَيَسْتَعْمِل سيويوه هذه الكلمة للدلالة على التَغَيَّرَات التي تُحْدِثُ في داخل الكلمة، فانه لا يستعملها ابدا للدلالة على التَغَيَّرَات التي تُحْدِثُ في آخر الكلمة .

فنلاحظ ان مفهوم الميل ومفهوم الوقعة غير موجودين في النظام العربي ، كما ان مفهوم التمكن ليس بموجود في النظام اليوناني .

ثم يزعم أتباع التأثير اليوناني أن كلمة الحركة تُرْجِمَت من الكلمة اليونانية : kinesis ، وذلك لان بعض النحاة اليونان حَدَّدُوا الوقعة بانها حركة تُحْدِثُ في آخر الاسم ، فيستنتجون من هذا التحديد ان الحركة عند النحاة العرب كانت تُدَلّ في الاصل على

المصوت الاساسي ، يعني ذلك المصوت الذي يشير الى الوقعة في آخر الاسم ، ومن ثم استعملت هذه الكلمة بصفة عامة للاشارة الى المصوت .

نلاحظ اولا ان مفهوم التحريك في النظام الصوتي العربي لا يتفق ابدا ومفهوم التصويت في النظام الصوتي اليوناني ؛ فان ارسطو يقسم الحروف الى مصبوتة ونصف مصبوتة وغير مصبوتة ، بيد ان سيبيويه يقسم الحروف الى متحركة وساكنة .

ثم نلاحظ ان كلمة الحركة عند سيبيويه تدل على حركات الشفة، من الضم والفتح والكسر، او على حركات اللسان، من الرفع والنصب والجر او الخفض ، عند اخراج الصوت ؛ اُتحدث هذه الحركة في صدر الكلمة أم|في وسطها أم|في آخرها ، فان الحركة في نظام سيبيويه كلمة عامة ، لا تدل على آخر الاسم المعرب ، لانها تُستعمل ايضا لتدل على آخر الاسم المبني غير المعرب ، ويمكن ان تكون كلمة معربة مجردة من الحركة ، كالفعل المضارع المجزوم مثلا :

من الناحية اللغوية ، يبدو لنا انه من المستحيل ان تكون هذه المصطلحات الأربعة منقولة من اليونانية الى العربية ، لان المفاهيم التي تدل عليها تتباعد في النظامين كل التباعد



يجب علينا الان ان نتساءل: هل كان من الممكن، من الناحية التاريخية، ان يُعرف النحاة العرب القدامى النحو اليوناني والمنطق اليوناني فيثأثروا بهما ؟

اما النحو اليوناني فلم يستطع النحاة القدامى ان يعرفوه بطريقة مباشرة ، اذ انهم كانوا يجهلون اللغة اليونانية ، ولم يكن لديهم كتاب في النحو اليوناني مترجم الى اللغة العربية ، فلم يستطيعوا ان يعرفوا النحو اليوناني الا بواسطة النحو السرياني . فعطينا

أن نبحث عن العلاقات الموجودة بين النحو السرياني والنحو اليوناني من جهة ، والنحو العربي من جهة أخرى .

كان النظام النحوي السرياني مرتكزا على الاقاويل الخمسة التي ميزها منطق أرسطو في الكلام ؛ وهي حسبها قال ايليا بن شينايا : السؤال،والامر، والدعاء، والتعجب، والنداء .

فاختَرَعَ النحاة السريان نظام النُّقْط ، يعني نظام العلامات التي تقابل في الكتابة الاشارات الدالة على تلك الاقاويل في المشافهة . ثم يرتكز هذا النحو على القواعد الصوتية والصرفية التي اقتبسها السريان من كتاب في النحوم اليوناني كان قد تُرجم الى السريانية . اما النحاة السريان فنقتصر على ذكر اشهرهم، وهم ثلاثة : في القرن السابع : الاسقف يعقوب الرهاوي ، الذي صَنَّف الكتاب الاول في النحو السرياني ،

في القرن التاسع : المترجم المعروف حنين بن اسحاق ، الذي ألَّف كتابا في النحو سماه « كتاب النُّقْط » ،

في القرن الحادي عشر : ايليا بن شينايا ، مطران نصيبين ، الذي صَنَّف كتابا صغيرا في النحو .

اما تعليم النحو السرياني فكان منتشرا في اديرة السريان ومدارسهم ، كمدرسة دير قنى المشهورة ، بالقرب من المدائن ، وكالمدارس العديدة التي كانت موجودة في الحيرة عاصمة العباد ، بالقرب من الكوفة . غير اننا لا نجد اي دليل في المصادر السريانية ، ولا في المصادر العربية ، على أن النحاة العرب القدامى قد اتصلوا بالنحاة السريان ، او تَعَلَّمُوا اللغة السريانية .

ومضلا عن ذلك ، كان النحاة السريان أنفسهم يُعتبرون أن النحو العربي يَخْتَلِفُ عَنِ النحو اليوناني من جهة ، وعن النحو السرياني من جهة أخرى ، اختلفا تاما . ومما يدل على ذلك أن

حينما بن اسحاق، ألف كتابا في النحو المرمي ، على المنهاج اليوناني ،
سمّاه « كتاب احكام الإعراب على مذهب اليونانيين » . وقد ذكر
الخوارزمي فصلا صغيرا منه في كتاب مفاتيح العلوم . وصنّف
حينئذ كتابا آخر في النحو العربي ، زعم فيه ، حسبما روى عنه
إيليا بن شينايا : « أن العرب ليس لهم نحو يُعرفون به المعاني
الغامضة كما للسريانيين » ، ويستدل من قوله أن نحو العرب غير
كاف ولا متنع لما يحتاج اليه .

أما إيليا بن شينايا فأفرد مجلسا من المجالس التي جرت بينه
وبين الوزير الحسين بن علي المغربي ، بمقارنة نفيسة بين النحو
العربي والنحو السرياني ، يوضح فيها الفرق بين النظامين ، كما
يدلّ على ذلك الحوار التالي بين الرجلين :

« قال الوزير : اترفعون الفاعل وتنصبون المفعول كما تفعل
العرب ؟ قلت : لا .

قال : فكيف تعرفون الفاعل من المفعول ؟ قلت : يدخل
السريان على المفعول حرف اللام لِيُفَرِّقَ بينه وبين فاعله ؛ ولما كان
العرب انما يرفعون الفاعل وينصبون المفعول ، ليفرّقوا بينهما، وكان
للسريان علامة تدلّهم على الفرق بين الفاعل والمفعول هي أبين من
الرفع والنصب ، ما احتاجوا أن يرفعوا الفاعل وينصبوا المفعول
كما تفعل العرب » .

فيدلّ كلّ ذلك على أن النحو اليوناني لم يستطع أن يؤثر على
النحو العربي بواسطة النحو السرياني ؛ وبعكس ذلك ، في القرن
الحادي عشر ، نرى إيليا مطران طبرهان يصنّف كتابا في النحو
السرياني يدخل فيه النظام العربي ؛ فالنحو العربي هو الذي أثر
في النحو السرياني .

أما المنطق اليوناني فلم يستطع النحاة القدامى أن يعرفوه
في القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد ، إذ أن تأليف أرسطو لم تنقل

بعد الى اللغة العربية ؛ فاننا نعلم ان الكتاب فسي العبارة والكتاب في المقولات لم يُترجَمَا الا في القرن الثالث للهجرة ، التاسع للميلاد ، على يد حنين بن اسحاق ؛ كما نعلم ان الكتاب في الشعر لم يُترجَم الا في القرن الرابع للهجرة ، العاشر للميلاد ، على يد مَتَّى بن يونس .

واذا اطلّعنا على هذه الترجمات لاحظنا ان المترجم السرياني لم يُستعمل مصطلحات النحو العربي لترجم مصطلحات النحو اليوناني، ولكنه اخترع مصطلحات عربية جديدة .

فانه ترجم اللفظة stoikeion بأسطقس ، ولم يترجمها بحرف ، وترجم اللفظة syndesmos برباط ، ولم يترجمها بحرف ، وترجم اللفظة rhema بكلمة ، ولم يترجمها بفعل ، وترجم اللفظة klisis بميل ، ولم يترجمها بإعراب ، وترجم اللفظة phone بمصوًت ، ولم يترجمها بحركة .

وفي القرن الرابع للهجرة ، العاشر للميلاد ، نرى الفلاسفة العرب يخترعون مصطلحات جديدة ، ليُفسَّروا كتب المنطق اليوناني في اللغة العربية . فان الفيلسوف المنطقي الكبير ، أبانصر الفارابي ، يقول في كتاب الانفاظ المستعملة في المنطق ، بصدد حروف المعاني :

« ان هذه الحروف هي اصناف كثيرة ، غير ان العادة لم تُجر في اصحاب علم النحو العربي الى زماننا هذا ، بان يُفرد لكل صنف منها اسمٌ يَخُصُّه ؛ فينبغي ان نستعمل في تعديد اصنافها الاسامي التي تأدت الينا عن اهل العلم بالنحو من اهل اللسان اليوناني ، فانهم افردوا كل صنف منها باسم خاص » . فاخترع الفارابي خمسة مصطلحات ليدل على هذه الاصناف من حروف المعاني ، وهي : الخوالف، والواصلات، والواسطات، والحواشي، والروابط .

وفي نفس الحقبة ، يروي لنا الفيلسوف أبو حيَّان التوحيدي ، في كتاب الامتاع والموانسة ، مناظرة مشهورة جرت بين مَتَّى بن يونس المنطقي وأبسي سعيد السرياني النحوي ؛ فمما يبيِّن ان

متى كان يعتبر أن المنطق ليست له صلة بالنحو ؛ الحوار التالي بين العالمين :

« قال أبو سعيد : . أسألك عن معاني حرف واحد، وهو دائر في كلام العرب، وهو الواو ، ما أحكامه، وكيف مواقعه، وهل هو على وجه أو وجوه ؟ فبهت متى وقال : هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه ، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه ، وبالنحوي حاجة شديدة الى المنطق ، لان المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ » .

فبدل كل ذلك على أن المنطقيين السريان والفلاسفة العرب كانوا يشعرون بأن النحو العربي لا يتعلق بالمنطق البتة .

فمن الناحية التاريخية ، يظهر لنا أنه من المستحيل أن يكون النحاة العرب القدامى قد عرفوا النحو اليوناني والمنطق اليوناني فتأثروا بهما في نظامهم .



ينبغي لنا أخيرا ، أن نتساءل هل كان من الضروري ، من الناحية المنهجية ، أن يكون النحاة العرب القدامى قد اقتبسوا بضعة مصطلحات من النحو اليوناني ؟

فإذا اطلعنا على كتاب سيبويه ، لاحظنا أن لغته غنية جدًا ، لأنه يستعمل عددا وافرا من المفردات ليعرض نظامه النحوي . ولكننا لم نكن نعلم بالضبط مبلغ هذا العدد ؛ فعمدنا أن أحصى جميع المفردات التي استعملها سيبويه في لغته الشخصية دون لغة الشواهد القرآنية والشعرية ، فوجدت أن عددها يبلغ : ألفا وثمانمئة وعشرين .

ما هي المعلومات التي نستطيع أن نستنتجها من هذا الإحصاء ؟ إذا ضربنا صفحا عن المفردات المستعملة في معناها المصام ، بدون معنى اصطلاحى ، وعددها مئتان وعشرون فقط ، استطعنا أن نُميّز في الكتاب خمسة أنواع من المفردات :

أولاً : المفردات التي تتعلّق بالمفاهيم النحوية العامة ، يعني :
بأقسام الكلام وأنواع الالفاظ واحوالها .

ثانياً : المفردات التي تختص بتركيب الجُمْل ، يعني بمواضع
الالفاظ في الكلام ومجراها من ناحية العمل .

ثالثاً : المفردات التي تتعلق بالتصريف ، يعني بتغيير الالفاظ
في اللغة وصياغتها بالاستتقاق .

رابعاً : المفردات التي تختص بالصوتية ، يعني باخراج
الاصوات ومجراها في بنية الالفاظ .

خامساً : المفردات التي تتعلق بالمنهاج ، يعني بالمفاهيم التي
يستعملها سيبيويه ليفسّر الوقائع النحوية والوسائل التي يستعملها
ليوضحها .

أما توزيع تلك المفردات العددي ، فإنّ المفردات التي تتعلّق
بالمنهاج هي الأكثر ، وعددها ستمئة وخمسون ، ثم تتبعها المفردات
التي تختص بالمفاهيم العامة ، وعددها ثلاثمئة وتسعون ، ثم
المفردات المتعلقة بالتصريف والتي تساوي المفردات المتعلقة بالصوتية ،
وعدها ثلاثمئة وعشرون ، وأخيراً المفردات التي تختص بالتركيب ،
وعدها مئتان وخمسون .

فمن البَيِّن أنَّ عددًا وافرًا من المصطلحات النحوية كان تحت
تصرف النحاة العرب القدامى ؛ فمن المستحيل أن يكونوا قد احتاجوا
الى اقتباس بضعة من المصطلحات الأجنبية ، يونانية كانت أم سريانية ؛
فما تعني تلك العُشْرَة من المصطلحات التي يزعم المستشرقون أن
النحاة العرب قد اقتبسوها من اللغة اليونانية ؟ ما تعني تلك
العُشْرَة بالنسبة الى المئات والمئات من المصطلحات التي كانت
متناوكة في لغتهم ؟

اظنُّ أن المستشرقين قد أخطأوا عندما اعتمدوا على بضعة
من مصطلحات يونانية ليبرهنوا على مضارعة النظام العربي

النظام اليوناني . لأنَّ كلَّ واحد من المصطلحات جزء من نظام معقد ، ليس له معنى ، خارجا عن هذا النظام .



لقد بَيَّنَّا أنه من المستحيل أن يكون النحو العربي القديم قد اقتبس مصطلحات من النحو اليوناني ، وذلك من جميع النواحي : من الناحية اللسانية ، ومن الناحية اللغوية ، ومن الناحية التاريخية ، ومن الناحية المنهجية . غير أنه تَبَيَّنَ علينا الإجابة على هذا السؤال : كيف نشأت هذه المصطلحات التي نرى سيئويه يستعملها في كتابه ؟

إذا فحصنا الكتاب وجدنا أن سيئويه لم يُحدِّد المصطلحات التي يستعملها ؛ فهذا يدلُّ على أنه لم يَخْلُق مصطلحات جديدة ، وأنه يستعمل تلك التي استعملها قَبْلَهُ النُّحاة القدامى الذين يذكُرهم في الكتاب ؛ كما يدلُّ ذلك على أن معاصريه كانوا يفهمون تلك المصطلحات بدون صعوبة وبدون تفسير ؛ لماذا ؟

لأنه من المحتمل أن سيئويه استعمل المصطلحات المشتركة بين العلوم الإسلامية الأصلية التي هي : القراءات ، والحديث ، والفقه ، والنحو . وقد تَكُونَت تلك المصطلحات في وقت واحد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، الثامن للميلاد ، في مِصْرِي المراق المسلمين ، البصرة والكوفة ، فكان القُرَّاء والمحدِّثون والفقهاء والنحاة يستعملون نفس المنهاج ونفس المفاهيم ونفس المصطلحات ، لأنهم كانوا يقصدون إلى نفس الهدف الذي هو سلامة لغة التنزيل الإلهي والحديث النبوي .

وَيُمْكِنُ القول إن النحو ، منذ بدايته ، كان مرتبطا بالحديث والفقه ، إذ أن كتب أخبار النحويين تروي لنا عن نصر بن عاصم الليثي ، وهو أول من وضع العربية بعد أبسي الاسود ، أنه كان فقيها عالما بالعربية والحديث ، كما أنها تروي لنا عن يحيى بن يعمر ؛

وهو أول مَنْ نَقَّطَ المصاحف ، انه كان ايضا فقيها عالما بالمعربة والحديث .

فكان العلماء ، في غالب الاحيان ، يتلقَّون جميع العلوم الاسلامية قبل ان يتخصَّصوا في واحد منها . فنعلم مثلا ان التَّخْوِي المشهور الخليل بن احمد ، وهو واحد من اساتذة سيبويه ، قبل ان ينصرف الى النحو ، تَعَلَّمَ الحديث والفقه عن ايوب السخيتاني ، الذي كان فقيها من فقهاء البصرة ومحدثا من محدثيها .

وكذلك ، نعلم ان سيبويه قَدِمَ البصرة ليكتسب الحديث ، فلزم حلقة حماد بن سلمة ؛ ويروى عنه انه بينما كان يستملي على حماد قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس من اصحابي الا من لو شئت لأخذت عليه ليس ابا الدرداء » فقال سيبويه : « ليس ابو الدرداء » وظنَّه اسم ليس ، فقال حماد ، لَحَنْتُ بنا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت ، وانما « ليس » ههنا استثناء ؛ فقال سيبويه : سأطلب علما لا تلحنني فيه ؛ فلزم الخليل فبرع .

وكذلك ، يُروى عن حماد بن سلمة انه كان يقول : « من لحن في حديثي فقد كذب » ؛ فَتَدَلَّنَا هذه الرواية على العلاقات الوثيقة التي كانت تربط الحديث بالنحو .

وكان العلماء القدامى يُعتبرون ان النحو أول العلوم الاسلامية واسبقها ، فكانوا يفضّلونه على العلوم الاخرى ؛ وذلك لان النحو العلم الاساسي الذي يحتاج اليه جميع العلوم ، والذي لا يستغني عنه عالم .

فَيُروى عن ايوب السخيتاني انه قال : « تَعَلَّمُوا النحو فانه جمال للوضع وتركه هجنة للشريف » ، كما يُروى ايضا عن حماد بن سلمة انه قال : « مَثَلُ الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو ، مَثَلُ الحمار عليه مَخْلَاة لا شمير فيها » .

وفي الختام ، فانا اعتقد ان علم النحو أعرب العلوم الاسلامية ، وابعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول ، كما حاولت ان أُبين ذلك في ضوء كتاب سيبويه ، ذلك الكتاب المشهور الذي هو اقدم كتب العرب في النحو .

العشرينيات والعشرينيات

للدكتور ناصر الدين الأسد

- ١ -

تجري اللسنة والاقلام من حين الى حين بتعبيرات والفاظ لا تلبث أن تشيع من خلال الصحف والإذاعات والتأليف شيوعا يستوقف الحريصين على سلامة اللغة وتقاءها ، فإذا هم يطيلون البحث فيها والطواف حولها ليتحققوا من صحتها، ومن أنها جارية مجرى كلام العرب في الاستعمال، أو في القياس، أو فيها معا . وما أكثر ما صخر من كتب في القديم وفي الحديث، بناها مؤلفوها على تتبع هذه التعبيرات والألفاظ، وبيان ما فيها من خطأ، والتنبيه على الصحيح الذي يجب استعماله مكانها .

وهذا باب من العلم ظاهره اليسر والاعراء بالدخول منه ، وباطنه مخوف بالزلق والمكاره ، اذ لا بُدَّ للمتوغلين ان يكون محيطاً بكلام العرب او بأكثره ، بصيراً بأساليبهم ، عالماً بشعرهم ونثرهم على مر العصور وتعدد البيئات ، حافظاً ، ذاكرةً ، قادراً على الاستشهاد وضرب المثل والإدلاء بالحجة . واين من يدعى لنفسه كل هذا او بعضه ؟

ومن اجل ذلك كثرت الكتب التي ألفها أصحابها للرد على مؤلفي الكتب السابقة ، وبيان ما وقعوا فيه من تسرع الى التخطئة ، وتوضيح وجه الصواب فيما ظنوه وهمأ او مخالفا لكلام العرب .

وكلا الفريقين من العلماء لا ينتقص من علم احدهم انه اخطأ في اجتهاده ، ولا يعيبه انه غاب عنه امر عرفه غيره ؛ ولهم جميعا الاجر والثواب ان شاء الله .

وما نُفِثْتُ اطلب هذا الغرب من الثواب ، واربو أْجَر
الاجتهاد ، مُلقياً بدلوي بين الدلاء في الفاظٍ شاعت وراى غيري انها
خطأ ، وكنْتُ من الذين راوا صوابها ، ونُشِرْتُ بعض ذلك في مجلّة
مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١) .

وأُحِبُّ الآن ان استزيد من الخير ، فأواصل في مجلّة مجمعنا
الناسيء ما كنْتُ بدائه في مجلّة مجمعنا العريق .

- ٢ -

وكان الذي قادني الى هذا الحديث مقالٌ نُشِرَتْه صحيفة
يوميّة (٢) ، في مصرنا العربية ، الحبيبة لقلب كلّ عربي ، كتبه عالمٌ
جليل ، عضوٌ في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، معروف بالرويّة
والثبّت ، طالماً أنسنا بحديثه وأفدنا منه . وتناول في مقاله كلمتين
نقتصر هنا على الثانية منهما ، ونبدأ بنقل ما كتبه عنها بحروفه ، قال :
« وثُمّت كلمة ثانية يستعملها الناس في عصرنا على انها
صواب ، وهي عريقة في الخطأ ، وهي كلمة : العشرينات والثلاثينات
والاربعينات ، وما الى ذلك من سائر العقود . ووجّه الخطأ في هذا
الاستعمال ان هذه الكلمات جموعٌ لعشريّة وثلاثيّة واربعيّة ،
وليست هذه الكلمات في متن اللغة ، اذ كانت لا معنى لها .

والصواب في الاستعمال ان يقول القائل : هذا حدَثٌ في
العشرينيّات والثلاثينيّات والاربعمينيّات ، بمعنى انه حدث في السنوات
المنسوبة الى العشرين والثلاثين والاربعين وما اليها . فالكلمة يجب
ان تكون مستعملةً على طريق باء النسبة ، وحذَفُ الباء هذه خطأ ،
فريق في باب الخطأ الذي يكاد يهبط الى منزلة الخطيئة ، لأن
الفصحى من شعائر الاسلام ، ولان الحرص على العربية حرص على
لغة القرآن .. » .

(١) الاجزاء ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٤ .

(٢) جريدة الاخبار ، ١٩٧٧/٩/٢١ ، ص ٥ ، بعنوان « الصواب المظلوم » .

وَلِحِرْصِنَا جَمِيعًا عَلَى الْعَرَبِيَّةِ ، لَفَّة الْقُرْآن ، نَسْتَأْذُنُ الْإِسْتِاذَ الْجَلِيلَ فِي أَنْ نَأْخُذَ بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ، وَنَسْتَأْنِفُ مَجَالِسَ كَانَتْ لَنَا ، عَرَفْنَاهُ فِيهَا مُحِبًّا لِلْحَقِيقَةِ وَالْحَقِّ ، حَفِيًّا عَنْهَا ، لَا يَضِيقُ صَدْرُهُ بَرْدًا أَوْ سَوْأَلًا أَوْ تَصْحِيحًا .

وَلَقَدْ غَابَ عَنِّي فَهْمُ مَا قَصَدَ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ إِنَّ الْعِشْرِينَاتَ بِغَيْرِ بَاءِ النِّسْبَةِ ، « عَرِيقَةٌ فِي الْخَطَا » وَأَنْ « حَذَفَ الْيَاءَ هَذِهِ خَطَا عَرِيقٌ فِي بَابِ الْخَطَا » ؛ فَلَمْ أَفْهَمْ مَعْنَى « الْعَرَاةِ » هُنَا ! إِنَّ الَّذِي يَتَبَادَرُ إِلَى الذِّهْنِ مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظَةِ أَنَّهَا تَعْنِي الْقِسْمَ فِي الْإِسْتِعْمَالِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ . فَهَلْ وَرَدَتْ « الْعِشْرِينَاتُ » وَأُضْرِبُهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَدِيمًا ؟ هَلْ جَاءَتْ فِي شِعْرِ أَوْ نَثَرٍ مِنْ عَصُورِ الْأَحْتِجَاجِ اللَّغْوِيِّ ؟ إِنَّ كَانَتْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعَرَاةِ فَأَوْلَى أَنْ نَقُولَ إِنَّهَا « عَرِيقَةٌ فِي الصَّوَابِ » ! وَأَنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ تَحَدَّثَتْ إِلَيْنَا مِنْ تِلْكَ الْعَصُورِ ، فَنَفِي أَيَّ عَصَرٍ بَدَأَ اسْتِعْمَالُهَا ؟ فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ لَمْ تَجْرِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ إِلَّا فِي الْمِائَةِ الْآخِرَةِ أَوْ قَبْلُهَا بِقَلِيلٍ ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَقُولَ عَنْهَا إِنَّهَا « عَرِيقَةٌ » ، لَا فِي خَطَا وَلَا فِي صَوَابٍ .

وَأَنْ كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْعَرَاةِ فِي الْخَطَا أَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لَطَرِيقَةِ الْعَرَبِ فِي بِنَاءِ الْكَلِمَةِ وَفِي جَمْعِهَا ، وَلَيْسَ فِي اسْتِعْمَالِ هَذَا الْجَمْعِ بَعِينُهُ قَدِيمًا ، فَذَلِكَ يَقُودُنَا إِلَى مَسَالِكَ أُخْرَى مِنَ الْحَدِيثِ .

فَالْعِشْرِينَاتُ وَالثَّلَاثِينَاتُ وَالْأَرْبَعِينَاتُ لَيْسَتْ بِالضَّرُورَةِ « جِهَوَعًا لِعِشْرِينَةٍ وَثَلَاثِينَةٍ وَأَرْبَعِينَةٍ » الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ « فِي » مَتْنِ اللَّفَّةِ ، إِذَا كَانَتْ لَا مَعْنَى لَهَا .

وَالْجَمْعُ الَّذِي يَنْتَهِي بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ ، وَالَّذِي يُسَمُّونَهُ جَمْعَ مُؤَنَّثٍ سَالِمًا ، لَيْسَ دَائِمًا جَمْعًا لِمُؤَنَّثٍ ، إِذَا كَثُرَ مَا جُمِعَتْ عَلَيْهِ الْفَاعِلُ الْمَذْكُورُ غَيْرَ عَاقِلٍ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ الْإِلْفَاقِ جَمْعٌ تَكْسِيرٌ ؛ فَالْفَاعِلُ مِثْلُ : حَمَامٌ ،

وَحَزَان ، وَسِجْل ، وقرار ، وَمُسَوِّغ . تُجْمَع على : حَمَامات ، وَحَزَانات ،
وَسِجَلَات ، وقرارات ، وَمُسَوِّغَات . وَكُلُّهَا في مفردِهَا تَدَلُّ على مذكَّر
غير عاقل . بل استعملوه أيضا في القديم والحديث لجمع الجمع ،
للمذكر العاقل وغير العاقل ؛ ففي العربية ، رجالٌ ورجالات ، وَجِمَالٌ
وَجِمالات ، وبيوتٌ وبيوتات ، وَبُيُوعٌ وَبُيُوعات ، واهرامٌ واهرامات .
ومفردِهَا مذكَّر .

ثم اذا كنّا قد حَكَمْنَا بأن « العشرينة والثلاثينة ليست في متن
اللغة » فاننا كذلك لا بُدَّ حاكمون بأن « العشرينية والثلاثينية والاربعينية »
ليست كذلك في متن اللغة على وجه اليقين ، ولم يَجْرِ بها لسانُ أحدٍ
من العرب في القديم . ونحن نَعْلَمُ أن مُجْمَعَنَا في القاهرة قد بَحَثَ هذه
الانفاظ وجموعِهَا، وَذَهَبَ الى ما ذهبَ اليه الاستاذ الجليل ، وَعَدَّ
« العشرينات » واضرابِهَا خطأ ، و « العشرينيات » واضرابِهَا هي
الصواب (١) .

ثم ان هذه « الياء » المُقَحَّمَة التي قيل إنها للنسبة ، مشكلة
في التَّصَوُّر والفهم معا ؛ فما أَظُنُّ أحداً مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ هذه الجموع
يَصُدِّرُ عن تَصَوُّر النسبة الى مفرداتها ؛ وما أَظُنُّ أحداً ممن يسمِعُهَا
او يقرأها . يَسْتَقَرُّ في فهمه معنى هذه النسبة ، وانها يريد القائل ان
يدلَّ دلالة عامَّة على حقبة زمنية تمتدُّ عشر سنوات ، تبدأ بعدد في
صورة الجمع ، وليس في حقيقته جمعا ، وتتسلسل بعده تسع سنوات
تالية ، يَوْضَعُ عَدَدٌ قَبْلَهُ بَيْنَهُمَا واو العطف . هذه الدلالة العامة على
حقبة زمنية معيَّنة هي التي يَقْصِدُهَا القائل حين يريد أن يَتَجَنَّبَ
تحديد سنة بعينِهَا ، وهي التي يُفْهَمُهَا السامع ، ولا يدور في خلد
أحد منهما أن ينسب شيئا الى شيء .

(١) في الجلسة التاسعة من مؤتمر المجمع في الدورة التاسعة والثلاثين ، وفي الجلسة
السادسة والعشرين من المجلس في الدورة نفسها ؛ وانظر بحث الاستاذ محمد
شوقي أمين ، وبحث الاستاذ الشيخ عطية الصوالحي في كتاب « الانفاظ والاساليب »
اصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٧٧ .

ماذا كان لا بُدَّ من استعمال أحد هذين الجمعين، فإنَّ تَرَكَ الياء
أولى ، واستعمال العشرينات والثلاثينات والاربعينات ، أقرب الى
نوق العربية وأدخل في أساليبها ، وهو ما شاع استعماله
واستساغه العرب .

- ٤ -

ومع ذلك ، فقد أَعْتَسَفْنَا الطريق وأصبحنا مُنْبَتَيْنِ ، حين
تَرْجَمْنَا ترجمةً حرفيةً ما استعملته اللغات الاجنبية من جموع هذه
الالفاظ ، ثم دخلنا في تيه من الجدل في تخطئة هذه الترجمات وتصويبها ،
ولم نَرْجِعْ في كلِّ ذلك الى ما استعمله العرب منذ أقدم عصورهم للدلالة
على هذه الالفاظ ، متوهِّمين أنها من المعاني المصرية المستحدثة التي
لم تَرِدْ في كلام العرب ، على حين أنهم عَرَفُوهَا واداروها كثيرا في
كلامهم منذ الجاهلية ؛ وهي لفظة العقدة نفسه — بغير جمع — مقرونة
بالالف واللام ، وقد تَجَرَّدَ منها في الشعر بخاصة ، اذا دَلَّت القرينة
على المعنى . فقالوا : العشرين ، والثلاثين ، والاربعين ، الى
آخر العقود ، بدلا من العشرينات او العشرينيات واضرابها .
وَبَحْسِنَا شواهد معدودات نأنس اليها في هذا الحكم وتطمئن اليها
نفوسنا :

قال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرِّيَّاحِيِّ (جاهلي اسلامي) (١) :

وماذا يُدْرِي الشَّعْرَاءُ مِنِّي وقد جَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ
أَخُو خَمْسِينَ ، مجْتَمِعاً أَشُدِّي وَنَجَّدَنِي مَدَاوِرُ الشُّؤُونِ
فللأربعين رَأْسٌ هُوَ حَدُّهَا الْأَعْلَى ، ولها « ذَنْبٌ » هُوَ حَدُّهَا الْأَدْنَى ،
وهي تَتَدَرَّجُ بينهما . فَسُحَيْمٌ يَذْكُرُ أَنَّهُ جَاوَزَ التَّاسِعَةَ وَالْأَرْبَعِينَ مِنْ
عَمْرِهِ ، وهي رَأْسُ الْأَرْبَعِينَ وَحَدُّهَا الْأَعْلَى ، ثم وَضَحَ ذلك توضيحا
ما بعده من مزيد حين قال : « أَخُو خَمْسِينَ » .

(١) البيتان من القصيدة الاولى في الاصمعيات ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .

ويقول دُعَيْلُ الْخَزَاعِي (عَبَّاسِي) (١) :

أَتَيْتُ بِنَ مَلَايِكِ يَسَا طَعِينَا كَفَاكَ اللّوْمُ مَرَّ الْأَرْبَعِينَا
وهذا شبيهه بقول سُحَيْبٍ ؛ فالأربعون بكلّ سنواتها قد مرّت وانقضت ،
وصار شاعرنا « أخا خمسين » .

وأشهرُ بيت في هذا المضمار قول عوف بن مُحَلَّم الْخَزَاعِي
(عَبَّاسِي) (٢) :

إِنَّ الثَّمَانِينَ — وَبَلَّغْتُهُمَا — قَدْ أَحْوَجَتْ سَمِي إِلَى تَرْجُمَانٍ
وَمَنْ عَرَفَ طَرِيقَةَ الْعَرَبِ فِي الْبَيَانِ ادْرَكَ أَنَّ الشَّاعِرَ هُنَا لَا يَرِيدُ
ثَمَانِينَ سَنَةً عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ وَالتَّخْصِصِ ، لَا يَتَجَاوَزُهَا ، وَلَكِنَّهُ
أَرَادَ الْعَقْدَ بِمَجْمُوعِ سَنَوَاتِهِ ، فَهُوَ فِي « الثَّمَانِينَ » بَيْنَ أَدْنَى سَنَوَاتِهَا
و « رَأْسِهَا » .

وقد ذكرنا أن هذه العقود قد تَجَرَّدَ مِنَ الْأَلْفِ وَالسَّلَامِ فِي الشَّعْرِ
بِخَاصَّةٍ إِذَا دَلَّتِ الْقَرِينَةُ عَلَى ذَلِكَ . وَمِنْ أَطْرَفِ مَا نُسْتَشْهِدُ بِهِ عَلَى
ذَلِكَ ، وَاعْذِبْهُ ، وَأَنْفُسِهِ ، قَوْلُ الْمَلَلِيِّ (٣) :

وَلَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا كَأُلْهَامَا يُلَبِّسَنِي فِي حَجَرَتِهَا
« خُذْنِي عَنِّي الظِّلَّ ، لَا يَفِرْ عَنِّي » وَمَضَتْ تَسْمِي إِلَى قُبَّتِهَا
بُنْتُ عَشْرِ لَمْ تَعَانِقْ رَجُلًا صَوَّرَ الْبَدْرُ عَلَى صَوْرَتِهَا
وَلَقَدْ قَبَّلْتُ نَاهَا قُبْلَةً كَبِدْتُ أَلْقَى اللَّهَ مِنْ لَذَّتِهَا
وَلَا أُحِبُّ لِنَفْسِي وَلَا لِغَيْرِي أَنْ نَعْتَسِفَ الطَّرِيقَ وَنَقْتَجِمَ الْكَلَامَ بِغَيْرِ
دَلِيلٍ ، وَلَكِنَّ الْجَوَّ يُوْحِي بَانَ الشَّاعِرُ لَمْ يَقْصِدْ إِلَى تَحْدِيدِ مَنْ

(١) ديوانه : ١٤٨ ، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ م .

(٢) ترجمته في نوات الوفيات ، رقم : ٣٤٠ ، والبيت من شواهد النحو في أعراب الجبل .

(٣) من أبيات أطلعت عليها في مخطوطة كتاب نوادر الهجري ، في مكتبة استاذنا
محمود محمد شاكر .

العاشرة ، وإن كان ذلك قد جاز ، ولا يزال جائزاً على نُدرة نادرة ،
وانما اراد هذه السن التي تزدهر بين العاشرة والتاسعة عشرة ،
والتي يُطلقون على من كان فيها من الفتيات والفتيان بالانجليزية
« تين أجرز » ، ونحار في اختيار كلمة عربية مقابلة لها .

- ٥ -

وبعد ،

فمن اراد طريقة العرب وما ساروا عليه في كلامهم ، فإمامه
هذا الشعر المبين ، وَلَيْقُلْ : « حَدَّثَ ذَلِكَ فِي الْعَشْرِينَ أَوْ الثَّلَاثِينَ أَوْ
الْأَرْبَعِينَ مِنْ هَذِهِ الْمِئَةِ ، أَوْ مِنْ هَذَا الْقَرْنِ . » ، ولا يخافَنَّ اللَّبْسُ ؛
فنحن لا نقول : حَدَّثَ ذَلِكَ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ هَذَا الْقَرْنِ ، ونقصدُ سنة
١٩٢٠ ، وانما نُحَدِّدُهَا ونقول ، حدث ذلك في سنة عشرين ، وليس
في العشرين .

ومن اراد المخالفة عن استعمالهم الذي أَلْفَوْهُ ، وأراد أن يُحَدِّثَ
كلاماً جديداً ، فلا بأس عليه أن يجمع لفظ العقد فيقول : العشرينات
والثلاثينات . وقد وُردَ في كلام العرب تثنية العقد :

« قال الأخفش ، أخبرني المبرد قال : انشدني سليمان بن عبد الله
بن طاهر لنفسه : « وقد مَضَتْ لِي عَشْرُونَ ثَنَتَانِ » . . فقلت له :
أيها الأمير ، هذا لَحْنٌ لَانِ إِعْرَاباً لَا يَدْخُلُ عَلَى إِعْرَابِ « (١) » .

وإنكارُ المبرّد لا ينصرف الى تثنية العقد، وانما انصرف الى وجود
إِعْرَابَيْنِ : فالواو والنون للرفع في جمع المذكر السالم، والالف والنون
للرفع في المثني . ولو قال : لِي عَشْرِينَ ثَنَتَانِ ، ما انكر المبرّد شيئا .
واذا جازت التثنية على هذا الوجه جاز الجمع .

أما ما سوى ذلك ، كإضافة ياء النسبة قَبْلَ الجمع ، فشيء
تنبو عنه الاسماع ، وتمجّه الأذواق ، وليس ما يدعو اليه ، مُهِمّا
يُزَيِّنُهُ لَنَا الْمَزِينُونَ بتخريجاتهم .

(١) المزياني ، الموضح ، ٣٥٧ ، المطبعة السلفية بمر سنة ١٣٤٣ هـ .

تعريب رموز نظام الوحدات الدولية

الدكتور إبراهيم بدران

١ - خلية عامة

يُقصد بنظام الوحدات الدولي International Units System ، بشكل عام ومبسط ، ذلك النظام الذي يتناول تعريف وحدات القياس الطبيعية ، وتحديدّها على أساس ثابت من العلاقات المسادية والرياضية التي تحكمها قوانين الطبيعة . وقَبِلَ تطوير هذا النظام كانت الدول المختلفة (ولا يزال بعض منها حتى الآن) تستعمل نظام وحدات خاصاً بها ، تُعطيها تعريفاتها ومفاهيمها المحليّة التي تطوّرت عن النظام الاقتصادي العلمي السائد فيها . ومن الأمثلة الشائعة على ذلك : -

- القَدَم Foot - وحدة قياس الطول في بريطانيا وأمريكا .
- الْمِتر metre - وحدة قياس الطول في فرنسا وغيرها .
- الذراع - وحدة قياس الطول في البلاد العربية (وحدة قديمة وغير علميّة) .

وَبَتَطَوَّر النظام الاقتصاديّ العالميّ، وزيادة حجوم الاتصالات والتبادلات التجارية والعلمية والتكنولوجية ، نشأت الحاجةُ الى وضع نظام وحداتٍ دوليٍّ يُمكنُ تعميمه واستعماله دون الحاجة الى معادلة الوحدات المستعملة من بلد الى آخر ، وما يتبع ذلك من صعوبات تكنولوجية معقّدة، وتكاليف اقتصادية باهظة .

ومن الناحية الاستعمالية في مجالات التعليم والأبحاث والدراسات والتدوين والمراسلات ، نشأت الحاجة الى وضع رموزٍ موحّدة ومتفقٍ عليها للوحدات المستعملة ، يُشترط فيها أن تُحقّق الاختصار

والسهولة ، من جهة ، وعدم الالتباس ، من جهة أخرى . وقد وُضعت
منظمة القياسات الدولية

International Standards Organization (ISO)

نظاما لتعريف الوحدات في النظام المتري ، كما وُضعت نظام ترميز
خاص لتلك الوحدات .

وفي هذا الصدد واجهت الدوائر العلمية والتعليمية والصناعية
والتجارية في البلاد العربية مشكلتين : —

الاولى : تعريب هذه الوحدات .

والثانية : وضع نظام رموز لها .

وقد بُذلت محاولات عديدة في مجال التعريب ، وأسفرت عن
نتائج مُرضية نسبيا ، وإن كانت تُعوزها في أحيان كثيرة الدقة والضبط
وسهولة التداول اللفظي أو الكتابي .

وفي مجال الرموز ، وهو ما يُهمنا في هذا البحث ، بدأت المحاولات
المتفرقة منذ العشرينات من هذا القرن ، وكسان الطابع العام لتلك
المحاولات أنها فردية ، أو شبه فردية ، من جهة ، وانها لم تنظر الى نظام
الوحدات بأكليته ، بل كانت تستهدف الكلمات الأكثر شيوعا ، ولا سيما في
مجالات التعليم المدرسي ، لتعطيلها الرموز « الملائمة » ؛ وبذلك انتشر
بعض الرموز وشاع . وهي رموز مقبولة ، أو على الأصح مُقنعة ،
إذا ما أُخذت بمفردها وعلى النطاق المدرسي الضيق ، ولكنها غير
ملائمة للاستعمالات الموسعة ، ولا سيما في مجالات التعليم الجامعي
وما في مستواه . ومن الأمثلة على ذلك : —

وحدة القياس (متر) رمزها (م) .

وحدة القياس (كيلو متر) رمزها (كم) .

وحدة القياس (ثانية) رمزها (ث) .

وابتداءً من الخمسينات ، ومع توسع التعليم الجامعي وانتشاره
في الاقطار العربية ، أصبحت الحاجة أكثر إلحاحا ، كما هو معروف ،

الى تعريب التعليم ، وتعريب العلوم ، وبالتالي الى تعريب الرموز الخاصة بالوحدات .

لقد بُذِلَتْ محاولاتٌ شتى في هذا المجال على النطاق الفردي، وعلى نطاق المؤسسات (مثل بعض الجامعات والمجامع اللغوية ، وعلى الأخص في مصر) إلا أن طبيعة العمل الفردي ، من جهة ، وطبيعة تركيب تلك المجامع اللغوية ، من جهة أخرى ، وتدفق الكتب والوثائق العلمية والتعليمية ، وسرعة تطوّر العلوم ، وعدم توافر القدرة على المتابعة والتطوّر في المفهوم العلمي واللغوي ، من جهة ثالثة ، أدّت بكثير من تلك المحاولات الى نهايات مسدودة ، باستثناء الرموز الخاصة بالمواد الكيميائية، وقد أهملت في العديد من البلدان العربية بسبب عجزها عن النمو المتقدم ، واخذ العديد من المدارس والمؤسسات يستعمل الرموز اللاتينية بدلاً من العربية .

ومنذ عدّة سنوات حاولت المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس معالجة الموضوع ، ولكنّها — رُبّما لنفس الأسباب السابقة — وَجَدَتْ نفسها غير قادرة على تعريب الرموز كنظام متكامل مُرِن . واصدرت المنظمة في اوائل السبعينات ترجمةً عربيةً للمواصفات القياسية الدولية ، أَعْقَبَتْهَا في تشرين الاول ١٩٧٤ بترجمةٍ منقّحةٍ باسم « المواصفات القياسية العربية رقم (١) وحدات النظام الدولي ، والتوصيات الخاصة باستخدام مضاعفاتها ، وبعض الوحدات الأخرى المعيّنة » .

وصدرت الترجمة المنقّحة في طبعتين : —

إحداها تحمل رموزا عربية للمصطلحات العربية .

والثانية تحمل رموزا لاتينية للمصطلحات العربية .

أما الرموز العربية، فالملاحظ أن استخدامها بشكل غير منهجي أدى ببعض الرموز الى أن تكون بعيدة عن روح اللغة العربية ، أو أن تكون عملية الترميز فيها « عملية شكلية » ، بمعنى أن يَنْقُص

الرمزُ عن الكلمة الكاملة حرفاً أو حرفين ، أو أن تترك بعض الاصطلاحات دون إحداث رموز لها على الإطلاق ، بسبب التعقيد الناشئ عن تركيب الوحدات بعضها ببعض ، وكما هو في المثال التالي : —
وحدة الكتلة تقاس بالكيلوجرام (الكيلوغرام) ورمزها (كجم) أو (كغم) .

وحدة التيار الكهربائي تقاس (بالأمبير) ورمزها (أمب) .

وحدة كمية المادة تقاس (بالمول) ورمزها (مول) .

وحدة شدة الاضاءة تقاس (بالقنديل) ورمزها (قند) .

وحدة القدرة تقاس (بالواط) ورمزها (واط) .

وحدة الطاقة تقاس (بالجول) ورمزها (جل) .

وحدة كثافة التدفق المغنطيسي ، تقاس

(بالتسلا) ورمزها (تسلا) .

وحدة الحث تقاس (بالهنري) ورمزها (هنري) .

وحدة الفيض الضوئي تقاس (باللومن) ورمزها (لُمن) .

أما عن استخدام المضاعفات ، فإن نظام الترميز الذي اقترحتُه المنظمة العربية لم يصلح للعمل أبداً ؛ وهذه أمثلة منه : —

كمية الطاقة (كيلو جول) ورمزها (كيلو جل) .

كمية الطاقة (ميغا جول) ورمزها (ميغا جل) .

الكثافة الحجمية للشحنة ورمزها (ميكروكمب/م^٣) .

وهكذا نلاحظ أنه في الوقت الذي رُمز الى الكيلو في وحدة الكيلو غرام بالرمز « ك » ، فإنه لم يستطع أن يستعمل نفس الرمز في وحدة كمية الطاقة ، وتحول الرمز الى الكلمة الكاملة . وأما رُمز الكثافة الحجمية للشحنة فواضح أنه « نصف رمز » ، إذا صح التعبير .

أما عند استخدام الرموز اللاتينية للمصطلحات العربية ، فإن نظام الترميز القائم على منهجية معينة ، مرتبطة باستخدام الحرف اللاتيني ، استطاع أن « يُثَبَّت » ، وأن يبدو غير متناقض مع نفسه . إلا أنه ، بطبيعة الحال ، غير مقبول لعدم صلته باللغة العربية ، كما هو موضح في المثال التالي : —

وحدة الطول تقاس بالمتر ورمزها (m)

وحدة الزمن تقاس بالثانية ورمزها (s)

وحدة الزاوية المستوية تقاس بالزاوية

الدائرة ورمزها (rad)

وحدة القوة تقاس (نيوتن) ورمزها (N)

شدة المجال الكهربائي تقاس

(بالفولط / متر) ورمزها (kv / m)

ومنذ عدة أشهر شُرعت المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس بمراجعة الترجمة المذكورة ، لتحديثها وتنقيحها على الأسس السابقة عليها .

٢ — تقييم العمل

رغم الجهود التي تبذلها المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس في هذا المجال ، ورغم أهمية الموضوع ، فإن اختيار الرموز العربية بشكل غير منهجي ودون رؤية واضحة للموضوع بأكمله ، وكذلك دون محاولة لتطوير مفهوم الحرف ووظيفته شكلا ومضمونا ، أدى ، ويؤدي الى طريق مسدود . وكذلك كان اختيار الرموز اللاتينية للكلمات العربية ، وهي هنا الوحدات المعربة ، يبدو في نظرنا غير صحيح وغير علمي ، لاسباب كثيرة ، أهمها : —

١ — صعوبة استعمال الرمز اللاتيني في سياق الكتابة العربية ، سواء في الكتابة أم في الطباعة .

ب - ارتباط استعمال هذه الرموز بالمستوي التعليمي ، من حيث ضرورة معرفة الأحرف اللاتينية نُطْقًا وكتابةً؛ وهذا يتمدُّ في كثير من الاحيان على تلاميذ المدارس الابتدائية ، في حين أنَّ تثبيت الرموز كجزءٍ أساسيٍّ من التفكير العلمي ، يتطلب استعمال هذه الرموز في المراحل الاولى للدراسة ، وبشكل تدريجي ومتنامٍ .

ج - ان اختلاف اللغة العربية جذريًا عن اللغات الاوروبية ، سواء بأصولها اللاتينية أم السلافية أم الإغريقية ، يجعل من عملية الترميز بأحرفٍ غير عربية عمليةً على قدر من الامتناع ، وعدم التناسق مع التوجه الذهني الذي تفرضه اللغة .

د - ان الرموز العلمية يجب ان لا يُنظر اليها كمادة للتداول فقط في اوساط أو شرائح علمية معينة ، بل إنَّ طبيعة العصر والتقَدُّم التكنولوجي، وتشَارِكُ المستويات التعليمية المختلفة بالعمليات الانتاجية على مختلف انواعها ، يجعل من الضروري أن تكون الوحدات المستعملة برموزها واشكالها مفهومة ومقروءة ، ليس لدى الجامعين فقط ، بل لدى الفنيين المتوسطين وشبه المهرة كذلك ، اضافةً الى الانسان العادي . وهذا لا يتأتى حين تكون الرموز المستعملة غريبة عن اللغة المحلية .

هـ - ان التطوُّر العلمي المرتقب خلال السنين القادمة يُنبئ عن تزايد المعرفة العلمية والتكنولوجية ، وبالتالي تزايد الحاجة الى الرموز ، سواء في الوحدات أم في المواد الكيميائية ، أو الرياضية أو الطبيعية أو غيرها . ومثل هذا التزايد لا يمكن أن يواجهه الا من خلال نظام للتعريب يَسْتَنِدُ كَلْبًا الى الجذور الأساسية للغة .

٣ - المفهوم النظري للترميز

يقوم الترميز اساسًا على اختيار رموز ، على صورة اشكال معينة مُحَقَّقٍ عليها ، أو حروف لغوية (وهي بطبيعتها اشكالٌ مُتَّفَقٌ

عليها) تُختَصِرُ الحجم والزمن اللزُمين للدلالة على الرموز له ، وفي نفس الوقت تكون قابلية للاستعمال في مواقع متنوعة ، تبتدىء بالكتابة المُسَهَّبة ، وتنتهي بالمعادلات الرياضية. وكذلك ينبغي ان تكون مرونة مرونة الارقام الرياضية عينها ، لانها تُعَبِّرُ في كثير من الاحيان عن القيم الفيزيائية للكميات الرياضية . وما لم يتوافر في الرمز مثل هذه الخصائص ، فسيظل الرمز عاجزاً عن تحقيق الغرض الذي انشئ من اجله .

ومن هذا المنطلق كان اختيار الرمز اللاتيني (او الياباني اذا شئت) يُعْتَبَرُ اختياراً غير صحيح بالنسبة الى اللغة العربية . على ان مرونة الحروف ذاتها وقابليتها للتشكيل تلعبان دوراً كبيراً في امكانية ملائمة هذه الحروف لاجراض الترميز .

٤ - الاساسيات التي يقوم عليها نظام الترميز بالعربية

لقد كانت صعوبة التصرف بالحرف العربي واحدة من الاسباب الرئيسية التي دفعت العاملين في المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، وغيرهم من المشتغلين بالتعريب ، الى التراجع عن استعمال الرموز العربية بعد ان استنفدوا الرصيد المعروف من الحروف ، وهو لا يتجاوز في الاحوال العادية الملائمة للاستعمال عشرين الى خمسة وعشرين حرفاً ، لا تكاد تغطي جزءاً من نظام الوحدات الكامل .

ومن ناحية ثانية ، اذا نظرنا الى الرموز الدولية ، او الرموز المستعملة في بعض الدول ، ولا سيما في أوروبا وأمريكا ، نجد ان الامكانية العددية للأبجدية اللاتينية تصل الى اضعاف الامكانية العددية للأبجدية العربية ؛ علماً بان عدد الاحرف الابجدية في معظم هذه اللغات يكاد يكون متقارباً .

يعود هذا الفرق بين الامكانيات أساساً الى توافر شكلين للحرف في اللغات اللاتينية ، وهما الحرف الكبير والحرف الصغير (M, m) ،

على سبيل المثال) . ومع انه يتوافر اكثر من شكل واحد للحرف العربي (ونعني بذلك الاشكال الاولى والوسطى والاخيرة) فان طبيعة تكوين الاشكال الوسطى والاخيرة ، او الاولى ، بالنسبة الى بعض الحروف ، تَمَنُّع في كثير من الاحيان من استعمال هذه الاشكال بصورة مستقلة ، كما في الحروف الاوروبية . ان استعمال حرف النون ، على سبيل المثال ، هو اكثر ملائمة حين تكون النون مستقلة ، أي على شكل (ن) في حين ان شكلها في الابتداء او الوسط كثيرا ما يكون غير متميّز ، او يدعو للالتباس او الاختلاط . فعلى سبيل المثال ، اذا اخذنا حرف (النون) في العربية مرة اخرى ، وحرف (N)

بالانكليزية ، وَجَدْنَا لدينا الاشكال التالية : —

ن ث خ

n N

يضاف الى ذلك استعمال الاصول اللاتينية او الاغريقية للحروف الاوروبية الحالية ، وهي كُشْكُلٌ او رمز تتميَّز عن الشكل الحالي للحرف الاوروبي ، وبالتالي تزيد من امكانية نظام الترميز .

مثال : A, a, *A* B, b, R, r, *R*

وهكذا كان تعريب الرموز الحالي يتضمَّن الأساسيات التالية : —

١ — تسمية الحروف العربية بشكلها المستقل حروفا كبيرة (مثال : ا ، ب ، ج ، د .. الخ) .

ب — تسمية الحروف العربية بشكلها عند الابتداء بحروف صغيرة (مثال : ب ، ص ، ف ، ي .. الخ) .

وفي محاولة لاعطاء شكل الحرف عند الابتداء نوعا من الاستقلال ، اقترحنا اضافة حركة صغيرة الى آخره نسميها هنا « حركة الاستقلال » ، ليصبح على النحو التالي : —

(مثال : به ، سه ، فه ، الخ) . (انظر اللوحة رقم ١) .

ج — تحقيقا لزيادة سعة نظام الترميز ، ولا سيما عند استعمال المعادلات المتضمنة للكثير من الرموز والمتغيرات ، من الممكن

« اضافة حركة » الى الحروف الكبيرة ، مشتقة من انماط الكتابة العربية ، وفي الوقت عينه تعطى طابعاً متميزاً يماثل اشكال الاحرف المائلة في اللغات الاوروبية (مثال : س. ص. هـ. ح. ...)
نظ. ، يه. ، غ. ، ح. ...
انظر اللوحة رقم (٢) .

ونسى هذه الحركة هنا « حركة التمييز » .

وبهذا يمكن تحقيق سمة كبيرة للأبجدية العربية في مجال الرموز ، تكفي عندما تُستخدَم استخداماً منهجياً صحيحاً لتفطية الاحتياجات المطلوبة ، عن طريق الاستعمال المفرد والمركب والمتضاعف .

د — استعمال الحرف الصغير للدلالة على الوحدات العامة ، وغير المأخوذة عن أسماء اعلام مثل : —

الشحنة الكهربائية ، ورمزها (شـ) .

الازاحة ، ورمزها (شـ / مـ) .

الزمن مقاس بالثانية ، ورمزه (ثـ) ... السخ .

ه — استعمال الحروف الكبيرة او الحرف الاعتيادي متصلاً مع حرف كبير ، للدلالة على الوحدات المشتقة من أسماء اعلام ، مثل : —

وحدة الطاقة « جول » ، ورمزها (جـ) .

وحدة الجهد الكهربائي « فولت » ، ورمزها (فـ) .

وحدة التيار الكهربائي « أمبير » ، ورمزه (أـ) .

وحدة كمية الكهرباء « الكولمب » ، ورمزه (كـ بـ) .

وحدة الممانعة « هنري » ، ورمزها (هـ نـ) .

وحدة المسامحة « سينمس » ، ورمزها (سيم) ... الخ .

و — الوصول الى الوحدات المركبة من خلال استعمال اشارات

الضرب والقسمة الاعتيادية ، كما هو في المعادلات الرياضية .
مثال ذلك : —

كثافة التيار الخطي « أمبير لكل متر » ، ورمزها : (A/m) .
العزم الكهرو مغناطيسي « أمبير مضروباً بالتر المربع » ،
ورمزه : ($A \cdot m^2$) .

الممانعة وهي مقلوب الهنري ، ورمزها : (هن⁻¹) ... الخ .

٥ — انواع الوحدات المعربة

١ — الوحدات الأساسية :

وتشمل الوحدات الفيزيائية ، التي تُعتبر الوحدات الأخرى جميعها مشتقة منها ؛ وهي ثمان أساسية واثنان مكملتان لها ؛ وهذه تشمل وحدات مشتقة من أسماء اعلام ، ووحدات ليست كذلك ؛ وتُبين اللوحة رقم (٣) الرموز المعربة للوحدات الاساسية . ويلاحظ أن الرمزَين الدارجَين للمتر والكيلو غرام هما على التوالي (م) و (كغم) . ورغم أن هذه الرموز مقبولة باعتبارها قائمة بذاتها ، إلا أنه يجب تغيير الحروف الكبيرة فيها الى حروف صغيرة ، لكي تتبع النظام المقترح وتصبح (م و كغم) .

٢ — الوحدات المشتقة :

وهذه الوحدات يُعبّر عنها جُبريًا بدلالة الوحدات الاساسية ، أو الوحدات المكلمة . ويمكن التعبير عن رموزها بالعلامات الرياضية المعتادة . على سبيل المثال : تقاس وحدة النظام الدولي للسرعة بالمتر لكل ثانية . ووحدة النظام الدولي للسرعة الزاوية بالزاوية المستوية لكل ثانية .

ورمزها في نظام الترميز المقترح هي م / ث ، مس / ث .
بينما كانت الرموز التي اقترحتها المنظمة العربية
للمواصفات والمقاييس هي :
m/s rad/s على التوالي .

كذلك نجد في الوحدات المشتقة أسماء خاصة لهذه
الوحدات ، تتطلب إيجاد رموز لها لكي يمكن اختصار
كمية الرموز عند استعمال الوحدات الأساسية للدلالة
على الوحدات المشتقة .

والوحدات المشتقة تتضمن العلوم الأساسية ، وهي :
الكهرباء — الضوء — الصوت ... الخ ، كما هو في
اللوحة رقم (٤) .

تبين اللوحة رقم (٥) الوحدات الكهربائية الأساسية
والمشتقة في الكهرباء . وقد ذكر تعريف الوحدة واسمها
ورمزها العربي المقترح . ويلاحظ أن نظام الترميز الجديد
سهل الاستعمال ، وغير مسبب للالتباس . وقد وضعنا
الرمز بالحروف اللاتينية للمقارنة .

٣ — الوحدات المركبة : —

وهي الوحدات التي تتألف من تركيبات متنوعة من
الوحدات الأساسية والمشتقة ، عن طريق ضرب هذه
الوحدات أو قسمتها . مثال ذلك : —

وحدة العزم ، وهي نيوتن مضروباً بالمتر ، ورمزها (ن . م)
اللزوجة الديناميكية ، وتساوي بيسكال مضروباً بالزمن ،
ورمزه (بس . ث) .

وبالرجوع الى اللوحات (٦ — ٧ — ٨ — ٩ — ١٠ —
١١) نجد الرموز العربية المقترحة لمختلف انواع
الوحدات في العلوم الأساسية الطبيعية .

(ملاحظة : إنَّ تعريب الوحدات ليس من عمل الكاتب .
ولديه بعض التَّحَفُّظَات على بعض هذا التعريب) .

٤ - المضاعفات : -

تُسْتَعْدَمُ في النظام الدولي مجموعة من البادئات لها
أسمائها ورموزها ، وتَتَكَوَّنُ من مضاعفات وأجزاء عشرية .
والنظام الدَّوْلِيّ يَفْتَرِضُ أن يكون رمزُ البادئة مُتَّحِداً مع
رمز الوحدة المتصل بها مباشرة ، لتكوين رمز وحدة جديدة
يُمْكِنُ رَفْعُهَا إلى أُسٍّ موجب أو سالب ، يمكن أن يُتَّحَدَ
مع رموز وحدات أخرى . مثال ذلك : -

البادئة سنتي ، ورمزها باللاتينية (c) والعربية (سر) .

الميكرو ، ورمزها باللاتينية (u) والعربية (مير) .

النانو ، ورمزها باللاتينية (n) والعربية (نم) .

وتُبَيِّنُ اللوحة رقم (١٢) أسماء البادئات ورموزها
اللاتينية والعربية ، وقيمها الرياضية ؛ ومثالا على
استعمالها بنظام الترميز المقترح .

٦ - استنتاجات

إنَّ احرف اللغة العربية ، من حيث الأساس ، صالحة لاستخدامها
في وضع نظام رموز متكامل للوحدات الدولية . وهي ، اذا أُدْخِلَ عليها
بعض الاضافات او التعديلات البسيطة ، يُمْكِنُ أن تُعْطِيَ الحرف
العربي مرونة كافية في التطبيقات العملية ، سواء المكتوبة منها ،
ام المقروءة ، ام المتداولة لفظا . إنَّ ادخال « حركة الاستقلال » و « حركة
التَّمْيِيز » على صورتَي الحرف العربي الصغير والكبير على التوالي ،
يُمْكِنُ من استعمال هذه الاحرف في المجالات العلمية المختلفة دون أن
تكون هناك فرصة للالتباس أو الغموض . ان حركتي الاستقلال

والتميز مشقتان من أنماط الحطوط العربية ؛ فهي ليست غريبة او
مفتعلة . ويمكن اضافتها كتابة ولباعة بسهولة واضحة .
إنّ نظام الترميز المقترح يفي في رأينا ، بمتطلبات الرموز حسب
النظام الدولي .

٧ - مراجع :

- ١ - المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، المواصفات
العربية / القاهرة .
2. International Organization for Standards
SI Units,
Geneva, Switzerland

لوحة رقم (١١)

الحروف الاعتيادية والحروف المستقلة المعترحة بإضافة حركة الاستقلال

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض
 و ه ت ث ج ه ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي
 ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي

لاحظ أن الحركة الإضافية التي أُدخلت على الحرف الصغير ،
 « حركة الاستقلال » ، مضافة هنا على الحرف الطبيعي .

(5) 2009

الأحرف الـرَّعِيَّادِيَّةُ، والأحرف الـمُتَبَيِّنَةُ، بالإضافة حركة الحَيرِ

[illegible]

১
 ২
 ৩
 ৪
 ৫
 ৬
 ৭
 ৮
 ৯
 ১০
 ১১
 ১২
 ১৩
 ১৪
 ১৫
 ১৬
 ১৭
 ১৮
 ১৯
 ২০
 ২১
 ২২
 ২৩
 ২৪
 ২৫
 ২৬
 ২৭
 ২৮
 ২৯
 ৩০
 ৩১
 ৩২
 ৩৩
 ৩৪
 ৩৫
 ৩৬
 ৩৭
 ৩৮
 ৩৯
 ৪০
 ৪১
 ৪২
 ৪৩
 ৪৪
 ৪৫
 ৪৬
 ৪৭
 ৪৮
 ৪৯
 ৫০
 ৫১
 ৫২
 ৫৩
 ৫৪
 ৫৫
 ৫৬
 ৫৭
 ৫৮
 ৫৯
 ৬০
 ৬১
 ৬২
 ৬৩
 ৬৪
 ৬৫
 ৬৬
 ৬৭
 ৬৮
 ৬৯
 ৭০
 ৭১
 ৭২
 ৭৩
 ৭৪
 ৭৫
 ৭৬
 ৭৭
 ৭৮
 ৭৯
 ৮০
 ৮১
 ৮২
 ৮৩
 ৮৪
 ৮৫
 ৮৬
 ৮৭
 ৮৮
 ৮৯
 ৯০
 ৯১
 ৯২
 ৯৩
 ৯৪
 ৯৫
 ৯৬
 ৯৭
 ৯৮
 ৯৯
 ১০০

الكِيَّات الأساسية
الوحدات الأساسية

المطول	الكتلة	الزمن	التيار الكهربائي	درجة الحرارة المطلقة	كمية المادة	شدة الاستضاءة
المتر m	الكيلو غرام Kg	ثانية s	أمبير A	كلفن K	مول mol	قنديله cd
٢	ك فر	د	١	ك	مل	ند

الوحدات المكملة للنظام الدولي			
زاوية مجسّمة	زاوية مستوية	زاوية نصف قطر	زاوية فراغية
		rad	Sr
جسر	متر		

اللوحة رقم (٣)
للوحدات الأساسية والمكملة لنظام الوحدات الدولي

الكميات المشتقة		الوحدات المشتقة				
الكهرباء	الضوء	الصوت	الميكانيكا	المغناطيسية	الحرارة	الكيمياء

اللوحة رقم (٤)

العلوم الطبيعية التي دخلت وحداتها في هذا البحث

القدرة	كمية الكهرباء	جهد كهربائي، فرق جهد، قوة، ائمة	سعة كهربائية	مقاومة كهربائية	موصلية كهربائية	شدد	الطاقة	الكثرون	كثافة الشحنة	كثافة الشحنة السطحية	شدة المجال الكهربائي
واط	كولمب	فولت	فاراد	اوم	سيمن	هيرتز	جول	فولت	كولمب/متر ²	كولمب/متر ²	فولت / متر
و	كب	ت	فد	ص	سيم	هف	ج	ف	كب/م ²	كب/م ²	ف/م

الشحنة الكهربائية	الاراحة	عزم كهربائي، طيسي	نفاذية	مساحة	شافة	ساعة	موصلية	الحث الذاتي، والسيلان	كثافة التيار	التدفق الكهربائي	كثافة التيار، والمطي
C	C/m ²	A.m ²	H/M	S	H	H ⁻¹	S/m	H		C	A/m
سيم	ش/م ²	أ.م ²	هن/م	سيم	هن	هن ⁻¹	سم/م	هن	أ/م ²	مفس	أ/م

اللوحة رقم (٥)

رموز الوحدات الأساسية المشتقة في الكهرباء

لاستقطاب الكهربائي	عزم كهربائي، شافي، القطب
C/m ²	C.m
ش/م ²	ش.م

الصوت

مستوى قدرة الصوت د بسل db	سرعة الجسم m^3/s	سرعة الصوت m/s	ضغط الصوت pa	كثافة الكتلة kg/m^3	طول الموجه m	فترة (سورة) زمن (دوري) s	التردد الدوائي s^{-1}/min^{-1}	السترون هيرتز
نسب	م ³ /ث	م/ث	بسن	كجم/م ³	م	ث	ث ⁻¹ و ث ⁻¹ min ⁻¹	هرتز

مستوى طفيف الصوت db	دليل خفي الصوت db	مساحة امتصاص مكانته m^2	زمن الارتداد s	مستوى طفيف الصوت db
نسب	د ب	م ²	ث	د ب

اللوحة رقم (٦)

رموز الوحدات الأساسية والمشتقة في الصوت

المفرد

شدة الإشعاع	قدرة شحنة تدفق شحنة W	طاقة شحنة J	طول الموجة متر، انجستروم $\lambda^0, \mu m, nm, m$	السترون هيرتز H^2	فيس ضوئي لوحت lm	شدة استضاءة لكس lx	شدة الإضاءة قandle أو شمعة cd
W/sr	و	ج	أ، هـ	هر	لم	لك	قد
د/جلم							

فعالية ضوئية	معرض ضوئي lx/s	وجون ضوئي lm/m^2	لشموع cd/m^2	كمية النسيج $lm \cdot s$	الإشعاعية كثافة الإشعاع w/m^2	الوحدون الإشعاعي w/m^2	اشعاعية $w/sr \cdot m^2$
lm/W	لك. قسم	لم/ها	قد/ها	لم. ث.	و/ج	د/ها	د/جسمها
لم/و							

اللوحة رقم (٧)

رموز الوحدات الأساسية والاشتقاقية في الفيزياء

الكهرومغناطيسية
والمغناطيسية

كثافة التدفق المغناطيسي تسلا T	فرق الجهد المغناطيسي A	شدة المجال المغناطيسي A/m	التيار الكهربائي A	حث مغناطيسي هنرى H	كثافة التدفق المغناطيسي تسلا T	تدفق فيس وبت مغناطيسي wb
تس	أ	أ/م	أ	هن	تس	وب

عزم مغناطيسي ثنائي القطب $N \cdot m^2 / A$, wb/m	أبته قطاب مغناطيسي T	مغطة A/m	عزم كهرومغناطيسي $A \cdot m^2$	نفاذية H/m	كثافة التيار الخطي A/m	جهد النتيجة المغناطيسي wb/m
ن/أ ، وب/م	تس	أ/م	أ.م ²	هن/م	أ/م	وب/م

قدرة فعالة W	سامحة S	مافضة H	ساعة H^{-1}	منطقة A/m	عزم كهرومغناطيسي عزم مغناطيسي $A \cdot m^2$	المغناطيسي المتبادل هنرى H
و	سيم	هن	هن ⁻¹	أ/م	أ.م ²	هن

اللوحة رقم (٨)

رموز الوحدات الأساسية والمنشقة في المغناطيسية والكهرومغناطيسية

الميكانيكا

وزن كمية المتحرك	كمية المتحرك	الكثافة	الكثافة الحجمية	الكثافة	قدرة	ضغط، إجهاد، طاقة، ضغط، إمكان	قوة
الوزن $\text{kg} \cdot \text{m}^3/\text{s}$	$\text{kg} \cdot \text{m}/\text{s}$	kg/m^2	كيلوغرام/متر	كيلوغرام	واط	باسكال	نيوتون
كغ.م ³ /ث	كغ.م/ث	كغ.م ²	كغ.م ³	كغ	و	بس	ن

الطاقة، الشغل	التوتر (الشد) السطحي	اللزوجة الحركية	اللزوجة الدينامية	الاجهاد	ضغط السائغ	وزن القوة	وزن القصير الذاتي
ج	N/m	m^2/s	$\text{pa} \cdot \text{s}$	$\text{pa}, \text{m}/\text{m}^2$	1 bar	$\text{N} \cdot \text{m}$	$\text{kg} \cdot \text{m}^2$
ج	ن/م	م ² /ث	باس. ث	باس، م/م ²	بار	ن.م	كغ.م ²

اللوحة رقم (٩)

رموز الوحدات الأساسية المشتقة في الميكانيكا

الحرارة

الموصلية الحرارية	معدل سريان الحرارة	كمية الحرارة	معامل التمدد الطولي	درجة الحرارة	درجة الحرارة الترمومترية
$W/m \cdot K$	W	J	K^{-1}	درجة الحرارة سلسيوس $^{\circ}C$	K
د/هـ.ك	و	ج	ك ⁻¹	ك	ك

حرارة كامنة نوعية	طاقة نوعية	التروبيما الفرعية	التروبيما	السعة الحرارية النوعية	السعة الحرارية	معامل انتقال الحرارة
J/kg	J/kg	$J/kg \cdot K$	J/K	$J/kg \cdot K$	J/K	$W/m^2 \cdot K$
ك/ك	ك/ك	ك/ك	ج/ك	ج/ك	ج/ك	و/هـ.ك

اللوحة رقم (١٠)

رموز الوحدات الأساسية والمشتقة في الحرارة

الكيمياء

تركيز	الارتباط الجزيئي الفيزيائي	السمعة الحرارية للجزيئي الفيزيائي	طاقة الجزيئي الفيزيائي	حجم الجزيئي الفيزيائي	كتلة الجزيئي الفيزيائي	كمية المساحة
mol/m^3	$\text{J/mol} \cdot \text{K}$	$\text{J/mol} \cdot \text{K}$	J/mol	m^3/mol	kg/mol	mol
مل/م ³	ج/مل.ك	ج/مل.ك	ج/مل	م ³ /مل	كغ/مل	مل

معدل انتشار حراري	معدل الانتشار	تركيز الجزيئي الفيزيائي
m^2/s	m^2/s	mol/kg
م ² /ثا	م ² /ثا	مل/كغ

اللوحة رقم (١١)

رموز الوحدات الأساسية والمشتقة في الكيمياء

البادئات في النظام العالمي

البادئة	رمزها العربي المقترح	رمزها اللاتيني	اسم البادئة
تيرا	T	ت	تيرا
غيغا	G	غ	غيغا
ميغا	M	م	ميغا
كيلو	K	ك	كيلو
هيكو	H	ه	هيكو
ديكا	Da	د	ديكا
ديسي	D	د	ديسي
سنتي	C	س	سنتي
ميلي	m	م	ميلي
ميكرو	μ	م	ميكرو
نانو	n	ن	نانو
بيكو	p	ب	بيكو

اللوحة رقم (١٢)

اسماء البادئات ورموزها اللاتينية والعربية المقترحة

مثال +

ادراكا من المتر (م)

فانومترات ليصبح كهر

وليغنا متر ليصبح م

واليكرو متر ليصبح مي

لوانومتر ليصبح ن

الليتر متر ليصبح ل

الليغنا متر ليصبح غ

ولييلي متر ليصبح م

كيسكو متر ليصبح ك

أحداث بلاد طرابلس الشام

١٠١٥ هـ / ١٠١٦ هـ
للدكتور عدنان البخيت
١٦٠٦ م / ١٦٠٧ م

بُعِيدُ نهاية القرن السادس عشر الميلادي بدأت السلطنة العثمانية تعاني من أسباب الضعف والانحطاط (١) ؛ ومن مظاهر هذا الضعف كثرة حركات العصيان التي أصبحت تُلَفّ مختلف الولايات العثمانية، حيث كان من أبرزها الحركة الجلالية التي اكتسحت بلاد الاناضول، مستغلةً المظالم الاجتماعية التي كانت قد لحقت بريف تلك الهضبة (٢). ولم تكن هذه الحركة لتُتِمَّ دون أن تترك لها أثراً على المناطق الشامية، خاصةً المحاذية لها كحلب وبلاد طرابلس الشام (٣). ولعلّه من المفيد

(١) حول أسباب ضعف الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر انظر :
Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, 2nd edition, Oxford University Press, 1968, pp. 21 - 39, Inalcik, Halil, The Ottoman Empire: The Classical Age 1300 - 1600, Weidenfeld and Nicolson, London, 1973, pp. 41 - 52.

(٢) حول الحركة الجلالية انظر دراسة :

Mustafa Akdag, Turk Halkinin Dirlik Ve Duzenlik Kavgasi, Bilgi Yayinlari, Ankara, 1975.

وكذلك رسالة

Griswold, W. J., Political Unrest and Rebellion in Anatolia 1605 - 1609 Ph. D. Thesis, University of California, Los Angeles, 1966.

(٣) حول هذا الموضوع : انظر مزيداً من التفصيلات في الترجمة التي أوردها حسن ابن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) لعبد الحليم اليازجي « الباغي الخارجي » (ت ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م) ، تراجم الاميان من أبناء الزمان ، م ٢ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٣ ، م ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٧٠ ، كذلك انظر : المحبي ، محمد أمين (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، خلاصة الاثر في اميان القرن الحادي عشر ، م ٤ ، تصوير دار صادر بيروت ، ٧٠ ت ، م ٢ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

هنا أن نتذكر أن السلطنة العثمانية، انسجما مع سياستها التقليدية (٤) ، لم تلغِ الزعامات المحلية المتعاونة معها في بلاد الشام بعد ضم هذه البلاد الى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الاول، بعد معركة مرج دابق (٢٥ رجب ٩٢٢ هـ / ٢٤ آب ١٥١٦ م) ، إذ أن معظم هذه الزعامات حافظت على وجودها مستكنة، إبان قسوة الدولة ضمن الإطار العثماني . الا أنها بدأت تتحرك في الربع الأخير من القرن السادس عشر، لتوسّع من دائرة نفوذها على حساب السلطة العثمانية المحلية ، ولكن ليس بقصد الاستقلال عن السلطنة العثمانية . ولقد استفادت من انشغال الدولة العثمانية في حروبها الطويلة المستديمة على الجبهتين الصفوية والنمساوية، بالإضافة الى الخسائر التي تكبدها العثمانيون في اخضاع حركات التمرد والعصيان في اليمن وفي غيرها (٥) . من بلدان سلطنتهم . كما انه كان قد ترتّب على انتصار

تحالف البابوية واسبانيا والبندقية في معركة ليبانتو Lepanto البحرية، في السابع من تشرين الاول سنة ١٥٧١ م، أن قسوة الدولة العثمانية البحرية، من حيث العدد والعدة والنوعية والحالة النفسية، قد أصبحت دون مستوى الاساطيل الأوروبية (٦) ، وان الدول الأوروبية ، خاصة الكاثوليكية منها ، قد عاودتها من جديد الفكرة

(٤) انظر مقالة :

Inalcik, H., "Ottoman Methods of Conquest", Studia Islamica, Vol. II (1954), pp. 102 - 29.

(٥) انظر :

Bakhit, M. A., The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century. Ph. D. Thesis, SOAS, London, 1972, pp. 186 - 221.

Creasy, Edward S., (٦) حول معركة ليبانتو انظر :

Hisory of the Ottoman Turks, Reprint, Khayats, Beirut, 1961, pp. 219-22.

Inalick, H. The Ottoman Empire, pp. 41 - 42.

كذلك انظر التحليل العسكري لهذه المعركة من الناحية الحربية في دراسة :

Guilmartin JR., John Francis, Gunpowder and Galleys; Changing Technology and Mediterranean Warfare at Sea in the Sixteenth Century, Cambridge University Press, 1974, pp. 221 - 252.

الصليبية المستهدفة استخلاص فلسطين من أيدي المسلمين ، ولكن هذه المرة ليس بارسال حملات من أوروبا، بل بالاعتماد على بعض القوى المحلية من الاقليات العرقية والمذهبية لتنفيذ هذا المخطط (٧) . وكان من أبرز هذه القوى الأسرة المعنية الدرزية، والأسرة الجانبولاطية الكردية في كلس واعزاز . ولقد وُسِّمت الاسرة الأخيرة من دائرة نفوذها، بحيث أنيطت ولاية حلب في مطلع القرن السابع عشر بزعيمها، آنذاك، حسين باشا جانبلاط، الذي نتيجة لتلكه في الانضمام الى حملة الوزير سنان باشا جفال زاده ضد الشاه عباس الاول (١٩٦ هـ / ١٥٨٨ م — ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٩ م) أمر الوزير المذكور بقتله في بلدة وان التركية سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م (٨) .

(٧) حول هذه الخطة انظر :

Salibi, K. "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli" Arabica, Vol. xx, (1973), p. 33.

انظر أيضا لنفس المؤلف ، « فخر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية » ، ابعاد القومية اللبنانية ، منشورات جامعة الكسليك ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨٥ — ١١١ .
لزيد من الاتصالات حول هذه الخطة انظر أيضا ما نشره الأب بولس موالى :
١ - « فخر الدين الثاني وعلاقته بفرناند الاول وقزما الثاني أمير تسكانيا » ١٦٠٥ — ١٦٢١ ، حريصا ١٩٣٨ .

٢ - وكتابه الثاني « فخر الدين المعني أمير لبنان وفرناند الثاني أمير تسكانيا » ١٦٢١ — ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٣٨ .

(٨) حسين بن جانبلاط ، كردي الأصل، كان في ابتداء امره من الطائفة العسكرية المعروفة باسم المترقة، ثم خُلف والده في إمارة كلس، وتدرج في المناصب الى أن أوكلت اليه حلب، ولكنه ظلكا في مساندة الوزير سنان باشا في حملته الفاشلة على بلاد فارس ، وكان من نتيجة ذلك أن سنان باشا أمر بقتله في بلدة وان التركية في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م . البويرني ، المصدر ذاته ، م ٢٠ ، ص ٢٧١ .
انظر المجبى ، خلاصة ، م ٢ ، ص ٨٤ — ٨٧ .

أما سنان يوسف باشا المعروف باسم جفال زادة ، فلقد تولى في القصر السلطاني ، وتولّى عدة مناصب، منها ولاية ديسار بكر في سنة ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م، كما تولى بعد ذلك بلاد وان وأرضروم وبغداد . وفي سنة ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧ م تولى بلاد الشام لبضعة اشهر . في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ، أوكلت اليه مهمة قيادة الجيوش العثمانية ضد بلاد فارس ، وكانت وفاته في نفس العام في ديار بكر ؛ انظر ترجمة حياته في محمد ثريا ، سجل عثماني ياخود تنكسرة مشاهير عثمانية ، اسطنبول سنة ١٣١١ م ، ص ٣ ، كذلك انظر محمد بن جيمة المقر الحنسي (ت ح ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م) ، الباشات والقضاة ، نشره صلاح الدين المنجد مع نصين آخرين باسم "ولاة دمشق في العهد العثماني" ، دمشق ، ١٩٤٩ م ، ص ٢٦ .

ولما وصل خبر مقتله الى حلب ثار ابن أخيه علي جانبلاط ،
 « ورفع علم العصيان ، وجمّع الطائفة الذين يقال لهم السكبانة حتى
 صار عنده منهم ما يزيد على عشرة آلاف ، ومنع مال السلطنة (٩) » . في
 أثناء ذلك كانت قوات الدولة العثمانية مشغولة في حرب ضروس مع
 امبراطورية النمسا ، كما ان قوات الجلاية الخارجة عن طاعة السلطان
 كانت تصول وتجول في بلاد الاناضول ؛ وكان قد سبق ذلك ان القوات
 العثمانية قد عادت خاسرة من حربها ضد الشاه عباس . في مثل تلك
 الظروف عرض الزعيم التركماني الاصل السنّي المذهب يوسف باشا
 سيفيا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) صاحب عكّار ، والذي كان يؤلّى من
 حين لآخر بلاد طرابلس ، خدماته على السلطان ، على « ان يكون اميرا
 على عساكر بلاد الشام ، على ان تكون جميعته بحماة ، ويلتزم بازالة
 علي بك المذكور عن حلب » . فلما جاءه الإذن السلطاني بذلك ، أرسل
 يوسف باشا الى العساكر العثمانية في دمشق وفي غيرها من القلاع
 لملاقاته عند حماة . وعند التقاء الجانبين تمكّن علي بك ابن جانبلاط
 بسهولة تلفت النظر من الحاق الهزيمة بالعساكر العثمانية بقيادة
 يوسف باشا سيفيا ، الذي توجّه الى طرابلس الشام ليهرب منها بأمواله
 الى جزيرة قبرس ، ومنها الى حيفا ، ملتحجا الى الامير أحمد الحارثي .
 ومن هناك عاد الى دمشق ليهرب منها الى طرابلس ، مقرّ سلطته .

ولحسن الحظ يتوافر لدينا نصّان لشاهدّي عيان لتلك الاحداث .
 صاحب النص الاول ، ويعرف باسم مصطفى بن جمال الدين ابن كرامة ،

(٩) البوريني المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٧١ ، لاحظ تعريف البوريني للسكبانة حيث
 يقول : « والسكبانة عبارة عن طائفة كان وضعهم ان الواحد منهم يحمل البندقية
 على ظهره ويقود الكلب في ساجوره ، ويمشي امام الامير او الكبير حين يسير الى
 الصيد . وهو لفظ فارسي مأخوذ من سك ، فاما سك فهو الكلب بلغتهم ، واما
 بان فهو بمعنى الحامي ، اي حامي الكلب » م ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ وكانوا يشكلون
 وحدة بارزة في فرقة الانتكارية . انظر :

Huart, CL. "Segban" E.I. , Vol. IV, pp. 203 - 4.

Gibb and Bowen, Islamic Society and the West, Oxford University
 Press, Reprint, 1963, vol. I, part I, pp. 59 - 61, p. 315.

من اهالي طرابلس الشام، كتب تعليقة حول ما اصاب مدينته نتيجة لحركة علي بن جانبلاط ؛ والنص الثاني للمؤرخ الدمشقي الشيخ حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) الذي يصف لنا دقائق تلك الاحداث ومجرياتها كما كان يراها من دمشق . والنصان يكملان ويعضدان بعضهما البعض، ومن هنا جاءت ضرورة نشرهما معاً، حيث انهما ما زالا مخطوطين .

والذي يُهمنا هنا ان التعليقة التي بين ايدينا تُصوّر لنا مشاعر احد ابناء طرابلس، قاعدة السّنة، ضمن اطار من الاقليات الاسلامية والمسيحية ، كما انها تبين مدى الولاء القوي من جانب الرعية للسلطان، حيث أنّ من عصاه « قد اطاع الشيطان » . وتُصوّر لنا كذلك نظرة اهالي طرابلس ليوسف باشا سيفاً ؛ وهي نظرة احترام، لأن معظم المصادر المتداولة بين ايدينا والمعروفة لدينا ، كتاريخ الازمنة للبطريرك اسطفان الدويهي (ت ١٦٩٩ م) وتاريخ الامير حيدر احمد الشهابي (ت ١٨٣٥ م) واخبار الاعيان في جبل لبنان ، لطّوس الشدياق (ت ١٨٦١ م) ، قد اعتبرت المؤرخ السنّي ، الشيخ أحمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) الذي كان معبراً عن وجهة نظر مخر الدين المعني الدرزي المتعاون مع العناصر المسيحية، خلاصة المارونية منها ؛ بينما يوسف باشا سيفاً ، كان سنّيّاً ينعم بثقة ودعم الدولة العثمانية له ، ربّما الى درجة ان السكان كانوا ينظرون اليه على انه رجل الدولة ووكيلها (١٠) . كما ان هذه التعليقة تُبيّن

(١٠) حول مكانة اسطفان الدويهي وطنوس الشدياق في مدرسة التاريخ اللبناني الماروني انظر :

Salibi, Kamal, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959, Ibid., "The traditional Historiography of the Maronites", Historians of the Middle East, edited by Bernard Lewis and P.M. Holt, Oxford University Press, 1967, pp. 212 - 225.

انظر في نفس الكتاب مقالة
A. H. Hourani, "Historians of Lebanon" pp. 226 - 243.

حول اهمية دور اسرة آل سيف في التاريخ المحلي ومن ملاحظاتها مع القوى المحيطة

لنا ان قسما من اهالي طرابلس الشام كانوا قد هَجَروا مدينتهم وركبوا البحر، لعلهم ان القوى المهاجمة هي قوى عاصية خارجة على طاعة السلطان ، خاصة وان قسما منها كان درزيا بقيادة فخر الدين المعني . ومما زاد في حراجة موقفهم، ان ذلك جاء في الوقت الذي كانت فيه الدولة مشغولة في اجتثاث الجلالية، ومشتبكة في حرب مع النمسا ، بالاضافة الى هزيمة العثمانيين امام الشاه عباس الاول، وما ترك ذلك من خيبة ومرارة . فلم يعد لدى سُكَّان طرابلس من حيلة الا الهروب الى اقرب الجزر .

يُعرِّف صاحب هذه التعليقة نفسه بايجاز كبير حيث يصف نفسه بقوله : « ... العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة » . وعند العودة الى مخطوط لطف السمر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر (١١) ، لنجم الدين محمد الغزي (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م) والقسم غير المنشور من تراجم الاعيان من ابناء الزمان (١٢) ، للحسن بن محمد البوريثي ، (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ، وخلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، لمحمد امين الدين المحبي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، وشذرات الذهب في اخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) فاننا لا نعثَر على ذكر لهذا الشخص . زيادة على ذلك فان خير الدين الزركلي وعمر رضا كحالة لا يذكرانه في معجميهما . واما الرحالة رمضان بن موسى ابن احمد المعروف بالعطيفي الدمشقي الحنفي (ت ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م) الذي زار طرابلس الشام سنة ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٤ م فانه لا يذكر اسم

— الاخرى انظر مقالتي الدكتور كمال المليبي :

Kamal S. Salibi, "Northern Lebanon Under the Dominance of Gazir", Arabica, Vol. XIV, (1967), pp. 144 - 166.

"The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640", Arabica, Vol. XX, (1973), pp. 25 - 52.

(١١) مخطوط المكتبة الظاهرية رقم ٤١ ، الاوراق ١٦٨ — ٢١٧ .

(١٢) المكتبة الوطنية، ميسّا Cod. Arab. 1190 Mixt 346

هذا الشخص من ضمن العلماء الذين قابلهم^{١٢} أثناء اقامته في طرابلس (١٣).
 الا أن الشيخ والقطب الصوفي عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ /
 ١٧٢١ م) يذكر في التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، التي دُون
 فيها اخبار رحلاته في سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م الى طرابلس ، أنَّ من
 بين من لقيه «... الشيخ الفاضل والبارع الكامل الشيخ علي بن
 كرامة»، ويذكر في مكان آخر أن علي بن كرامة قد زاره : «فزارنا في
 هذا اليوم أيضا عدَّة من الأفاضل المكرَّمين والعلماء المدرِّسين، منهم
 الشيخ الفاضل حاوي الفضائل الشيخ علي بن كرامة». ويضيف
 أن عليًا هذا قد زاره مرة ثالثة (١٤). وعند العودة الى كتاب تراجم
 علماء طرابلس وأدبائها، لعبد الله حبيب نوفل (ت ١٩٤٧ م) ، لا نجد
 ذكرًا لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة هذا، بل لأفراد آخرين كعمرو بن
 مصطفى أبي اللطف (ت ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م) ومصطفى بن عبد
 الحميد كرامة (١٥). وإذا ما رجعنا الى التعليقة نفسها فاننا نلمس،
 من ثناياها ومن لغتها ، أن مصطفى هذا كان على مستوى جيّد من
 حيث تَمَكَّن من اللغة العربية ، وأن له ولدا اسمه عمر ، وقَعَ معه في
 الأسر ؛ وما عدا ذلك فإن المعلومات التي يوردها عن نفسه تكاد
 تكون شبه معدومة .

(١٢) انظر نص الرحلة مع الدراسة التي قدَّم لها بها ناشر الرحلة

Stefan Wild "Al-Utaifis Journey to Lebanon in 1043/1634"

مجلة الأبحاث ، بيروت ، مجلد (٢٢) سنة ١٩٧٠ ، ص ٢١٢ — ٢٢٢ .

لصوء الحظ فقد إعداد هذه الدراسة لم أتمكن من الاطلاع على نسخة رحلة يحيى
 الحاسني (ت ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٢ م) ، «المنازل الحاسنية في الرحلة الطرابلسية» ،
 المحفوظة في مكتبة جامعة اسطنبول تحت رقم ٤٢٢٩ .

(١٤) انظر النابلسي ، الشيخ عبد الغني (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٢١ م) ، «التحفة النابلسية
 في الرحلة الطرابلسية» ، حققها وقدَّم لها هرييت بوسة ، بيروت ، ١٩٧١ م ،
 ص ٤٩ ، ص ٧٦ ، ص ٨٧ .

(١٥) نوفل ، عبد الله حبيب ، «تراجم علماء طرابلس وأدبائها» ، مطبعة الحضارة ،
 طرابلس ، ١٩٢٩ م ، ص ٢٥ ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .

ان هذه التعليقات المصنفة ضمن مجموعة Levinus Warner (١١) ،
 (ت ٢٢ حزيران ١٦٦٥ م) ، قنصل هولندا في اسطنبول ، مسجلة
 في مكتبة جامعة ليدن تحت رقم (١) Cod. Or. 944 (١٧) ، وهي
 تقع في أربع ورقات، ومجموع أسطرها مائة وأربعة وسبعون سطرا
 مكتوبة بخط اعتيادي ، ومدونة بتاريخ ١٠١٦ هـ / ١٦٠٦ م ، وعلى
 الأرجح انها النسخة الأم، حيث لم أعثر على أية اشارة أخرى عنها في
 بقية فهرس المخطوطات المنشورة، وعلى الغالب انها وصلت فارنر
 باسطنبول عن طريق حلب، بواسطة محمد بن عمر العرضي الحلبي
 (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) ، الذي كان قد اتصل بفارنر، وكان يشتري
 له المخطوطات العربية ويؤدده بها (١٨) ، أو عن طريق فردريك أخي

(١٦) ليفنوس فارنر Levinus Warner ، من طلبة جامعة ليدن. درس
 اللغات الشرقية فيها ، وسافر الى اسطنبول سنة ١٦٤٥ م . وفي سنة ١٦٥٥ م
 عُيِّن قنصلا لهولندا في العاصمة العثمانية ، وبقي في ذلك المنصب الى حين وفاته
 في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٥ م . وأثناء اقامته الطويلة تلك تمكّن من شراء عدد
 كبير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والعبرية التي اوصى بها قبل
 وفاته لمكتبة جامعة ليدن. بذلك النواة الاولى لغتنيات تلك المكتبة من التراث
 الشرقي . حول حياته واقامته باسطنبول انظر مقالة

Drewes, G.W.J., "The Legatum Warnerianum of Leiden University
 Library" in Levinus Warner and His Legacy, E. J. Brill, Leiden, 1970,
 pp. 1 - 31.

(١٧) انظر فهرس مكتبة جامعة ليدن Voorhoeve, P.

Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of
 Leiden and Other Collections in the Netherlands, in Bibliotheca Universi-
 tatis, Lugduni Batavorum, Leiden, 1957, p. 361.

(١٨) محمد بن عمر العرضي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) نسبة الى بلدة العرض في
 بركة الشام من امسال حلب ، من اسرة حلبيّة معروفة بالعلم ؛ ولسي القضاء
 بحلب، وتولّى انتفاء الحنفية فيها لمدة سنتين ثم سافر الى اسطنبول حيث لسم
 يستمرى الإقامة هناك، وبعد عودته من العاصمة العثمانية نجده يتولى انتفاء
 الشافعية بعد وفاة اخيه . ونعثر على رسالة منه لفارنر، ونظرا لاهميتها ماننا
 نسرد نصها :

« حضرة بكر مطارد وواحد الفرائد (نلاحظ انه يكرر مثل هذين التعبيرين
 حيث يورد له المحبي نصا يذكر فيه ... » حضرة شيخ الاسلام ودرّة تاج الملك

فارنر، الذي كان قد عمل لفترة قصيرة كقنصل لهولندا في حلب (١٩)، مما يدل على أن فارنر كان على اتصال بحلب، على مستوى النشاط التجاري، وكذلك على مستوى تجار المخطوطات التي سُفِّفَ بشرائها.

تعليقة مصطفى بن جمال الدين بن كرامة حول أحداث سنة

١٠١٥ هـ / ١٠١٦ هـ ١٦٠٦ م / ١٦٠٧ م .

ومن الختام بكر مطارذ العلم وثاني الفرقد «... خلاصة»، م ٤، ص ٩٢،
إيجي (السفر) بيك المكرم لا زال مدمي العلم له مسلم، «نفاوض جنابه
الترحاب (كذا النص)». هو أن الواصل اليكم من كتب المرحوم كاتب حلب
(ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) ستة كتب، نزهة الخاطر للكاشي، وهو كتاب جليل
مشتمل على أشعار هريسية وبارسية، وثمنه اثنا عشر غروشاً، والمجلد الأول من
فكرة ابن حمدون وثمنه ستة عشر غروشاً، وشرح شواهد التلخيص (لبدر الدين
الغزى) وثمنه أربعة غروش ونصف، وشرح مقامات الحريري، المتوسط للشريشي
وثمنه ثلثمائة مثاني، وجزء من العقد لابن عبد ربه وثمنه غرش واحد، وشرح
العبدونية وثمنه غرشان، والمجموع خمسة وثلاثون غرشاً وثلثمائة مثاني. وأما
تاريخ البناتكي (محمد بن سليمان الأشعري) (ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م) صاحب
كتاب روضة أولى الألباب في التاريخ، وتاريخ ختاي، وتاريخ خسروي، ورسائل الخوارزمي،
فومعنا الدالون بهما، يكون معلوماً لكم، والفنون أن شاء الله نحملها والسلام.
من الفقير محمد العرضي، وبضيف في حاشية على تلك الرسالة ما يلي: «ولا
نؤاخذونا باخلاف الوعد بالجيء اليكم يوم الأحد الماضي، فإنه صار لنا مانع يسر
موانع. وتبلغ شوقنا إلى المربوط في الدار بقتضى تسميتكم نقولاً والسلام.
وقد اشترينا نحن لأنفسنا تاليفاً لجدهنا ابن الحنبلي (رضي الدين) بمائتي مثاني
تفضلوا بها لنا والسلام وإن شاء الله عن قريب فاتيكم». من هذا النص
نلاحظ بوضوح مدى العلاقة الحبيبة التي كانت تربط الاثنين. انظر الخفاجي،
شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م) ربحانة الألباء
وزهرة الحياة الدنيا، ٢ م، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوة، القاهرة،
سنة ١٩٦٧ م، ١ م، ص ٢٧٤ - ٢٧٨. المحبى، خلاصة، م ٤، ص ٨٩ -
١٠٣، البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين البابائي (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩٢٠ م)،
هدية المارفين: أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، م ٢، منشورات مكتبة المتنبي،
بغداد ١٩٥٥، ص ٢١٤؛ انظر أيضاً: اللوحة رقم ١٢، المنشورة صورة لها
كملحوظ لكتاب

Levinus Warner and His Legacy,

(١٩)

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum", in Levinus Warner and His Legacy P. 16.

تعليقة تتضمن ذكر أسرنا عند الكفار والسبب الداعي للفرار
وما أحل الله بالباغي من الويل والدمار ، والحمد لله الملك القهار والصلاة
والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه السادة الاخيار آنساء
الليل واطراف النهار صلاة تحو عن قائلها الاوزار .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم وحسبي الله « ونعم الوكيل » (٢٠) . الحمد
لله الذي وعد الصابرين المراتب العلية والمهمم الشكر فنالوا به
اعظم مزية ، واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تدفع
عنا كل بليّة ، وتورثنا سعادة ابدية سرمدية ، واشهد أن سيدنا محمد عبده
ورسوله القائم بأعباء الرسالة وأمر الرعية ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه المنعوتين بمكارم الاخلاق والصفات البهية صلاة دائمة
متوالية يتضاعف ثوابها كل بكرة وعشية . أما بعد فيقول العبد الفقير
مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة أجاره الله من الزلل والندامة:

لما كان بتاريخ أوائل شهر صفر سنة خمس عشرة بعد ألف وقد
حصل على الديار الطرابلسية ما هو ليس بقابل للوصف ، ورد أمر
من ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه المؤتمن على حقه واليد
المبسوطة على خلقه، من احتباه الله لورثة الرسالة وجعل طاعته
فريقا بين الهدى والضلالة لا دنيا الا به ومعه ولا دين الا لمن والا (٥)
وتبعه ، كافل الأمة وراعياها وسائيس الملة وحامياها ، نظام الجملة
وجلاء الغمة ورباط النعمة ، من عصى السلطان فقد اطاع الشيطان ،
من شايعه حمد في يومه وغده ورعى من العيش في أرغده ومن نابذه
صار في خسران وعانقه الخذلان ، جعل الله رايته العليا وآيته الكبرا ،
ما تسابح القمران (٢١) ، وتوالى الملوان (٢٢) ، واستقر في مكانه
جبل لبنان .

(٢٠) من سورة آل عمران آية رقم (١٧٣) .

(٢١) القمران : الشمس والقمر ؛ أنظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)

(١٣١١ م) ، لسان العرب ، ١٥ م ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، ٥ م ، ٥ م ، ١١٣ .

(٢٢) الملوان ، الليل والنهار ، وقيل طرما النهار ، ابن منظور ، لسان العرب ،

١٥ م ، ٢٩٠ - ٢٩٢ .

بعد أن أنهى لشدته، لا زالت الأيام طوع ارادته، أن علي بن جان (٢٣) بولاد بغى واستغنى فطفى وركب أضاليل الهوى وأباطيل المنى وأحاديث النفوس الكواذب ووساوس الآمال الخواث ، جال في تيهه وشقائه وسفاهة عقله وقلة رايه، ودخل في ظلمة المعصية وخرج من نور الطاعة وركب المركب الذي لا بد أن يترجل راكمه بل ينخذل فمارسه ، مدداً يبدأ قصيرة ليتناول غاية بعيدة ، أضله عماه وزلت به قدماه ، امتطى ظهر الاغترار وأداع دواعي البوار ، أوقند ناراً للحرب بدر منها بواذر الفتنة وهزرت على يده شقاشق (٢٤) المحنة ، فلما

(٢٣) علي بك ابن الأمير أحمد ابن جانبلاط الكردي ، ابن أخي حسن باشا جانبلاط ، أنابه معه في حلب عند خروجه للالقاة الوزير السردار سنان باشا جفال زادة، وعندما وصله نبأ قتل عمه بامر الوزير المذكور رفع راية العصيان في حلب، وكان جيشه المكوّن من عناصر السكبان الهاربين من الخيمة العسكرية يزيد على عشرة آلاف شخص . ومُنِع الوالي المميّن على حلب من الدخول إليها ، وسار من حلب باتجاه الجنوب حيث هزم المساكر العثمانية بقيادة يوسف باشا سينا (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦٢٥ م) قرب حماة ، سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م وغنم اشباه كثيرة من معسكر المساكر الشامية ؛ وبعد هذا الانتصار استدعى نصر الدين الذي أجاب دعوته وانضم اليه في حركة العصيان، فأرسلوا واحتلّ مناطق يوسف باشا سينا باستثناء قلعة طرابلس ، وخرّبوا بعلبك وتوجّها باتجاه دمشق حيث هزما مساكرها للمرة الثانية في نواحي المراد، ومن هناك اتجهت مساكرهم لتهاجم دمشق من جهة المزة، وبدأ أفراد السكبانية والدروز ينهب الأحياء الخارجية لمدينة دمشق ، ولم يرفع الحصار إلا بعد أن دعت له أهالي دمشق مائة وخمسة وعشرين ألف فرس . وفي طريق هودته مكّر على حصن الأكراد وجرت اتصالات له مع يوسف باشا سينا ، أدت الى عقد مصاهرة ما بين ابن جانبلاط ويوسف باشا سينا ، ومن هناك عاد الى حلب فأرسل السلطان له الوزير الكبير مراد باشا « لأمه (أي علي بك) كان قد قارب أن يملك البلاد بالاستقلال » وفي القتال الذي نشب قرب مرعش نجا علي بك جانبلاط برأسه الى مدينة حلب ومنها الى ملاطية، ومن هناك قصد اسطنبول حيث عفا عنه السلطان وولّاه حكومة طشوار ليقتل فيها بعد حوالي ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ . انظر ترجمته في البوريني ، المصدر ذاته، م ٢ ، ص ٢٧١ - ٢٩١ ، المحبي ، المصدر ذاته ، م ٣ ، ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(٢٤) شقاشق : جمع الشقشة وهي « لهامة البعير، ولا تكون الا للعربي من الإبل » وقيل هو شيء كالرثة يخرجها البعير من فيه اذا هاج . ابن منظور ، لسان العرب ، م ١٠ ، ص ١٨٥ .

تقررت احواله لديه، لا زالت حمائم النصر ترفرف بين يديه ، عين عليه سردارا كافل المملكة الطرابلسية (٢٥) ، لا برحت مدا الايام من الاغيار محمية ، امير الامرا الكرام كبير الكبرا الفخام : حضرة يوسف باشا بن سيف (٢٦) ، أسعفه الله في اموره اسعافا وادام الله ايامه

(٢٥) المملكة الطرابلسية : كانت تشكل احدى ممالك ونيابات بلاد الشام في العهد المملوكي .
حول هذه المملكة انظر ابا عبد الله بن محمد المعروف بشيخ الربوة الدمشقي الاتصاري (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق ا . مهرا ، بريل ، ليدن ، ١٩٢٣ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ؛ كذلك احمد بن علي القلقشندي ، (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، م ٤ ، ص ١٤٢ - ١٤٩ .
حول هذه المملكة في اواخر العهد المملوكي راجع غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، (ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م) ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، نشره بولس راويس ، باريس ، ١٨٩٤ م ، ص ١٢٢ .
اما فيما يتعلق بالحياة الثقافية في طرابلس في العصور الوسطى ، فنراجع المادة المجموعة عند عمر عبد السلام القدهري ، الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى ، بيروت ، ١٩٧٢ ، هذا بجانب المادة المتوافرة في كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان ، ٢ م لطنوس الشدياق (ت ١٨٥٩ م) الذي حققه نواد افرام البستاني ، بيروت ، ١٩٧٠ م ، ١ م ، ص ١١ . كذلك انظر

FR. Buhl, "Tarabulus" E. I. vol. iv, P. 660

وترجمة المقالة نفسها في دائرة المعارف الاسلامية ، م ١٥ ، ص ١١٧ - ١٢٠ ؛
اما مصطلح « كافل » فهو مرادف لمصطلح « نائب » وهو من القاب كبار النواب كهائب دمشق ، راجع القلقشندي ، المصدر ذاته ، م ٤ ، ص ٥٣ .

(٢٦) يوسف باشا سيف (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) ، زعيم سني من اصل تركماني او كردي ، كانت أسرته من القوى المحلية البارزة في منطقة عكار ، واولكت اليه ولاية طرابلس الشام اكثر من مرة ؛ عرف عنه زعامته للجناح اليمني ضد الجناح القيسي بقيادة فخر الدين المعني ، ربطته علاقات المصاهرة مع المعنيين والجنبلاتيين .
حول حياته انظر : البوريني ، تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، انظر النص المنشور ادناه .
الحبيبي ، خلاصة الاثر ، م ٤ ، ص ٤٧ - ٤٩ ، ص ٥٣ ، الدويهي ، البطريق اسطفان (ت ١٧٠٤ م) ، تاريخ الازمنة ، نشره الاب مرديناد توتل اليسومي ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥١ ، ص ٣٢٠ ، كذلك انظر مقالة

Salibi, K., "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli, 1579 - 1640," Arabica, vol. XX (1973), PP. 25 - 52.

الزامرة واعلا مقامه في الدنيا والاخرة . بولايته الرعية تنام وهم آمنون ويصحون (١١) بوجوده سرورون ، نفوسهم في ظلال السكون وادعة ، وفي رياض الامن راتعة . فتَوَجَّه امثالاً لأمره المطاع الواجب الاتباع نفذه الله في سائر الاقطار والبقاع ليخرجه من محروسة حلب ، وجمع العساكر وحث بالطلب ، هدى الى اجهاد النفس في المصالح ووقفها على سبيل المرشد والمناجح (٢٧) : بين ثغر يُسَدَّ وعُضْد يُشَدَّ وشتات يُجْمَع وَخَرْقُ يُرْقَع وذمام يؤكَّد وعهد يؤيَّد . فلما بارز في عاشر شهر ربيع خارج حماة كاتب (١) بن جان بولاد لبعض امراء العرب (على الهامش الاعراب) على مبلغ فأركيه هواه ، هيهات مسا اضلَّ فَعَلَ ذلك الشقي من راي واسواه ، تَيَمَّن الاماني الكاذبة وظن الظنون الخائبة ؛ فلما تلاقى العسكران وتصادم الجيشان واصطفَّ الخيل والرجل وامتلا الحَزَن (٢٨) والسهل وبرقت الابصار بشماع السيوف وسفرت رسل الحتوف بين الصفوف ودار كأس الموت دهاقا وعاد لقيا الفريق بالفريق عناقا ، وصار الفارس اقرب من ظِلِّه والسيوف ادنى للوريد من حبله ، ففي ذلك المحل فرَّ الشقي الموعود بالاموال وزين له الشيطان فعله وحثه بالاستعجال وصوِّر له الاماني الفاسدة والامال ، فلما شاهد فراره العساكر صار راي كل لصاحبه مفاير وعاد (ت) السواعد غير مساعد (ة) والاعضاء غير معاضد (ة) . ولم يزل صاحب الدولة والسعادة ، بلغه الله الحسنى وزيادة ، ثابت الجنان لا تهوليه (جاءت يهوليه) صدمات الفرسان ، وصار كلما حُرِّض من العسكر جحفا ، يُظْهِر ضعفا وتجلجلا ، فعند ذلك تطايرت من حوله العساكر قاصدين حماة ولم يمكث معه الا الذي رباه في حماه ، فسار عند ذلك صاحب الدولة وقد ادخر سميه ليوم لا ينفع الانسان قُوَّتُه ولا حوله والسماء تحسد الارض بوطينه لها في سيره والنجوم تودُّ لاجل الثواب لسو خُرَّت مع سنايك خيله ، ودخل محروسة طرابلس في

(٢٧) المناجح جاء في اللسان : « وانجح الرجل ، صار ذا نجح فهو منجم من قوم مناجح ومناجيح » ، لسان العرب ، م ٢ ، ص ٦١١ .

(٢٨) الحَزَن : « ما غلبت من الارض في ارتفاع » ، لسان العرب ، م ١٢ ، ص ١١٤ .

خامس عشر شهر ربيع الاول، وانتشر الناس بقدومه ، لأنه عليه المَعُول .

واما ابن جان بولاد طاوع شيطانه اذ اضلّه وزلّ معه حين استرله
أبى الآ امتداد عنانه في الانتقاد لشيطنانه ، واستنفاد قواه في الاستسلام
لهواه ، فدعا ابن معن (٢٩) فاستجاب لدعائه وأسرع لندائه، وسؤل
لهم الشيطا (ن) تسويلا واستغواهم تَغَرُّرا وتضليلا وحَبَّب اليهم
العناد حتى شيط بلحهم ودمهم وكره اليهم الرشاد حتى القوه وراء
ظهرهم وصافح بينهم (١ ب) فغادرهم رهينا وقارنهم وسا (ء)
قريناهم، ولم يزل يلحهم في أسفاح الشحنا (ء) وهم له يجيبون حتى وصلوا
ظاهر طرابلس ونزلوا بأرض الجون (٢٠) ، جعلوا يغيرون وينشرون

(٢٩) فخر الدين المعني (ت ١٠٤٣ هـ / ١٦٢٥ م) ، درزي المذهب ، كان زعيم الجناح
القيسي في بلاد الشام ؛ بنى جيشا قويا من العناصر الهاربة من الخدمة التي
كانت تعرف بالسكبانبة ، استفاد من علاقاته بأوروبا عن طريق المارونة وشجع
التجارة مع أوروبا فازدهرت موانئ لبنان خاصة صيدا ، نشطت الزراعة لسي
مهده، خاصة زراعة شجرة التوت لتربية دودة القز ، حارب بني سينا ، وبنى
القلاع وشحنها بالجنود ؛ ثم القضاء عليه في عهد السلطان مراد الرابع . بن
أجل الزيد عن حياته انظر أحمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٢٤ هـ /
١٦٢٤ م) ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني ، تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني ،
بيروت ، ١٩٦٩ ؛ الحبسي ، خلاصة ، م ٣ ، ص ٢٦٦ — ٢٧١ ؛ عيسى اسكندر
الملوف ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ،
١٩٦٦ ؛ الاب بولس قرأني ، فخر الدين المعني الثاني أمير لبنان : ادارته
وسياسته ، ١٥٩٠ — ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٣٧ ؛ لنفس المؤلف ، لبنان والدولة
العثمانية في عهد فخر الدين المعني الثاني ، مطبعة مصر الجديدة ، ١٩٥٢ ؛
انظر أيضا محاضرة كمال الصليبي : « فخر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية » ،
إبعاد القومية اللبنانية ، ص ٨٥ — ١١١ ، ولنفس المؤلف .

"Fakhr al-Dīn" E. I. , vol. II, PP. 749-51.

(٢٠) الجون : يقيد معنى الزاوية ويذكر مسادة مضانا الى عكار ، جون عكار ، وفي
سنة ١٥٨٤ م ، نُهبَت الخزانة المصرية التي كانت في طريقها الى اسطنبول في
ذلك الموقع ، مما دعا الدولة العثمانية الى تجريد حملة على تلك المنطقة كان
من نتائجها ضرب الزعامات في جبل لبنان خاصة الزعامة المعنية . حول هذه
الحادثة انظر ، الدويهي ، اسطفان ، تاريخ الازمنة ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، الشدياق ،
طنوس ، أخبار الاعيان في جبل لبنان ، م ١ ، ص ٦٧ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٨ ؛ حول
معنى كلمة جون ، انظر فريجة ، أنيس ، أسماء المسند والقرى اللبنانية وتفسير
معانيها ، جونية ، ١٩٥٦ م ، ص ٩٧ .

من الفتن ما ينشرون، لا عن الدما (٢٠) كَفُّوا ولا عن المحارم عَفَّوا ، ما الذنب بالقياس اليهم الا من الضالحين ولا الحَجَّاج في العراق معهم الا اول العادلين ولا فرعون في بني اسرائيل اذا قابلته بهم الا من المقربين ، ما تركوا للرعايا فضة الا فُضَّوها ولا ذهب الا ذهبوا به ولا ضيعة الا اضاعوها ولا فرسا الا افترسوه ، توالى مظالمهم وظلمهم واتَّصَلت غائهم وغُمَّهم ؛ عُنِينَا درويش بن جان بولاد (٢١) مع شرذمة هي فرائس النار واوباش الامصار فتتابعت اليه كلاب الغارة الشعوا (٢٠) وتعاونت لديه ذئاب الفتنة الصَّها (٢٠) . دخل طرابلس في اواخر شهر ربيع ، فالاعيان من اهلها دخلوا السفن والبعض آوى (جاءت آوا) الى حصن منيع دخلها بمن لَفَّ لُفَيْته وصافح على الضلال لكفته من اشياح الغواية واتباع الغباوة اولئك الكلاب العاوية والعصبة الضالة الباغية، لا يقيمون له وزنا ولا يمتثلون له اذنا وانما صار لهم سُلْما الى الاموال المستهلكة والموارد المُرْدِيَّة المهلكة . وفي صبيحة نهار السبت رابع عشرين ربيع سافر بعض المراكب فبكت لمصابهم الارض والكواكب قاصدين الجزيرة (٢٢) والناس تبكي بأدمع غزيرة، فلما اسفر نهار الاحد وكان يوم يشيب فيه لهوله الغراب والولد ، غلايين (٢٢) ،

(٢١) درويش بن جان بولاد : يُعرِّفه البوريني بقوله، درويش بيك ابن عم علي بيك وانه اخذ مدينة طرابلس الشام لكنه لم يتمكن من احتلال القلعة التي تحصن فيها مملوك يوسف باشا سيفا ، الذي كان يعرف ايضا باسم يوسف ، انظر النص المنشور ادناه .

(٢٢) المقصود بالجزيرة هنا جزيرة قبرس ؛ انظر نص البوريني المنشور ادناه والملاحظات المدونة عنها في الهامش .

(٢٣) غلايين : جمع كلمة غليون التي هي تحريف لكلمة galleon, galion الانجليزية و galeone الإيطالية ، وهي سفينة أكبر من galley كان يستخدمها الاسبان في التجارة خاصة مع ممتلكاتهم في العالم الجديد . والجدير بالذكر ان الشيخ عبد الفتى النابلسي في رحلته الى طرابلس يذكر ما يلي « وقد رأينا على حافة الميناء أنواع المراكب والسفن، وقد ذكر لنا اسماءهم صديقنا الحاج نور الدين الطرابلسي المذكور ... فاعلم ان انواع المراكب واسماءها كثيرة بلغت عشرين نوعا بعضها يخالف بعضها في الصورة والهيئة واسماؤها متعددة كل اسم يطلق على مركب مخصوص لا يتناول المركب الاخر لكنه يطلق على جميع المركبة

النصارى علينا أقبلت ، فالمعقول طارت والاموع فارت والاصوات قد علت لهذه النازلة الهائلة والفظيعة والحادثة الكارثة ، يالها من مصيبة لا يداوي كلُّها آسٍ ، ولا يسدُّ ثلمها تناسٍ ، ففي لحظة أدركونا ، وضربونا بالمكاحل الطيارة فاهالونا وبشَّرَ نارهم الهبونا وأحاطوا بنا فآخذونا . كان في السفينة من المسلمين مائتا (جاءت مائتا) نفر وسبعة انفار رجال ونساء واطفال ، عبيد وحرار صاروا بأجمعهم في قبضة الحربيين الكفار الاشقياء الفجَّار بين مقتول ، نقل الله روحه الى دار السلام ، واسير موثق بين ايدي الكفرة اللئام وجريح تمثِّل له الاجل فقال لسان حاله هذا اقصى المرام ؛ ما الحيلة وقد حصل القضا (ء) ونزل البلا (ء) وكُتِب الرضى والتسليم ونحن به آمنون لا حول ولا قوَّة الا بالله « انا لله وانا اليه راجعون » (٢٤) ، لا نخطئ لقدّر الله وهو عدل ولا نتنكر (١٢) لقضاء الله وهو فصل ومن عنده الفضل ، يولي ويولي ويسلب ويعطي له الخلق وفعله الحق ، أمر الله سبحانه وتعالى لا يقابل الا بالرضى والصبر على ما قضى وامضى ، علما بأن مقاديره لا تجرى الا على موجبات الحكمة وتدبيره لا يخلو من باطن المصلحة وظاهر النعمة .

= والسفينة . ويعدد عشرين نوما : منها الفليون . انظر : التحفة النابلسية في

الرحلة الطرابلسية ، ص ٧٠ - ٧١ ، كذلك

Dozy, R., Supplement aux Dictionnaires Arabes, vol. II, P. 226.

انظر كذلك The Oxford English Dictionary, vol. iv, P. 21.

ونجد أن ابن ابياس ، (ت ٩٢٠ هـ / ١٥٢٣ م) يستخدم هذا المصطلح فيقوله في اخبار سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ما يلي : « ثم احضر السلطان قايتباي بالقرب من (الجيزة) المركب الكبير الفليون الذي عمره واصرف عليه نحو من عشرين الف دينار فارسوا به قبالة المقياس ، وصنعوا له ثمانية مراسي وعلقوا في صواريه القناديل في الامشاط .. » بدائع الزهور في وقائع الدهور ، م ٤ ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٧٦ ؛ انظر أيضا حبيب الزيات في « معجم المراكب والسفن في الاسلام » المشرق ، مجلد ٤٣ (١٩٤٩ م) ، ص ٢٥٥ ، والجدير بالذكر أن الاستاذ انيس فريحة اسم يذكره في معجمه ، معجم الالفاظ العامية في اللهجة اللبنانية ، بيروت ١٩٤٧ ، كما ان الدكتور البير مطلق لم يذكره في معجم الفاظ حرفه صيد السمك في السواحل اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(٢٤) من سورة البقرة ، آية رقم ١٥٦ .

استمررنا بذلك الأسر نخابد المشقات والقهر بقلب هلوع ، وزرع
مروع نبكي على ايامنا الماضية ونحسد من تقدّمنا من الاموات . ثم
لما تجلّت عنا غمة الخطوب ودارت لنا بشاير الرضا من المحبوب وانشقت
سحابة محنته وتجلّت غمرة كريتته وطلعت نجوم ارادته وهطلت
سحابة سعادته واذن الله سبحانه وتعالى باخراجنا من الضيق الى
السعة ومن الانزعاج الى الدعة ، القى (جاءت القا) الله سبحانه
وتعالى الرأفة في قلب ذلك الطلع النصراني فأمرني بالخروج السى
محروسة صيدا في ثامن عشرى شهر ربيع الثاني وطلب فدوى (عني) وعن
ثلاثة وعشرين نسمة ضمتهم الي من الاهالي : نساء واطفال اربعة
آلاف وثمانمائة ذهابا عال ، فمأهذته على ذلك واسرعت بالذهاب
من غير تكاسل ولا اهمال مستجيرا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى آله واصحابه خير صاحب وآل مستشفعا مستغيثا متوسلا به في البكور
والأصال ، فاعطف الله الكبير المتعال على هذا الضعيف قلوب سراء
ذي اموال ، اعطونا تلك (جاءت ذلك) العشرة بخمسة عشر الى
مضي شهرين ، فقبلت منهم على ذا الحكم جميع ذلك الغبن ثم قالوا
نحن سخينا بمانسا عليك فلا تدعنا نطالبك ، نحيل بكتابك على من يكتابك ،
فشكرت فعلهم ومدحت فضلهم وقلت هذه المداينة لا اعدّها الا كأنها
عطية وهي عندي بمنزلة الهدية وانشا (ء) الله قبل تمام المدة
نوصلكم جميع هذه العدة ، ثم اني قبضت تلك (جاءت ذلك) النقود
بالتمام والكمال واقتبضتها للحريين فأخرجوا في الحين جميع العيال .
فلما شاهدت الولد الأعزّ عمر لطف الله به وبفضله له غمر تهللت مني
وجوه الانس وكانت قبل عابسة وأورقت (جاءت وأورق) غصون من
الفرج بعد ان كانت يابسة . ثم في اوائل شهر جمادي الاول دخلنا
محروسة بيروت اقمنا برهة من الزمان . وفي غرة شهر شعبان من
السنة المزبور (ة) جنّنا (٢ ب) الى الاوطان فلاح لنا النجاح وانتشر
نوره وأومض برق الفلاح ولمعت تباشيره فوجدنا صاحب الدولة
والسمعادة حضرة يوسف باشا بلغه الله من خيري الدنيا والاخرى ما
يشا (ء) دخل الديار الطرابلسية وحكمها ، ومن ايدي الخوارج والبغاة

قد أنقذها ، وقطع عروق البغاة أهل العناد وأطلع فيها كواكب السداد . فكانها بدلت من الظلمة نورا ، واعتبست من موتها نشورا .

ونرجع الى ذكر الباحث عن مدينته المتعجل الى انقطاع مدته . بسط يده في المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها وضرب على أهالي حلب ضرايب ضربت الاموال بالتحقيق والبضائع بالتمزيق . تلك البلاد تلهبت بجمرات ظلمه ، وتنهت ببدرات (٢٥) غشمه فالمحارم مهتوكة والدما (٤) مسفوكه . ولسان الحال يقول . قد يكون للباطل دولة وللفساد صولة ، ثم يأتي من الانتقام والاصطلام ، ما يسقط الهام على اقدام ، أما علم ان العزيمة من أمير المؤمنين تنزل أمثاله مثلا وتجعله لاهل الشقاق والنفاق مثلا ! أما علم انه اذا رماه بشعبة من أفكاره ومثله بجذوة من ناره عاد حرصه ندما وصار وجوده عدما ! وغودر أشياعه بددا بل طرائق قdda ! نصب عليه سردارا الصدر الاعظم والدستور المعظم نظام العالم مدبر جمهور بنسي آدم مراد باشا (٢٦) آدم الله اجلاله وبلغه من خيرى الدنيا والاخرى آماله ؟ فسار اليه بأسعد الطوابع والفواتح وأيمن المحامد والمناجح فخلعت لركوبه الارض مائجة والبحار هائجة والمناجح تطرق بين يديه والميامن تسير حواليه وآيات الظفر تقرا

(٢٥) البذرة : هي « جلد السخلة اذا نطم ويقال ثلاث بدرات » واستخدم بمنى كيس فيه ألف أو عشرة آلاف ، لسان العرب ، م ٤ ، ص ٤٩ .

(٢٦) مراد باشا « صاحب الحروب مع المجر والمجم والجلالية » ، مَن حاكما لليمن سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، وأعطى بعد ذلك حكومة قرمان ، شارك في الحرب ضد بلاد فارس ، ولي دمشق حيث شيد فيها سنة ١٠٠٢ هـ / ١٦٥٢ م سوقا عرف باسمه ، عقد صلح ستفا ثروك سنة ١٦٠٦ م ، مع النمسا ، عُين بعد ذلك سردارا على الشرق لاضعاع الحركة الجلالية وحركة علي بك ابن جاتبلاط ، كانت وفاته سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م انظر الغزي ، لطف السبر وقطف الثمر ، ورقة ، ٤٤ ب - ١٤٥ . المحبسى ، خلاصة الاثر ، م ٤٤ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٨ ، ابن جمعة المقار ، ولاة دمشق ، ص ٢٢ ، عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م) ، مناداة الاطلال ومسامرة الخيال ، منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ٢٧٩ - ٢٨١ . صلاح الدين النجد « خطط دمشق » مجلة الشرق ، م ٤٢ ، (١٩٤٨) ، ص ٦٢ - ٦٤ .

عليه والنصر يترأى من ذائب أعلاه وبفوده وعناية الله محيطة على مواكبه وجنوده. ولم يزل سائرا والسعود تواكبه ولطائف (جاءت الطائف) الله تصاحبه حتى قرب من مدينة حلب، فخرج علي بن جان بولاد قاصدا له بالطلب يحضره الى مصرعه الاغاليل ويعجله الى هلكه الاباطيل ، حدثهم (٤) لاستعجال (جاءت الاستعجال) الاجال ، وتصورت لهم المنايا في سور الاماني والامال، ساروا وآجالهم تنفس في مطامعهم ومناياهم تحسّ خطاهم الى مضارعهم . نقلهم الله بأقدامهم الى مصارع حمامهم (١٣) فلما التقوا وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة دارت على أعدا (٤) الله به الدائرة من شهور سنة ست عشرة بعد الالف . وما أحلّ الله بهم من الانتقام ما شبّ عن طوق الوصف وعلت ريح الاقبال « لحزب الله » (٢٧) ، وذرت ريح الادبار على أعدا « حزب الله » متعهدون بالنيايح الزهر وأعدا (٤) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقوة بأس مترصدون بالمنايا الحمر ، فاز « حزب الله » بأجر المجاهدين وأعدا (٤) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقوة بأس وثبات مقام ، وصدق انتقام ، وأعدا (٤) الله انقلبت مواكبها وتضعضعت مراكبها وانخفض بيارقها لما شاهدوا الرايات المنصورة تزحف اليهم زحفا ، ملأت قلوبهم رجفا وهي تخفق بالنجح ، والطبول تنطق بالفتح ، أمر بتسوية الصفوف التي لا فلول يعترئها ولا رجوف ، وجعل الجيوش ميامن يقاربها اليمن والنجاح ، ومياسر اقتضت اليسر والفلاح ، وصار هو وقواده قلبا قالبا لمن قابله وناكسا لمن واجهه. فحين ترأى الجمعان وأفضى الامر الى قرب العيان والتهبت جمره الضراب والطعان التقى الجمع بالجمع وقرع النبع بالنبع (٢٨) وبلغت القلوب الحناجر وشافهت المناخر المناخر فعند ذلك صهت اللسان وخطبت السيوف

(٢٧) « حزب الله » من سورة المائدة آية رقم (٥٦) ، وكذلك ذكرت في سورة المجادلة آية رقم (٥٨) .

(٢٨) النبع : من اشجار الجبال تصنع منها القسي ، لسان المرعب ، م ٨ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

على المنابر واستمخرت (٢٩) سمر الرماح وتضافحت بيض الصفاح
بلغ « حزب الله » من اقتناص الاعدا (ء) اقصى البالغ ووطنوهم
وطء القانع الدافع زحموا الاعدا (ء) من جوانبهم وتمكنوا من
نقض مواكبهم فضاق بهم المجال وتحكمت بهم الآجال فلم تُر (جاءت
ترا) الا رؤوسا تندر ودماس تهدر وأعضا (ء) تتطير واجساما تتزائل ،
اوسمهم ضربا وشقًا وطعنا ورشقا وجرحا وزرقا؛ ووطنوهم بسنابك
الخيول وتركوهم كجفا (ء) السيل صبوا عليهم سوط (جاءت صوط) (عذاب)
فأسلموهم لعوادي بنار وتباب بين قتيل عجل الله بروحه الى دار
جزائه وأسير قد اوثقه ما ارتكب من سوء رأيه ، وابن جان بولاد
نكص على عقبه وقد كادت صروف الايام تفتتسه وبأنبيائها تنتهشه، لم
ينج الا بشرذمة لاذت بذمة الهرب ولن يفوتوا يد الطلب، اطار الرعب
قلوبهم وسكن الخوف لبهم ، خرجوا من تحت طي السيوف وقد
شارفتهم ، وشبا (٤٠) الحتوف وقد شافتهم ، ولم يزل دائرا في البلاد
ليجد من يعينه على البغي والعناد فلم يجد (٣ ب) له مساعد ولا خل
معاصد، فأحب عند ذلك قرب الموت لما رأى من ضيق العيش وبعد
الاوطن وقهر الجيش، ودخل على بعض البغاة فأراد (جاءت فاردا)
بعضهم أن يوثقه ويجعله اسيرا وبعضهم ظاهره وكيان في خلاصه
نصرا. فانهمز وقصد الاعتبار العلية والسدة العالية السنية في سابع
عشرى شهر رمضان سنة ست عشرة بعد الالف من هجرة سيد ولد
عدنان يلتمس العفو ، ورُمِّه على تَلَف وشفاهته على شرف، فأخَّر
لأجل مضروب وانسى لأمل مكتوب .

وأما « حزب الله » عادوا منصورين مؤيدين موفورين لم
يَمْسَهُمْ جراح ولا عَصَهُمْ سلاح، غنموا أموالهم التي لم يؤدوا منها حقا
معلوما ولم يغنوا منها سائلا ولا محروما ، ودخل الصدر الاعظم مدينة
حلب والزمان ضاحك متظاهر البشر من الفتح الذي نطقت به

(٢٩) من مخر : استمخر قابل ، لسان العرب ، م ٥ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٤٠) شبا : الشباة طرف السيف وحده، وجمعها شبا ، لسان العرب ، م ١٤ ،

ص ٤٢٠ .

السنة الشكر وفتحت له ابواب البشر ، والممالك ملأى (جاءت مليء)
تهاني وشارات والأوليا شوري بين افراح ومسررات ، وسلمت قلعة
حلب الشهباء بعد دخوله بثلاثة ايام من غير حصار ولا اهتمام لعظيم
سطوته (جاءت خطوته) ، منحة من الكبير المتعال ، عرّتهم هزة
وتحكمت بهم الأوجال ، طلبوا الذين (جاءت الذي) كانوا في القلعة
الامان فاعطاهم ، فنزلوا على اسوا الاحوال ، هناء الله بالطوالع
السعيدة عند نهضته ودلت عليه البشائر الحميدة في سفرته وقد دانت
له الطوائف وآمن به الخائف . كان حلوله بمرکز غرة الديمة الوطن
عن السنة الشهباء والنور المنتشر بعد الظلام المعتكر ، انحسرت الغمة
بتلالؤ جبينه ودرت النعمة بأخلاق يمينه فاصبح المعدل ممدود الرواق
والسلطان نصره الله ساطع الاشراق ، محروسا بعين عناية الملك
الخالق الواضع قدمه على ناصية الشمس ، الساقق بضياؤه انوار البدر ،
الضارب برواقه من فوق النجم المبسوط بين المغربين شعاعه الممدود
على الخافقين شرّاعه ؛ فالله يديم له الفتح يمينا ويسارا ويزيد أعداءه
ذلاً وخسارا ويجعل أعداءه حصائد سيوفه ورهائن خطوب الدهر
وصرومه .

ترجمة يوسف باشا سيفاً للشيخ حسن بن محمد البوريني (٤١)

« الامير يوسف بن سيفا واخوه الامير علي ، قد اتفق (١٤٩ ب)
مسيرنا الى طرابلس الشام فنهضت اليها من دمشق في شوال سنة
ثمان والـف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها الف الف تحية . ومررنا

(٤١) الشيخ حسن بن محمد البوريني (١٦٢ هـ / ١٥٥٦ م - ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ،
مؤرخ من اصل نابلسي عاصر أحداث سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٥ م ، حول حياته
ونفاذته ومنزلته العلمية ومؤلفاته ، انظر الترجمة الوافية ومصادرنا التي اوردنا له
صلاح الدين المنجد في تقديمه للمجلد الاول من تراجم الاميان من ابناء
الزمان ، دمشق ١٩٥٩ م ، ص ٥ - ٢٦ . النص الذي ننشره مأخوذ من مخطوط
تراجم الاميان من ابناء الزمان ، نسخة مئّنة ، رقم

على مدينة عكار (٤٢) فاجتمعنا بالاميرين المذكورين وكان الامر علي له تعلق بأهداب الآداب ، وتوثق من معرفته بأوثق الاسباب ؛ ولعمري لقد شاهدت دولة سيفية وشهدت بسعادة يوسفية وعينت مجدا عاليا وجودا وافيا يشمل البعيد والقريب . وكانت بهما عكار صافية ، ووعود الزمان بالمراد لمن قصدها وافية ، فاشتهرت بعد الخمول وقُصِدَتْ حتى صارت محطّ الحمول ؛ ولعمري أن الدولة السيفية كانت وريفة الظلال باسمه الثغور عن عقود الاقبال . وقد مدحتُ صاحب انشاء الدولة المذكورة ، الامير يوسف ذو السيرة المشكورة بقصيدة ميمية ومدحت اخاه عليًا بأخرى رائية ، وانصرفتُ من عكار الى طرابلس الشام وطرفي لبرق اقبال هاتيك الديار قد شام ، ورايت في الطريق بقايا حصن يقال له عُرْقَا (٤٣) وقد عرقه الدهر الجابر بمدينة جوره عُرْقَا ، وشاهدتُ تحامل الزمان على نواحيه وتشتيته لجموع ساكنيه وأهليه مع انه من الحصون القديمة التي

(٤٢) النصوص المتوافرة بين ايدينا لا تشير الى مدينة تعرف بعكار بل تشير الى حصن عكار . فيقول عباد الدين اسماعيل أبو الغداء (ت ٧٢٢ هـ / ١٢٢١ م) ، : « وعكار حصن في الجبل المذكور (جبل عكار) . أما القلقشندي فيذكر ما يلي : « وهي قلعة على مرحلة من طرابلس في جهة الشرق بوسط جبل لبنان في واد ، والجبل محيط بها وشرب أهلها من عين تجري اليها من ذيل لبنان المذكور ولها روض ليس بالكبير » . وكانت تشكل نيابات مملكة طرابلس الشام في العهد المملوكي ونيابتها امرة عشرة ونائبها يخاطب « النائب بحصن عكار » انظر ، تقويم البلدان ، حققه م . رينود والبارون ماك كوكين دي سلان ، المطبعة الملكية ، باريس ، ١٨٤٠ م ، ص ٦٨ ؛ صبح الاعشى في صناعة الانثى ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ص ١٤٤ ، ص ٢٣٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ ، م ٩ ، ص ٢٥٣ ، م ١٢ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥ ، يورد المؤلف هنا نص كتاب تقليد لاحسد النواب .

(٤٣) يعرف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، عُرْقَا ، بقوله : « عرقه بكسر أوله وسكون ثانيه ... بلدة في شرقي طرابلس بينهما اربعة فراسخ وهي اخر ميل دمشق وهي في سفح جبل بينهما وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها » ويذكرها أبو الغداء بقوله : « هي بلدة صغيرة ذات قلعة صغيرة ولها بساتين ونهر صغير ... » ، انظر معجم البلدان ، م ٦ ، تحقيق فردناند وستفلد ليبزج ، ١٨٦٨ م ، ٢ ، ص ٦٥٣ — ٦٥٤ ، تقويم البلدان ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

محب رسومه كل ديمية مستديمة . فلما دخلت طرابلس عجبت من
 محاسنها ورأيت عجائب البحر بالقرب من مساكنها ودخلت اليها
 مساليلة الاحد من اواسط ذي القعدة المنتظم في سلك شهور سنة
 ثمان بعد الالف من هجرة خير الانام عليه من الله الصلاة والسلام .
 ونزلت في منزل وكيل الامير علي اليوسفي السيفي وهو المسمى بعلي
 ابن المقدم، وكان بسين جماعته هو المشكور المقدم وكان النزول عنده
 باشارة استاذ المذکور بل بأمره الذي يطيعه كل مأمور ، فاکرمنا
 اکراما وواصل الينا انعاما وحبانا الطافا ومن علينا إسعادا وإسعافا ،
 وحضر الينا علماء طرابلس مسلمين ولدعوى العلم من جانبنا مسلمين .
 وقد صدر أن الامر يوسف بن سيفا حاکم مدينة طرابلس صاحب هذه
 الترجمة أرسل في اواسط سنة خمسة عشر بعد الالف الى باب
 السلطنة العلية بقسطنطينية المحمية يتطلب حکما سلطانيا منشورا
 خاقانیا ، بأن يكون رأس العساكر الشاميّة وأمير الامرا في هاتيك
 الولاية السنية لينتقم من علي بيك ابن الامر أحمد بن جان بلاد الخارج
 بحلب الشهباء الذي تباعد عن الطاعة وأبى ؛ فأجيب الى ذلك ، وظن
 السلطان ايده الله تعالى انه قادر على ما هنالك وأرسل اليه الحكم
 المطاع الواجب الاتباع بأن يكون رأسا على جميع العساكر ورئيسا
 لجميع الجماهر من حدود غزة والقدس ونابلس واللجون وعجلون
 والكرك الى حدود طرابلس وجبله واللاذقية وحمص وحمّة وما هناك
 من الاكراد والترك والمغرب، وأن يسعى على ازالة حکمه من حلب
 ونواحيها وأن يعيد الحكم السلطاني في البلاد المذكورة من قوادمها
 الى خوافيها . فلما جاء الامر المذکور وتقدّر عنده الحكم المنشور
 أرسل الى حکام العباد وأرسل الامرا في ساير البلاد فاجتمعوا في
 حمّة وجعلها موطنه وجماه، وذهب هو أيضا اليها ونصب سراقته عليها .
 ونهض علي بيك من حلب الى هناك وتقابلا وتقاولا وتجاولا ، ذاك
 مع السكبانبة الباغين وابن سيفا مع عساكر حمّة سلطان المسلمين ،
 فتقدّر الله تعالى أن الكسيرة الكبيرة وقعت على جانب عسكر السلطان،
 وخرج سيف ابن سيفا من الاجفان ولكنه ما عاد اليها بعد الخروج،

وقد قبل قسم الخروج قبل الولوج ، ففر الى الشام وما عرجوا على الخيام ، فيالها (١٥٠) من كسرة ما وجدوا بعدها نصره ، فلما دخل علي بيك الى مخيم الشاميين وابن سيفا ورأى هناك سعادة وسلاحا ورمحا وسيفا قوي مزاجه وعزّ مع الغير امتزاجه فارسل الى ابن معن فخر الدين يطلبه للاقبال اليه بعد انكسار الشاميين ، فاقبل اليه وورد عليه وكان اجتماعهما عند منبع العاصي ، وكان ذلك رسما لاجتماع العصاة من الداني والقاصي ، فاتفق رأيهما أن يرسلوا الى طرابلس عسكر (١) يأخذها من يد ابن سيفا واتباعه ، فعينوا لذلك درويش بيك ابن عم علي بيك مع جماعة لتفريق جيش ابن سيفا بعد اجتماعه ، فبادر ابن سيفا الى الهرب من شدة الخوف والرهب الى ركوب السفينة بنفس لفرار ووطنه حزينه وأبقى قلعة طرابلس حصينة بجيوش في ضمنها كمينه وجعل رأسهم مملوكه يوسف ، ودعا له بالحماية من موجبات التلهف والتأسف ، واتخذ سبيله في البحر سرياً وقضى الناس من فراقه لوطانه عجباً ، واخذ معه أمواله الكثيرة وصحب محاسن أمتعته العزيزة وسار معه غالب أهل طرابلس من الرجال والنساء في مراكب متعددة وسفن في البحر متبددة فأ (ما) سفينته التي سار فيها فقد جرت بها الريح السى قبرص (٤٤) ونواحيها ، ودخل الى بعض مداين الجزيرة المذكورة ولم يجد ما رامه عندما قدم عبوره فطسار في السفينة بأجنحة الشراع واقطع عن ذلك الساحل بقوادم القلاع وسار الى الجانب القبلي ملجأ ولم يلو على طرابلس معرجا حتى خرج من ساحل حيفا (٤٥) من توابع اللجون (جاءت الجون) ولم يسمع نصيحة

(٤٤) حول تاريخ جزيرة قبرص في العهد العثماني انظر :

Hill, Sir George, A History of Cyprus, vol. iv, Cambridge University Press, 1952, PP. 1 - 99.

ومقالة : Dakkot, Besim, "Kibris" I. A., vol. vi, PP. 672 - 76.

(٤٥) حول النصوص الجغرافية التي تذكر حيفا انظر ما جمعه الاب مرمجي الدومنيكي في بلدانية فلسطين ، بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ٦٥ . في سنة ١٩٤٥ هـ / ١٥٢٨ م كان عدد سكان حيفا مئتين خاتة جيمهم من المسلمين وربع حاصلاتها المنوع

اخوانه الذين في نصحه يُلجّون. وأما السفينة التي حملت امتسته
المصونة واحتملت درره المكنونة فانها صارت للنصارى غنمًا ولقي
بذهابها خسرانا وغرمًا، وكاد (جاءت وكان) يقتبل وكيلها الذي اقامه
عليها وجعله ناظرًا وحافظًا لديها ؛ والذاهب لا يعود والطوالع ليست
متخضة للسعود. وأما من سار من رجال طرابلس ونسائها في صحبة
الامير ابن سيفا فانهم وجدوا بالأسر خيفًا وليتهم لو تبعوه حتى دخلوا حيفا ،
فاخذتهم النصارى وصاروا في قبضتهم اسارى، فكسبوا عريضة صارت في
ايديهم ذليلة ومن مصونة أصبحت في قبضتهم بعد الصحة عليلة، وكسبوا
من عزيز في ايديهم قد دُلُّ ومن عظيم قد احتقر بعد ما جُلَّ ؛ ولعمري
انها كانت لفضيحة قبيحة ومضيبة اصابت لعدم قبول النصيحة . ثم
ان الطاغية الذي أُنس نساء أهل طرابلس الشام مكث في نواحي قبرس

١٨١ الدولة كان يساوي ٤٧٨١ اقة . كما يشار الى وجود اسكلة (ميناء) فيها
تتقاضى الدولة رسوما عن السفن التي ترده ، مقدارها الف اقة سنويا ؛
والجدير بالذكر ان البحار العثماني بيري محي الدين ريس (ت ح ١٥٥٥ م) يشير
في وصفه لساحل فلسطين الى وجود قلعة مدمرة في حيفا الا ان ميناءها كان
يصلح للرسو ، وبوجب احصاءات سنة ١٥٠٥ هـ / ١٥٦٦ م ، كان عدد سكان
حيفا ٣٢ خانة جميعهم من المسلمين ومجموع ما يتحصل منها عشرة آلاف اقة .
الا ان هذا الاحصاء لا يشير الى رسوم الاسكلة مما قد يوحي بانها كانت معطلة
كميناء . انظر طابو دفترى رقم ١٩٢ (اسطنبول) ، ص ٣ ، طابو دفترى رقم
١٨١ (انقره) ، ص ١٩ - ٢٠ .

Heyd, U. "A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early
Sixteenth Century", Israel Exploration Journal, vol. vi, (1956), pp.210-211.

"Hayfa", E. I³ . vol. iii, PP. 324 - 26. انظر ايضا :

راجع بالاناسة الى ما ذكر اعلاه جميل البحري ، تاريخ حيفا ، المكتبة الوطنية ،
حيفا ١٩٢٢ م .

من أجل مقارنة حيفا مع كل من يافا والناصره في القرن السادس عشر انظر مقالتي :
Bernard Lewis : "Nazareth in the Sixteenth Century, According to the
Ottoman Tapu Registers".

"Jaffa in the 16th Century, According to the Ottoman Tahrir Registers",
in Studies in Classical and ottoman Islam Variorum Reprint, London,
1977, PP. 416 - 446.

كاسباً للأنام ، وشرع يبيع النساء لرجالها ، وينادي لكل فرقة وعيالها ، فبلغ الناس في النساء مبلغاً عظيماً وثمناً جسيماً لكن مع الفضيحة الكاملة والحسرة الشاملة التي أحرقت القلوب وعظمت الكروب ، وكان الرجل ينظر زوجته مأسورة ، ويرى جاريته منظورة والمنادي ينادي في كل نادي ، فمنهم من يقدر على الفكك ومنهم من يسقى من الأشرار في الأشرار ، ومنهم من يفك نفسه دون أهله فيذهب عنها وقد فقد نور عقله ، فكم من بكر جميلة الصورة أصبحت في يد المشركين وهي مأسورة ، وكم من غلام يفوق البدر عند التمام ، وقد ناح عليه أبواه عند الفراق وذاب منهما الجسم بشديد الاحتراق ، وذلك من أعظم المصائب وأشد النوايب . وأما ابن سيفاً فإنه خرج من البحر ضيفاً عند الأمير أحمد (٤٦) ابن المرحوم الأمير طرباي ابن الأمير علي الحارثي ، وهو الآن أمير لسواء اللجون (٤٧) فقام إليه مكرماً ولنزوله معظماً واطهر له ما يليق بأمثاله من أكارم الأمراء وأمر الأكارم ، وأبرز له ما يساوي

(٤٦) حول حياة الشيخ أحمد بن طرباي الحارثي ، (ت ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م) ، أمير لسواء اللجون ودور أسرته في تاريخ سنجد اللجون بشمال فلسطين منذ أواخر العهد المملوكي ، انظر المحيي ، خلاصة الأثر ، م ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ . كذلك مقالة موثي شارون :

"The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries", in Studies on Palestine during the Ottoman Period, edited by Moshe Maoz, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

كذلك دراستي : الأسرة الحارثية في مرج بنسي عامر ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م - ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م . المقدمة لندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ٧ - ١٢ أيار ١٩٧٧ ، (تحت الطبع) .

(٤٧) حول لسواء اللجون انظر دراستي المشار إليها سابقاً خاصة هامش رقم ٢ ، ص ٢٥ . ولقد كان هذا اللواء يشمل النواحي التالية : شفا ، ساحل مغتية ، ناحية شمرا وناحية جنين ، لمزيد من التفاصيل انظر :

Wolf Dieter Hutteroth and Kamal Abdulfattah, Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century. Erlangen, 1977, PP. 157 - 161.

البحار الزاخرة من المكارم ؛ والصال أن ابن سيفاً طُلِعَ الى الامير المذكور وليس معه من جماعته سوى سبعة رجال على ما هو مشهور (١٥٠ ب) غير أن معه من الاموال مالا يدخل تحت الاحصا ولا يشمل الاستقصا ، وأرسل علي بك ابن جان بلاد الى الأمير احمد طرباي رسالة تشتمل على ما معناه، أنك يا امير احمد اجتهد في قتل ابن سيفاً وجرد في قتله وقتاله رمحا وسيفا ولك المال بأسره وتحز لنا الراس فبادر بذلك فلا حرج عليك ولا بأس ، وان لم تفعل جوزيت منا بالعتاب او بغاية التعزير والعقاب . فأجاب بأن هذه كلمة لا تقال، ومن وقع في مثل هذا فعثرته لا تقال ، ليس ذلك من فعل الامرا ولا من شأن الاعيان والكبرا ؛ كيف يكون ضيفي ويناله رمحي وسيفي ؟ ثم انه بادر الى اهداء الخيول المسومة (٤٨) وتقديم الضيافات المعظمة وقال له مرحبا بك يا امير واهلا بجودك الخطير ، لو كان لي مال لقدّمته اليك ووضعته بين يديك ، ولكن عندي خيول ليس لها مثيل ولا يشابهها جواد ولا في التمثيل، وفيها جواد جيد قوي ايد جموح أبي ما علا ظهره احد بعد أبي ، وهو لك مني عطية راضية مرضية ليس فيها منة عليك بل هي نعمة منك اليك ؛ ثم أنه اضاف اياما عديدة وخدمته خدمة سعيدة واكرم مثواه واجلّ مشاءه ؛ ثم انه ارسل الى عسكر الشام يطلبهم الى بلاد اللجون فساروا اليه ووردوا عليه ، فسار معهم على

(٤٨) يلاحظ أنه عند عودة الامير نضر الدين المعني من ايطاليا، بنساء على موافقة السلطات العثمانية سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م ، الى صيدا عبر عكا ، ان الامير احمد الحارثي « ارسل كخداة بتقدمة الخيل ايضا التي ترتضيها الفواة » . راجع الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي ، تاريخ الامير نضر الدين المعني ، ص ٦٩ .

طريق حوران (٤٩) ولم يسر على جُنب يوسف (٥٠) وأرض
كتعان (٥١) خوفاً من الأمير فخر الدين ابن معن فانه عُدُوهُ وعند (٥)
أصحاب الضرب والطمع ، فلما دخل الى أرض الشام وجد أهلها في

(٤٩) في أواخر القرن السادس عشر الميلادي كانت حوران تشكل قضاء من ضمن
سنجق دمشق الشام ، وشمل هذا القضاء النواحي التالية : ناحية البطيحة ،
ناحية الجولان الغربي ، ناحية الجولان الشرقي ، ناحية الكارات ، ناحية بنسى
كنانة ، ناحية بنسى جهمة ، ناحية بنسى مانكة ، ناحية بنسى الاعسر ، ناحية
جيدور ، ناحية بنسى كلاب ، ناحية بنسى مالك الصدير ، ناحية بنسى مالك الاشرف ،
ناحية البنتية ، ناحية بنسى عبد الله ، ناحية بنسى صرما ، ناحية بنسى مقلد
وناحية بنسى نشبة ، وليست نشبة كما جاءت عند Hutteroth انظر :

Bakhit, M. A. The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century,
Ph. D. Thesis, London, 1972, PP. 85 - 93, (in the press),

والملاحظ أن الاستاذ هوتروث يضيف ناحية أخرى هي ناحية بنسى مطبة ، انظر
هوتروث ، المرجع ذاته ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٥٠) جب يوسف بالقرب من نابلس ؛ فيما يتعلق بهذا المكان انظر ما جمعه منه الاب
موررجي الدومنيكي ، بلدانية فلسطين ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٥١) أرض كتعان (الأرض المنخفضة أو الفسور) ، كانت في البداية تُطلق على بلاد
الساحل ثم اتسع مدلولها ليشمل بلاد سورية الجنوبية الغربية بأكملها . الا أن
مفهوم الجغرافيين المسلمين لهذه البلاد كان على الأرجح يقتصر على الشمال
الشرقي لبلاد فلسطين . يذكر أبو الفداء وادياً يُعرف بوادي كتعان فيه ضيعة
عرفت باسم كركلا تبعد من جب يوسف اثني عشر ميلاً وانها بالقرب من باتياس .
كما أن الشيخ صدر الدين أبابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي
العثماني (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٦ م) يذكر صفد بقوله « أما صفد نفسها محصنة
منيع بقعة جبل كتعان » راجع ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣١١ -
٣١٢ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS,
vol. xv, (1953), P. 479.

فيما يتعلق بالمفهوم التوراتي لهذه البلاد ، انظر :

Smith George Adam, The Historical Geography of the Holy Land,
New York 1907, PP. 4 - 5.

كذلك الخارطة رقم (٢) المرفقة بكتاب :

Yeivin, Sh., The Israelite Conquest of Canaan, Nederlands Historisch -
Archaeologisch Institute, Istanbul, 1971.

الخيام وهم في انتظار العساكر القادمة من الأطراف لحصول الإسعاد منهم والإسعاف على ابن جان بلاط ومن معه من الاخلاط كابن معن ويونس (٥٢) ابن الحرفوش، وكل من باطنه خاين مغشوش ؛ فانهم لما كسروا جيوش ابن سيفاً على حماه حرس كل منهم بيت المغرور وحماه، وقصدوا طرابلس الشام فهتكوا حريمها ولم يبق لها احترام، وأقام بها درويش ابن حبيب ابن جان بلاط مدة يفسد فيها ومن معه من الاخلاط الى ان أصبحت قاعاً صاففاً وما عفا عن أهلها ، فما هي من ظلمه عفا ، لا سيما بيوت توابع ابن سيفاً فانه قد أورثهم حيفاً، اللهم الا قلعة طرابلس المحمية فانها نجت من حوادث البلية، وما ذاك الا ان يوسف مملوك ابن سيفاً حماها وحصن ربعها وموطنها وحماها ، وكان يلتقي من باطن القلعة المذكورة نيراناً محرقة يخرب بها بيوت اكابر طرابلس، لا سيما بيوت التابعين لابن سيفاً . ولما وصل درويش ابن حبيب الى طرابلس الشام وأوصل الى أهلها ما قدر عليه من التعدي والالام ذهب علي بك ابن عمه وابن معن الى نواحي بعلبك فأحرقوا ريفها ونهبوا المدينة وما قدروا عليه من قراها، واستمروا راحلين الى ان استقرّوا في البقاع وانزلوها في الحضيض بعد اليفاع. ولنذكر في اثناء هذه الحكاية (التي) توجب غاية النكاية، وهي ان الامير موسى ابن الحرفوش أمير الامراء ودار الامجد الكبرا فخر بني حرفوش بالاتفاق، بل هو فخر امراء الشام على الاطلاق، كرم لا يباريه الفمام وعهد صادق العقدة في غاية الابرام وشجاعة فاقت على الاسود وأصالت على كل ذي أصل يسود ، نهض من بعلبك وهو حاكمها الى نواحي حمص مستقبلاً لابن جان بلاط وجيوشه ، مداراة

(٥٢) جاءت في النص يوسف بن الحرفوش، والأصح كان اسمه يونس بن حسين بن موسى الحرفوش الذي أصبح « أمين بلاد بعلبك » بدل عمه الامير موسى بن علي الحرفوش الذي كان ذا ميول سنية، وتدخل للصلح ما بين علي بن جانبلاط من جهة وما بين يوسف باشا سيفاً من جهة أخرى، الا انه فشل في مهمته وهرب مع يوسف باشا سيفاً ؛ انظر البوريني ، تراجم الاعيان ، م ٢ ، ص ٢٧٥ ، ايضاً ورقة ١٤٨ ب ، ١٤٩ أ ، المحبي ، خلاصة ، م ٤ ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

عن عرضه ومحاماةً عن أرضه، فتحدثنا وتساولا وتشاورا فيما صدر
وتجاولا، فقال الأمير موسى هلاً تعطيني عهداً على الصلح به جرح
الخراب موسى ، وأنا اذهب الى الشام وأخذ لك العهد الوثيق من
الانام؟ فقال اذهب سليمان وكن يا موسى كلياً ؛ فحضر الى الشام
ورمي من عسكرها بغاية الكلام لشدة ما أوجعوه بغيظ الكلام ظناً
من جهلائهم أنه عليهم، وما كان الا ناويا سوق الخير اليهم ، (١٥١)
فلما حضر الى أمير الامرا قال له بما قد جيئت على قدر يا موسى
فجرّد سيف عزمك لعلّه يذهب البوسى. فقال يا أمير الامرا : ابن جان
بسلط يطلب منك أن تعطوا حوران لعمرى (٥٢) البدوي من العرب
المفارقة، والباق العيزي لابن الفريخ (٥٤) منصور بن بكري، وأدخلوا

(٥٢) عمرو البدوي هو عمرو بن جبر شيخ عشيرة المفارقة ، حليف فخر الدين المعني ؛
كان رشيد بن سلامة بن نعيم شيخ السريين من المفارقة ينائسه على المشيخة
في حوران؟ وكان رشيد موضع عطف الدولة العثمانية ، حيث أعطى سنة ١٠٢١ هـ /
١٦١٢ م ، المشيخة بحوران حول دورها في معركة الصراع القيسي - اليمني ،
انظر البوريني ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ،
انظر كذلك نص البوريني الموجود في مكتبة جامعة ليدن باسم : كراستان نُظِّلنا
من خط الشيخ حسن البوريني Cod. or. 1515 ورقة ١٤ ،
حيث أن هذا النص يتفق مع النص الذي نشره صلاح الدين المنجد في
هاش من ٢٢٥ من المجلد الثاني ، راجع ايضا الشيخ أحمد الخالدي الصنفي ،
المصدر ذاته ، ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ص ١١ ، ص ١٢ .

(٥٤) الأمير منصور بن الفريخ (ت ١٣ ربيع الثاني ١٠٠٢ هـ / ٦ كانون الثاني ١٥٩٤ م)
قُتِل في دمشق بأمر من السلطان ببناء على رغبة والي دمشق آنذاك مراد باشا ،
ولقد كان أمير البقاع العيزي بعد القضاء على أسرة آل الخنش البدوية السنية
أعطى حكومة نابلس وإمارة الحجاج والتزم أموالاً للدولة على صمد ، كان يقف
ضد الدروز والمعتنين خاصة : ترك عشرة أولاد أكبرهم فرقباس الذي قُتِل على
يد الأمير موسى بن الحرغوش في ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م ، بإيعاز من فخر الدين
المعني بعد أن رفض الأمير يوسف باشا سيافا إيواؤه . من هنا نرى أن منصور
بن الفريخ قد قُتِل قبل هذه الحوادث . وربما اختلط الأمر على الناس فخلط
ما بين اسم ابن الفريخ واسم الأمير فروخ بن عبد الله الجركسي أمير الحاج
الذي تولّى حكومة نابلس وعجلون والكرك سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، وإمارة
الحاج ؟ ولم يزل في هذا المنصب الى أن مات بمكة المشرفة في سنة ثلاثين وألف

كيوان (٥٥) الى الشام كما كان ، واكتبوا عرضا بأن ابن جان بلاط لم يدخل الى أرض الشام ، وان ابن معن فخر الدين يؤدي ما عليه من مال السلطان،وبلاده موصوفة بالامان ؛ فعقد أمير الأمرا ديوانا لهذه المطالب ، التي جاء الأمير موسى وهو لها طالب ، فانفقوا على أن حوران تعطى لعمرو ولكن في السنة القابلة،وأما البقاع فإن اعطاءه لمنصور المذكور غير معقول ، لكونه عند الرعايا غير مقبول ، وأما كيوان فإنه يرجع الى الاوطان وعليه ما على الناس من الامان ، واليمين من جانبنا لازمة لجميع الاخوان وقد كنت حاضر (١) في الديوان بدعوة من وكيل السلطان،فقال أمير الامرا وهو الوكيل للفقيه العليل : اكتب لنا صورة مكتوب الى ابن جان بلاط واخبره بما جرى عليه الاتفاق من قبول دخول كيوان والعفو عنه وعن ذنوبه،ومن وعده باعطا (جاءت باعطا) حوران ، لعمرو في السنة القابلة،ومن الاعتذار من عدم اعطا البقاع لمنصور بن الفريخ ابن بكري.وأخبره بأن المحضر سيصل اليه بما طلب في حقه وفي حق ابن معن . فلما انفض الديوان على ذلك وقع الاتفاق على أن يحضروا في اليوم الثاني الى بيت رجل من الجند الشامي يقال له تركمان (٥٦) حسن فاجتمع

١٦٢٠ م) انظر أحمد الخالدي الصندي ، المصدر ذاته ، ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٩ ، ص ١٦ ، ص ٢٧ ، ص ٣٥ ، الغزي ، لطف السر ، ورقة ٢١٢ ب — ٢١٣ ، الحبسي ، المصدر ذاته ، م ٣ ، ص ٢٧١ ، م ٤ ، ص ٤٢٦ — ٤٢٢ .

(٥٥) كيوان بن عبد الله (ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م) ، زعيم الجناح العسكري بدمشق المتعاون مع فخر الدين المعني ، كانت نهايته على يد فخر الدين نفسه . حول دوره في معركة الصراع ما بين العسكر في دمشق واستغلال العسكر للصراع القيسي — البيئي في صراعهم ذاك ، انظر الغزي ، لطف السر ، ورقة ٤٣ ب — ٤٤ ، ا ، ب ، الحبسي ، المصدر ذاته ، م ٣ ، ص ٢٩٩ — ٣٠٣ .

(٥٦) تركمان حسن المقصود به حسن باشا ابن عبد الله الامين الكبير المعروف بشويزة حسن من صدور دمشق واعيانها الذي كان يرجع اليه في المهمات ويعمل عليه في الامور وكانت تناط به امور دمشق عند غياب ولاتها . توفي سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م . احتل ابنه محمد دورا مماثلا الى حين وفاته سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م . حول حياتها انظر ، الغزي ، لطف السر ، ورقة ٢٩ ب ، ٣٠ ، الحبسي ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٤ — ٢٧ ، م ٣ ، ص ٤٢٧ — ٤٢٨ .

الجند كُلُّهُ في بيت الجندي المذكور ما عدا الوكيل الاكبر عن السلطان وقاضي القضاة فانهما ما حضرا ولا استحضرا، فوقع الاتفاق على كتابة مكتوب مرغوب خطابا لعلي بيك ابن جانبلاط بما سبق من الاتفاق، وعلى كتابة ديباجة محضر بأن المذكور ما وطئ ارض الشام، وان ابن معن يوصل مال السلطان في محله ، وبلاده آمنة الطرقات . فأما المكتوب فقد كُتِبَتْهُ وَخَتَمَهُ اعيان الجند، وأما المحضر فانه عرض على الشيخ محمد بن سعد الدين (٥٧) فما قبل معناه ولا رضي بفحواه، وأبرق وأرعد وما وعد ، بل توعد و (قال) انا انا لا اكتب هذا ولا ارتضيه ولا اقبله ولا امضيه ؛ فرجع الامر موسى الى ابن جانبلاط بغير المراد ، فعند ذلك قال ابن جان بلاط ما يظهر مقامي عند جند الشام الا باظهار البرهان ، واطهار السيوف البارقة والخرصان (٥٨). وقام من يومه قاصدا بلاد بعلبك وبلاد البقاع، وتخریب الاماكن والبقاع ؛ وأما الامر موسى ابن الحرفوش فانه استمر هاربا من ابن جانبلاط الى دمشق، فأخبرهم بأنه ترك الجماعة قصدا للموت على الطاعة ، واقتضى حضوره الى دمشق حضور جند ابن جانبلاط وحشرات ابن معن الى بعلبك فنهبوها ، والى من بقي من النساء والرجال ففرقوها ، وخيَّم ابن جان بلاط وابن معن في البقاع العزيزي ، وانحاز اليهم يونس بن الحرفوش ومن معه من اولاد عمه مغاضبا لحضرة الامر الكبير ذو القدر الخطير الامر موسى ابن عم يونس المذكور ، وخرج الجند الشامي الى الميدان الاخضر بدمشق وخيّموا هناك، واستحضروا سنجد القدس وسنجد نابلس وسنجد غزة وسنجد اللجون وسنجد

(٥٧) الشيخ محمد بن سعد الدين الجبائي (ت ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م) ، شيخ الطريقة الجبائية بدمشق كان ملكا كبيرا ، وكان يتوسط لدى الحكام نيابة عن الرعية خاصة عند زيادة الضرائب، لمزيد من التفاصيل حول حياته راجع البوريني ، المصدر ذاته ، م ١ ، ص ٢٠٥ - ٣٠٦ ، الغزي ، لطيف السر ، ورقة ٦ ب - ١٧ ، المحبي ، المصدر ذاته ، م ٤ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٥٨) خرصان : جاءت خرصان ، أما الخرصان فهي الرماح ، انظر لسان العرب ، م ٧ ، ص ٢١ - ٢٤ .

عجلون، وأما صند فانها كانت مع فشر الدين بن معن وهو كان مع المخالفين الخارجين. ولم تزل الجند تتزايد في دمشق، وكذلك عسكر الخوارج فانه أيضا كان يزيد. وترددت الرسل في الصلح من الجانبين فما حصل اتفاق، واختلفت آراء الجند الشامي فمنهم من كان يميل الى الصلح ومنهم من كان يميل الى القتال، حتى ان ابن جان بلاط أرسل من خوارج جماعة الى دمشق (١٥١ ب) يطلبون الصلح فما رضي بذلك رأس جاويشة العسكر الدمشقي، وهو محمد الشهير بابن الدردار (٥٩)، وخرج العسكر الشامي من الميدان الأخضر الى مكان يسمى العراد (٦٠) وزحف ابن جان بلاط وابن معن ومن معهم الى مقابلة العسكر الشامي. ومع ذلك أيضا فان ابن جان بلاط كان يُظهر إرادة الصلح، فما وافق على ذلك ابن الدردار المذكور ومن تبعه من الجند الشامي ؛ والقدرة غالبية ويد الله غالبية . وفي أواسط جمادى الآخرة من شهور سنة خمس عشرة بمقد ألف زحف الفريقان، ووقع بينهما القتال، فما فانت ساعة أو قريب من ساعتين وإذا بالعسكر الشامي قد رهب فهرب ، مع كثرة عدده ووفور عدده. وبالله لقد أخبرني من رأى الفريقين أن خيل أهل الشام حزرت فكانت تناهز أربعين ألف فرس، وكانت عددهم وآلة (جاءت الت) حريهم في غاية القوة والمتانة، ولكن جند الله غالب وقدره سالب ؛ ولما هرب أهل الشام انقسموا فرقتين، فواحدة ذهبت الى أذرعات (٦١) في أواخر أرض حوران هربا من ابن جان بلاط

(٥٩) لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوفرة لدي .

(٦٠) العراد تقع الى الجنوب الغربي من دمشق .

(٦١) أذرعات ، كانت في العهد الفاطمي كما نقل أبو الفداء من حسين بن أحمد المهلبى (ت ٢٨٠ هـ / ٩٩٠ م) صاحب كتاب المسالك والممالك المعروف بالعريزي ، « مدينة كورة البنية » ؛ ويذكر ياقوت أنها « بلد في أطراف الشام بجوار أرض البلقاء وعبان، ينسب اليه الخير ». في القرن السادس عشر كانت تقع في ناحية بني مقلد. وتذكرها دلائر الطابو باسم « قرية مدينة أذرعات » وأنها كانت خاص ميرمان . بلغ عدد سكانها حوالي سنة ٩٢٠ هـ / ١٥٢٢ م ثمانى عشرة خانة مسلمة ، ليرتفع عدد سكانها حوالي سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٢ م ، الى ثمان وأربعين خانة مسلمة وخمسة مجريدين وخانة مسيحية واحدة ،

وابن معن، واخرى رجعت الى الشام. والراجعة الى الشام قسمان، القسم الاول ساروا متفرقين مشتين، والقسم الثاني مكثوا في دمشق محاصرين، وغلقت الابواب ونهيا من بها للحراب، فقصدها حزب العدو ونهبوا ما كان خارج السور من المساجد والخانات والاسواق والدور، وانبتت الخوارج الأشقياء في البيوت الواقعة خارج دمشق، واخذوا الأسباب عن آخرها الا قليلا تخبؤوا تحت الارض، وأسروا كثيرا من الاولاد وتحاموا الحريم من النساء، وذهب ابن سعد الدين الشيخ محمد الى ابن جان بلاط وهو نازل على قرية المزة (٦٢) فما قابله بالمزة، وطلب منه حاميا يحمي محلته المعروفة بالقبيبات (٦٢) فاعطاه

■ أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٧٥ — ١٧٧ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، طابو دفتری ٤٣٠ (اسطنبول) ، ص ٥٥٥ ، طابو دفتری ٤٠١ (اسطنبول) ، ص ٦٧٠ .

(٦٢) المزة بالكسر ثم التشديد .. وهي قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ويقال لها مزة كلب . كان عدد سكانها في النصف الاول من القرن السادس عشر على النحو التالي :

طابو دفتری رقم (٤٠١)	طابو دفتری رقم (٢٦٢)
(ح ٩٥٠ / هـ ١٥٤٢ م) اسطنبول	(٩٥٥ / هـ ١٥٤٨ م) اسطنبول
(١٥٠) خانة مسلمة	(٢٦٢) خانة مسلمة
(٣٥) مجرد مسلم	(—————)
(١) خانة مسيحية	(٣) خانة مسيحية
طابو دفتری رقم (٤٠١) ص ٦٠ — ٦١	طابو دفتری رقم (٢٦٢) ص ١٨٢ — ١٨٥
ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٥٢٢	

(٦٣) القبيبات : يُعْرَفُ لها الشيخ محمد احمد دهمان بأنها « محلة مشهورة في الميدان قرب الجامع الكريمي » جامع الداساق ، سميت بذلك لان أكثر بيوتها ذات قباب ولا يزال بعضها باقيا الى الآن . انظر الفلاند الجوهري في تاريخ الصالحية لابن طولون ، م ٢ ، تحقيق الشيخ دهمان ، دمشق ١٩٤٩ ، ١٩٥٦ ، م ١ ، ص ١١٠ (الهامش) . كان عدد سكان هذا الحي بموجب دفاتر الطابو على النحو التالي :

طابو دفتری (٤٠١)	طابو دفتری (٢٦٢)	طابو دفتری (٤٧٤)
(ح ٩٥٠ / هـ ١٥٤٢ م)	(٩٥٥ / هـ ١٥٤٨ م)	(٩٧٧ / هـ ١٥٦٩ م)
(٢٧٣) خانة مسلمة	(٣٧٩) خانة مسلمة	(٣٩٨) خانة مسلمة
(٦) مجرد	(٦) مجرد	(١٢) مجرد
ص ٤٤ — ٤٥	(١) خانة مسيحية	(١) خانة مسيحية
	ص ٤٢ — ٤٨	ص ٧٢ — ٧٩

رجلا من السكبانية يقال له عقيل فمكث عنده حاميا بيته وحده ، ولم يحْم بيتا من القببات سوى بيته . على أن بيته قد أخذ منه خيله وبغاله ودوابه وغالب ماله النقد ، فكان الحامي يحيى لنفسه . أما أهل القببات فقد عُذِرُوا من شيخهم المذكور لانه قال لهم من رفع يده للقتال كان من المقتولين ، فآلقوا سلاحهم وظنوا أنهم يُرْحَمُونَ بترك قتالهم ، فما كان القاء السلاح الا سببا لخراب الديار وعدم حماية الذمار ، فاجتمع عليهم الذلّ والجبن ونهبُ المال وبعض الاولاد ، والله تعالى ينتقم من أهل الفرور والعناد ؛ واستمرّ النهب في المحلات الخارجة عن سور دمشق ثلاثة أيام ولم يبقوا صامتا ولا ناطقا ولا ولدا صغيرا من أهل الاسلام ، وما نجا سوى أهل محلة الشاغور (٦٤) فانهم حاربوا الخوارج خارج السور وقتلوا منهم ما يزيد على ثلاثين رجلا بالخصوص . وقد قتل من الخوارج في الايام الثلاثة في نواحي بساتين دمشق وعلى أبوابها وبين بيوتها ما يقرب من ألفي رجل ، وغالب القتل كان من شباب دمشق وأحداثها . وأما ابن سيفا فانه ما خرج مع الجند الشامي الى القتال ، فاستمرّ محتجبا في البيوت مع النساء لا الرجال زاعما انه مريض ، فلما بلغته كبر العسكر خاف وعَمَّم اعضاء الارتجاف

(٦٤) الشاغور ، أحد الاحياء الخارجية لمدينة دمشق ، تذكر دفاتر الطابو الشاغور البرانسي والشاغور الجواني . وكان مدد سكانها كما يلي :

١ - الشاغور البرانسي

طابو دفترى (٤٠١)	طابون دفترى (٢٦٣)	طابو دفترى (٤٧٤)
(٥٥٩) خانة مسلمة	(٤٢٦) خانة مسلمة	(٥٣٦) خانة مسلمة
(٤٢) مجرد	(—)	(١٧) مجرد مسلم
(٢) خانة مسيحية	(—)	(٤) خانة مسيحية
ص ٢٦ — ٢٩	ص ٨٢ — ٨٨	ص ٩٢ — ١١٠

ب - الشاغور الجواني

طابو دفترى (٤٠١)	طابون دفترى (٢٦٣)	طابو دفترى (٤٧٤)
(٢٢٧) خانة مسلمة	(٢٦١) خانة مسلمة	(٢٢٠) خانة مسلمة
(٣٠) مجرد مسلم	(١٩) مجرد مسلم	(٨) مجرد مسلم
(٦) خانة مسيحية	(٤) خانة مسيحية	(٢) خانة مسيحية
(١٣) شريف	ص ٨٨ — ٩٢	ص ٨٧ — ٩٢
ص ٢٩ — ٣٢		

فوزن لقاضي دمشق وبعض اعيانها ما يزيد على مائة ألف غرش، وهي التي كانت سببا لخلاص المدينة من حصار ابن جان بلاط وابن مغن؛ وذلك انه اعطى المال المذكور وفتحت له ابواب دمشق ليلا ونجا براس حمراه، ونجا وخرج مع البازي عليه سواد وسار معه بعض الجند الشامي، وسار معه ايضا المرحوم الامير موسى ابن الحرفوش؛ ولم يزالوا معه حتى وصل الى حصن الاكراد (٦٥) واستحصن به لانه كان محفوظا مع عمه الامير محمود ابن سيفا، وقبض ابن جان بلاط المال (١١٥٢) الذي اعطاه ابن سيفا ورجل عن دمشق بعد الايام الثلاثة، وذهب متوجها الى نواحي حلب، وسيشرب في مجلسه ما جلب وحلب. وللقصة تنمة مفيدة تذكر ان شاء الله تعالى في هذا الكتاب بالخصوص لانها مشروحة في فصل بها مخصوص، والله اعلم .

(٦٥) يذكرها ياقوت في عهده بقوله « حصن الاكراد على الجبل المقابل، وهو بين بعلبك وحمص. وكان بعض امراء الشام قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوما من الاكراد ظليمة بينه وبين الفرنج، وأجرى لهم أرزاقاً فتدبروها بأهاليهم ثم خانوا على انفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه الى ان صارت قلعة حصينة منعت الفرنج من كثير من غاراتهم، فنزلوه فباعه الاكراد منهم ورجعوا الى بلادهم. وملكه الامرنج وهو في ايديهم الى هذه الغاية. وبينه وبين حمص يوم ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من ايديهم. ويذكر أبو الفداء انه كان مقرراً ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس . اما القلقشندي فيذكر انه احدى نيايات مملكة طرابلس الشام ونيايته امرة مشرة ورسم المكتبة للنائب « النائب بحصن الاكراد ». ياقوت ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٢٧٦ ، أبو الفداء ، كتاب تقويم البلدان ، ص ٢٥٩ ، القلقشندي ، صبح الامشى ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ٢٣٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ . راجع المسادة التي اوردها عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) . من حصن الاكراد في كتابه « الاعلام الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » ، تحقيق سامي الدهان ، منشورات المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٦٢ ، الجزء المتعلق بلبان والاردن وفلسطين ، ص ١١٥ - ١٢٠ .

انظر كذلك :

Elisseeff, N., "Hisnal-Akrad" E. L. vol. III, PP. 503-506.

التقرير السنوي الاول

لمجمع اللغة العربية الاردني لعام ١٩٧٧ م

اولا : — الخطوات التأسيسية

صدر قانون مجمع اللغة العربية الاردني رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م. في عدد الجريدة الرسمية رقم (٢٦٣٤) تاريخ ١/٧/١٩٧٦ م .

وفي اليوم الأول من شهر تشرين الأول سنة ١٩٧٦ بدأ المجمع بخمسة أعضاء ، عُيِّنهم مجلس الوزراء ، بناءً على تنسيب من وزير التربية والتعليم ، وفقاً للفقرة (ب) من المادة (٢٠) من القانون المذكور ، فكانوا هم النواة لمجلس المجمع ، والمكتب التنفيذي الأول له . واقرن قرار التعيين هذا بالارادة الملكية السامية .

وعقد مجلس المجمع اجتماعه الأول برئاسة وزير التربية والتعليم ، وانتخب رئيساً له ، ونائباً للرئيس ، ونسب الى السيد الوزير تعيين امين عام للمجمع : فكان الدكتور عبد الكريم خليفة رئيساً للمجمع ، والدكتور محمود السمرة نائباً للرئيس ، والدكتور محمود ابراهيم والدكتور سعيد التل عضوين . وصدر قرار وزير التربية والتعليم بتعيين الأستاذ عيسى الناعوري اميناً عاماً للمجمع .

وصدرت الارادة الملكية السامية بتعيين الدكتور عبد الكريم خليفة رئيساً للمجمع .

هذه كانت الخطوات الأولى والاساسية لتأسيس المجمع ؛ وهو المجمع الرابع في العالم العربي ، بعد مجمع دمشق ، ومجمع القاهرة ، ومجمع بغداد . والقانون رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م. يحدد

اهداف المجمع في المادة (٤) منه ، كما يحدد في المادة (٥) الوسائل التي يحقق بها المجمع هذه الاهداف .

ثانيا : - مقرّ المجمع وانتظام العمل

من ١/١٠/١٩٧٦ م الى ١/٧/١٩٧٧ لم يكن للمجمع مقر خاص به ، يستطيع ان يمارس فيه عمله بانتظام وفعالية . وكان يأمل ان يكون مقرّه المبنى القديم لمجلس الأمة ، فهو خير مكان يمكن ان يصلح للمجمع . ومن اجل ذلك قام رئيس المجمع بمقابلة دولة رئيس الوزراء ، ثم تشرف الرئيس واعضاء المكتب التنفيذي بمقابلة جلالة الملك المعظم . وقد تفضل جلالتهم بابداء اهتمامهم الكريم بالمجمع ، وبرسالته السامية ، وقال جلالتهم انه يمنح المجمع دعمه المطلق ، ووعده جلالتهم بدراسة موضوع المبنى القديم للمجلس .

وخلال هذه الفترة لقي المجمع من الجامعة الاردنية رعاية مشكورة ، ومساعدات ثمينة سهّلت له ممارسة المهم والضروري من اعماله : فكان المكتب التنفيذي ومجلس المجمع يعقدان اجتماعاتهما في رحاب الجامعة ، كما كان قسم كبير من اوراق المجمع ومحاضر جلساته يطبّع ويُسجّب على الآلة الناسخة في الجامعة نفسها ، وبوسائل الجامعة ، وبواسطة بعض موظفيها .

وفي ١/٦/١٩٧٧ وقع اختيار المجمع على مبنى مناسب في جبل الحسين ، فاستأجره بمبلغ (عشرة آلاف دينار سنويا) . ومضى يؤثثه بالمعجل الضروري من الأثاث لضمان انتظام عمله ، كما عين المجمع ثلاثة موظفين : واحدا للمحاسبة واللوازم ، وواحدا لاعمال الديوان ، والثالث كاتب لوازم ويساعد الاثنين ؛ وعيّن كذلك اثنين من الأذنة ؛ وطُبِعَت اوراق ومغلفات وملفات خاصة بالمجمع . ولم يستكمل المجمع اثاثه ولوازمه بعد .

وانتظم العمل في مقرّ المجمع ابتداء من ١/٧/١٩٧٧ ، واخذ المكتب التنفيذي ومجلس المجمع يعقدان جلساتهما في المقر الجديد .

وقد انضمّ الى عضوية الجمع ستة اعضاء في بادئ الامر ، وعضوان بعد ذلك ، نسبهم مجلس الجمع ، وصدرت بتعيينهم ارادة ملكية سامية ؛ فاصبح عدد اعضائه الآن ثلاثة عشر عضوا .

ثالثا : - موازنة الجمع

خلال الأشهر الثلاثة الأولى من تأسيس الجمع - وهي الأشهر الثلاثة الاخيرة من العام المالي ١٩٧٦ - حُوِّلَت مخصصات لجنة الثمريب والترجمة والنشر من وزارة التربية والتعليم الى حساب الجمع . وقد بلغت تلك المخصصات (١٤٣١٤٧٥٠ ر) اربعة عشر الفا وثلاثمئة واربعة عشر دينارا وسبعمئة وخمسين فلسا .

وفي العام المالي ١٩٧٧ قرّر مجلس الوزراء تخصيص اعانة سنوية للجمع في الموازنة العامة مقدارها (٦١٠٠٠٠ ر) واحد وستون الف دينار ، تسلمها الجمع من وزارة المالية على اربع دفعات ، قيمة كل منها (١٥٢٥٠ ر) خمسة عشر الفا ومئتان وخمسون دينارا .

وتلقّى الجمع ، بفضل مؤازرة العضو الدكتور محمد سعيد النابلسي ، محافظ البنك المركزي ، تبرّعا من البنوك المحلية مقدارة (٩٨١٢٥٠٠ ر) تسعة آلاف وثمانمئة واثنا عشر دينارا وخمسمئة فلس .

وعند إعداد الموازنة ، في اواخر عام ١٩٧٦ ، للعام المالي ١٩٧٧ ، طلب الجمع رصد مبلغ (١٠٠٠٠٠ ر) مئة الف دينار لبناء مقر له ، فلم يرصد المبلغ في الموازنة .

وهكذا تأخّر بناء مقر الجمع ، وسيعاد طلب رصد هذا المبلغ للعام المالي القادم . وقد قام رئيس الجمع اخيرا ، مع عضو الجمع الدكتور اسحق فرحان ، بمقابلة دولة رئيس الوزراء ، وبحثا معه في موضوع البناء ، فوعد دولته بالاهتمام به .

رابعاً : - أعمال المجمع ومشاريعه

١ - رغبة في انتظام العمل في المجمع ، قام المكتب التنفيذي بوضع مشاريع الأنظمة التالية : استناداً الى الفقرة (د) من المادة (١٢) من قانون المجمع :

أ - النظام المالي .

ب - نظام الموظفين والمستخدمين .

ج - نظام السوازم .

د - نظام علاوات الانتقال والسفر .

وقد رُفِعَت هذه المشاريع بواسطة وزير التربية والتعليم الى مجلس الوزراء لإقرارها ، فأُحيلت الى ديوان التشريع ؛ وقام الديوان بدراستها واعادة صياغتها ، ثم أعيدت طباعتها بصيغتها النهائية التي أقرها ديوان التشريع . ولكن هذه الأنظمة لم يتم إقرارها بعد في مجلس الوزراء رغم مضي بضعة أشهر على رفعها اليه .

وفي المقابلة التي تمت أخيراً بين دولة رئيس الوزراء ورئيس المجمع ، والدكتور اسحق الفرحان ، جرى البحث في موضوع الأنظمة المتأخرة ، وأهميتها بالنسبة الى انتظام عمل المجمع . فوعد دولته بالعمل السريع على إصدارها .

وقد أعدَّ المكتب التنفيذي كذلك عدداً من مشاريع التعليمات الداخلية التنظيمية ، وهي تنتظر صدور الأنظمة المذكورة آنفاً لكي توضع موضع التنفيذ .

٢ - من أهم المشاريع التي انصرف اليها المجمع مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي . وقد ناقش هذا الموضوع في ثلاثة اجتماعات من اجتماعات مجلس المجمع ، كما بحثه في اجتماعات أخرى من اجتماعات المكتب التنفيذي .

وقد قَدَّم الدكتور أحمد سعيدان مذكِّرة اقترح فيها أسماء عدد من الكتب الممكن الشروع في ترجمتها ، واقترح كذلك أسماء المترجمين ، وتقدَّر تكاليف الترجمة . فوافق عليها مجلس الجمع ، كما عرَّض الامر على جامعة اليرموك لمعرفة رايها ، فأيدت المشروع ، ووعدت بالمشاركة في الترجمة . ويرجى الشروع في الترجمة قريبا ، بالتعاون مع الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ؛ ونأمل أن نجد تعاونا كافيا من سائر الجامعات العربية ، لكي تصبح اللغة العربية في وقت قريب لغة التعليم العلمي الجامعي في العالم العربي بأسره .

٣ - وتعاونُ الجمع كذلك مع الجامعة الاردنية ، ولا سيَّما كلية التربية فيها وعمادة البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة ، لانجاز مشروع حصر المفردات المستعملة في المرحلة الابتدائية . وقد تَمَّ المشروع في وقت قصير ، وأُرسلت الاوراق كاملة الى الجزائر ، حيث يتم الاشراف على تنسيق المشروع باكماله في العالم العربي . وقد أُشرف على انجاز هذا المشروع الأستاذ عبد الله عويدات ، من كلية التربية في الجامعة الاردنية ؛ وكان تمويل المشروع من الجامعة نفسها ، في حين دفع الجمع مكافأة مالية للمشرف على المشروع مقدارها مئة دينار .

٤ - ورغبةً في المساعدة على تعريب المصطلحات في دوائر الدولة ومؤسساتها ، كتب الجمع الى جميع الوزارات والدوائر والمؤسسات الاردنية لتزويده بما لديها من مصطلحات اجنبية ، ليقوم بتعريبها ، والاتفاق بعدئذ مع الجامع العربية الاخرى على توحيد مصطلحاتها في جميع البلدان العربية . وقد استجاب لهذه الدعوة عدد من الوزارات والدوائر ؛ وسيمهد الجمع قريبا الى لجنة المصطلحات بتولي هذه العملية بالتعاون مع الدوائر المعنية .

٥ - ومن أهم المشاريع التي يعمل المجمع الآن جاهدة لأجل تنفيذها إصدار مجلة باسم (مجلة مجمع اللغة العربية الاردني) لان هذه من الدعائم المهمة التي يقوم عليها المجمع ، ويؤدي عن طريقها رسالته العلمية واللغوية . ويأمل المجمع ان يصدر العدد الاول منها قبل نهاية العام الحالي^(١) . ومن اجل ذلك طلب المجمع الى جميع أعضائه ، والى الجامعات الشقيقة ، المساهمة في تغذية المجلة بالبحوث والدراسات.

٦ - تلقي المجمع عدة دعوات من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومن الجامعات الشقيقة ، وبعض الجهات الثقافية الاخرى ، وشارك في المؤتمرات والمناسبات الثقافية التالية :

١ - مؤتمر التعريب الثالث في طرابلس / ليبيا .

ب - مهرجان مجمع دمشق بمناسبة مرور مئة عام على مولد مؤسسه الرئيس محمد كرد علي .

ج - مؤتمر الدراسات العربية والايطالية فسي البندقية وفي باليرمو / ايطاليا ١٩٧٦ .

د - تأبين المرحوم خير الدين الزركلي في دمشق .

هـ - حفلة استقبال الاستاذ احمد راتب النفاخ بمناسبة انتخابه عضوا في مجمع دمشق .

و - مؤتمر الدراسات الايطالية / العربية في ايطاليا ، ١٩٧٧ .

وسيشترك أعضاء من المجمع كذلك في مهرجان ابن رشد في الجزائر في ربيع العام القادم ، وفي مؤتمر التعريب الجامعي في بغداد ، في هذا العام .

٧ - أصبح المجمع عضوا في اتحاد الجامعات العربية . وهذا يتيح له المشاركة الفعالة في أعمال الجامعات العربية ، وفي تنسيق العمل معها .

(١) كتب هذا التقرير وقدم لمجلس المجمع في ٢٠ ايلول / سبتمبر ١٩٧٧ .

٨ - أُلِّفَ المجمع ستُّ لجان دائمة للمساعدة على سرعة انجاز أعماله وهي :

١ - لجنة الاصول .

٢ - لجنة التعريب والمصطلحات والمعاجم .

٣ - لجنة التراث .

٤ - لجنة الترجمة .

٥ - لجنة المجلّة والمطبوعات .

٦ - لجنة المكتبة .

وبهذه اللجان يستطيع المجمع أن يطمئن الى انتظام العمل فيه ، والى أنه يستطيع أن يمضي في تحقيق غاياته بخطى ثابتة ، آملا أن يجد الدعم الكافي من الدولة والمؤسسات الوطنية ، ليكون عمله مثمرا وفعالا في خدمة اللغة العربية ، والنهضة الثقافية في الاردن والعالم العربي ، باذن الله .

والمجمع يعلم أن المكتبة من أهم الدعائم التي يقوم عليها عمله ، وهو لذلك مهتم كل الاهتمام بتزويد مكتبته بالموسوعات والمعاجم والمراجع العلمية التي تهيب له أسباب المل الناجح المثمر .

ولقد كان المجمع يودّ أن يمضي في تنفيذ بعض مشاريعه الأخرى ، سيما اقامة موسم ثقافي للندوات والمحاضرات الفكرية ، مشاركة منه في حركة الثقافة الاردنية ، غير أن تأخّر استقراره في مبنى خاص به ، وتأخّر صدور أنظمته ، عاقاه عن ذلك . وهو يرجو أن يكون العام القادم ، أحفل بالنشاط المثمر ، إن شاء الله .

ندوة المجمع الثقافية الأولى

الموضوع : — أسباب الضعف في اللغة العربية

عُقد مجمع اللغة العربية الاردني ندوته الثقافية الاولى في مقره في جبل الحسين الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاحد ١٨/١٢/١٩٧٧ م. الموافق ١٣٩٨/١/٨ هـ. وكان موضوع الندوة (اسباب الضعف في اللغة العربية) . وقد ادارها رئيس المجمع الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، واشترك معه فيها كل من عضو المجمع الاستاذ الدكتور محمود ابراهيم ، والدكتور نصرت عبد الرحمن ، من أعضاء الهيئة التدريسية في قسم اللغة العربية في كلية الآداب ، في الجامعة الاردنية . وحضر الندوة عدد من أعضاء المجمع ، ونخبة من المهتمين باللغة العربية ، والكُتّاب الأردنيين ، ومن العاملين في مديرية التربية في محافظة عمان .

استهل الدكتور عبد الكريم خليفة الندوة بالإشارة الى أن هناك مشكلة حقيقية تستدعي الاهتمام والمناقشة ، وهي مُشكلة الضعف العام في اللغة العربية ؛ فعلى الرغم من انتشار التعليم في العالم العربي بشكل واسع ، لا يزال خريج الدراسة الثانوية ، في الغالب ، يعجز عن قراءة صفحة واحدة قراءة صحيحة ، وعن كتابة رسالة قصيرة دون أخطاء كثيرة : في الإملاء ، وفي التركيب ، وفي القواعد الصرفية

والنحوية . وليس خريج الجامعة بأحسن حالا منه . يضاف الى ذلك ان الكثيرين من المعلمين والمعلمات ، حتى مَن يُدرِّسون اللغة العربية نفسها ، يعانون ضعفا ملموسا فيها ، وكذلك الكثيرون من الكتاب انفسهم ، ولا سيما من الشبان .

واشار الدكتور خليفة الى ان هذه ، في الواقع ، مشكلة خطيرة ، لان اللغة هي مرآة الأمة ، وهي رابطة الوحدة التي تشمل الأمة في كل ارجاء وطنها الكبير ، وعلى الرغم من ان الموضوع قد استأثر باهتمام واسع وطويل الامد من جميع الهيئات المعنية باللغة العربية ، ظلَّ الضعف كما هو ، ولم تُتخذ اية خطوة عملية نحو معالجته .

وقال الدكتور خليفة :إننا نجتمع الآن مع هذه النخبة الطيبة من الاساتذة والمربين الحريصين على كرامة اللغة العربية ، لكي نتبادل الراي معهم في هذا الموضوع الحيوي ، لعلَّنا نضع ايدينا على مواطن الداء ، ونتعاون معاً على ان نجد له الدواء .

ثم أعطى الكلمة للدكتور محمود ابراهيم ، فبدأ بالحديث على الازدواجية في اللغة ، وقال :إن الطفل يتعوّد على سماع اللهجة العامية في البيت والشارع ، وعلى التحدّث بها ؛ وحين يصل الى المدرسة يجد امامه لغة أخرى جديدة عليه ، يبدأ بتعلّمها على معلّميه ، فيحسّ عندئذٍ بهوّة واسعة بين اللغة التي اعتادها ، واللغة الجديدة التي بدأ يتعلّمها ، فكأنّ هذه لغة اجنبية يُفرض عليه ان يتعلّمها وان يُترجم اليها افكاره ؛ وهذا سبب من اسباب الضعف الذي نعاني منه في اللغة العربية .

وقال الدكتور محمود :إن هناك اسبابا أخرى عديدة ، لا يمكنه ان يفصّل الحديث فيها دفعة واحدة ، ولكنه يقتصر الآن على هذا السبب الاول — وهو الازدواجية — على ان يعود الى تناول بعض الأسباب الاخرى .

وأعطيت الكلمة بمده الى الدكتور نصرت عبد الرحمن ، فبدأ بتلاوة نصٍّ اخذه من (ادب الكاتب لابن قتيبة) يعيب فيه على المتأدبين

ضعف لغتهم ؛ ثم تلاه بنصٍّ لـأحمد أمين في الموضوع نفسه ، من كتابه (فيض الخاطر) في المعنى نفسه . ثم قال إن بين هذين النصين نحو ألف عام من الزمن ، ومع ذلك كانت الشكوى تتردد في كليهما من ضعف لغة الكتاب . فالشكوى اذن قديمة جدًا ، رافقت تاريخ الأدب العربي كله ، ولا تزال تتكرر بالنعمة عينها .

وقد أنكر الدكتور نصرت أسباب هذه الشكوى ، وقال انها غير قائمة ، لانه لا يزال لدينا اليوم كتاب يكتبون بلغة افضل من لغة أحمد أمين نفسه ، وهذا يعني ان اللغة العربية بخير ، وان الشكوى المتكررة ليست سوى من قبيل القلق الحريص على ان تظل اللغة قويّة عزيزة .

غير أن الدكتور نصرت عاد فاعترف بوجود المشكلة ، وتحدث على سبب من أسباب الضعف في اللغة العربية ، اذ قال إن الكتب المدرسية في البلدان الغربية توضع على أسس تربوية ونفسية كُفِرَ مقدرة الطالب في كل مرحلة من مراحل الدراسة ، فتجعل لكل مرحلة قاموساً من المفردات خاصاً بها . وأما عندنا فقد لاحظ المتحدث أن كتاب القراءة للصف السادس الابتدائي ، أصعب في مفرداته وتراكيبه من كتاب الصف الثالث الإعدادي ، مما يدلُّ بوضوح على عدم وجود خطة تعليمية ذات أسس نفسية وتربوية سليمة . فلا غرابة اذن في ان يشعر الطالب بشيء من الفتور والتردد امام الصعوبة اللغوية التي تبرز له في كتب المدرسة .

وعقّب الدكتور عبد الكريم خليفة على ذلك بأن حاول تلخيص ما قاله الزميلان : الدكتور محمود إبراهيم والدكتور نصرت عبد الرحمن ؛ ثم وجّه الكلام الى الحضور ، وقال إن لديهم من الافكار والآراء حول الموضوع ما يمكن ان يزيد الموضوع انارة وبلورة .

واشترك في المناقشة كل من السادة : حسني فريز ، ومحمد عطيات ، والاستاذ مصطفى الزرقا ، وروكس العزيزي ، وعبد الرحمن بشناق ، والدكتور محمد بركات أبو علي . ثم طلب الدكتور محمود

ابراهيم الكلية ، ملق على راي زميله الدكتور نصرت عبد الرحمن ، فقال : ان ما يراه الزميل المحترم من ان اللغة العربية بخير ، وانه ليس في الامكان ابداع مما كان ، معناه ان المشكلة غير موجودة ، وان مناقشتها لا ضرورة لها ؛ ولكن الواقع ان ما يراه من ان هناك اليوم كُتُبا يكتبون بلغة افضل من لغة احمد امين ، انما هو امر ينطبق على افراد معدودين ، وليس على المتعلمين والمتقنين عامة . وقال ان استمرار الشكوى منذ زمن ابن قتيبة ، الى زمن احمد امين ، ثم الى اليوم دليل واضح على ان هناك مشكلة حقيقية تقتضي العلاج .

ثم اشار الدكتور محمود الى ان المشكلة تكمن في اكثر من سبب واحد : فهناك الكتاب المدرسي الذي لا تراعى فيه سن الطالب ومقدرته الذهنية ؛ وهناك المنهاج الذي لم يوضع على أسس نفسية وتربوية وتعليمية سليمة ؛ وهناك المعلم الذي كثيرا ما يكون هو نفسه ضعيفا في اللغة وقواعدها وبلاغتها . وما لم يُعَد المعلم إعدادا جيدا ، سيظل هو احد الاسباب الكبرى في ضعف اللغة عند طلابه .

وختتم الدكتور عبد الكريم خليفة المناقشة بقوله : ان هذه هي ندوتنا الاولى ، وقد خصصناها لمعالجة اسباب الضعف في اللغة العربية ، لان المجمع قد قام اساسا من اجل خدمة هذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن الكريم ، ولغة الأمة العربية بأسرها . والمجمع يُعْتَبَر هذه اللغة أمانة مقدسة في عنقه ، يحرص على سلامتها ، وعلى كرامتها وعلى تلافي اسباب الضعف فيها .

وقال الدكتور خليفة : ان لغتنا ليست اكثر صعوبة من اللغات الغربية ، فنحن لو اخذنا تصريف الأعمال باللغة العربية ، وقارناه بتصريف الأعمال في اللغة الفرنسية ، مثلا ، لوجدنا ان لغتنا اسهل كثيرا . وضرب على ذلك مثلا من تصريف الفعل : (ذَهَبَ) ومقابلته بالفرنسية (ALLER) ويُن كَيْفَ يَتَنَقَّلُ الفعل بالفرنسية بين شكلين مختلفين كل الاختلاف ، فيقال :

Je vais - Tu vas - Il va

Nous allons, vous allez, ils vont

هناك فعلان يتصرفان معا ، لا فعل واحد ، في حين ان الفعل العربي يظل واحدا في كل تصريفاته .

وعُقب على ذلك بقوله إن الصعوبة اذن ليست في اللغة نفسها ، بل هي في اسباب اخرى خارجة عنها : من المنهاج ، والكتاب المدرسي ، والمعلم ؛ ومتى صلحت هذه كلها استطعنا التغلب على المشكلة من اساسها .

واضاف قائلا إن هناك شيئا من الصعوبة الفعلية في قواعـد الصرف والنحو ، ولكن هذه الصعوبة تزول متى عرفنا كيف نتغلب عليها بالحكمة ، وبأن لا نَعْلَمُ الطلاب منها الا ما هو أساسي ، وعلى شكل دوائر : تبدأ صغيرة ، ثم تكبر مع تعاقب الصفوف ، ونهـو الطالب . واما حين نعطي الطفل كل صعوبات القواعد وهو ما يزال دون سنّ النضج ، فنحن نضع العقبات في سبيل تعلمه للغة ، ثم نلومه على التقصير في فهمها .

وشكر الدكتور خليفة للمشاركين في الندوة تفضلهم بالحضور ، وحسن تعاونهم بالمشاركة في مناقشة المشكلة ، ووعد بأن يمضي المجمع في ندواته لخدمة اللغة العربية ، معتمدا على مشاركتهم وتعاونهم وتشجيعهم للمجمع ولرسالته المقدسة .

حول "معجم الرياضيات"

تلقى رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الكتاب التالي من الدكتور محمد مرسي أحمد ، عالم الرياضيات المصري ، والأمين العام لاتحاد الجامعات العربية في القاهرة ، حول (معجم الرياضيات) الذي اهداه اليه المجمع الاردني ؛ والمجمع يمتاز كل الاعزاز براي الدكتور مرسي في (معجم الرياضيات) لانه صادر عن خبير وعالم رياضي كبير .

« الاستاذ الكبير الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني .

تحية طيبة ، وشكرا جزيلاً على ما تفضلتم به من اهدائي (معجم الرياضيات) الذي سيسدّ ، ولا شك ، فراغا كبيرا في تعليم الرياضيات باللغة العربية ؛ وكُنّا في أمس الحاجة الى مثل هذا العمل الجليل .

ولا اخفي عليك انني مرتاح غاية الراحة لأطلاعي على هذا المعجم ، لأنني مع زملائي في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، معنيون بتعريب وترجمة بعض مصطلحات الرياضيات ؛ وحتى لا نُكرّر عملاً قد أُتجزّ، ملّككم منا كل شكر وتقدير .

« اكرر التحية والشكر ؛ وفنكم الله الى ما فيه خير امتنا ونفع شبابنا » .

القاهرة — ١٠/٢٢/١٩٧٧ م .

التوقيع

(محمد مرسي أحمد)

وجدير بالذكر ان (معجم الرياضيات) قد اشترك في وضعه عشرة اخصائيين في الرياضيات من اساتذة الجامعة الاردنية، ووزارة التربية والتعليم ، بتكليف من لجنة التعريب الأردنية في أيامها الاخيرة قبل ان تتحوّل الى مجمع اللغة العربية الأردني. وقد قام المجمع باهداء نسخ منه الى الجامعات الشقيقة والمؤسسات العلمية الاخرى .

اعلان مسابقة في التأليف

يُعلن مجمع اللغة العربية الأردني إجراء مسابقة في التأليف ذات جوائز مالية ، حسب الشروط التالية :

- ١ - موضوع المسابقة : (تعريب التعليم الجامعي) .
- ٢ - الحد الأدنى للحجم المقترح : ١٠٠ (مئة) صفحة من حجم الفولسكاب ، مطبوعة على الآلة الكاتبة .
- ٣ - موعد تسليم البحوث : قبل نهاية شهر أيار سنة ١٩٧٨ م ، ويتم تسليمها الى الأمين العام للمجمع في ٣ نسخ .
- ٤ - الجائزة الاولى مقدارها - ٤٠٠ (أربعمئة) دينار .
الجائزة الثانية مقدارها - ٣٠٠ (ثلاثمئة) دينار .
الجائزة الثالثة مقدارها - ٢٠٠ (مئتا) دينار .
- ٥ - تُعلن النتائج خلال شهر آب سنة ١٩٧٨ م .

رئيس المجمع

الدكتور عبد الكريم خليفة

المشتمل

الصفحة	الموضوع
٢	١ - كلمة العدد - للدكتور محمود السرة ، مقرر لجنة المجلة ، ونائب رئيس الجمع
٥	٢ - ابن رشد في أدبه - للدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس الجمع
٤٩	٣ - نشأة الثقافة العربية الإسلامية (نظرة الى العراق) - للدكتور عبد العزيز الدوري
٧٩	٤ - الاندلس في المغرب - عيسى الناعوري ، الأمين العام للجمع
١١٠	٥ - حول تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوجيا - للدكتور أحمد سعيدان ، عضو الجمع
١٢٥	٦ - نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه - للمستشرق الفرنسي الأستاذ جيرار تروبو - أستاذ فقه اللغة العربية في السوربون - باريس
١٣٩	٧ - العشرينات والعشرينات - للدكتور ناصر الدين الأسد ، عضو الجمع
١٤٦	٨ - تعريب رموز نظام الوحدات الدولية - للدكتور ابراهيم بدران
١٧١	٩ - احداث بلاد طرابلس الشام - للدكتور عدنان البخيت

اخبار وتعليقات

٢٠٧	١ - التقرير السنوي الاول لجمع اللغة العربية الاردني
٢١٤	٢ - الندوة الاولى للمجمع ، حول « اسباب الضعف في اللغة العربية »
٢١٩	٣ - رسالة الدكتور محمد مرسى أحمد ، الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية ، حول (معجم الرياضيات)
٢٢٠	٤ - مسابقة تأليف



مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

المجلد الأول

تموز / ١٩٧٨ م.

العدد الثاني

شعبان / ١٨٩٣ هـ.

المشتمل

الصفحة

- ١ — كلمة العدد : اصدقاء وأمنيات المحرر ٥
- ٢ — في العربية التاريخية للدكتور ابراهيم السامرائي ٧
- ٣ — حول تنمية المهارات القرائية لدى الطلبة في الاردن للدكتور أمين الكخن ٢٩
- ٤ — الثنائية والميزان الصرفي في اللغات العربية في الجزيرة العربية للدكتورة باكرة رفيق حلمي ٥٨
- ٥ — استدراكات على النصوص الشعرية في كتاب « شعراء عباسيون » للمهندس السيد حاتم غنيم ٧٩
- ٦ — حول تعريب العلوم : مشاكل وحلول وآراء للدكتور أحمد سنعيدان ١٠١
- ٧ — من تاريخ حيفا العثمانية : دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي للدكتور محمد عدنان البخيت ١١٢
- ٨ — وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والاربعين للدكتور عدنان الخطيب ١٣٨

تعليقات ومناقشات

- ١ — ندوة حول : تجربة جامعة دمشق في تعريب تعليم العلوم : الدكتور حسني سبيح ، الأستاذ وجيه السمان الدكتور هيثم البخياط ١٦٥
- ٢ — تعليق الدكتور عدنان الخطيب على العدد الاول من المجلة للدكتور عدنان الخطيب ١٧٦
- ٣ — تعليق الاستاذ روكس بن زائد العريزي روكس بن زائد العريزي ١٨١

كلمة العدد

أصداء وأمنيات

الأصداء التي تلقيناها على اثر صدور العدد الأول من هذه المجلة كانت مصدر اعتزاز لنا ، فقد جاءت فوق ما قدرنا لها ، وفوق ما رجونا حين اقدمنا على اصدار العدد الأول . وهذه فرصة لتتقدم بخالص الشكر لكل من تلقوا جهننا الاول بقبول حسن .

ونحن لا نتوقع بلوغ الكمال ، ولكننا نعمل لاجل بلوغه ، ونتمنى ان نبلغه يوما ، لا بجهودنا المتواضعة وحدها ، بل بمؤازرة اشقائنا في الجامعات العلمية اللغوية ، والجامعات العربية ، وكل من يهمه امر هذه اللغة العربية التي شرفها الله بنزول القرآن الكريم بها .

وانه لمن الجدير بالذكر ان مجعنا الفتى يقوم بجهود مختلفة في اكثر من ميدان : فهو يقوم بحملة واسعة لمعالجة اسباب ضعف العرب في اللغة العربية ، و حملة واسعة اخرى لاجل تعريب تدريس العلوم في الجامعات العربية ، و حملة ثالثة لاجل تعريب المصطلحات العلمية المستعملة في مختلف الدوائر والمؤسسات في الأردن .

وكان من حسن الطالع ان حملتنا الاولى قد لقيت استجابتها السريعة والفعالة في النحوة التي قرر اتحاد مجامع اللغة العربية الموقر عقدها في عمان ، بضيافة مجعنا الأردني ، من ٣١ اكتوبر / تشرين الاول الى ٢ نوفمبر / تشرين الثاني من هذا العام ، وجعل موضوعها « تدريس اللغة العربية خلال ربع القرن الاخير » . وهي خطوة رحبنا بها كل الترحيب ، وعقدنا املا كبيرا على الخروج منها بمعالجات تشرح الداء وتصف الدواء الناجع ، باذن الله ، وبتوصيات وقرارات عملية ممكنة التنفيذ في بلادنا العربية .

ولنجاح الخطوة الثانية اراد مجعنا ان يزيل التعللة التي يثار بها البعض ، من عدم وجود كتب علمية باللغة العربية يمكن استخدامها

في تعريب التعليم العلمي الجامعي . فألف المجمع أربع لجان من أعضاء الهيآت التدريسية في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك ، لترجمة أربعة من كتب العلوم الانكليزية التي تُدرّس في السنة الأولى في الجامعتين ، وكتب بذلك الى المجمع الشقيقة ، وإلى جميع الجامعات العربية . وجاءت الأصداء مؤيَّدة ومشجعة من كل الجهات ، مما أكّد لنا صواب الفكرة ، ووجوب المضي فيها الى بلوغ النجاح .

ويسرنا ان نعلن هنا ان اللجان الأربع قد فرغت من عملها ، وسندفع بالكتب الأربعة الى المطبعة حالا ، لتكون بين أيدي المدرسين الجامعيين خلال شهور قليلة .

وأمّا الحملة الثالثة فقد لقيت استجابة واسعة لدى الدوائر والمؤسسات الرسمية الأردنية ، فانهالت على المجمع طلبات التعريب لما لديها من مصطلحات اجنبية نحتاج الى التعريب ، مما اضطرّ المجمع الى تأليف عدد كبير من اللجان لتعريب هذه المصطلحات التي تبلغ عدّة الوف . وقد فرغ اغلب هذه اللجان من العمل ، لتُعرض المصطلحات المعرّبة قريبا على مجلس المجمع لمناقشتها والاتفاق عليها ، تمهيدا لعرضها بعدئذ على المجمع الشقيقة بغية توحيدها في الاقطار العربية .

والمجمع اذ يفعل هذا كلّهُ بصمت وداب وايمان ، انما يفعله بدافع من تقدير المسؤولية القومية والعلمية نحو لغتنا العربية المجيدة ، لكي تصبح هذه اللغة في القريب العاجل لغة للعلم والحضارة في القرن العشرين وما يليه ، مثلما كانت لغة العلم والحضارة في عهود ازدهارها ، في عصور التاريخ الاسلامي الفابرة .

ونحن نمدّ ايدينا باخلاص وثقة الى كلّ يد قادرة على العمل معنا في هذا المجال ، وصفحات مجلّتنا مفتوحة لكل بحث علمي ولفوي يقدّمنا خطوة نحو هذه الغاية الجليلة . .

والله الموفق والمعين .

المحرر

في العربية التاريخية

للدكتور
إبراهيم السامرائي

لقد عُني الباحثون اللغويون في العصر الحديث بموضوع تاريخ اللغات وفاءً لعلم اللغة التاريخي العام ولعلم اللغة المقارن . ولقد كان من ذلك أن حفل العلم اللغوي بدراسات ذات قيمة في تاريخ اللغات، ولا سيما لغات الشعوب المتقدمة . ويهمننا أن نعرض لشيء من تاريخ العربية على نحو ما تم انجازه من الدراسات الحديثة في عصرنا الحاضر .

أقول : ربما كانت العربية بدعاً بين أخواتها اللغات السامية ، وذلك لأننا نعرف من أمر تاريخ اللغات شيئاً يفوق ما نعرفه من بدايات العربية ؛ إننا نعرف، مثلاً، كثيراً من النصوص البابلية الآشورية والأكدية ، كما نعرف قدراً عظيماً من اللغة الآرامية ولهجاتها ؛ وقُلْ مثل ذلك عن نصوص اللغة العبرانية وسائر اللغات السامية الأخرى ما خلا العربية . أقول ما خلا العربية، ذلك أني أعلم أن بين أيدي الباحثين نصوصاً من العربية الجنوبية في نقوش جنوبي الجزيرة العربية وشمالها، كما في النقوش القتبانية واللحيانية والثمودية . وليس في طوق الباحث أن يتخذ من هذه النصوص البدايات الأولى في تاريخ العربية ؛ فلا يمكن أن تكون نقوش مَعِين وسبأ وجَمْر في الجنوب، ولا النقوش القتبانية واللحيانية والثمودية في شمالي الجزيرة، أصولاً تطوّرت إلى العربية

الفصيحة التي عرفناها في نصوص الأدب الجاهلي . ان النصوص الأولى التي اشرنا اليها تُعدُّ بعيدة كل البعد، من حيث التطور، من النصوص الجاهلية ؛ ذلك ان الباحث في تلك النصوص يقف ازاء مادة لغوية بعيدة كثيرا، من حيث مبناها ومعناها، عما تفصح عنه نصوص الأدب الجاهلي مثلا .

لقد أدركت العربية الجاهلية، المثلة بنصوص الشعر الجاهلي، مستوى عاليا من حيث الأسلوب؛ فقد اشتملت على صيغ ومبان هي من الاتقان والإحكام بحيث تهيأ منها أن يكون للعرب موازين وأقيسة في الشعر هي الغاية في الضبط والتدقيق، من حيث الناحية الموسيقية. وليس أدل على ذلك من أن هذه الموازين والأقيسة بقيت المثال الذي يُحتذى في موسيقى الشعر طوال عصور عدّة ، ولم يستطع أهل العصور التي تلت أن يضيفوا الى موسيقى الشعر الجاهلية شيئا . أقول، لم يأت أولئك الجاهليين أن يحذقوا ذلك الفن الا بعد أن كانت موادّ العربية في صيغها وأبنياتها قد استوفت غايتها من الضبط والإحكام . ولو أزلنا بين أبنية العربية ونظائرها في اللغة العبرانية أو في سائر اللغات السامية، لوجدنا ان الأبنية في لغتنا القديمة جاءت منسجمة ، مشتملة في حركاتها وسكناتها، والثام اصواتها بعضها ببعض، على ما أتاح للجاهلي أن ينظمها في موسيقى شعرية لا نجدها في اية لغة سامية أخرى .

ثم اذا جئنا الى ما اشتملت عليه تلك النصوص الجاهلية من معانٍ، وجدنا انها حفلت، الى جانب ما يفصح عن حياة البداوة وعاداتها ورسومها، بمعانٍ تدلّ على ادراك دقيق للحياة في خيرها وشرها . وليس أدل على ذلك من الاشارات الكثيرة التي حفلت بها مطوّلة زهير بن أبي سلمى، مما يدلّ على فهمه الكثير من المعاني الانسانية ؛ ومثل ذلك نجده في سائر النصوص الجاهلية .

أقول، اذا كانت القصيدة الجاهلية قد أدركت في مبانيها ومعانيها هذا القدر السامي من الاجادة في البناء الموسيقي، والتوفر على شيء

كثير من الفكر الانساني ، فلا بد أن تكون هذه المواد الأدبية الجاهلية
قد تطوّرت تطورا عظيما ، ومن ثم فلا بد أن تكون قد سبقت هذه
المرحلة من النضج مراحل أخرى لا نعرف عنها شيئا .

ولو اتيح لنا أن نوازن بين ما أثر من السوان العربية القديمة الممثلة
في النصوص الجنوبية ، وهي لغات النقوش في معين وسبأ وحمر،
ونظائرها من العربية الجنوبية في شمالي الجزيرة، وهي اللغات القتبانية
واللحيانية والثمودية ، وبين نصوص الشعر الجاهلي، لانتضح لنا بُعد
الشقة بينها . ومعنى هذا لا يمكننا أن نُعَدُّ تلك اللغات القديمة الممثلة
بالنقوش الأصول المفتودة التي كانت الأساس الذي تطوّر في نصوص
الشعر الجاهلي .

ومعنى هذا أيضا لا بد من القول : إنّ حلقات هدة من النصوص
قد ضاعت ففصلت بين الأصول وبين ما نجده من حال العربية في
نصوص الشعر الجاهلي .

بعد هذه المقدمة الموجزة لا بد من البحث في الماثور من العربية
القديمة، فنعرض لموادها مستقرين فاحصين، لنرى ما عرض لها من
التزيّد والامتعال الذي لا بد لنا من كشفه حتى نتبين الصحيح من هذه
اللغة المربكة .

أقول : لقد قيل الكثير في مسألة الانتقال في الشعر ؛ فذكر ذلك
المتقدمون؛ ويكفي أن نذكر قول المفضل الضبي الذي ذهب إليه إلى أن
الشعر الجاهلي قد نال من خلف الأحمر ما هجّنه وأسدّه، سلا يصلح
ابدا . وقد فصل القول ابنُ سلام الجهمي في هذه المسألة . ثم كان
للمحدثين في عصرنا الحاضر مشاركة في هذا الموضوع ؛ وأول من
بحث في ذلك المستشرقون، مثل نولدكة الألماني، وباسيه الفرنسي ،
ومرجو ليوث الانكليزي ، كما شارك في ذلك العلماء العرب، ولا ننسى
في ذلك مشاركة الدكتور طه حسين .

ولقد قيل في وضع الحديث الشريف، وماذا زاد فيه الوضاعون والكذابون ، وما غيّر فيه المدلسون والضعفاء، حتى كان من ذلك نشأة ما سُمّي في علوم الحديث بـ « الجرح والتعديل ». ثم كانت طبقات للمحدثين صنّفوا حسب توافر الثقة والصدق والأمانة فيهم . وكان من كل هذا ان صُنّفت المصنّفات الضخمة في الأحاديث الموضوعية .

ومن غير شك ان الكذب والافتراء والانتحال قد عرّض لنصوص التاريخ القديم عامة، فظهرت كتب في التاريخ ابتعدت عن العلم، فزادت في العيب استجابة لهوى، أو خدمة لنحلة أو بدعة أو ضلالة ، وكلّ هذا معروف مشهور .

ولكني لم أجد كثيرا ممن عرّض للمادة اللغوية، فاستقرى الصحيح، وأشار الى المفتعل الموضوع ، الا شذرات من أخبار تشير الى ان شيئا من الوضع قد وقع .

وقد عُنيْتُ في هذه المقالة بامر رواية اللغة وما عرض لها من مواد هي من غير شك من صنع الوضاعين ؛ وما اظن ان جمهرة من هذه المواد قد مرفها العرب ولاكتها السنتهم فجرت في كلامهم. وسأعرض لهذه النماذج الكثيرة .

جاء في « الزهر » (١) للسيوطي :

« قال ابن فارس في « معناه اللغة » :

تؤخذ اللغة سماعا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة ، ويُتَقَسَّى المظنون :

حَدَّثَنَا علي بن ابراهيم عن المعداني عن أبيه ، عن معروف بن حسان، عن الليث، عن الخليل، قال :

« ان النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب، اِرادة اللبس والتعنيست » .

قال ابن فارس : « فليتحَرَّ . آخذ اللغة أهل الامانة والصدق
والعدالة، فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا »

ومن هنا نعلم أن الخليل قد عرض لهذا الموضوع ؛ وقوله « ربما
أدخلوا » يعني أنهم أدخلوا واستعمال « ربما » في اللغة القديمة يُفيد
التكثير كثيرا، كما أشار أهل النحو، كما يُفيد التقليل قليلا .

ولشيوع الكذب في اللغة قالوا : تؤخذ اللغة من نوي الصدق
والامانة، ويُتَكَّى المظنون. ثم قالوا، لا تؤخذ من الطفل والمجنون ؛ وذهب
قوم فمنع أن تؤخذ من « العبد » . وهم يجرون مجرى أهل الحديث
والاثر في تحري الصدق والثقة والامانة .

وإذا عرفنا أن الوضع قد عرّض للحديث، وأن الوضعيين والمدلسين
من أهل الحديث جمهور كبير، فليس غريبا أن نجد شيئا من ذلك يعرض
للمادة اللغوية .

ثم إذا عرفنا أن الوضعيين قد عبثوا في الحديث الشريف، والرسول
الكريم يقول : « من كذب عليّ منكُم متعمدا فليتبوا مقعده من النار » ،
وأدركنا سوء صنيعهم، فههنا أن قضية الوضع في المسألة اللغوية شيء
ليس ذا خطر كبير .

ولا نذهب بعيدا في الاستدلال على وجود الانتحال والكذب في المادة
اللغوية؛ وربما يكفي أن نذكر قول رؤية بن العجاج، الراجز المشهور .
لقد ضاق رؤية ذراعا بيونس بن حبيب، وهو من علماء اللغة المتقدمين
من أخذ عنهم سيبويه .

لقد كان يونس من علماء اللغة، يجمعها عن رواها من الاعراب
وغيرهم، فكان كثير السؤال لرؤية هذا لما اشتهر عن رؤية وأبيه العجاج
من. انهما قد اكثرا من الغريب والنوادر في أرجازهما . قال رؤية ليونس
بعد أن أكثر من مساعلته وضاق به ذراعا : « حتى متى تسألني عن
هذه الاباطيل وأزوّقها لك ، أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيّتك؟ » (٢) .

وحكى أبو عبيدة عن ابن داود بن متم بن نويرة شيئا يقرب
من ذلك، فقال :

« قَدِمَ البصرة في بعض ما يُقَدَّم له البدوي في الجلب والميرة، فنزل
النحيت، فأتيته أنا وابن نوح العطاردي فسألناه عن شعر أبيه، فجعل
يزيد في الأشعار ويضعها لنسا ، وإذا كلام دون كلام متم ، وإذا هو
يحتذى على كلامه (٢) فيذكر المواضع التي ذكرها متم، والوقائع التي
شهدها ؛ فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله » .

أقول : ان هذا الخبر الثاني لا يشير الى وضع الكذب في اللغة،
ولكنه يشير الى أن الوضع في النص الادبي ؛ ولكني ذكرته لأشير الى
ان الاختلاف والوضع والكذب شيء عام؛ فكما عَرَض للنص الادبي عَرَض
لمواد النصوص الانبية، وهي المادة اللغوية. ومن غير شك ان ما جرى
بين يونس بن حبيب ورؤبة بن العجاج الراجز مفيد كل الافادة في ان
كثيرا من مادة الغريب والنوادر هو مما افتعله أولئك « النحارير » .

ومن المفيد ان أشير الى أن كثيرا مما سأعرض له من المادة
اللغوية التي تشير الى أنها موضوعة ورد من غير أي شاهد من نص
صحيح نصيح ؛ ثم إن وُجِدَ ذلك الشاهد فهو رجز نادر لا يُعرف قائله،
او يكون أحد هؤلاء « النحارير » المشاهير، مثل رؤبة وغيره من الرُّجَّاز،
كما سنرى .

ومن المفيد ان اعرض لشيء مما اثر عن كبار اللغويين النحاة،
لأشير الى شيء مما ذهب اليه من مسألة الوضع في اللغة .

جاء في اخبار أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، صاحب « الكامل » : (٤)
« وقال أبو عبد الله المجمع : كان المبرد، لعظم حفظه اللغة واتساعه،
يتهم ؛ لتواقتنا على مسألة لا اصل لها نساله عنها لننظر كيف يجيب ،
وكنا قبل ذلك تمارينا في مروض بيست الشاعر :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

حنانك، بعض الشراهن من بعض

فقال قوم : هو من البحر الفلاني ؛ وقال آخر : هو من البحر
الفلاني، فمقطَّعناه وتردد على أفواهنا تقطيعه، ومنه « ق بعضنا ». فقلت :
أيديك الله تعالى ، ما القبعض ؟ فقال : القطن ؛ يُصَدَّق ذلك قول
الشاعر : « كأن سنامها حشي القبعضا » .

قال : فقلت لأصحابه : ترون الجواب والشاهد ؛ ان كان
صحيحا فهو عجيب، وان كان اختلق الجواب في الحال فهو أعجب .

ومثل هذا ما ورد في أبي عمر الزاهد « غلام ثعلب »، فقد اشتهر
منه انه لا يُسأل إلا اجاب، فقد كان كثير الاملاء، عالما بالاخبار واللغة
والادب، متَّهَمًا بالكذب والتزيُّد .

جاء في « انباه الرواة » (٥) للقطي :

« ويروى أن جماعة من أهل بغداد اجتازوا على « قنطرة الصراة »
وتذاكروا كذبه، فقال بعضهم : أنا أصحَّف له القنطرة واسأله عنها فانه
يجيب بشيء آخر ؛ فلما صرنا بين يديه قال : ايها الشيخ ما الهرطلق
عند العرب ؟ فذكر شيئا قد أنسيته، فتضاحكنا وأثمنا المجلس وانصرفنا .
فلما كان بعد شهر ذكرنا الحديث فوضعنا رجلا غير ذلك نسأله، فقال
له : ما الهرطلق؟ فقال : الست قد سألت عن هذا المسألة منذ كذا
وكذا ؟ فقال : هي كذا. فلما درينا من أي الامرين نعجب ؛ من ذكائه ، إن
كان علما فهو اتساع طريف ، وان كان كذبا في الحال ثم قد حفظه ،
فلما سئل عنه ذكر الوقت والمسألة فأجاب بذلك الجواب فهو اطرف .

ومثل هذه الاخبار كثير في مصادرنا العربية، وهي مفيدة في نظر
الباحث المدقق . اقول : قد تكون هذه الاخبار موضوعة بقصد السمر أو
النيل من فلان وفلان ممن اشتهروا بالعلم ، أو قد تكون قد حيكت
ليبيان فضل فلان وفلان وتقدمه في العلم من الناحية الأخرى . غير انني
اذهب من كل ذلك الى ان شيئا من الوضع في اللغة قد حدث، وانه
بسبب من ذلك كانت لنا مواد ضخمة تحجرت في بطون المطولات .

واني لأعرض لشيء من ذلك أتخذ منه نماذج ، وأود أن أقول
بادئ ذي بدء إن هذه المخلفات اللغوية تتناول في الغالب المعاني الخَلقية
الحية مما يدخل في باب « خلق الإنسان والحيوان » . ثم انها تشتمل
على أبنية خاصة نافرة . أقول : نافرة ، لانها قليلة الورد في لغتنا
القديمة العريقة ؛ فهي والحالة هذه قد عفى عليها الزمان في عربيتنا
المعاصرة .

ويبدو لي أن أولئك النحارير الكبار قد اهتموا الى هذا الوضع
والانتعال سميا وراء الغريب والنادر ، ولوعا بتلك الاوابد النافرة ، وحبًا
بإظهار العلم والاجتهاد فيه . ثم انهم اتخذوا من بعض المواد التي
تثبت صحتها واستعمالها أصولاً ، فزادوا في أصواتها صوتاً ظنوا أنه
يزيد المعنى قوة ، فقالوا مثلاً : خنبت وخنابث ، والرجل الخنبت والخنابث
هو المذموم الخائن . ومن غير شك أن هذه الكلمة لم ترد في نص قديم
منسوب أو غير منسوب ، والذي أراه انها صُنعت من مادة « خبت » ،
فزادوا في أصواتها النون ، والتزموا ببناء غريباً من أبنية الرباعي ، وذهبوا
الى المعنى الذي أرادوه والذي لا يبتعد عن أصل المادة الثلاثية كثيراً .
ومن المفيد أن أنبّه الدارس الى أن بناء « مُعَالِل » ، بضم أوله وكسر
ما قبل الآخر ، من الابنية التي هجرتها العربية الفصيحة منذ قرون
طويلة بلغة عربيتنا المعاصرة .

هذا مثل أسوقه لأخلص الى تحقيق الوافي الذي اعتمدت فيه
على كتاب « الجمهرة » لابن دريد (٦) ، واقتصرت منه على ما جاء في
« أبواب الرباعي الصحيح » من المجلد الثالث . ويحسن بي أن أهوّن
على القارئ فأتخذ منها واضحا ؛ وهائنا أبداً بمعنى « الصلب الشديد »
فأعرض لطائفة من الالفاظ التي وقفت عليها من هذا المعنى ، فأجسد :
العقب ، والنبتل ، والكنبت والكنابث ، والجلد ، والعكل ، والجلز
والجلابز ، والبعئج ، والعضبل ، والشنزب ، والكمتر والكماتر ، والكمثل
والكمائل ، والجلعد والجلاعد ، والجلفز والجلافز ، والعردل والعصلد ،
والعكد والعندل ، والصمل ، والعكد والعلكد ، وسيطر ، وضبطر ،

وكنندت وكنادث وشعتم ، وعردل . ومثل هذا كثير .

تعليق :

اقول : ان هذه الطائفة من الالفاظ هي قليل من كثير في معنى « الصلب الشديد » او « الشديد الصلب » . وقد وردت على هذا اللون النادر في ابنيتهما وفي مكانهما من اللغة فلم ترد في اي نص كان ، موضوعا او غير موضوع . ثم إنها لم تلصق بموصوف معروف ، فلم اتبين أنها من صفات ولوازم العاقلين ، كما لم اتبين أنها من لوازم غير العاقل من الحيوان والجماد .

غير ان العارف بالمعجم القديم واصوات العربية يدرك انصراف الاصوات لما يمكن ان يكون شيئا من معنى حيّ او ظلّ لذلك المعنى . اريد ان اقول مثلا ان سلحب وسلهب تشيران الى « الطول » . قد نحس هذا من معرفتنا ان في « سحب » و « سهب » شيئا مما يُشعر بهذا المعنى ؛ وهكذا زاد الوضع وزاد الارتفاع ، وكثرت المتحجرات ، وسُمّها ما شئت من نواذر وغريب واوابد .

وقد ترد طائفة من هذه الالفاظ مشيرة الى « الصلب » او « الشديد » او « كليهما » او ما في معناهما ، الى جانب « رجل » او « أسد » او « حمار » فتكون كالصفات . ومن هذا :

الكندر والكنادر = الحمار الصلب الشديد .

واسد مشرب ومشرب ومشرب = غليظ شديد .

وجمل غيبك = شديد صلب .

ورجل قنبل وقنابل = غليظ شديد .

ورجل كبيل وكبايل = صلب شديد .

تعليق :

لا أرى أن كان صوت القاف في « قنبل » هو الذي غيّر المعنى من « الصلب » إلى « الغليظ » ! ذلك أنهم قالوا : كنبل، صلب شديد .

وقد وجدت من ذلك أنهم قالوا :

عنقل = صلب شديد ، أما عنقل (بالغين المعجمة) فهي الخامل ! فهل صحيح أن العرب نطقوا بالكلمة مبدوءة بالعين المهملة لتعني الصلب الشديد، وبالغين وهي نظيرتها وتعني الخامل . أنهم لم يذكروا أي شاهد على ذلك .

ومن المفيد أن أشير إلى أن « عنقل » ربما يكون قريباً من « عنل » التي وردت في قوله تعالى : « عنل بعد ذلك زنيماً » .

ولا بد أن أعرض لبقية من هذه المعاني الحسية التي تدخل في خلق الإنسان والحيوان وصفاتها، مما ورد يتيماً في مطولات اللغة، ولم نظفر به في نص ثبتت نسبته، ولم يرد في أضعف الأحوال في رجز من الأرجاز . وسأعرض لطائفة من الألفاظ التي لم تُعرف إلا عند الرجازين ممن يتساهلون في صنع هذا اللون من الكلام .

قالوا : الجنبخ والجنابخ = العظيم من كل شيء .

الجنبز = القصير ؛ الجمشب = الطويل الغليظ .

ومن الطريف أن يكون مقلوب « الجمشب » شيئاً آخر، فقالوا : المشجب = الرجل المسترخي . كل هذا من غير أن يُشْفَع بشاهد يعطي شيئاً من الثقة .

ومثل هذا : الدُنْبُح = السوء الخلق ؛ في حين الدنحية = الخيانة . ورجل شرحب = طويل ؛ والجركي = القصير المتداخل .

وسحتب = اسم، وهو الجريء المتقدم ؛ والكتب والكتبة = شبيه بالمداهنة .

والبهكة = السرعة فيما أُخذ فيه من عمل .

والسحب والسحب = الطويل .

تعليق :

لم يغيّر القلب شيئاً من المعنى. وسبحل وسبحلة = طويل ضخم ، وطويلة ضخمة .

وقد ذكروا في هذا رجزاً مشهوراً هو :

سبحلة ربطه تنمي نماء النخلة

وسكتوا عن « ربطة » ولم يقولوا فيها شيئاً، ولعلها شيء من « الاتباع » مثل : شذر مذر ونحوها .

والكتب والكتاب = القصير المتداخل ؛ ورجل خنث وخنابث = الخائن ؛ وشنث وشنابث وهو الغليظ من الناس ؛ ورجل كلبث وكلابث = متقبض بخيل ؛ ورجل حبر وحبار = عظيم البطن ، وربما سمي الغليظ حبار ؛ ورجل جحر وجحارب = العظيم الخلق ؛ ورجل طرعب = طويل قبيح في الطول .

وحبر وحبار = ذكر الحباري ؛ وكذلك حبرج وحبارج ؛ والبحرج = ولد البقرة الوحشية ؛ وحبرج وخبارج = المسترخي البطن .

تعليق :

وقد مرّ بنا أن حبر وحبار (بالحاء المهملة) يفيد عظيم البطن ، ولا أدري كيف تطلق الدلالة .

ورجل جلعب وجلعاب وجلاعب = الشيخ العظيم الجسم وميمه بقية ؛ ورجل جحنب وجحاتب = القصير الغليظ ؛ والحنجب = اليابس من كل شيء ؛ وخبج وخابج = المضطرب الخلق الطويل . وجنبخ وجنابخ = الطويل الخلق ، والجسرب = العظيم الطويل ؛ والشرجب = الطويل من الناس والخيّل .

ورجل جعبر = القصير المتداخل ؛ والجعبر ايضا = القعب الغليظ
الذي لم يُحْكَمْ نَحْتَهُ .

والجرعب = الجاني ؛ والجنبز = القصير ؛ والكهدب = الثقل
الوخم .

تعليق :

... منرُ بنا أن الجلبز = الصلب الشديد !

الجمشب = الطويل الغليظ .

ولا بد أن نعرف أن مطلوبها مع تغيير الضمتين الى فتحتين، وهو
العشجب، يفيد الرجل المسترخي، ثم زادوا فقالوا : المخبول من جنون
ونحوه وليس بثبت .

وسامرض لطائفة من الالفاظ ذكروا انها « ليست بثبت ! »

والهليج اصل بناء قولهم : رجل هلباج وهلباجة وهلابج = الثقل | الوخم .

والحريق = القصير المجتمع ؛ الدنج = السوء الخلق ؛ ورجل
شرحب = طويل ؛ وحصرب من الحصرية = الضيق البخيل ؛ ورجل
دخبش ودخابش = العظيم البطن .

والخضرية = اضطراب الماء ؛ وماء خضارب ، وشخارب =
الغليظ الشديد ؛ ورجل سلخب = نعم ؛ وشنخب = طويل ؛ وناقاة
خدلب = مسنة مسترخية .

والخدلبة = مشية فيها ضعف ؛ والخترية منها اشتقاق الخنزوب
والخنزاب = الجري على الفجور ؛ ورجل كتابد (بالذال المهملة) =
صلب شديد ؛ ورجل كتابد (بالذال المعجمة) = غليظ الوجه جهم ؛
وعرزب = غليظ شديد ؛ وعرزب = صلب شديد . وناقاة بلعس ولعس
ويلعك وللعك، اي المسترخية المتبخخة اللحم .

تعليقي :

ولا ادري ان كان تغيير الضبط بالحركات قد ادى الى هذا التغيير الطفيف في المعنى .

ورجل برشح وبرشاع = سيء الخلق ؛ القهزب = القصير ؛
المصلب = الطويل المضطرب ؛ علبط وعلابط الرجل الغليظ ؛ ولبن
علبط وعلابط اذا خثر ؛ ورجل هبطع وهباطع = قصير ملرز الخلق ؛
وجمل فبنك = شديد صلب ؛ والدهكث = القصير ؛ والدلك والدلامث =
السريع ؛ وبعر دلهث ودلايث = الجريء في سيره ؛ وكثر وكثائر = المجتمع
الخلق ؛ والحرجل = الرجل الطويل ،

وامرأة حفضج وحفاضج = عظيمة البطن ، وكذلك عفضج ؛
واتان سمحج = طويلة .

والشرجع = الطويل ؛ ورجل بلعث وامرأة بلعثة = هو الاهوج
وهي الرخواء في غلظ ؛ ورجل جنعظ وجنعلاظ = هو الجاني الغليظ
الاحمق ؛ وقالوا : هو القصير المجتمع الخلق .

تعليقي :

لقد لاحظت على طائفة من هذه الفرائب ابتعادا في الدلالة، وهذا
قد يعني ان الكلمة قد توحى لاحدهم شيئا في حين انها توحى لآخر شيئا
آخر ، وكل ذلك جائز مع غياب الشاهد والاستعمال .

ومعجوز هرشفة = مسنة ؛ ويقال : بل الهرشفة خرقة ينشأ
بها الماء من الارض او من الحصى .

تعليقي :

وهذه الهرشفة نظير سلبقتها وهي الجنعظ والجنعلاظ ، ولا
يمكن للدارس ان يطمئن الى هذا الذي ذكر في مطولات اللفظة من الكلم
الغريب المهجور .

ورجل حظبة وحظب = الخليظ .

وقالوا : هجّ = جافّ وغليظ ؛ والهزّ = السريع ؛ والخدب =
ظلم الخلق (للبعير) .

ويقال : هبد وعثط وعجلط وعكط، وهو اللبن الخائر .

تعليقي :

وهذا من أعجب العجب؛ فكيف تكون جملة هذه الالفاظ التي
جاءت على بناء واحد، وكلها بدأت بصوت العين، تؤدي معنى واحدا
هو اللبن الخائر !

والهبد ايضا داء يصيب الانسان في عينه كالعشا فلا يبصر بالليل .

الفاظ مع شواهد

وهذه الطائفة من الالفاظ ذات شواهد؛ والشاهد إما أن يكون
بيتا أو رجزا غير معروف ولا منسوب ، وإما أن يكون مثالا مصنوعا
على طريقة النحاة في قولهم : قام زيد وجلس عمرو .

الجربة : يقال : رجل مجردب الذي يستر يمينه بشماله ويأكل ،
قال الشاعر :

إذا ما كنت في قوم شهادي

سلا تجعل شمالك جردبانا

واجلمبّ الرجل إذا سقط على وجهه

واجلمبّ الفرس إذا مرّ سريعا

تعليقي :

وما أدري كيف اتق بهذين الاستعماليين على البعد وما بينهما
وافتاخرهما الى الكلام الاصيل .

ومثل ذلك : ابندج المكان إذا اتسع ؛ وابندج الحوض انهدم
قال الراجز :

قد داست المركب حتى ابلندحا

البغثر وهو الاحيق الضعيف ؛ قال الراجز :

ليعلمنَّ البغثر ابن البغثر

ومن ذلك : زلحب، من قولهم : تزلحب عن الشيء اذا زلَّ عنه .

ويقال : غثلبت الحوض اذا هدمته، غثلبة وغثلابا ؛ قال الراجز :

« والنوى بعد عهده المعتلب »

وقال الآخر : « والنوى أمسى جدره معتلبا » .

ومن الطريف ان يكون « غثلب » بالغين المعجمة، شيئا آخر ؛

يقال : غثلب الماء يغثلبه اذا جرعه جرعا شديدا .

خدرب : اسم، ودربخ احسبها سريانية، وهو التذلل والاصفاء الى

الامر ؛ قال المعجاج :

ولو نقول دربخوا لدربخوا لِفُحِّلْنَا ان سَرَّه التَنَوُّخُ

تعليق :

سأتي على طائفة من الالفاظ التي ظنوا توهمًا وتصورًا انها

دخيلة، وربما عربت، وليس شيء من ذلك قائما على ثقة وصحة وتأكّد

وانها هو ظن ورجم بالغيب ؛ ثم ان المعنى في هذه الكلمة استوجاه

اللغوي القديم من قول الراجز الذي لا يتوقف امام القافية، فهو يصنع

اللفظة وهي توحى مسا توحيه ؛ ومثل هذا ما نستشعره كثيرا في الارجيز،

وقد لحوا الى شيء من ذلك .

بخذع وخذعب : يقال ضربة بالسيف حتى بخذعه وخذعبه .

سريخ : هو الفضاء القفر ؛ قال عبيد :

نابصرت ثعلبا بعيدا ودونه سريخ جديب

وخطرب وخطارب وهو التقول بما لم يكن ؛ جاء فلان يخطرب .

تعليق :

ولا ادري ما العلاقة بين هذا وبين قولهم :

الخطربة والخطربة وتعني الضيق في المعاش ! ومن قال
هذا، وابن، ومتى ؟

خرباش : وقع القوم في خرباش، أي في اختلاط وصخب ، لغة يمانية .

تعليق :

لعمل الباحث يستطيع أن يجمع طائفة ضخمة من الالفاظ التي
« زعم » ابن دريد في « الجهرة » انها يمانية، وليس من دليل يثبت
هذه الاصلة في الموطن القديم .

وخبرقت الثوب أي شققته . ومثله الخزبة ؛ يقال : خزلت اللحم
او الحبل أي القطع السريع .

تعليق :

لعمل هذا المعنى من لمح الثلاثي وهو « خرق » و « خزل »، وقد
زيد الباء في الفعلين ارادة التكثر او التخصيص ؛ ومثل هذا حاصل .
ولكني اتساءل هل وُجد الفعلان في كلامهم الفصيح المعروف ؟
ومثل هذا « بز مخ » أي تكبر . ومن غير شك أن الثلاثي « زمخ »
يفيد هذا، فزيد الباء .

زغذب . قالوا : فلان يزغذب على الناس اذا كان يلحف في المسالة ؛
هذا عن مكوزة الاعرابي .

تعليق :

كان صاحب الجهرة « أراد ان يبعد التبعة مذكر هذا الاعرابي
« مكوزة ؟ » الا يرى الباحث ان هؤلاء الاعراب قد اريد لهم ان يضعوا
ويقتعلوا ويأتوا بالكلام البارد ؟ ومثل هذا ما ذكروا في مادة « بخدق » (٧) :

أخبرنا أبو حاتم ، قال : سألت أم الهيثم (الأعرابية) عن الحب الذي يقال به بالفارسية اسفيوش ما اسمه بالعربية ؟ فقالت : أرني منه حبّات ، فأريتها وأفكرت ساعة ثم قالت : هذا البخفق ، ولم أسمعه من غيرها .

ولما كان الكلام على الامتعال فلا بد أن أورد قصة أم الهيثم هذه :

قال عمر بن خالد العثماني : قدمت علينا عجوز من بني منقر تسمى أم الهيثم ، فغابت علينا ، فسأل عنها أبو عبيدة فقالوا : انها مليلة ، فقال : هل لكم أن نعودها ؟ فجننا فاستأذننا ، فقالت : إجوا . فسلمنا عليها ، فإذا هي عليها أهدام وبجد ، وقد طرحتها عليها ، فقلنا : يا أم الهيثم كيف تجدنيك ؟ قالت : كنت وحمى بالدكة (الودك) ، فشهدت مادية فأكلت جبجبة من ضعيف هلعة فاعترتني زلخة . فقلنا يا أم الهيثم : أي شيء تقولين ؟ فقالت أو للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم الا بالعربي الفصيح .

وهذا الذي زعموا أن أم الهيثم ذكرته لم يقل به غيرها ، وهو أن كان صحيحا والخبر ثابتا فإن من غير شك أن الأعراب شاركوا في هذا العمل المفتعل المخلق . وفي مطولات العربية مادة كثيرة لم تسمع الا من واحد من اللغويين ، فقد أثر عن اللحياني ، من علماء اللغة ، مسائل كثيرة تفرد بها فجاءت غريبة عن المتوارد المسبوع .

ويبدو أنهم كانوا لا يشكون كثيرا فيما يقال إنه مسبوع من الاعراب . فذكر يونس فيما زعموا أنه سمع بعض العرب يقولون : ما هذه الكنخبة ؟ يريد الكلام المختلط من الخطأ (١) .

ومن هذا الباب الذي استشهدوا عليه بالرجز اليتيم قولهم : رجل قرشب ، أي طويل ، ويقال للشيخ إذا عسا وغلظ : « قرشب » ، وقال أبو محمد الفقعسي :

كيف قريت شيخك القرشبا لما أتاك سائلا مخبيا

وقالوا : رجل شهبر وامرأة شهبرة أي مسنة لم تحطمها السن ؛ قال الراجز :

رُبَّ عجوز من اناس شهيرة علمها الانتقاض بعد القرقره

ويبدو أن الراجز ينصرف في الكلمة حسب الحاجة، فقد قلت « شهيرة »
الى « شهيرة » فقال الراجز :

أم الحليس العجوز شهيره ترضى من اللحم بعظم الرقبه

فصارت من شواهد النحو في مجيء خبر المبتدأ محلى بلام الابتداء
للتوكيد، خلافاً للمشهور من مجيء اللام داخلة على خبر « ان » .

وقالوا : تبعرض الشيء اذا قُطِع فوقه يضطرب . ذكر ابن الكلبي
أن الشنفرى لما خرج من البئر قُطعت يده بعد أن ضربه رجل فتعرضت
يده وكانت بها شامة فقال :

لا تبعدن لا تبعدن يا شامه ...

وقالوا : زعبل وهو اسم، واشتقاقه من تولهم : « صبي زعبل » اذا
كان سيئ الغداء كادى الشباب . ومن امثالهم : (لا يكلم زعبل) .

وقالوا : الصبعطي والضبطي وهي كلمة يفزع بها الصبيان ،
قال الراجز :

وزوجها زونزك زونزي يجزع ان فزع بالضبطي

وقالوا : الطلخنة التلطح بالشيء ؛ ذكر أبو مالك وأبو الخطاب
الاخفش : طلخنه اذا لطحه بأمر يكرهه .

وقالوا : حضجم وحضاجم أي الجاني الغليظ اللحم ؛ قال الراجز :

« ليس ببطبان ولا حضاجم »

وقالوا : الدعجلة أي الاخذ الكثير ؛ قال الاسمر الجملي :

باتت كلاب الحي تسنح بيننا يأكلن دعجلة ويشبع من عفا

ثم قالوا : الدعجلة اختلاط الالوان في ثوب أو غيره . أين هذا من ذاك ؟

وقالوا : شرج الرجل اذا عمل عملاً غير محكم .

وقالوا : فمجر الماء اذا جرعه جرعا شديدا .

وقالوا : افرنج اللحم اذا تشيَّط من اعلا ولم يُنْشَو .

وقالوا : غلضت القارورة اذا صممت رأسها؛ هكذا يقول الخليل ؛

قال أبو حاتم؛ هذا بناء مستنكر ويقال : عضهلت . ويقال : حقبه اذا دفعه من ورائه .

الفاظ اخرى

وهذه طائفة من الالفاظ منها مصادر تدل على كثرة الكلام واختلاطه ،
واخرى تدخل على المشي وما يتصل به ، ومنها الفاظ قالوا انها موضوعة
وليس ثبتت او أنهم ،

قالوا : جعتب اسم مأخوذ من فعل مُمات ؛ والجعتبة الحرص والشره .

وقالوا : الصعتب، واصل الصعوبة مقاربة الخطسو والخفة .

وقالوا : عنبت والجمع عنابث، وهي شجرة زعموا وليس بثبت .

وقال ابن دريد : السبرجة احسبها دخيلة في العربية من قولهم :
سبرج على هذا الامر اذا مَّاه .

وقالوا المشجب اي الرجل المسترخي؛ وقالوا المخبول من جنون
ونحسوه، وليس بثبت .

وقالوا : الشهجة اي اختلاط الامر .

وقالوا : خرزب مأخوذ من الخرزبة، وهو اختلاط الكلام وخطله .

ومثله : هذربة وهذرمة، وتعني كثرة الكلام ، اما الهزربة فهي
الخفة والسرعة .

ومثل هذا : الهرثة والحزمة، وكلهما كثرة الكلام .

وقالوا : الخنبصة (١٠) اي اختلاط الامر .

وقالوا : الخطلبة وهي كثرة الكلام واختلاطه، ومثلها الهزجة اي
اختلاط الصوت .

وقالوا : الدربة وهي ضرب من مشي الانسان فيه ثقل ، كقولهم :
جاء يدريل .

وقالوا : ذذبت اللقمة اذا ابتلعها وليس بثبت .

وقالوا : البركة والكربة، وهي مشي في الطين أو خوض في الماء ؛
وكربت الشيء خلطته بعضه ببعض .

وقال ابن دريد : الرهبة احسبها ضربا من المشي، وليس بثبت ؛
قالوا : جاء يترهبل اي يمشي مشيا ثقيلا .

وقالوا : ذلط في كلامه اذا خلط .

وقالوا : الحضرة اي اللحن في الكلام . والهمرة اي كثرة الكلام .

وقالوا : الهبرمة، زعموا كثرة الكلام ولا احقه . وقالوا : العزومة
والغزومة والغزرة اختلاط الكلام .

وقالوا : زلهب، زعموا انه خفيف اللحية ؛ قال ابن دريد ولا احقه .

وقالوا : الدرتمعة العدو الشديد مع فزع، ومثله : القعسبة والكسبة .

وقالوا : القنطنة وهي العدو بفزع . قال ابن دريد وليس بثبت .

وقالوا : النخرط والنخروط نبت زعموا وليس بثبت .

وقالوا : تخطع اسم ؛ قال ابن دريد : واحسبه مصنوعا .

وقالوا : عفشج اي ثقل وخم زعموا ؛ ذكر الخليل انه مصنوع .

وقالوا : عجوز جلق اي كثيرة اللحم مسترخية ؛ قال ابن دريد :
واحسب ان هذا الحرف مصنوع لان الجيم والقاف لم تجتمع الا في
احرف معروفة .

وقالوا : الحوكة ان يمشي ويضع يديه في خصره ويعتمد عليها .

وقالوا : الحركة والحرقلة ضرب من المشي ؛ والخذلة والخزعة
والخزفة وهي ان يمسّ الرجل يخطر .

هذا تحقيق في طائفة من الالفاظ الرباعية البناء ، وهي من غير شك من مسادة الغريب المهجور ؛ وقد كنت اشرت الى ان شيئا كثيرا من هذا لا يوحى انه ورد في كلام العرب او ان الالسن قد لآكته . ومن أجل ذلك فهي مآلفات لغوية لم تكتسب الحياة منذ أن وضعت . وقد لآنا ان أهل اللغة قد وقفوا منها موقفا خاصا، وإن كانوا قد سعوا الى جمعها وضبطها رغم أنهم لم يتحققوا الكثير من أصالتها وصوابها .

ان معجمنا القديم لهو وعاء واسع اشتمل على فوائد جمّة ، نستخلصها فنتبين لنا عبقرية العربية، وكيف أنها ظلت لغة الحضارة في العالم المعمور طوال عصور مآة، وما زالت قادرة على مسآيرة عصرنا الحاضر بحضارته المعقّدة الضخمة . غير ان هذا المعجم قد ضُمّ الى جانب تلك الاعلاق النفسية موادّ أخرى صُنعت صناعة وأخترعت اختراعا، فلم يكن لها ما حفظ الحياة . . ومن أجل ذلك كان على اللغوي في عصرنا ان يؤرخ هذه اللغة فيقف على مراحلها ، وكيف استجابت لتلك المراحل الزمنية ازاء الحضارات المتعاقبة ، ثم يعرض لما لفظته القرون ، فانقطعت أخباره وعفت آثاره . ومن العجيب أن مؤسساتنا العلمية ومآمعنا اللغوية لم تحقّق كثيرا من علم اللغة التاريخي، فتقيم للعربية تاريخا أسوة بغيرها من اللغات المتقدمة في عصرنا هذا .

- (١) السيوطي ، الزهر ١/١٣٧ - ١٢٨ .
- (٢) ابن سلام ، طبقات نحول الشعراء (ط دار المعارف) ص ٥٨١ .
- (٣) المصدر السابق ، ص ٤٠ .
- (٤) الاتباري ، نزهة الألباء (ط مكتبة الانجلو بيغداد) ص ٢٢٠ .
- (٥) القنطي ، أنبساط الرواة ١٧٢/٣ .
- (٦) ابن دريد ، الجهرة ٣/٢٩٥ - ٣٧٠ .
- (٧) اللسان ١٣/٣٩ (ط. دار صادر) مادة بخر ، بخرق . وكذا في الجهرة (مادة بخرق) .
- (٨) التالي ، الإمالي ٣/٦٩ ، والزهر للسيوطي ٢/٥٤٠ . والدكة = الودك ، والجبجة = الكروش يحفظ فيهما اللحم المجفف ، والصليف = ما صد من اللحم .
 طعمة = الطلع الجدي .
- (٩) الجهرة ، المجلد الثالث مادة (كخب) .
- (١٠) لعل كلمة « خبصة » في العامية الدارجة العراقية شيء من هذا .

حول تنمية المهارات القرائية لدى الطلبة في الأردن للدكتور أمين الكفندي

مقدمة : -

من الملاحظ ان هناك ضعفا ظاهرا في استخدام اللغة العربية لدى الطلبة في مراحل التعليم المختلفة . ونتيجة لاحساس المربين بهذا الضعف أخذوا يوجهون عنايتهم لخصر أسبابه ، ليكون هذا نقطة انطلاق لمعالجته . ويمكن رد بعض أسباب هذا الضعف الى :

قلّة الدراسات العلمية في مجال تطوير التعليم اللغوي ،

ومزاحمة اللغة الاجنبية للغة العربية ،

والنقص في اعداد معلمي اللغة العربية وتدريبهم قبل الخدمة وفي اثنائها ،

وعدم توفير الحوافز لمعلمي اللغة العربية ،

وعدم استعمال العديد من معلمي المواد الاخرى للغة الفصيحة .

والتغني الذي يتسم في مناهج اللغة العربية على أسس غير علمية ،

وقلّة التأليف في ادب الاطفال والطلبة ،

والثنائية في اللغة (لغة الكتاب ولغة التخاطب اليومي) ،

وعدم التزام وسائل اتصال الجمهور باللغة الفصيحة ؛ وغير ذلك من الاسباب .

وتُعَدّ اللغة اداة لنمو شخصية الفرد ، اذ انها تعينه على القراءة والفهم ، وعلى الاتصال بالتراث وبالمجتمع ، والتعبير عما يخلج في حناياه من مشاعر ؛ كما انها اداة لنمو شخصية المجتمع ؛ فهي تسهم في تحقيق تماسكه ، ووحدة الامة ، من خلال وحدة اللغة . ومن أجل تحقيق كل هذه الوظائف ، يتطلب تدريس اللغة العربية مساعدة الطلبة على اكتساب المهارات العديدة في مجالات عدة ، منها : القراءة ، والكتابة ، والقواعد ، والاملاء ، والتعبير . ويحسن أن تكون هذه المهارات واضحة في اذهان المدرسين لكي يتمكنوا من ممارستها على نحو سليم في اثناء تدريسهم اللغة العربية .

ومن الواضح ان القراءة تلعب دورا بالغ الاهمية فيما يتعلق بنمو الطالب ثقافيا ولغويا ، فهي تساعد على الاتصال بالثقافات المختلفة — سواء اكانت متقدمة أم معاصرة — والتفاعل معها ، وتساعد على التعبير بسلامة ووضوح ، وتعمل على زيادة الثروة اللغوية ، واتساع دائرة المعلومات . والقراءة تساعد على نمو مدارك الطالب العقلية ، وارتقاء ذوقه الادبي والفني ، كما انها تعودده ألفة الكتاب وحُبّ المكتبة . ويمكن الوقوف على اهمية الدور الذي تلعبه القراءة في عملية التعلم اللغوي بالنظر الى بعض الاهداف المتوخاة منها في المرحلة الثانوية ، وهي :

زيادة القدرة على القراءة الصحيحة ببسر وسرعة ،

والقدرة على فهم المقروء واستنباط المعلومات منه ،

وتنمية الميل الى القراءة الحرة ،

وتشجيع الاقبال عليها ،

واستيعاب النصوص الادبية وتذوقها ،

والقدرة على التمييز بين انواعها ومعرفة خصائصها ،

وتدريب الطلبة على القراءة النقدية .

والملاحظ في عدد من المدارس ان العناية تُوجَّه الى بعض المهارات القرائية دون البعض الآخر ، وكلما تتجه العناية الى التدريب على القراءة السريعة مع استيعاب المعاني وفهم المادة المقروءة والتفاعل معها ، او وصل الطلبة بالثقافة الحيّة ، او بالمعاجم والمراجع وامهات الكتب العربية . وقد نتج عن هذا عجز بعض الطلبة عن تلخيص معنى ما يقرأون ، وعن الانطلاق والاسترسال في القراءة ، وضعف الاقبال على القراءة الحرّة .

ومن هنا رؤي تحديد الممارسات التي يُنتظر أن تكون مجدية في اكساب الطلبة المهارات القرائية المتوخاة من منهاج اللغة العربية في المرحلة الثانوية .

دراسات سابقة :

هناك دراسات تناول كل منها جانباً أو أكثر من الجوانب المتعلقة بهذه الدراسة خارج الاردن . فلقد اشارت دراسة سمك (سمك ، ١٩٧٥ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤) الى المهارات القرائية الملائمة لطلبة المرحلتين ، الاعدادية والثانوية ، وهي :

التعرف السليم على الالفاظ واشكال الكلمات ، وتفهم معانيها ، وعلى الروابط التي بين الجمل والتراكيب والفقرات ،

وادراك المعاني والافكار والقدرة على ترتيبها ،

واستخلاص النتائج والحقائق من المقروء ونقده ،

واستغلال المكتبة واختيار المادة المناسبة للقراءة ،

وتحديد هدف الكاتب ،

وتنمية الثروة اللغوية ،

واستخدام المعاجم ودوائر المعارف والمراجع ،

والقراءة السليمة ،

ومزاولة القراءة أمام الآخرين بصوت واضح وإداء مؤثر .

وجاءت نتائج هذه الدراسة متفقة مع نتائج دراسة تورة (تورة ، ١٩٧٧م ، ص ١٢١) ، ودراسة أخرى للجيبلاطي والتوانسي (الجيبلاطي والتوانسي ، ١٩٧٥ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥) .

ومن الدراسات التجريبية التي تعرضت للمهارات القرائية ، دراسة خاطر وزملائه - ١٩٧٤ . ومن نتائجها :

١ - ان المهارات التي يركز عليها المدرسون في تعليم القراءة في المراحل الثلاث هي :

صحة النطق ، وفهم المعاني ، وحفظ الافكار ، وحسن الاداء ، وكل ما يزيد في المرحلة الثانوية هو نقد المقروء .

ب - ان التدريب على مهارات التصفّح قليل في المرحلة الاعدادية ، ويزداد نسبيا في المرحلة الثانوية .

ج - ان الاهتمام بالتدريب على استخدام المكتبة وتنمية الميل الى القراءة ضئيل في المرحلتين الاعدادية والثانوية . (ندوى النوري ، ١٩٧٦ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤) .

ودراسة آرثر اولسن (Olson, 1970, p. 235) التي من

نتائجها ان المعلمات يستخدمن المقررات الدراسية الملائمة لمستوى قراءة الطلبة دوماً ، بينما يستخدمها المعلمون بدرجة أقل ، وان أكثر من نصف المعلمات شعرن انهن يدرسن المهارات القرائية لموضوعاتهن بكفاية . ولقد اجرت جامعة هازفرد ١٩٦٨ دراسة من أجل التخطيط لبرنامج يساعد على حيوية تعليم القراءة . ولقد تضمن التخطيط : سرعة الانتهاء من قراءة الكتب المقررة في مجال القراءة ، والقراءات الاضافية في المكتبة ، ومشروعات بحثية ، وكتابة التقارير حول ما يقومون بقراءته ، وقراءة كتب القراءة المتممة للكتب المقررة والتي تعادل مستواها . (تورة ، ١٩٧٧ ، ص ١٠٢ - ١٠٣) .

ومن الجدير بالذكر أن نتائج دراسة كل من روث سترينج (Strange, 1970, pp. 231 - 232) ونيوتولاس (قورة ، ١٩٧٧ ، ص ١٠٢ - ١٠٣) تتفق مع دراسة جامعة هارفورد .

وما تقدّم تبدو الحاجة ماسة الى اجراء دراسات تجريبية تتناول المهارات القرائية ، ومدى ممارستها من قبل معلمى اللغة العربية في اقطار الوطن العربي المختلفة .

مشكلة الدراسة :

تحاول هذه الدراسة الاجابة عن السؤالين التاليين :

- ١ - ما هي المهارات القرائية - في ضوء المناهج المقررة - التي يمارسها معلّمو اللغة العربية في المرحلة الثانوية ؟
- ٢ - هل في شدة الممارسات للمهارات القرائية - في مجالي القراءة والنشاط اللغوي-اختلاف بسبب التأهيل التربوي ، أو سنوات الخبرة ، أو الجنس ؟

أما فرضية هذه الدراسة فهي :

لا توجد فروق احصائية مهمة ($\alpha = 0.05$) بين درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في مجالي القراءة والنشاط اللغوي تُعزى الى جنس المعلمين ، أو عدد سنوات خبرتهم في تدريس اللغة العربية ، أو الى تأهيلهم التربوي .

تعريف المهارات القرائية : هي الاساسيات اللغوية التي يكتسبها الطلبة في مجال القراءة (جبلاطي وتوانسي ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٩) .

طريقة البحث

١ - عينة الدراسة :

يتألف مجتمع الدراسة من ثلاثة عشر قطاعا تمثل مديريات التربية والتعليم المختلفة في الاردن . ولما كان مجتمع الدراسة واسعا ، فلقد أُجريت هذه الدراسة على جميع معلمي اللغة العربية ومعلماتها في المدارس الثانوية المكتتلة (الحكومية والخاصة) في اربع مناطق تعليمية تَمَّ اختيارها عشوائيا ؛ والمناطق المختارة عشوائيا هي : مديرية عمان ، الزرقاء ، الطفيلة ، والرمثا . وبذلك يشكل عدد المعلمين المشتركين في الدراسة ٣٥٪ من عدد معلمي اللغة العربية في المدارس الثانوية في الاردن . ومما هو جدير بالذكر أن عدد معلمي التعليم الثانوية في الاردن ٢٠٩٧ (وزارة التربية والتعليم ، التقرير الاحصائي السنوي التربوي ١٩٧٧/٧٦م ، ص ١٩٤) ؛ ويبلغ مدرّسو اللغة العربية خُمس هذا العدد تقريبا . وتتكوّن عينة البحث النهائية من ١٤٦ (وبلغ عدد الاستمارات التي تَمَّ جمعها ١٤٩ ، وتَمَّ استبعاد ثلاث استمارات عند التحليل الاحصائي ، لان اجاباتها غير تامة) معلّما ومنظمة يدرّسون اللغة العربية في سبعين مدرسة ثانوية (تَمَّ الحصول على هذه الاحصائيات من دليل الاحصاءات التربوية للمدارس والمعاهد في المملكة الاردنية الهاشمية لعام ١٩٧٨/٧٧م) . وتظهر الجداول رقم (١) ، (٢) ، (٣) ، على التوالي توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب المناطق التعليمية ، وحسب متغيرات الجنس والمؤهل ، وحسب متغيرات سنوات الخبرة في التعليم والجنس .

جدول (١)
توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب المناطق التعليمية

المنطقة التعليمية	الجنس	
	ذكور	إناث
عمان	٥٨	٣٠
الزرقاء	٣١	١٢
الطفيلة	٦	٢
الرمثا	٦	١

جدول (٢)
توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب متغيرات الجنس والمؤهل

المؤهل	الجنس	
	جامعي	جامعي + دبلوم تربوية
ذكر	٥٦	٤٥
أنثى	٣٥	١٠

جدول (٣)
توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب متغيرات سنوات الخبرة في التعليم والجنس

سنوات الخبرة	الجنس		
	١ - ٣ سنوات	٤ - ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكر	١١	٣٨	٥٢
أنثى	٨	١٧	٢٠

ب - اداة البحث :

أستُخدم للبحث استبيان سمّ تصميمه خصيصا لهذا الامر ،
للتعرف الى المهارات القرائية التي ينبغي على معلم اللغة العربية
ممارستها في المرحلة الثانوية . ولقد اعتُمد في ذلك على ما يلي :

١ - الاطلاع على الدراسات المتعلقة بموضوع البحث ، والاستئناس
بها (دراسات سمك ، قورة ، الجبلاطي والتوانسي ، ابراهيم ،
خاطر ، اولسن ، سترينج ، ونيوقولاس) .

٢ - تحليل مناهج اللغة العربية في الاردن ، واشتقاق قائمة بالمهارات
القرائية التي يمكن تطبيقها في اثناء تدريس اللغة العربية .

ولقد تألفت القائمة التي عُرِضت على أعضاء هيئة التحكيم من
ثلاث وعشرين ممارسة ، أقرّها كلّها . وبناء على الاقتراحات التي
قدّمتها غالبية الاعضاء المذكورين ، تمت اضافة الممارسات التالية : -

- تدريب الطلاب على تعيين الموضوع الرئيسي في النص .

- اتاحة الفرصة للطلاب لمناقشة ما يسمعون والحكم عليه .

- اتاحة الفرصة للطلاب لمناقشة ما يرون والحكم عليه .

- ارشاد الطلبة الذين يجدون صعوبة في قراءة الكتاب المقرر الى
كتيب تناسب مستوياتهم القرائية .

- تشجيع الطلاب على القراءة في المكتبات العامة .

- ارشاد الطلاب الى عمل ملخصات .

وهكذا تكوّن الاستبيان في صورته النهائية من تسع وعشرين
ممارسة (صيغت بجمال تقريرية) ممثلة للمهارات القرائية الواجب
على معلم اللغة العربية القيام بها . ثم صُنِّفت تلك الممارسات في
مجالين : - مجال القراءة ، ومجال النشاط اللغوي . وقد بلغ عدد
ممارسات المجال الاول سبع عشرة ممارسة ، وعدد ممارسات المجال

الثاني اثنتي عشرة ممارسة . ولقد وُضع أمام كل ممارسة مسن
 ممارسات الاستبيان أربعة مستويات من الإجابة : « دائما ، غالبا ،
 أحيانا ، نادرا » . ثم اعتمدت طريقة التصحيح على تحديد درجة لكل
 إجابة من هذه الإجابات الأربع ، بحيث تحصل أكثرها إيجابية « دائما »
 على أربع درجات ، وتحصل « غالبا » على ثلاث درجات ، « وأحيانا »
 على درجتين ، « ونادرا » على درجة .

والطريقة التي اتُّبعت في تعبئة الاستبيانات في المناطق التعليمية التي
 شملتها الدراسة تمّت بواسطة المساعد الفني لمدير التربية والتعليم
 في كل منها ، فقد قام كل مساعد بتكليف مشرفي اللغة العربية في
 منطقته توزيع الاستبيانات على معلمي اللغة العربية والإشراف على
 تطبيقها . وفي محافظة عمان قام المساعد الفني بتوجيه كتاب رسمي
 الى مديري المدارس الثانوية ومديراتها لاجل تعبئة الاستبيان (رقم
 الكتاب : ع/١٤/٣٩/١٤٥٢١ بتاريخ ١٨/٥/١٩٧٨م) .

ج - صدق الاداة :

أما عن صدق الاداة ، فقد اعتمد الصدق المنطقي المتمثل في
 تحديد المهارات القرائية التي ينبغي ان يمارسها معلمو اللغة العربية ،
 وذلك من خلال تحليل مناهج اللغة العربية ، وفي احكام حياة التحكيم
 المؤلفة من عشرين مربيا ، ثم اختارهم على النحو التالي :

١ - عشرة من اعضاء هيئة التدريس في قسم اللغة العربية بكلية
 الآداب بالجامعة الاردنية .

٢ - جميع خبراء مناهج اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم (وهم
 ثلاثة خبراء) .

٣ - جميع موجّهي اللغة العربية بمنطقتي عمان والضواحي (وهم
 سبعة موجّهين) .

ولقد طُلب من كل مختص ما يلي :

١ - الحكم في ما اذا كانت كل ممارسة من الممارسات المتضمنة في القائمة منتمية الى مجال المهارات في القراءة او النشاط اللغوي .

ب - الحكم على المرحلة التعليمية التي تناسبها كلّ ممارسة من الممارسات المشار اليها .

ج - تعديل صيغة الممارسات التي يظهر انها بحاجة الى تعديل .

د - اضافة ممارسات جديدة قد يقترحها المحكمون .

وبناء على تحليل نتائج التحكيم، اختيرت الممارسات على اساس اتفاق اغلبيّة المحكمين على كون كل ممارسة منتمية الى المهارات ، وملائمة للمرحلة الثانوية . وهكذا تمّ التوصل الى استبيان مكوّن من تسع وعشرين ممارسة ، اجمّع أغلب المحكمين على انها واجبة التطبيق في اثناء تدريس مادة اللغة في المرحلة الثانوية .

د - ثبات الاداة :

حالت ظروف اجراء البحث دون امكانية اعادة تطبيق الاستبيان مرة ثانية على افراد العينة - بعد مضي فترة زمنية معينة - من اجل التحقق من ثباته . ولهذا تمّ اللجوء في حساب ثبات القائمة الى طريقة حساب معامل الثبات بمعادلة كرونباخ (α) (Chronbach , 1970 , P - 161) وقانون هذه المعادلة بالرموز هو :

$$\text{معادلة كرونباخ (} \alpha \text{)} = \frac{\text{ك}}{\text{ك} - 1} \left(1 - \frac{\text{مجموع ف}^2}{\text{د}^2} \right)$$

وتعني هذه الرموز ما يلي :

(α) = معامل الاتساق الداخلي (الثبات) .

ك = عدد فقرات الاداة .

مجموع ف^٢ = مجموع تباين الاستجابة على كلّ ممارسة .

د^٢ = تباين درجات المعلمين على الاداة كلّها .

ولقد كانت قيمة معامل الثبات بهذه الطريقة ٠.٨٦ . ويعتبر معامل الثبات هذا مناسباً لأغراض البحث .

النتائج

من أجل اختبار فرضية الدراسة ، حُلَّت المعلومات التي تمَّ التوصل إليها باستخدام أسلوب تحليل التباين الثنائي (٢ × ٢) ، (٢ × ٣) . وقد كانت وحدات التحليل عبارة عن المهارات في مجال القراءة ، ومجال النشاط اللغوي ، وفي المجالين معاً .
والجدول رقم (٤) يمثل نتائج تحليل التباين .

الجدول رقم (٤)

تحليل التباين (٢ × ٢) لممارسات المعلمين في مجال القراءة على عاملي الجنس والمؤهل

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	٢٣٧	١	٢٣٧	١٢٠
المؤهل	٢٥٨	١	٢٥٨	١٣١
التفاعل (الجنس × المؤهل)	٠٦٣	١	٠٦٣	٠٣٢
الخطأ	٢٧٩٠٩	١٤٢	١٩٧	

يتضح من نتائج التباين الواردة في الجدول رقم (٤) ، عدم وجود فروق إحصائية ذات دلالة (٠.٥ = α) بين درجات ممارسات المعلمين في مجال القراءة تُعزى إلى الجنس أو التأهيل التربوي .

وهذا يعني أنه لا يوجد اختلاف في تصوّرات المعلمين للممارسات التي يقومون بها في مجال القراءة في أثناء تدريسهم اللغة العربية بسبب جنسهم أو تأهيلهم التربوي .

ويبين الجدول رقم (٥) نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي على عاملي الجنس والمؤهل .

الجدول رقم (٥)

تحليل التباين (٢ x ٢) لممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي على عاملي الجنس والمؤهل

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	٢٤٣	١	٢٤٣	١٩٤
المؤهل	١١٢	١	١١٢	٠.٨٩
التفاعل (الجنس x المؤهل)	٠.٢٣	١	٠.٢٣	٠.١٨
الخطأ	١٧٧٤٤	١٤٢	١٢٥	

من نتائج التباين الواردة في الجدول (٥) يتضح لنا عدم وجود فروق احصائية ذات دلالة (٠.٥ = α) بين درجات ممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي تعزى الى الجنس والتأهيل التربوي .

ويُظهر الجدول التالي رقم (٦) نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين، وكلاهما على عاملي الجنس والمؤهل .

الجدول رقم (٦)

تحليل التباين (٢ × ٢) لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ،
على عاملي الجنس والمؤهل

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	١٢١٦	١	١٢١٦	٢٢٠
المؤهل	٦٠١	١	٦٠١	١٠٨
التفاعل (الجنس × المؤهل)	٢٢٢	١	٢٢٢	٠٤٠
الخطأ	٧٨٣٨٦	١٤٢	٥٢٥	

من تحليل التباين الوارد في الجدول رقم (٦) يتضح عدم وجود فروق احصائية ذات دلالة ($p = 0.05$) بين درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في مجالي القراءة والنشاط اللغوي معا ، تُعزى الى الجنس والمؤهل التربوي . وهذا ما يدعم صحة فرضية الدراسة .

ويبين الجدول رقم (٧) نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمين في مجال القراءة على عاملي الجنس وسنوات الخبرة .

الجدول رقم (٧)

تحليل التباين (٢ x ٢) لممارسات المعلمين في مجال القراءة على عاملَي
الجنس وسنوات الخبرة

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	٠.١	١	٠.١	٠.٠٠
سنوات الخبرة	١٣٤	٢	٠.٦٧	٠.٢٢
التفاعل (الجنس x سنوات الخبرة)	٨١٧	٢	٤٠٩	١٤١
الخطأ	٤٠٣٥٣	١٤٠	٢٨٨	

يتضح لنا من نتائج تحليل التباين الواردة في الجدول رقم (٧)
عدم وجود مروق انحصائية ذات دلالة (٠.٥ > α) بين
درجات ممارسات المعلمين في مجال القراءة ، تُعزى الى الجنس أو
الى سنوات الخبرة .

ويعني هذا انه لا يوجد اختلاف في تصورات المعلمين للممارسات
التي يقومون بها في مجال القراءة ، سواء اكان الممارسون لها من
المعلمين أم من المعلمات ، وبغض النظر عن سنوات خبرتهم في تدريس
اللغة العربية .

والجدول رقم (٨) يبين لنا نتائج تحليل التباين لممارسات
المعلمين في مجال النشاط اللغوي على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة .

الجدول رقم (٨)

تحليل التباين (٣ x ٢) لممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي
على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	٠.٤٧	١	٠.٤٧	٠.٢٥
سنوات الخبرة	٠.٤٨	٢	٠.٢٤	٠.١٢
التفاعل (الجنس x سنوات الخبرة)	٣.٥٨	٢	١.٧٩	٠.٩٧
الخطأ	٢٥٦.٩	١٤٠	١.٨٣	

يتضح لنا من نتائج التباين الواردة في الجدول (٨) عدم وجود فروق احصائية ذات دلالة (٠.٥ = p) بين درجات ممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي ، تُعزى الى الجنس وسنوات الخبرة .
ويظهر الجدول رقم (٩) نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ، وكلاهما على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة .

الجدول رقم (٩)

تحليل التباين (٣ x ٢) لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ،
على عامل الجنس وسنوات الخبرة

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	٠.٤٥	١	٠.٤٥	٠.٥
سنوات الخبرة	٢.٠٨	٢	١.٠٤	٠.١٢
التفاعل (الجنس x سنوات الخبرة)	٢.٠٨٣	٢	١.٠٤٢	١.٢٨
الخطأ	١٠٥٦.١٧	١٤٠	٧.٥٤	

من نتائج التباين الواردة في الجدول (٩) يتضح لنا عدم وجود فروق احصائية ذات دلالة ($p = 0.05$) بين درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في مجالي القراءة والنشاط اللغوي معا ، تُعزى الى الجنس وسنوات الخبرة في تعليم اللغة العربية . وفي هذه النتيجة ما يدعم صحة فرضية الدراسة .

وتشير الجداول رقم (١٠) ، (١١) ، (١٢) ، (١٣) ، (١٤) ، (١٥) الى متوسطات درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالات المختلفة ، على عوامل الجنس ، والمؤهل ، وسنوات الخبرة .

الجدول رقم (١٠)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال القراءة على عاملي الجنس والمؤهل

المؤهل	الجنس	جامعي	جامعي ومؤهل تربوي
ذكور	٣٢٩	٣٣٥	
انثى	٣٣٣	٣٤٧	

الجدول رقم (١١)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي ، على عاملي الجنس والمؤهل

المؤهل	الجنس	جامعي	جامعي ومؤهل تربوي
ذكور	٣١٧	٣٢١	
انثى	٣٣٠	٣٣٨	

الجدول رقم (١٢)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ،
على عاملي الجنس والمؤهل

المؤهل	الجنس	جامعي	جامعي ومؤهل تربوي
ذكر	٣٢٤	٣٢٩	
انثى	٣٣١	٣٤٣	

الجدول رقم (١٣)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال القراءة ، على عاملي
الجنس وسنوات الخبرة

سنوات الخبرة	الجنس	١ - ٣ سنوات	٤ - ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكر	٣٤٧	٣٣٠	٣٢٨	
انثى	٣٢٧	٣٤٢	٣٣٥	

الجدول رقم (١٤)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي على
عاملي الجنس وسنوات الخبرة

سنوات الخبرة	الجنس	١ - ٣ سنوات	٤ - ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكر	٣٢٦	٣٢٥	٣١٣	
انثى	٣١٦	٣٢٨	٣٣٤	

الجدول رقم (١٥)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ،
على عاملي الجنس وسنوات الخبرة

سنوات الخبرة	١ - ٣ سنوات	٤ - ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
الجنس			
ذكر	٣٣٧	٣٢٧	٣٢١
انثى	٣٢٢	٣٣٦	٣٣٤

المتأمل لمتوسطات درجات الممارسات في الجداول رقم (١٠) ،
(١١) ، (١٢) ، يلاحظ وجود تروق ملحوظة بين متوسطات درجات
المعلمات المؤهلات جامعيا والمعلمات المؤهلات تأهيلا تربويا . وأما
بالنسبة للمعلمين فان الفروق كانت طفيفة ؛ وبالرغم من هذا الفرق
الملحوظ في متوسطات درجات الممارسات ، فان الفرق يبقى دون مستوى
الدالة الاحصائية (٠.٥ = α) .

والمتبع ايضا في الجدول رقم (١٣) ، (١٤) ، (١٥) يلاحظ
وجود زيادة واضحة في متوسطات درجات ممارسات المعلمات للمهارات
القرائية ، تُعزى الى سنوات خبرتهن في تدريس اللغة العربية - ومع
ان هذه الفروق كبيرة نسبيا ، فانها تبقى دون مستوى الدالة الاحصائية .

اما الجدولان (١٦ ، ١٧) فيشيران الى متوسطات درجات
ممارسة المعلمين للمهارات القرائية مرتبة حسب شدةها .

الجدول رقم (١٦)

متوسطات درجات ممارسة المعلمين في مجال القراءة مرتبة حسب شحنتها

الرقم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نوع الممارسة	معدل درجة الممارسة
١	٧	مشاركة الطلاب في استخلاص المفردات والتعابير الجديدة في كل موضوع وشرحها	٣٧٩
٢	٥	تدريب الطلاب على تعيين العناصر الأساسية في الموضوع .	٣٧٥
٣	٤	تدريب الطلاب على تعيين الموضوع الرئيسي في النص .	٣٦٥
٤	٢٢	ارشاد الطلاب الى تحليل ما يقرأون والحكم عليه .	٣٦٢
٤	٢٣	مناقشة الطلاب في ما قراوه .	٣٦٢
٦	٢٧	العمل على تنمية الذوق الادبي والاحساس بالجمال لدى الطلبة .	٣٥٨
٧	١٤	تشجيع الطلاب على القراءة بتوسيع في المواد المتصلة بدراساتهم .	٣٣٠
٨	٢٦	اتاحة الفرصة للطلاب لمناقشة ما يسمعون والحكم عليه .	٣٢٩
٩	٣	تحديد وقت قصير مناسب للقراءة الصامتة السريعة لكي يعتاد الطلاب على السرعة مع الفهم والاستيعاب .	٣٢٧
١٠	٢٤	اتاحة الفرصة للطلاب لمناقشة ما يرون والحكم عليه .	٣٢٣

تابع الجدول رقم (١٦)

الرقم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نوع الممارسة	معدل درجة الممارسة
١١	٢٩	التعرف الى قدرات الطلاب القرائية من خلال الادوات التقويمية المتاحة .	٣٢٠
١٢	١٣	ارشاد الطلاب الى انتقاء المسادة الصالحة لقراءتهم .	٣١٦
١٣	١	القيام بالتمهيد لدراسة الكتاب المقرر بمقدمة تتضمن حياة المؤلف ، وموضوع الكتاب ، وطريقة تأليفه .	٣١٦
١٤	٢٥	تشجيع الطلاب على القراءة بتوسع في المواد المتصلة بدراساتهم .	٣٠٨
١٥	٢	تخصيص بعض الوقت لتدريب الطلاب على القراءة الصامتة .	٣٠٠
١٦	٦	تدريب الطلاب على مجالات القراءة الجهرية المختلفة في الحياة ، كالقاء قصيدة شعرية ، او توجيه موعظة ، او قراءة سورة في الصلاة .	٢٩٣
١٧	١٧	ارشاد الطلاب الذين يجدون صعوبة في قراءة الكتاب المقرر الى كتب تناسب مستوياتهم القرائية .	٢٨٠
		المتوسط الحسابي	٣٣٢

الجدول رقم (١٧)

متوسطات درجات ممارسة المعلمين في مجال النشاط اللغوي مرتبة
حسب شدتها

الرقم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نوع الممارسة	معدل درجة الممارسة
١	٢١	تشجيع الطلاب على الجراءة الأدبية وتنمية قدرتهم على مواجهة الجمهور .	٣٧٦
٢	٨	تشجيع الطلاب على استخدام اللغة العربية السليمة للتعبير عما يقرأون .	٣٧٢
٣	٢٠	تشجيع الطلاب على الاشتراك بالنشاطات التي تتصل باللغة كالإذاعة المدرسية وصحيفة الحائط ... الخ .	٣٤٢
٤	١٦	تشجيع الطلاب على القراءة الحرة الواسعة في أوقات فراغهم .	٣٣٥
٥	٢٨	مراعاة توافر عنصرَي الدقة والوضوح في الواجبات المدرسية المعطاة للطلاب .	٣٣٤
٦	١٨	تشجيع الطلاب على القراءة في المكتبات العامة .	٣١٣
٧	١٩	تشجيع الطلاب ذوي المواهب على إنتاج الشعر والنثر بصورهما المختلفة .	٣١٢
٨	١٠	توضيح كيفية استعمال المعاجم للطلبة .	٣٠٠
٨	١٢	إرشاد الطلاب الى عمل الملخصات .	٣٠٠
١٠	١١	إرشاد الطلاب الى طريقة كتابة التقارير أو الأبحاث .	٢٩٨

تابع الجدول رقم (١٧)

الرقم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نوع الممارسة	معدل درجة الممارسة
١١	٩	مساعدة الطلاب في استخدام المكتبة .	٢٩٢
١٢	١٥	توجيه الطلاب لقراءة بعض النصوص من أمهات الكتب العربية .	٢٦٨
المتوسط الحسابي			٢٢٠

وبلاحظ من الجدولين رقم (١٦) ، (١٧) أن المتوسط الحسابي لدرجة ممارسة المعلمين في مجال القراءة قد بلغ (٢٣٢) ، بينما كانت ممارساتهم في مجال النشاط اللغوي (٢٢٠) .

وبالرجوع الى الجدول رقم (١٦) يُلاحظ أن أكثر المهارات ممارسة في مجال القراءة (مرتبة حسب اهميتها) بالنسبة لافراد العينة كانت :

- المشاركة في استخلاص المفردات وشرحها .
- تعيين العناصر الاساسية في الموضوع .
- تعيين الموضوع الرئيسي في النص .
- تحليل ما يُقرأ والحكم عليه .
- مناقشة النص المقروء .
- كما يُلاحظ أن أقل المهارات ممارسة في مجال القراءة من جانب افراد العينة هي :
- ارشاد الطلاب الذين يجدون صعوبة في قراءة الكتاب المقرر الى كتب تناسب مستوياتهم القرائية .
- تدريبهم على مجالات القراءة الجهرية المختلفة في الحياة .

- تدريبهم على القراءة الصامتة .
 - مناقشة ما يرون والحكم عليه .
 - التمهيد لدراسة الكتاب المقرر .
- ويتبين من الجدول رقم (١٧) أن أكثر المهارات ممارسة في مجال النشاط اللغوي من جانب أفراد العينة هي :
- تشجيع الطلاب على الجراءة الأدبية، وتنمية قدرتهم على مواجهة الجمهور .
 - استخدام اللغة العربية السليمة للتعبير عما يقرأون .
 - الاشتراك بالأنشطة التي تتصل باللغة ، كالإذاعة المدرسية ومحنة الحائط .
 - القراءة الحرة الواسعة في أوقات الفراغ .
 - فوائد عنصر الدقة والوضوح في الواجبات المدرسية المعطاة .
- كما يتبين من الجدول المذكور أن أقل المهارات ممارسة في مجال النشاط اللغوي من جانب أفراد العينة هي :
- توجيه الطلاب إلى قراءة بعض النصوص في أمهات الكتب العربية .
 - مساعدتهم في استخدام المكتبة .
 - إرشادهم إلى طريقة كتابة التقارير أو الأبحاث .
 - إرشادهم إلى كيفية استعمال المعاجم .
 - إرشادهم إلى عمل الملخصات .

مناقشة النتائج والتوصيات

ظهر من نتائج هذه الدراسة أن المتوسط الحسابي لدرجة ممارسة المعلمين لمهارات القراءة والنشاط اللغوي كان مرتفعاً . ويمكن رد ذلك الى :

- ١ - اهتمام المعلمين باللغة العربية لانها لغة القرآن الكريم .
- ٢ - اعتزازهم باللغة العربية لانها من أهم مقومات الوحدة العربية .
- ٣ - كون مادة اللغة العربية مادة أساسية في مراحل التعليم المختلفة .
- ٤ - حصول معظم معلمي اللغة العربية في المرحلة الثانوية في الاردن على مؤهلات جامعية ، اضافة الى أن قسماً منهم يحمل مؤهلاً تربوياً .

واظهر التحليل الاحصائي أن المتوسط الحسابي لدرجة ممارسة المعلمين في مجال القراءة أعلى منه في مجال النشاط اللغوي . ولعل ذلك يرجع الى شعور المعلمين بأن اكساب المهارات القرائية للطلبة يأتي في طليعة مهماتهم التعليمية ، في حين أنهم ينظرون الى النشاط اللغوي المرافق على أنه من المهمات الاضافية . ولهذا بات من الضروري القيام بتوعية معلمي اللغة العربية بأثر هذا النشاط في تقوية المهارات القرائية وتدعيمها .

ولقد ظهر من نتائج تحليل التباين انه لا يوجد في درجة ممارسات المعلمين للمهارات القرائية - في مجالي القراءة والنشاط اللغوي - اختلاف يُعزى الى التأهيل التربوي ، او سنوات الخبرة ، او الجنس . وبالرغم من أن جداول المتوسطات تشير الى وجود فروق ملحوظة بين متوسطات درجات المعلمين المؤهلين تأهيلاً تربوياً ، والمعلمين

المؤهلين جامعا ، الا انه لا يمكن القول ان هذه الفروق جوهرية ،
بدلالة أن قيم الاحصائي (ف) لم تكن ذات دلالة ، وبذلك تكون فرضية
الدراسة قد تحققت .

وهذه النتيجة تشير الى أن المعلمين والمعلمات الأقل خبرة في
مجال تعليم اللغة العربية ، او غير المؤهلين تربويا ، ينظرون الى
المهارات القرائية نظرة ايجابية، ويمارسونها بدرجة لا تقل عن زملائهم
وزميلاتهم الاكثر خبرة والمؤهلين تربويا .

وكشفت الدراسة عن أن المعلمين يمارسون بعض المهارات
الضرورية في مجال القراءة والنشاط اللغوي ، بمعدل يكاد يكون
متوسط . ومن هذه الممارسات :

— تدريب الطلاب على مجالات القراءة الجهرية المختلفة في الحياة .

— تدريبهم على القراءة الصامتة .

— توجيههم الى قراءة النصوص من امهات الكتب العربية .

— مساعدتهم في استخدام المكتبة .

— ارشادهم الى كيفية استعمال المعاجم .

— ارشادهم الى عمل الملاحظات .

ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء ما يلاحظ من قلة اقبال عدد

من المعلمين على استخدام المكتبات والمعاجم ، وقلة رجوعهم الى
امهات الكتب . يضاف الى هذا أن الكثير منهم لم يزود بالخبرات الكافية
في ما يتعلق بالممارسات الصفية الخاصة بتدريس المهارات القرائية ،
مما يشير الى ضرورة توجيه عناية اكبر لإعداد المعلمين قبل الخدمة .
وتشير كذلك في ضوء النقص في متابعة المعلمين في اثناء الخدمة ،
سواء اكانت هذه المتابعة على هيئة دورات ، أم زيارات صفية ، أم
دروس تطبيقية ، مما يشير الى ضرورة العناية بتنمية المعلمين في
اثناء الخدمة . ويمكن ردّ جانب من النتيجة المشار اليها الى عدم

كفاية كتب اساليب تدريس اللغة العربية ، وعدم تناولها للممارسات
القرائية التي ينبغي القيام بها من جانب المعلم ، او الى نقص في
الاشراف التربوي وفي الخدمات الاشرافية من قبل ادارة المدرسة ،
مما يشير الى ضرورة تكثيف الخدمات الاشرافية من قبل المشرفين
التربويين وادارة المدرسة .

والتوصيات المشتقة من نتائج هذه الدراسة هي :

١ - أن تُؤمّر للطلبة مادة قرائية كافية تشوقهم ، وتسدّ حاجات
نموّهم ، وتربطهم بالتراث العربي .

٢ - أن تُهيأ مواد قرائية أخرى للطلبة الذين لا يجيدون قراءة الكتاب
المقرر .

٣ - أن يُراعى في حصص القراءة تدريب الطلبة على أنواع القراءة
المختلفة (الصامتة ، والجهريّة ، والسمعية) .

٤ - أن يُعتمِن في تعليم القراءة باكتساب المهارات والقدرات الفكرية
والتفوقية ، وأن يُعمَل على تنميتها تنمية مستمرة .

٥ - أن يُدرَّب الطلبة على تطوير طريقة القراءة للهدف منها ،
ولطبيعة المادة المقروءة .

٦ - أن تُوجَّه الجهود الى اجراء دراسات لقياس مدى تمكّن الطلبة
من المهارات القرائية في مختلف المراحل التطبيعية .

٧ - أن يُراعى الربط بين القراءة والوان النشاط اللغوي المختلفة ،
كالاذاعة المدرسية ، والصحافة ، والتمثيل ، واللجان الادبية
والدينية في المدرسة .

٨ - أن يُعتمِن بإعداد معلمي اللغة العربية قبل الخدمة .

٩ - أن يُعتمِن بتنمية معلمي اللغة العربية في اثناء الخدمة .

١٠ - أن تُكفَّ الخدمات الاشرافية لمعلمي اللغة العربية ، سواء
اكانت من قبل المشرفين التربويين ، أم من قبل المدرس الاول ،
أم من قبل ادارة المدرسة .

١١ - أن تتضمن الكتب المتعلقة بتدريس اللغة العربية الممارسات
التي ينبغي على معلمي اللغة العربية ان يقوموا بها في مجال
تعليم المهارات القرائية .

« المراجع »

- ١ — حسين سليمان قورة ، تعليم اللغة العربية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٧ م .
- ٢ — عبد العليم ابراهيم ، الموجّه الفني لدرّسي اللغة العربية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٧٢ م .
- ٣ — علي الجبلاطي ، أبو الفتوح التوانسي ، الاصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ٤ — د . محمد صالح سمك ، فن التدريس للغة العربية وانطباعاتها المسلكية وانماطها العلمية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ٥ — د . محمد مصطفى هدارة ، « اهداف تدريس اللغة العربية في مراحل التعليم العام ووسائل تحقيقها » ، ندوة خبراء اللغة العربية لتطوير وسائل اعداد مدرسيها في الوطن العربي ، مطابع جامعة الرياض ، الرياض ، ١٩٧٦ ، ص ١ — ٧ .
- ٦ — ندوي النوري ، « فروع اللغة العربية وطرائق تدريسها » ، تطوير تعليم اللغة العربية ، اتحاد المعلمين العرب ، المؤتمر التاسع ، دار الطباعة الحديثة ، الخرطوم ١٩٧٦ م ، ص ٢٤٩ — ٢٨٥ .
- ٧ — وزارة التربية والتعليم — قسم الاحصاء ، دليل الاحصاءات التربوية للمدارس والمعاهد في المملكة الاردنية الهاشمية ، ص ١٩٧٨/٧٧ م .

٨ — وزارة التربية والتعليم ، قسم الاحصاء التربوي ، التقرير
الاحصائي السنوي التربوي ، ١٩٧٦/١٩٧٧ م .

٩ — وزارة التربية والتعليم — قسم المناهج ، مناهج اللغة العربية
للمرحلة الثانوية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٠ م .

١٠ — وزارة المعارف — ادارة الابحاث والمناهج والمواد التعليمية ،
منهج المرحلة الثانوية العامة ، المطابع الاهلية للاؤنست ،
الرياض ، ١٩٧٤ م .

11. Anderson, Theodore R. & Zelditch, moris J. A Basic Course
in Statistics, Holt, Rinehart and Winston, Inc., New York,
1968.
12. Cronbach, lee J., Essentials of Psychological Testing, Harper
& Row, Publishers, New York, 1970.
13. Olson, Arthur V., "Attitude of High School Content Area
Teachers, Toward the Teaching of Reading", Teaching
Reading Skills in Secondary Schools : Readings, Interna-
tional Textbook company, Scranton, Pennsylvania, 1970,
pp. 235 - 241.
14. Strange, Ruth. "Developing Reading Skills in the Content
Areas", Teaching Reading Skills in Secondary Schools :
Readings, International Textbook Company, scranton,
Pennsylvania, 1970, pp. 229 - 234.

الثانية والميزان الصرفي

في اللغات العربية في الجزيرة العربية (١)

للكثرة بالكثرة وفق جلي

تتفق آراء اللغويين الذين درسوا قواعد لغات الجزيرة العربية ، في أن الكلمة مطلقا لا يمكن أن تتألف من أقل من صوتين صحيحين في هذه اللغات ، وأن معظم الكلمات فيها تتألف في الأصل من ثلاثة أصوات صحيحة (٢) وأن الثنائية تنحصر في عدد قليل جدا من الأسماء (٣) لا تزيد على سبع وثلاثين كلمة ، على رأي فريق ، هي في ذاتها أصولها (٤) . وانها تنحدر في أصولها من الثلاثية على رأي أغلبهم . ولذلك فقد عُتِبَت الصيغة الثلاثية للكلمة الصيغة القياسية للاشتقاق في جميع هذه اللغات منذ أقدم عصورها التاريخية ، ابتداء من البابلية القديمة حتى اللغات الحية الآن .

كما أن هذه الصيغة اعتُبرت من حيث الشكل الجذر الدال على المعنى المطلق للكلمة ، وجاءت كل زيادة أو تغيير في هذا الجذر عند الاشتقاق والتصريف لاداء دلالات جديدة تضاف الى المعنى المطلق . وبضبط هذا الميزان والقياس عليه تمكّن اللغويون العرب من جمع وتصنيف جميع المفردات في اللغة العربية، وتقصي أصولها، وإبراز الزيادات والتغيرات التي تطرأ عليها، والمعاني التي دلت عليها الزيادات والتغيرات (٥). وبالقياس على العربية تمكّن علماء اللغة في اللغات العربية الأخرى، كالعبرية والآرامية، من دراسة لغاتهم ، كما استعان المستشرقون بهذه القياسات العربية الوضع لدراسة اللغات المندثرة، كالبابلية القديمة، والأكدية، والأوغاريتية، واكتشاف الصلات اللغوية بينها وبين العربية . وللميزان الصرفي، بالإضافة الى ما تقدّم من

نوائد . فائدة كبرى جلية تفتقر اليها معظم لغات العالم ، هي القدرة على قياس الجديد من المفردات عليها، واشتقاق المزيد من الصيغ منها، للدلالة على المعاني الجديدة التي تتطلبها حاجات الحياة الحضارية الدائمة التطور والنمو، والتي لم تكن لها دلالات في اصول اللغة . وعلى ذلك مضبوط ميزان الكلمة والقياس عليه ، يُعَدُّ من أهم العوامل التي ساعدت اللغة العربية على الدوام، والبقاء بأصولها وجذورها الاولى، والنمو الدائم والمتطور بالقياس على تلك الاصول والجذور ، دون أن يمتش أصلتها وسلامتها عامل من عوامل الضعف والضمور التي تعترى اللغات عادة عبر التاريخ، وتتقضي على سماتها الاصيلية .

ولعل أقدم اللغات العربية التي عُرِفَت الميزان الصرفي واستخدمته في الاشتقاق والتصريف، هي المجموعة الشرقية منها، والتي عُرِفَت بالاكبية أو البابلية الاشورية . وعلى الرغم من وجود الكثير من المفردات الثنائية في لغات (٦) هذه المجموعة ، فإن الغالب على مفرداتها هو الوزن الثلاثي (٧) ؛ ولذلك فقد عُدَّ علماء اللغة الذين درسوا قواعد هذه اللغات الصيغة الثلاثية وحدة قياسها لتكوين المفردات فيها، واتخذوا من التصنيف العبري المأخوذ أساسا من التصنيف العربي المبني على اعتبار الصيغة الثلاثية وحدة للقياس أساسا لتصنيف المفردات فيها ، الأمر الذي أدى بالتالي الى اكتشاف العلاقات الوثيقة بين العربية وبين هذه اللغات، من حيث تركيب المفردات وأوزانها ودلالاتها ، والذي أدى بدوره الى جمعها في أسرة لغوية سُمِّيت باللغات السامية تعصباً لراي عِرْقِي معين . وقد اقترحتُ نصوب هذا المصطلح، وتسمية هذه المجموعة التي تكاد تكون العربية فيها أبرزها وأوسعها وأقدمها تاريخاً، باسم « لغات الجزيرة العربية العربية » تأكيداً لدور العربية البارز في نشأتها وأصولها .

ومن المؤسف أن الأكديين أنفسهم لم يتركوا لنا ، أو لم نكتشف بعد، دليلاً على قيامهم بدراسة صرفية لمفردات لغاتهم ، لضبطها وقياسها، ووضع قواعد الصرف والاشتقاق وفق الموازين التي سارت عليها اللغة في النشوء والتطور . ولكن دراسة الظواهر اللغوية

التي لفتت أنظار علماء اللغة والمستشرقين الى الصلات اللغوية بين
نصوص الألواح الطينية التي كُتبت بالخط المسماري منذ نحو أربعة
آلاف سنة ق. م. ولغات الجزيرة العربية الحيثة، ولا سيما العربية ،
دلَّت على وجود تشابه كبير، ليس فقط في المفردات، بل في الصيغ
الصرفية. وأساليب الاشتقاق نفسها؛ حيث تبين أن هذه المجموعة من
اللغات العربية تخضع للميزان الصرفي الثلاثي، في الغالب، كالعربية تماماً؛
وان الكلمة الاكدية تعتمد على الاصوات الصحيحة في بناء الكلمة، وان
ابنية الكلمة تكون ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية، ولكن الغالب على
مفرداتها البناء الثلاثي؛ ولذلك اتخذ علماء اللغة هذه الصيغة وحدة
للقياس عند دراستهم قواعد هذه اللغات (٨). وعلى الرغم من أن
الثنائية تُعتبر الأصل في بناء المفردات الأولى في اللغة ، وان لغات
الجزيرة العربية لا تختلف من حيث الاسس التي نشأت عليها ، ومن
حيث القواعد الصوتية التي بموجبها يتم تشكيل ابنية الكلمة من غيرها
من اللغات . وعلى الرغم من وجود طائفة كبيرة جداً من المفردات
الفعلية والاسمية الثنائية ذات الصوتين الصحيحين، نحو: (قال) و
(مال) و (سمى) و (دعى) (٩) الفعلية، و نحو: (دم) و (عم) و
(نم) و (هم) الاسمية ؛ ثم وجود طائفة أكبر من بنات الصحيحين
المضغفة الثاني (١٠) نحو: (أب) و (أد) و (مج) و (حج) و (مد) و
(هد) و (نم) و (صف) و (كف) (١١) النخ ؛ وهي كلها ثنائية جرى
عليها بعض التغير الصوتي عند الاسناد أو الاضافة لأسباب صوتية
محضة ؛ على الرغم من كل ذلك فان الجدل حول الاصول الثنائية
للغة العربية ما زال قائماً ، وما زال اللغويون يصرون على ارجاعها
الى الاصل الثلاثي بكثير من التسف والخروج عن منطق اللغة .

واللغة الاكدية (١٢) التي تُعتبر أقدم وأول لغة مدونة من هذه
اللغات، واقربها الى العربية ، تحفل، بل يفلب عليها البناء الثنائي
المقطعي للكلمة ؛ ويُعدّ هذا البناء الصورة الأولى لتشكيل الوحدات
الدالة على المعاني، والتي تكوّن الجذر أو النواة التي تدلّ على المعنى
المطلق في الاصل، ثم تتطور من حيث الشكل بالتغير الحركي الداخلي، أو

بالإضافة إليها لتدلّ على معانٍ جديدة تشترك مع الوحدة الأولى منى
المعنى الكلي، وتتميز عنها بمعنى جزئي خاص (١٢)؛ الأمر الذي يدلّ
على أن لغات الجزيرة العربية العربية لا تختلف في شيء، من حيث القواعد
العامة التي سارت عليها في تشكيل مفرداتها، عن اللغات الأخرى ،
إلا في التفاصيل الجزئية التي تحدّد صفاتها المستقلة . وكثرة وجود
البنية الثنائية للمفردات ذات العلاقة المباشرة بالحياة الاجتماعية
البدائية، والوثيقة الصلة بشؤون الحياة اليومية، دليل أكيد على أن
المفردات الأولى للغة كانت ببساطة شؤون الحياة ذاتها ؛ وتتعلق
بالإنسان وأعضاء جسمه؛ (يد) (لم) (رأس) (سن) (كف) (دم) ؛
ونوي قريبه؛ (أب) (أم) (أخ) (خال) (عم) (بن - ابن) (بنت -
بنت) الخ ... والاحداث التي ترافق هذه الحياة البدائية : قال .
قام . نام . كان . راح . جاء . شد . عد . هد . (كل - اكل) (خذ -
أخذ)؛ والصيغة الثانية تطور لاحق (١٣). ولو استعرضنا البنية الثلاثية
وما يزيد عليها، لوجدنا أنها تحمل معاني حضارية تدلّ على الاستقرار
واتساع الحياة ، وأطرادها والقياس عليها وخضوعها للنظام بمثل
مرحلة الانتقال من مرحلة التواضع الآني والعلوي على المعنى والشكل
للحاجة الى مرحلة التفكير والقصد في الصياغة للانتقاء والثائق . وقد
أحسن العلماء باختيارهم هذا البناء وحدة للقياس؛ فهو كما رأوا الغالب
على مفردات اللغة العربية المستحضرة التي درسوها ، ويسلم من
التغيير والشذوذ، ويسهل القياس عليه لأغراض حضارية يتطلبها
التطور المستمر للحياة وحاجاتها . إلا أن ذلك لا يمنعنا من الاعتراف
بوجود البناء الثنائي مستقلا عن الثلاثي، وليس منه (١٤) نشأ في المرحلة
البدائية لنشوء اللغة، ثم تطور منه ما تطور بالتغير الداخلي أو الإضافة
إلى البناء الثلاثي أو الرباعي، وليس العكس كما قال علماء اللغة
القدامى بأن الاسم المتمكن والأعمال المتصرفة يجب ألا تقلّ عن ثلاثة
أحرف : حرف يُبتدأ به، وحرف يُحشى به، وحرف يوقف عليه (١٥)؛ وكما
يظهر من قول ابن مالك (١٦) من أن غير الثلاثي يغيّر ليوافق الثلاثي
في الصيغة ويقبل التصريف .

وليس أدنى من ثلاثي يرى قابلُ نصريف سوى ما غُيِّرَا

وهذا تعسف لا مبرر له في اخضاع ما لا يقبل القياس للقياس .
وقد أدى بهم هذا التعسف الى اعتبار كل ثنائي ثلاثيا في الاصل، يسقط
ثالثه لعله . والعلة لا علاقة لها بأصل البناء، بل بالوظيفة النحوية
للكلمة داخل العبارة .

يقول الخليل (١٥) : « وقد تجيء أسماء لفظها على حرمين، وتماهيا
ومعناها على ثلاثة أحرف ، مثل : يد و دم و هم، وانما ذهب الثالث لعله
انها جاءت سواكن وخلفها السكون ، مثل (بايد) و (يادم) في آخر
الكلمة .. فلما جاء التنوين ساكنا اجتمع ساكنان ، فثبت التنوين لانه
اعراب، وذهب الحرف الساكن، فاذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع
والتصغير كقولهم : ايديهم في الجمع و (يَدْيَّة) في التصغير .

وكل هذه التعليقات لا علاقة لها مطلقا بأصل البناء، بل انها
تغيّرات صوتية محضة تطرأ على كل كلمة عند الاضافة والاسناد
وتغيير البناء بقصد تغيير الدلالة أو الوضعية النحوية ، لا مجال
لشرحها هنا فان ذلك يتطلب بحثا مستقلا ، آمل ان أقوم به في
المستقبل . وآمل ان يقف هنا القارئ والباحث ويدقق ويعيد النظر
في تقييم هذه التعليقات، ليجد التفسير واضحا في تفسير ظواهر اللغة،
لا التيسير .

ولا بد هنا من الدعوة الى ضرورة اعادة النظر في قواعد اللغة
العربية وفق نظريات علم اللغة الحديث، لازالة هذا العسر الذي
يجابهنا ونحن نحاول تيسير اللغة. ولست ممن القائلين بنبذ آراء
القدماء كلية ، فاننا من المؤمنين بأن الخليل هو أول علماء الاصوات،
وواضع أسس هذه الدراسة، ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن الخليل
لم يصب في كل ما قال، وإن منطق التطور العلمي في تفسير اللغّة
يتطلب اعادة النظر في كل ما قيل في اللغّة، كما تطلّب ذلك في المعرمة
الانسانية بكافّة فروعها. ولا بد من الاخذ بالمنطق العلمي الحديث
في تفسير الظواهر اللغوية، معتمدين على التجربة والاختبار والمقارنة

للتأكد من صحة تلك التعليقات أو بطلانها، والا اقتصرت معرفتنا باللغة على التلقين والحفظ ، وكان علمنا بها ينتهي بانتهاء الدراسة المدرسية التقليدية، وهذا أسوأ وأخطر أساليب التعلم والحصول على المعرفة .

يكفي أن أشير إلى التغيرات الصوتية التي تصيب الإبنية الثنائية، اسمية أو فعلية، وخروجها بذلك عن القياس الذي اقحمها فيه علماء اللغة اقحاما لضبطها ، لأدلّ على بدائية هذه المفردات، وتعذر حصرها في القياس. وهذا أمر بديهي، ليس فقط في اللغة العربية، بل في جميع اللغات العربية، فإنها من مدخرات النشأة الأولى للغة، أي أنها من عهد ما قبل التنبّه إلى الأخذ بالقياس . ولنقرّر بأن هذه المفردات يجب أن تعالج معالجة خاصة وفق منطق الواقع، واعتبارها من التراث اللغوي الدالّ على قِدَم تاريخها، ومدى التطوّر الذي أصابها، والنمو العظيم الذي بلغته . أما الحكم بأنها كلّها كانت قد جاءت وفق صيغة قياسية ثابتة، وإنها أصيبت بعلّة ذهبت بعجزها، فأمر أقرب إلى الصناعة منه إلى السليقة والطبيعة، واللغة ظاهرة تُرافق المجتمع في نشوئه ونموّه وتطوره ؛ لم تُصنّع مسبقا وفق مقاييس موضوعة أصابها الاختلال بحكم التطور، بل العكس هو الصحيح .

ثم إن القصد من الميزان الصرفي والقياس عليه ليس هو بالتأكيد إخضاع جميع مفردات اللغة له ، بل أنه وسيلة من وسائل الكشف عن خفايا اللغة وأسرارها، لتمييز أصناف المفردات، وليس لتصنيع الأصول .

وهنا لا بد من الإشارة إلى اختلاف العلماء القدامى من المحدثين في تقييم الأصوات المعروفة بأصوات الحركة الآن (١٧)، والتي تقابل مجموعة الأصوات المعروفة عند القدماء بحروف المدّ والعلّة والحركات جميعا (١٨) ، أي ما يسمى في اللغات الأوروبية بـ Vowels .

وإذا كانت الأصوات الصحيحة تقوم بإعداد الهيكل أو البناء الأساسي للكلمة، وتؤدي المعاني المطلقة لها، فإن أصوات الحركة تقوم بإعداد الأوجه المتعددة لجزئيات ذلك المعنى ومشتقاته . وعلى ذلك فإن

صياغة الإبنية المختلفة للمعاني المتفرعة من المعنى المطلق تعتمد في معظم الاحوال على اصوات الحركة هذه (١٨)، ولذلك فقد عنيت الدراسات الحديثة عناية فائقة بتحديد هذه الاصوات وتصنيفها، وبحث آثارها في التشكيل اللغوي . ولم يهمل اللغويون العرب هذا الجانب ، بل اشبعوه بحثاً، ولكن دراساتهم لهذه الاصوات جاءت ضعيفة مرتبكة، ولم تصل الى درجة اقناع الباحث الحديث بالاكتماء بها (١٩)، ولذلك اسباب، قد يكون اهمها ، اقتصر العلماء في هذه الابحاث على الدراسة النظرية، وانعدام وسائل الاختبار الآلية الحديثة التي حَقَّقَتْ نتائج مذهلة في علم الاصوات اللغوية ؛ وهو العلم الذي كُشِفَ لنا عن أن دراسة اللغة لا يمكن أن تتم بصورة صحيحة ودقيقة الا من خلال دراسة الاصوات اللغوية علمياً، وبالوسائل المختبرية التي استُنْهِطَتْ لمثل هذه الدراسات، فأساس اللغة هو التشكيلات الصوتية . وقد كان الخليل بن أحمد من أوائل علماء العالم في القرن الثاني الهجري (٢٠)، بل أول من تنبّه الى دور الصوت في نشوء اللغة، ودرّس الاصوات ومخارجها، كما هو معروف، في كتابه العين (١٧)، ولكنها كما قلنا دراسة نظرية اعتمد فيها الخليل على اجتهاده وتعليقاته، وما بين يديه من معرفة سابقة بهذا الشأن . واذا كنّا نحكم بأن علم الخليل، أو ما في العين . والكتب الاخرى التي دونت بعده، كان كاملاً أو متكاملًا، فإننا نحكم على المعرفة البشرية بالجمود والتوقف، والعلم باللغة وأسرارها عِلْمٌ نامٍ، واللغة ترافق الانسان، والانسان في تغير دائم، ووسائل الكشف من الحقائق تزيد وتناق، وما كنا نعتقد فيه نهاية المعرفة وغايتها بالامس، أصبح اليوم من المعرفة السطحية. والخليل لم يكن الا واحداً من الباحثين العباقرة، ولكنه أنتهى الى جزء من المعرفة ووقف، ولا بد من الاستمرار والتقدم والكشف الجديد ، والا لاصبحنا نسخاً مكررة بلا حياة لمن مضى .

اذن فالبدء من حيث انتهى الخليل وغيره من العلماء، واعادة النظر فيما قدموه، وتصويب البعض وفق الرؤية الحديثة لعلم اللغة ودراستها، أمر لا بد منه. وأول ما يلفت نظر الباحث الحديث هو

الارتباك الذي حصل في تفسير الظواهر اللغوية لدى العلماء العرب، بسبب ما وقعوا فيه من الوهم في دراساتهم للأصوات اللغوية، ولا سيما أصوات الحركة (٢١)، وأول وهم كبير وقعوا فيه، وكان سببا لكثير من التعليلات الخاطئة، هو اعتبار أصوات الحركة ساكنة (٢١)، والأصل في هذه الأصوات أنها حركات تساعد على انطلاق الأصوات الحبيسة من مخارجها، فالصوت الساكن في الحقيقة هو الصوت الحبيس ذو المخرج، وحروف المد في مثل الكلمات : عالم وكاتب وعليم وحكيم وخجول وصبور، حركات طويلة تطلق الحبيسات التي قبلها . وإذا وردت أصوات مشابهة لها في بدء الكلمة نحو: (ولد) و (يبر) و (أمل) فإنها أصوات حبيسة، حركتها الفتحة وأطلقتها . ولعل السبب في هذا الارتباك هو الرموز الكتابية نفسها، ولا بد لنا هنا من وقفة قصيرة عندها لنكشف عن بعض هذا الغموض .

دلت الدراسات الحديثة للغات العربية وتاريخها، على أن الالفباء العربية مشتقة أصلا من أبجدية عربية قديمة، هي الأبجدية الكنعانية : أبجد . هوز . حطي . كلمن . سمفص . قرشت (٢١)، ولسنا هنا بصدد الإشارة إلى الأصوات الصحيحة، فقد خلعت من تعقيدات التقييم والرسم . بل أن ما يعيننا الآن هو الأصوات الحركية فيها الممثلة بـ (ا) أبجد، و (ياء) حطي و (و) هوز فقط . والباحث المدقق يجد أن الأصوات اللغوية هنا تذكر داخل تشكيلات قد تساعد على تعيين كل صوت عند النطق، فالف أبجد و واو هوز هنا يرمزان إلى أصوات صحيحة تشترك في بناء الكلمة . فالاهتمام عند نشوء الكتابة الأبجدية كان منصبا على الأصوات التي تشكل البناء، أي الأصوات الصحيحة، أما أصوات الحركة فلم تكن موضع دراسة أو اهتمام أول الأمر مطلقا . وأذن فالقيمة الصوتية لهذه الرموز هي كقيمة الأصوات الصحيحة الأخرى، ولا تختلف . ولكن عندما بدى بالتدوين الواسع وقصد الضبط الصحيح لشكل الكلمة لحفظ سلامة النطق عند القراءة، شعر الكتاب

بضرورة ايجاد رموز تحقق هذا القصد؛ وكان ان استخدمت اول الامر
 هذه الرموز للدلالة على الحركات الطويلة، والنهايات الاعرابية التي قد
 يؤدي اهمالها الى الخطأ . وقد سبق ان فعلت البابلية القديمة والاكدية
 والعربية الجنوبية والاوغاريتية ذلك؛ فالنماذج اللغوية في هذه اللغات
 تؤكد استعمالها في مواضع الحركات الطويلة والنهايات الاعرابية (٢٢)؛
 لكل المفردات البابلية والاكدية تنتهي بأصوات حركية لتدل على
 وظائفها النحوية في العبارة؛ وهي تشابه الحركات الاعرابية في اللغة
 العربية تماما؛ فالواو للرفع، والالف للفتح، والياء للكسر. والملاحظ ان
 الإعراب في اللغات الاكدية يظهر حتى في الضائير المنفصلة، اذ تنفخ
 نهاياتها الحركية حسب مواقعها في الجملة؛ فتكون مرفوعة بالواو،
 ومفتوحة بالالف ومجرورة بالياء (٢٣) . ولكن هناك مرقا واضحا بين
 رموز الكتابة المسامرية والابجدية الكنعانية؛ فالخط المسامري الاكدي
 مشتق من الخط المسامري السومري، الذي يدل الرمز فيه على المقطع
 المؤلف من صوت صحيح مع الحركة التي ترافقه. فاللغة السومرية
 اعتمدت الاساس المقطعي في تمثيل الصوت، وهو مقارب للنظرة الحديثة
 الى الأصوات اللغوية، الى حد ما، التي تدعو الى الكتابة الصوتية.
 ومعنى ذلك تمثيل كل صوت، سواء اكان صحيحا أم حركة، برمز، وكما
 هو حاصل في اللغات الاوروبية بصورة عامة . اما الابجدية الكنعانية
 فقد اقتصرت، كما قلنا، على رموز الاصوات الصحيحة؛ وهذا هو سبب
 الارتباك الذي وقع فيه العلماء العرب عند بدء التدوين، ومحاولة
 الانتقال بالابجدية الكنعانية الى مرحلة من التطور يستطيع فيها كتابة
 اللغة العربية كتابة صحيحة، تتمثل فيها كل الاصوات الحركية الضرورية
 لسلامة النطق وحفظ الصيغ من الخطأ . ولكن الابجدية كانت قد
 استقرت بعد محاولات متعددة لتطوير بعض رموز الاصوات الصحيحة،
 للتعويض عن رموز الاصوات التي كانت تفتقر اليها الابجدية الكنعانية؛
 واستخدم التنقيط لهذا الغرض (٢٤)، وارتفع بذلك عدد الاصوات
 الصحيحة الى ثمانية وعشرين رمزا بدلا من اثنين وعشرين؛ واستخدمت
 الرموز (أ) و (و) و (ي) الصحيحة لرسم الاصوات الحركية الطويلة

في نهاية المفردات الفعلية والاسمية، في الحالات التي استقرت عليها
 فيما بعد قواعد استخدامها للوظائف النحوية، كما كانت تستخدم سابقا
 في اللهجات الكنعانية القديمة (٢٥) وفي الصيغ التي تكون حركة مائلها
 صوتا طويلا، نحو: (قال) و (مال) و (جيد) و (زير) . وقد مرت
 الكتابة العربية قبل الاستقرار على هذا الوضع بعدد من المراحل،
 لسو رجعنا الى القرآن الكريم لاكتشفناها: « وقاتلوا في سبيل الله » (٢٦) .
 « ولكن أكثر الناس لا يشكرون » (٢٧) « فيضعفه له أضعافا » (٢٨)
 « وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم
 وبقيته مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة » (٢٩) « بل الله
 مولكم وهو خير الناصرين » (٣٠) و « اذ تصعدون ولا تلوّن على احد
 والرسول يدعوكم في اخراكم فأتبكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » (٣١)
 « وعاتوا اليتيم أموالهم » (٣٢) و « ان خفتم الا تقسطوا في اليتيم ما نكحوا
 ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما
 ملكت ايمنكم ذلك ادنى الا تعدلوا » (٣٣). ولو راجعنا القرآن الكريم كله
 لوجدنا الرسم القرآني يشير الى تاريخ الكتابة العربية وهو فترة
 محاولة تطوير الابجدية الكنعانية وفق أصوات اللغة العربية في
 مرحلتها الثالثة، أي مرحلة استقرارها لغة مستقلة انفردت بخصائص
 حضارية تقدمت بها على اخواتها وخلفتها ورائها ، ثم وصلت الى ما وصلت
 اليه من الاتساع والازدهار بفضل العناية بلغة القرآن، ورغبة في
 صيانتها وحفظها في اوضح صورة واكمل وجه .

ولما وجد العلماء العرب ان الرموز الثلاثة المذكورة، والتي
 استخدمت لعملين مزدوجين هما: قيامها بدور احرف البنساء عند وجودها
 في صدر الكلمة، ودور أصوات الحركة الطويلة التي تقوم باضفاء
 المعاني الجديدة على البنساء، لا تكفي للدلالة على كل ما لاصوات الحركة
 من صفات وخواص، فقد تكون هذه الاصوات طويلة او قصيرة او
 مفتوحة او مغلقة ، كما تُستخدَم لوظائف نحوية (الاعراب) بالاضافة
 الى وظائفها الصرفية ، عمدوا الى ايجاد رموز تضاف الى رسم
 رموز الاصوات الصحيحة حسب أحوالها الصرفية والنحوية، ولا تفسر

في شكل الرموز أنفسهم، لأنها عارضة تتغير بتغير الوظيفة الصرفية أو النحوية ؛ ووجدوا أن هناك تشابها بين الاصوات الصحيحة التي ذكرناها سابقا وهي (ا) (أبجد) و (واو) (هوز) و (ياء) (حطي) في الصفات ، وهذه الاصوات الحركية التي تلاحظ بعد نطق كل صوت صحيح في بناء الكلمة ، ووجد أن الصوت الحركي الذي يرافق اصوات الكلمة (كُتِبَ) ، مثلا ، وهي الحركة القصيرة على الكاف والتاء والياء ، يشبه صوت المد الذي مُمثل له بالك إِبجد ، يُسمي بفتحة ، وأُتخذ من رسم مصفر للآلف رمز له . وهكذا أُتخذ من رسم مصفر للواو رمز للضمة ومن رسم مصفر للياء رسم للكسرة . وتسم بذلك تمثيل اصوات الحركة الطويلة بالاصل الصحيح ، ويرسم مصفر لهذا الاصل للحركة القصيرة . وبقيت بعض الاصوات الحركية التي لا تُرد إلا قليلا في الفصحى وتكثر في اللهجات الكلامية دون رموز ، كصوت الإمالة والاشمام (٢٤) وبعض الاصوات المركبة (٢٥) .

يبدو واضحا مما تقدم أن هناك نقصا في تمثيل اصوات الحركة في الرسم العربي ، وأن هذا النقص كان أكبر وأوسع في بدء الدراسات اللغوية العربية ، فقد تطورت الكتابة العربية ، كما يلاحظ من الرسم القرآني ، حتى وصلت الى الرسم الحديث تطورا ملحوظا ؛ وهنا لا بد من ذكر أمر مهم جدا ، وهو أن الدراسة اللغوية العربية بدأت بدراسة اللغة المدونة ، واقتصرت على العربية فقط ، دون ملاحظة اللغات العربية الأخرى التي اشتركت في الاصول مع اللغة العربية ، واستقلت عنها ، وخضعت لعوامل غير العوامل التي خضعت لها العربية القرآنية ، لتغير وتطور فيها ما تغير وتطور ، ثم عادت لما شتكت مع العربية من جديد من حيث الرسم الكتابي والاصول اللغوية بأشكالها المستقلة المتطورة . وأن عملية الانفصال والانشام هذه غيرت وطورت الكثير من هذه اللغات ، وأن الدراسة المقارنة لا بد منها لتقرير حقائق تطور اللغة . كما أن اللغات الكلامية لم تحظ بالدرس إلا بقدر ما أخذ من اللهجات التي عدها علماء اللغة من الفصحى ، بالإضافة الى

نقص في وسائل البحث اللغوي والتجريبي . كل ذلك أدى الى وقوع العلماء في كثير من اللبس والغموض في تحليلاتهم الصرفية والنحوية (٢٥)، فقد كانت التحليلات مستنبطة من الصورة المرسومة لا الاصل المنطوق .

ان هذا النقص في وسائل البحث اللغوي، من نقص في الرسم الكتابي الى نقص في التجربة والاختبار، أدى كما نرى الى ارتباك في التحليل، فقد ميز علماء اللغة الابنية اللغوية وحددوا أسس قياسها، وهي أنها لا تُبنى الا من الاصوات الصحيحة، وهذه حقيقة أكدتها الدراسات الحديثة، ثم عادوا، ولما وجدوا ابنية لا يشترك فيها الا صوتان صحيحان، مرمضوا ما قالوا أو رجعوا عنه، فعدّوا الصوت الحركي منقلبا عن أصل صحيح مماثل، وحاولوا تطبيق قواعد تصريف الثلاثي عليه، فوجدوه شاذا ولا يقبل هذا القياس الا بعد تعنت وعناء، فحاروا في تحليل ذلك ووتعوا في كثير من التوهّم (٢٦) .

وسنحاول الكشف عن بعض أسرار الصيغ الثنائية والثلاثية بدراسة مقارنة في اللغات الاكدية والعبرية والعربية، لعلنا نستطيعلقاء بعض الضوء على ما غمض منها في الصفحات القادمة .

ولما كانت العربية تمثل اقدم وأوسع لغات الجزيرة العربية العربية ، وتظهر فيها كل الصيغ الصرفية التي تحتلها ابنية الكلمة في هذه اللغات مع كامة الاشتقاقات الممكنة ، فاننا سنأخذ من صيغ الثنائية والثلاثية ، وهما اقدم بنائين للكلمة فيها ، أساسا للمقارنة بينهما وبين ابنية الكلمة في اللغات الاخرى من هذه الاسرة .

واذا استثنينا الثنائية التي ما زالت موضع جدل بين العلماء (٢٧)، والتي سنحاول اثبات أصالتها وقدمها ، فسان الثلاثية هي الصيغة المشتركة بلا جدل (٢٨) بين هذه اللغات ، والمجردة من الزيادة، على رأي من يقول بأنها أصل الثنائيات (٢٩)، أو أصل الصيغ جميعا على رأي آخر (٣٠) . أما الصيغ الرباعية والخماسية فانها، وفق منطق اللغة، متأخرة جاءت الزيادات فيها نتيجة تطوّر الثنائيات أو الثلاثيات

في اغلب الاحوال (٤١)، ولذلك فأننا لا نستطيع الاعتماد عليها في الدراسات المقارنة الا قليلا ؛ كما أنها قليلة العدد اذا قورنت بالثنائيات والثلاثيات في جميع لغات هذه الأسرة ، وتقتصر على ابنية دون أخرى ؛ اذ ليس في العربية فعلٌ مجرد يُبنى على أكثر من أربعة اصوات، ولا اسم مجرد على أكثر من خمسة اصوات . وامثلة هذه الابنية قليلة تُعَدُّ على الاصابع (٤٢) .

ولو اجرينا دراسة دقيقة للمفردات وابنيتها في اللغة العربية وفي لغات الجزيرة العربية الاخرى ، لوجدنا أن بالامكان ارجاع معظم مفردات هذه اللغات الى البناء الثنائي ؛ وهو أبسط صورة لبناء الكلمة، ليس فقط في لغات الجزيرة العربية، بل في جميع اللغات ؛ فالوحدات اللغوية الوحيدة المقطع Monosyllabic ربما كانت هي الاصول الاولى التي نشأت منها وتطورت الوحدات المتعددة المقاطع (٤٣)، إمّا بتغيير الحركات الداخلية، وإمّا باضافة مقاطع خارجية الى صدورها أو احشائها أو اعجازها، كما في نحو: حُرَبٌ . حُرَبٌ . وَكُتِبَ . كُتِبَ بالتغيير . ويكتب وتكتب ونكتب، باضافة صدر، وكتب وتكتبنا، باضافة عجز ، وَيُكْتَبُ وَيُكْتَبُ ، باضافة حشو . ولم يَلُت العلماء العرب ما يجري على الابنية الاصول من تغيرات شكلية يُعَصِّدُ بها تغيير الدلالة؛ بل لا اكون مغالية اذ قلت بأن علماء النحو واللغة العرب ماتوا جميع علماء اللغة في استقصاء اصول الكلمة، وما يجري عليها من تغيير، وما يمتريها من تطور بالاعلال والابدال والقلب والحذف والادغام (٤٤)، ولو اجرينا مقارنة بين ما توصل اليه العرب من نتائج مذهلة في ابواب التصريف والاستقاي في اللغة العربية، وما تم في اللغات الاخرى من ابحاث مماثلة، لوجدنا الاخيرة هزيلة لا تغني ولا تسمن الى جانب ما كُتِبَ وصُنِّفَ وألّف من مؤلفات في الاستقاي والتصريف في العربية. واذا كان حرص العلماء وجهدهم المضني في البحث والاستقصاء هو السبب الاول لكل هذا الانتاج الغزير ، فان سعة اللغة نفسها والقواعد الدقيقة المحيرة للعقل التي سارت عليها والتزمت بها، هو السبب المباشر الذي اثار العلماء وحفزهم على

التعمق في البحث والفوص وراء أسرارها . ولا ينتقص من هذا العلم وهؤلاء العلماء أن بعض ما توصلوا اليها من نتائج يُعَوِّزُها الدقة المبنية على الاختبار والمقارنة، وبحاجة الى إعادة النظر فيها وفق أسس علمية ساعدت الوسائل العلمية الحديثة على اكتشافها .
 فالخليل، وهو أول من درس الاصوات ومخارجها، لم يكن يملك من وسائل الاختبار الا فكره وتجربته الذاتية في نطق الحروف، ثم تحديد مواعدها في جهاز النطق (٤٥)؛ وعلى الرغم من ذلك فقد أصاب في الكثير من النتائج التي توصل اليها . ولو توافرت له وسائل الاختبار الحديثة، وعرف ما بين اللغات من صلات، وما يجري عليها من تطورات عبر الزمان، اذن لكنت نتائجه أدق بكثير مما هي، بل ربما كانت الغاية في الدقة .

وتسد قال الخليل: «كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي » .

وأصاب في ذكر الثنائي بأنه البناء الذي يتألف من صوتين صحيحين؛ وذكر لذلك الامثلة: « قد . هل . لو . بل » . ولكنه لم يُصَبِّ إذ حدّد هذه بأنها تكون في حروف المعاني فقط ، أما الاسم والفعل فلا يردان على اقل من ثلاثة؛ وفاته ان الكلمات الاسمية : (أب . أم . أخ . ثم . ثم) لا تختلف من حيث البناء وعدد الاصوات الصحيحة عن بناء الامثلة التي ذكرها . وأساس البناء كما حدد هو الصوت الصحيح ؛ وربما كان السبب في ذلك هو خضوع المفردات الاسمية والفعلية للاعراب والاشتقاق والتصرف ، وجمود ابنية حروف المعاني في حالة لا تقبل التغيير . والتغيرات الداخلية للحركات، وزيادة اللواحق والسوابق، تؤدي بالضرورة الى تغيير الحركات النهائية للكلمة وفق نُظْم لا يتسع المجال هنا لشرحها . يكفي أن نشير الى أن اللغة الاكدية كانت ، وهي اقدم صور لغات الجزيرة العربية، تتميز بأنها أكثر وأقوى صلة باللغة العربية من اخواتها، فهي مخدونة اخواتها العبرية والإرامية تلتزم بالاعراب في جميع الحالات، ونهايات الاسم تحصل علامات الاعراب، ليس بالحركات كما في العربية، وانما بأصوات المد أو

حروف العلة (و) «٤٦» و (ي) ، وأن الصيغ الثنائية نحو:

طيب —	tabu	و بعيد —	Ruku	و منير —	ellu
ورب —	Rabu	و واطىء —	Nadu	و خالد —	Daru
و ناس —	Niṣu	و اله —	Ilu	و سماء —	Šama

كل هذه الصيغ ثنائية، والنهاية الحركية هي علامة الاعراب في حالة الرفع، كالعربية تماماً . ولكن الحركات، كما قلت سابقاً، لم تضاف الى الكتابة الا بعد عصر التدوين القرآني أو في حينه ؛ ولذلك فقد رُسم العرب جميعاً الحركات بهذه الحروف . ولعل هذه النهاية الحركية التي كانت ترسم في الكتابات الاسلامية الاولى بأصوات المد، جرياً على المألوف في ذلك الوقت في الكتابات العبرية والآرامية والنبطية، هي التي أوقعت العلماء في اعتبارها جزءاً من أصل البناء سقط عندما أهمل فيما بعد الاعراب في اللغات العبرية والآرامية، كما هو معروف، وبقي في العربية «٤٧» . أشير هنا الى مسألة إعراب الاسماء الخمسة، او الستة، واختلاف العرب في اعرابها بالحركات أو بالحروف، وجدل النحاة حولها، وصلة ذلك بالاشتباه بين الحركات والحروف .

وإذا عدنا الى لغات الجزيرة العربية جميعاً - والعربية تمثل الأوسع مادة والادق ضبطاً والاقدم تاريخاً - واستعرضنا الثنائيات فيها، لوجدنا انها تتفق جميعاً في أن الصيغة الثنائية فيها، الاسمية والفعلية، تشمل طائفة كبيرة جداً من المفردات تكاد تفوق الثلاثيات عدداً . وانها تنظم الفئات الآتية :

١ - الأفعال الناقصة من حيث التصريف والوظيفة النحوية ، وعددها كما ذكرها النحاة سبعة عشر، منها احد عشر فعلاً ثنائياً، هي : كان . صار . ظل . بات . أض . عاد . غدا . راح . ما (برح) . ما (دام) . ما (زال) . وليس «٤٨» .

وليس في الاكدية أو العبرية أفعال ناقصة بالمعنى المعروف في العربية . ولسم تشر الدراسات اللغوية التي قام بها المستشرقون الى أن ما يماثل هذه الأفعال يختص بوظائف نحوية تتميز بها

عن الاعمال الاخرى ، وان كانت موجودة بصيغها ودلالاتها .

فكان في الاكدية — Kanu وفي العبرية 𐤏𐤍

تعني استقام او تمكن . وُصار في العبرية 𐤕

تعني تحجر أو تصلب من 𐤏𐤍 حجر . ويتم نصريف

هذه الاعمال كالعربية وفق الاحكام الصوتية المعروفة في قوانين علم الصوت ؛ وسنأتي الى تفاصيلها في بحث مستقل لاحق (٤٩) .

٢ — الاسماء المعروفة بالاسماء الستة عند النحويين القدامى، وهي

الاسماء التي اختلف في اعرابها النحاة، فمنهم من قال بأنها تعرب بالحركات، ومنهم من قال بالحروف (٤٩)؛ وهي في الحقيقة لا

تخضع لاحكام الاعراب المعروفة لانها من ذوات المقطع الواحد القصير، ويتطلب الصاق اللواحق بها مدّ حركاتها النهائية، كما

في نحو : ابوك واخوك وفوك ؛ وعند الأفراد تُعرب كما تُعرب الاسماء الاخرى : جاء الاب ، ورايت الاخ (٥٠)

وقد ذكر منها النحاة ستة فقط هي : اب . اخ . حم . فو .

ذو . وهن ، في العربية ؛ وفي الاكدية والعبرية ما يقابلها ولكنها

تنتهي في الاكدية والاشورية، كما ذكرنا سابقا، بالحركات الاعرابية

التي كانت تُرسم آنذاك بحروف المدّ اي بالواو والالف والياء

بدلا من الحركات، على النحو الآتي :

اب = abu . اخ = ahu حم = Hamu

سم = Pu . اما في العبرية فانها تُرسم بصوتي البناء

الصحيحين فقط، بغير النهاية الحركية لزوال الاعراب في هذه

اللغة الا في حالة الاضافة، وتُحرّك عند ذاك بالياء ؛ وتكتب على

النحو الآتي في حالتي الرفع والنصب : اب = 𐤏𐤍

اخ = 𐤏𐤍 . ذو = 𐤏𐤍 . فاه = 𐤕𐤍

ويلاحظ هنا ان بعض هذه الاسماء أحادية البناء في اللغات

الثلاث، اي انها تتألف من صوت صحيح واحد وحركة مدّ

طويلة. والواقع ان كل الأحاديث في جميع اللغات تنتهي بحركات

مد طويلة (٥١) . ولا تقتصر الكلمات الأحادية على هاتين الكلمتين في لغات الجزيرة العربية ، فهناك طائفة كبيرة منها في كل لغة من هذه اللغات ، نذكر منها في الاكدية :

لو = Lu ثور وحشي . مو = Mu ماء .
قا = Qa قياس . و تو = Tu سحر . ومثلها
الضائر المنفصلة للمفرد والمؤنث الغائب Su = شو، و
Si = شي للمذكر .

وفي العبرية גא = گا (بالكاف الفارسية) وكذلك
גכ = كي بمعنى فخور . גח = گا بمعنى
سهل . גז = كي بمعنى علامة . גח = مي
بمعنى من . גח = نا بمعنى (ني - غير مطبوع) .
גח = ني بمعنى نحيب . גח = فا بمعنى
استلرخ . גח = ري بمعنى ري . גח = شا
بمعنى هدم . גח = نا بمعنى غرفة (٥٢) .

٣ - الاسماء الثنائية، عدا الاسماء الستة الوحيدة المقطع ، وهي
كثيرة في جميع اللغات العربية .

وهي إما أن تكون وحيدة المقطع قصيرة الحركة وتكون على
اصناف، منها ما :

١ - يكون مفتوح الاول، وهو الغالب، نحو :
قَد . يَد . يَم . دَم . غَم . هَم . كَف . كَف . رَف . خَد .
جَد . صَف . يَط . رَب . حَج . ضَب .

٢ - يكون مضموم الأول، نحو :
أَم . دُب . جُب . خُف . دُر . مُر . حُق . بُر .

٣ - يكون مكسور الاول، نحو :
قَط . هَر . زَق . رَق . شِص . دِن . كِن .
وفي اللغات الاكدية والعبرية ما يقابلها تماما .

٤ - الاسماء الثنائية ذات النهايات الحركية الممدودة نحو :

فتى . صبا . هوى . نوى . جوى . عصا . قفا . مها . قطا .
رلى . علا . سُها . ربا .

٥ - الأفعال المعتلة ؛ وذكر النحاة ثلاثة أصناف منها :

المثال، وهو ما كان فاؤه حرف علة، نحو : وعد . وهب ؛ والاجوف،
ما كان عينه حرف علة، نحو : قال ومال ؛ والناقص، ما كان لامه
حرف علة .

ولو أئمننا النظر لوجدنا أن المثال الأول سالم وليس معتلاً ؛ فالواو
في (وعد) ليس صوتاً حركياً أو حرف علة بل هو صوت صحيح،
مخرجه من بين الشفتين كالياء والميم، واختفاؤها عند تغيير البناء
ليس واجبا وإنما هو ظاهرة حضارية، ثبتت في اللغة الكتابية فقط
وبقيت في لهجات الكلام منحنٍ نقول (يوعد) و (يوهب)، وهو
بذلك ثلاثي صحيح .

أما المثالان الثانيان وهما الاجوف في نحو (قال)، والناقص في
نحو (سمي)، فثنائيان و (ا) المد و ياؤه حركتان طويلتان لفاء
الكلمة . وإذا تذكرنا أن (ا) المد تلفظ غالباً في اللهجة الكلامية
أقرب إلى الواو المفتوحة منها إلى الألف، وإنما تلفظ (واوا)
مفتوحة في العبرية، وتكتب بالواو، لعرفنا لماذا تصبح (واوا) في
المضارع فأنهما في العبرية تكتب לפא = قول .

ومعنى ذلك أن المفردات الثنائية تفوق في العدد الثلاثيات ،
وإن معظم الثلاثيات تطوّرت من أصول ثنائية .

- (١) انظر البحث الذي نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع والعشرون ، سنة ١٩٧٤ ، حول لغات الجزيرة العربية العربية .
- (٢) الخليل : المين ، (١٠٠ - ١٧٥ هـ) تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، « كلام العرب مبني على أربعة اصناف . على الشافي والثلاثي والرباعي والخماسي » .
- (٣) سيويو . الكتاب . تحقيق هرتويغ-درنبرج . الجزء الثاني ص ١٩٦ .
وينات الحرفين في الكلام قليل .
- (٤) الاب هنري فليش . تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين . ص ٥٣ .
- (٥) المعاجم العربية .
- (٦) نقصد باللغة اللهجة التي دُون بها ؛ فاللغة لهجة حتى تُكَب وتَدُون ونعم فواعدها في التعليم والكتابة .
7. L. A. Lipin. The Akkadian Language, p. 72.
8. L. W. King. First steps in Assyrian, p. L III.
- (٩) صوت اللين لا يُكَد جزءا من بناء الكلمة، فهو حركة طويلة ٤ وصوت العلة في أول الكلمة يُكَد صوتا صحيحا، ولا تعتبر لذلك الاعمال أو الاسماء المبدوءة بأصوات العلة معلة الأول، نحو: ولد . يد . ومى . ومى .
- (١٠) ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا ، معانييس اللغة . المعجم كله يبدأ بالابنية الثنائية في كل حرف من حروف الابجدية ثم ينتقل الى الابنية الثلاثية، وهكذا يبدأ الخليل بالمين ، وفعل غيره من علماء المعاجم .
- (١١) الالفاظ ثنائية ، يشدد فيها الثاني عند الاسناد الى بعض الضمائر فقط .
12. L. A. Lipin. The Akkadian Language, p. 72
- (١٢) الاب هنري فليش اليسومي . تحقيق عبد الصبور شاهين ، سنة ١٩٦٦ . ص ٥٣ .
- (١٤) سيويو ، الكتاب الجزء الثاني ، تحقيق درنبرج . ص ١٩٦ .
- (١٥) الخليل بن احمد : المين ، تحقيق الدكتور عبد الله درويش . ص ٥٥ .
- (١٦) الخليل : المين ، ص ٥٦ .
- (١٧) الاب هنري فليش اليسومي ، ترجمة عبد الصبور شاهين . ص ٥٣ .
- (١٨) جان كاثينو ، تعريب صالح القرماذي . ص ١٢٧ وما بعدها .
- (١٩) ابن جني : سر صناعة الاعراب ، تحقيق لجنة : مصطفى السقا ، ابراهيم مصطفى السخ . ص ١٩ وما بعدها .
- (٢٠) ان الشكوك التي تحوم حول نسبة كتاب المين الى الخليل لا قيمة لها من وجهة النظر العلمية، وما هو مدون في هذا الكتاب ان لم يكن من علم الخليل وقوانينه

هو من علم القرن الثاني الهجري وهو انتم تاريخ صنف فيه شيء في دراسة
الاصوات اللغوية بمصد كتاب يانين الهندي في القرن الرابع ق. م.

(٢١) جلال الدين السيوطي ، المتونى ١١١٠هـ . طبعة ١٣٢٧هـ . الخاتمي ، الجزء الثاني .
ص ٢١١ .

22. L. W. King. First steps in Assy. p. XXXVII

23. L. A. Lipin. The Akkadian Lang. p. 109.

(٢٤) محمد الانطاكي : الوجيز في لغة اللغة . ص ٨٩ .

25. Gesenius. Hebrew Gram. P. 37.

(٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) الايسات من سورة البقرة .

(٣٠ ، ٣١) من سورة آل عمران .

(٣٢ ، ٣٣) من سورة النساء .

(٣٤) جان كانتينو : دروس في علم الاصوات العربية . ص ١٧١ .

ظهرت الامالة والاشمام في بعض القراءات القرآنية، ولا شك انها تمثل أصواتا
قديمة في اللغة العربية، ولوجودها في اللغات العربية الاخرى، كالأكدية القديمة
والعبرية الكتابية والآرامية ، وما زالت في العبرية الحديثة واللهجات السريانية،
وكذلك الاصوات المركبة، وهما صوتان للفتحة المركبة والواو المركبة كما في كلمة
”بيت و يوم“ وتمثلان في اللغات الاوروبية بـ al و au

(٣٥) ابن جنى ، سر صناعة الاعراب . احيل هنا القارئ الى تحليل وتحليل ابن جنى
لمعلاقة الحرف (الصوت المنحني) بالحركة، هل هي قبله ام معه ام بعده -
والحديث طويل لا مجال لنقله - لرى مقدار الفوضى والفارق الكبير بين الرؤية
المبنية على الوهم، والرؤية الحديثة المبنية على الاختبار والتجربة والواقع .
ص ٣٠ وما بعدها .

(٣٦) ابن الحاجب : الشافية ، شرح الرضى . ج ١ ص ٦ .

(٣٧) السيوطي ، المتونى ١١١٠هـ . مع الهوامع . ج ٢ ص ٢١٢ .

38. L. A. Lipin. The Akkadian Language. p. 71.

(٣٩) ابن الحاجب ، المتونى ١١٢٦هـ : الشافية ، شرح البغدادي . ج ١ ص ٦٠ .

(٤٠) ابن مالك ، الالفية وشرحها أوضح المسالك لابن هشام . ج ٢ ص ٢٠٤ .

41. L. A. Lipin. The Akk. Lang. p. 72 - 73.

42. L. W. King. First steps in Assy. p. LXXXVII

43. Leonard Bloomfield. Language. P. 244.

(٤٤) ليس في استطاعتنا هنا ذكر المراجع والمصادر التي صُنِّفت في العربية وعلومها،
عانتها على الآلوف، يكفي أن نقول إن أهم هذه المراجع وضعت في القرن الثاني
للهجرة، ولم يكتب شيء مماثل لها أو مقارب في اللغات الأخرى إلا في القرن
الثامن عشر للميلاد .

(٤٥) الخليل : المين ، تحقيق د . عبد الله درويش ، وإنما كان ذواته إياها (ويقصد
الاصوات) أنه كان يفتح فاء بالالف ثم يظهر الحرف نحو اب . ات . أح الخ .

46. L. King. First steps in Assy. P. LVII

47. L. A. Lipin. The Akk. Language. P. 157.

(٤٨) ابن الحاجب : الكافية ، شرح الاسترلابي . ج ٢ ص ٢٩٠ .

49. Langenscheidt. Heb. Diction.

(٥٠) السيوطي : معجم الهوامع . ج ١ ص ٢٨ .

(٥١) آدمس، القارئ إلى ملاحظة الأحاديث في الإنكليزية :

zoo, See, do bee, sea, too, you, we, he, she, tea,
key.

وفي الفارسية . دو = اثنان . تا = لقب الإمبراطور أو الشاه للتعظيم . شا =
الملك العظيم . مو = ثمر . سي = ثلاثون . سي = اثم . رو = وجه .
فو = غابة . خو = عادة . جا = مكان . تا = صفحة أو واحد من عدد .
با = قدم .

وفي اللغة الكردية . دو = اثنان . مو = ثمر . رو = وجه . شو = لوج .
جو = ثمر . خو = عادة . ري = طريق . دي = قرية .

52. Gesenius - Heb. gram.

استدراكات على النصوص الشعرية في كتاب "شعراء عباسيون" للمهندس السيد حاتم غنيم

تمهيد :

جُمعُ اشعار من مُقدت دواوينهم من الشعراء امر ليس بالهين ، فهو يحتاج الى التنقيب في كل ما يمكن التوصل اليه من المراجع والكتب المطبوعة والمخطوطة ، ومقارنة الروايات المختلفة واختيار الانسب ؛ علاوة على ترجيح نسبة الشعر الى شاعر ما عند الاختلاف في نسبته باختلاف المراجع ، وذلك بالاعتماد على اسلوب الشاعر، والمناسبة، وتوثيق المرجع، وغيرها من وسائل الترجيح والاستدلال . فاذا اخذنا بالاعتبار ان كثيرا من المراجع المطبوعة لم يُحَقَّق جيدا ولم يُفهرَس ، عَلِمْنَا مدى الجهد الذي يبذل في جمع النصف المتبقية من نتاج شاعر ما . وقد قام المستشرق الدكتور غوستاف فون غرنباوم بجمع اشعار عدة شعراء نشرها مع دراسات وتعليقات قيّمة في مجلة (Orientalia) (١) ، وقد قام الاستاذ الدكتور محمد يوسف نجم بترجمة الدراسات الخاصة بثلاثة شعراء عباسيين ، وصَحَّح بعضها من النصوص، و اضاف اليها شيئا مما فات الدكتور غرنباوم (حوالي ٦٨ بيتا) ثم نشرها في كتاب (شعراء عباسيون) (٢) . وقد قام الدكتور احسان عباس بمراجعة الكتاب .

الشعراء موضع الدراسة :

لا يجمع بين الشعراء الثلاثة الذين تُمَّت دراستهم في الكتاب المذكور سوى وجودهم في عصر واحد، هو بداية الدولة العباسية :

مطيع بن اياس الشاعر اللاهي ، نديم الوليد بن يزيد ، والمستهتر المتهم بالزندقة ، يختلف في نمط حياته ومواضيع أشعاره عن سلم الخاسر، شاعر البلاط المتفرغ لمسح الخلفاء والأمراء والولاة ؛ وكلاهما غريب عن أبي الشمقم الشاعر الفكه المنتقد الساخط المتذمر . وإذا كان هذا الاختلاف يُصعّب المقارنة بين هؤلاء الشعراء، ولا يُشعرنا بوجود مبرر لجمع أشعارهم في كتاب واحد دون غيرهم من الشعراء (٢) ، فلعل مثل هذا الاختيار يساعد في اعطاء الباحثين صورة شاملة لجميع نواحي العصر الذي عاشوا فيه . وقد تَسَمَّ الاستاذ مان غربناوم لمحة موجزة من حياة كل شاعر، والنواحي الفنية التي يتميز بها وتجدر ملاحظتها ؛ وتعليقاته على إيجازها قيّمة ومفيدة للباحثين في تطور الشعر العباسي وتاريخه .

هذه الاستدراكات :

عندما حصلتُ على الكتاب (قبل حوالي عشر سنوات) وبدأت مطالعته ، لم يخطر ببالي تتبّع ما فات الاساتذة الذين ساهموا في جمع نصوصه والتعليق عليه ، وذلك لان عملي في حقل الهندسة يستغرق جُلّ وقتي ، ومثل هذا الهدف يستلزم التفرغ ومراجعة الكتب وزيارة المكتبات (كمكتبة الجامعة مثلا) ؛ وأنا لضيق وقتي لا استطيع الرجوع الا الى المراجع الموجودة في مكتبتني الخاصة ، وهي، مهما بلغ حجمها، يعوزها الكثير من المراجع . ولكنني عندما وصلت في مطالعتني الى آخر ما جمع لسلم الخاسر، وجدت المترجم قد أضاف بيتين عن كتاب « الورقة » اعتبرهما من البحر السريع، وهما (١) :

نخاله مستقبلا مقبلا حتى اذا استدبرته قلت أكب

وهو على أرهاقه وطبّاه يقصر عنه المحزمان واللّب

وبما انني اعرف هذين البيتين في شعر علي بن جبلة العكوك (٥) ، في قصيدة من بحر الرجز ، فقد ظننت في البداية أن صدر البيت الاول فيه خلل، وأن النسبة لسلم غير صحيحة، أو على الاقل مشكوك بها ،

حتى رجعت الى كتاب الورقة (٦) فوجدت البيتين في ترجمة المَكوك ،
حيث ذكر البيت الاول كما يلي :

تحسبه اقمدا في استقباله وهو اذا استدبرته قلت اكْبُ

ثم قال : « وقد أخذ هذا المعنى من سلم الخاسر حيث يقول :

تخاله مستقبلا مقعيا حتى اذا استدبرته قلت اكْبُ

وهو على ارهائه وطيه يتصر عنه المحزمان واللَّبُّ »

فادركت بديهة ان هناك خطأ من الناسخ للأصل استبدل به
عجز بيت سلم (الذي هو من البحر السريع) بعجز بيت علي بن جبلة ،
ثم اكمل بيتي علي (٧) استمرارا في الخطأ ، فتوهم محققا الكتاب (٨) ان
البيتين لسلم ، ولم يوضحا اختلاف البحر بين صدر البيت الاول وبقية
الشعر ؛ ولا بد ان محقق الطبعة الاولى من كتاب الورقة (٩) ، وهي
التي رجع اليها الدكتور نجم ، لم ينبّه ايضا الى هذا الاختلال ، فتبعه
الدكتور نجم في وهمه .

منذ ذلك حاولت ان اجد تكملة بيت سلم في المراجع المتوافرة
لدي فلم اوفق ، ولكنني وجدت في كتاب الوساطة (١٠) بيتا منسوبا
لبعض العرب :

تخاله مستقبلا اقمدا وهو اذا استدبرت مكبوب

ورغم انني لم اقع على قصيدة لسلم على هذا الوزن وبهذه
القافية (١١) ، الا انني رجحت ان يكون هذا هو بيت سلم المذكور في
« الورقة » ، وكلمة (اقمدا) في صدر البيت رواية أخرى للبيت .

وخلال بحثي عن بيت سلم هذا وقعت على بعض النصوص لسلم
ليست موجودة في المجموعة المنشورة ، فدَوَّنْتُها لنفسي أولا ، ثم لما
وجدتها مجموعة صالحة ، عازمت على ارسالها للأستاذ الدكتور نجم ؛
واستكمالا للبحث تَبَّعْتُ بعض النصوص التي فانتت لابي الشعمق ومطيع ،
ولكن الامر استغرق مني اكثر مما قدرت ؛ ثم حدثت عوائق منعتني

من ارسال ما جمع اليه ، وبعدئذ رايت من الافضل نشر هذه الاستدراكات تبقيها للفائدة ، ولكيلا تبقى في انتظار طبعة ثانية من الكتاب لكي تظهر للنور .

وبلغ مجموع ما تتبعته من الابيات ١٥ بيتا لطبع ٤٦ بيتا لسلم و ٤٠ بيتا لابي الشمتقى . ولا اريد هنا ان أهوّن من الجهد الذي قام به جامعو الكتاب ، فكثير من الكتب التي رجعت اليها لم تكن قد طبعت بعد ، وليس ما قمتُ به الا محاولة ارجو ان اكون وُفقتُ بها لاكمال ما بذلوه من مجهود .

الابيات المستدركة على ما جمع لطبع :

١ — تخرجها : الحيوان ٦٠٣/٥ ، الاول في البرصان

والعرجان ٣١٨ (من المنسرح)

١ — قد دلهتني طويلة العنق وحُب طول الاعناق من خلتي

٢ — اقلنى من بعدها فان قُرِبت فالترب ايضا يزيد في قلتي

ب — تخرجها : الابانة ١٥١ (من البسيط)

١ — أبى جزائي على مدحي له وغدا

يمم هاجيه جهلاً بنائله

٢ — فلا يميز من هاجيه مابحه

ولا يحقق فيه ظن آمله

٣ — لو كان للسيف عقل او محافظة

لما كرى جيد جاليه وصاتليه

ج — تخرجها : تاريخ بغداد ٣٥١/١٢ (من الطويل)

١ — وما زال بي حُبك حتى كائني

برجع جواب السائل عنك اعجم

٢ - لاسلم من قول الوشاة وتسلمي
- سلمت - وهل حي على الناس يسلم

د - تخريجها : الابانة ٧٠ (من مجزوء الكامل المرفل)

- ١ - يا ابن الجحاجة القرو م السادة الغر الكرام
- ٢ - والمستضاء برايه وبوجهه وابن الامام
- ٣ - لا تشك عارض علة ولئى ولم يك ذا عرام
- ٤ - فالله جلى ما ترا كم من سحائبها العظام
- ٥ - وكساك عاجل صحة وسلامة طول السقام
- ٦ - والبدر يكسبه المحا قى سنى الاضاء والتمام

هـ - تخريجها : درة الفواص ١٣٩ ، والابيات الاربعة في كنايات الجرجاني
٤٥ منسوبة لحيى بن زياد ، والبيتان الاخيران - وهما
المقطوعة ٦٧ ص ٦٧ من كتاب (شعراء عباسيون) -
منسوبان لطيع في الغيث المسجم ٦١/٢ (من البسيط)

- ١ - امن قلوب غدت لم يحذها احد
الا تذكرها بالرممل اوطانها
- ٢ - خان العقال لها فانبت اذ نفرت
وانما الذنب فيها للذي خانها
اوليتنا منك هجرانا ومقايبة
ولم تزرنا كما قد كنت تغشانا
خفى عليك مما في الناس ذو ابل
الا واينقسه يشرون احبانها

ملاحظات أخرى على ما جُمع لطبع :

أ - المقطوعة ١١ ص ٣٧ من مخرج البسيط وليس من مجزوء البسيط .
وكذلك المقطوعة ١٩ ص ٤١ ؛ أما المقطوعة ٥٢ ص ٦٠ فهي
من مجزوء الرجز لا من السريع .

ب - المقطوعة ١٦ ص ٣٩ هي لمعد الله بن معاوية في مطبع ، ونسبتها
لمطبع و هم .

ج - المقطوعة ١٩ ص ٤١ نسبت لمطبع عن الحماسة ، وهي من
ضمن سبعة أبيات في الاغاني ٣٢٥/١٤ ، منسوبة لحمد عجرد
في رثاء الاسود بن خلف ؛ ومما يرجح ما جاء في الاغاني أن ذكر
الاسود جاء في البيت الرابع :

على صدى اسود الموارى في اللحد والترب والصفح

مما يؤكد أنها في رثاء الاسود وليس في رثاء يحيى بن زياد كما
جاء في الحماسة .

د - القصيدة ٢٣ ص ٤٢ ليست في موت أبيه ولكن في غلام اسمه
محمد بن سالم سافر الى الري ..

ه - المقطوعة ٤٠ ص ٥٤ (ستة أبيات) نقلها الجامع عن الاغاني
لمطبع ، وهي لبشار من قصيدة (٢٦ بيتا) في ديوانه ١٦٩/٣
(لجنة التأليف) ومنها ٢٣ بيتا في الاغاني ١٨٣/٣ لبشار، وفي
نور القبس ١١٨ (٢٣ بيتا) لبشار .

و - لا دليل على نسبة المقطوعة ٤٥ ص ٥٦ لمطبع .

ز - المقطوعة ٧٦ ص ٧٣ ، لم يستقم فيها وزن البيت الاول ، ولو
اطلعنا على ما في الاصل لرجح عندنا ان قراءة البيت يجب ان تكون :
يا مسمى باسم النبي الذي خصَّ به الله عبده زكريا

ح - المقطوعة ٧٧ ص ٧٣ ، جميع أبياتها من الهزج ما عدا البيت الاول، فالرواية المذكورة في الكتاب من مجزوء الوافر . وتصحيح البيت (عن بدائع البدائنه ص ٢١٧) :

الا ينا بأبي الناظر من بينهم نحوي
وهو بهذه الرواية من الهزج أيضا .

ط - في الهفوات النادرة (ص ٣٥٢) قصيدة في هجاء أصفهان لعنراه (??)
الخياط من عشرة أبيات، جاء من ضمنها الإبيات ٤ ، ٥ ، ٦ من
المقطوعة ٣٢ ص ٤٨ .

الإبيات المستدركة على ما جمع لسلم :

١ - تخريجها : كنيات الجرجاني ٧٠ (من مجزوء الرمل)

١ - خياط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

٢ - قل لمن يعرف هذا امدح ام هجاء

ب - تخريجها : الانوار ٣٠٥/١ (من السريع)

١ - وأغندي والشمس محبوبة لم تنسفر عنها الجلابيب

٢ - بسابغ الاضلاع ذي ميمة تكت له ساق وعرقوب

٣ - هاديه مثل الشطر من خلقه اذا عدا والبطن مقبوب

٤ - تخاله مستقبلاً مقعياً وهو اذا استدبرت مكبوب

٥ - يشرف او ينحط كلّ معاً فالخلق تصعيد وتصويب

٦ - كأنما الشعرى على وجهه وفي مجاري المتن تذهيب

٧ - يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب

٨ - كالريح الا انها صورة يسمو بها شد وتقريب

ج - تخريجها : الصبح المنبى ٨٤

(من الكامل)

١ - وكثائب تغشى العيون اذا جرى

ماء الحديد عليهم الرجراجُ

٢ - وتفرقت زُرُقُ الأُسنةِ بهم

نُسقى الحنايا ما لهنّ مزاجُ

نزلت نجوم الليل فوق رؤوسهم

ولكلّ راس كوكبٌ وهّاجُ

البيت الاخير هو السابع من القصيدة ٧ ص ٩٥ - ٩٦ ، مع اختلاف بسيط في الرواية .

د - تخريجها : الاعجاز والايجاز ١٦٥ - ١٦٦

(من الكامل)

١ - ملكٌ كان الشمس فوق جبينه

متهلّلاً الامساء والاصباح

٢ - واذا حلتْ ببابه ورواقه

فأنزلُ بسعدٍ وارتحل بنجاح

ه - تخريجها : المحاسن والمساوىء ٣٦٨/١٠

(من الكامل)

١ - أفنى سؤال السائلين بجوده

ملكٌ مواهبه تروح وتفتدي

٢ - هذا الخليفة جوده ونواله

نفذ السؤال وجوده لم ينفذ

و - تخريجها : تاريخ الخلفاء ٢٦٣

(من الكامل)

١ - قتل الحبيج وخلفوا ابن محمد

رهنًا بمكة في الضريح الملمد

٢ - شهد المناسك كلها وامامهم

تحت الصفائح محرما لم يشهد

ز - تخريجها : تاريخ بغداد ٣٣٦/١٤ (من الخفيف)

١ - ان لله في البرية سيفين ، يزيدا وخالد بن الوليد

٢ - ذاك سيف النبي في سالف الدهر وهذا سيف الامام الرشيد

٣ - ما مقامي على الثماد وقد فاما ضت بحور الندى بكفي يزيد

ح - تخريجها : جوهر الكنز ١٨٢ (من المجتث)

١ - اليس هذا عجيبا أموت طورا وأنشُر

٢ - قيامة كل يوم على فتى ليس يقبر

ط - تخريجها : المستطرف ١٨/٢ (من الطويل)

١ - ظللنا فبتنا عند أم محمد

بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمر

٢ - اذا صممت عنا فحجرتنا لصمتها

وان نطقت هاجت لألبابنا سكر

ي - تخريجها : التمثيل والمحاضرة ٤٨٦ ، ونسبها لبكر بن المعتمر في

ص ١١ من نفس الكتاب (من مجزوء الوافر)

١ - هي الايام والغمر وامر الله منتظر

٢ - فلا تجزغ وان عظم البلاء ومسك الضرر

٣ - اتياس ان ترى فرجا فابن الله والقدر

ك - تخريجها : المنازل والديار ٣٣٤/١ - ٣٣٥ (من الطويل)

١ - سلام على الاطلال والمنزل القفر

وان كان لا يعنيه وصلي ولا هجري

٢ - ولكنَّ آثارَ الاحبة بينها

بَلَيْنَ وما تَبْلَى البلايلُ في صدري

ل - تخريجها : مصارع العشاق ١٢٤/١ (من الطويل)

١ - ولما رأى شوقي اليه وحسرتي

عليه واني لست اقوى على الهجرِ

٢ - تُهَدِّدُنِي بالهجر ، حتى كأنها

رَأَيْتَنِي مَدْلًا بالعزاء وبالصبرِ

م - تخريجها : الحلة السراء ٣٤١/٢ (من البسيط)

١ - أَكْرِمُ بِقَرَمِ أَمِينِ اللَّهِ وَالِدِهِ

وَأُمُّهُ أُمُّ مُوسَى بَنَتْ مِنْصُورِ

ن - تخريجها : الرسالة الموضحة ١٩٢ (من المنحرج)

١ - كأنها روضة منورة تنسبت في أواخر السحرِ

لعلَّه والمقطوعة ١٦ ص ١٠٠ من قصيدة واحدة .

س - تخريجها : المحاسن والمساوىء ٣٦٨/١ (من الكامل)

١ - ان الخلافة لم تكن بخلافة

حتى استقرَّت في بني العباسِ

٢ - شَدَّتْ مَنَاقِبُ مُلْكِهِمْ بِخَلِيفَةِ

كَالدَّهْرِ يَخْلُطُ لِيْنِهِ بِشَمَاسِ

لعلَّهما والمقطوعة ٢٩ ص ١٠٦ من قصيدة واحدة .

ع - تخريجها : الشريشي ٨٥/٣ ، نصره الثائر على المثل

السائر ٣٨١ (من الكامل)

١ - أَقْبَلُنْ فِي رَادِ الضَّحَى بِنَا يَسْتُرُنْ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ

في طبقات الشعراء ٣١ لبشار مع بيت آخر .

هـ - تخريجها : تاريخ بغداد ٢٣٥/١٤ (من المتقارب)

١ - وليت الامر ابا خالد يزيد ، يزيد كما ينتقم

ص - تخريجها : بدائع البدائة ٣٧ ، الاغانى ١٨٣/٢٠ (من الخفيف)

١ - ... يحيى اخط من كف يحيى

ان يحيى بـ ... لخطوط

ق - تخريجها : المحاسن والمساوى ٣٦٧/١ (من الطويل)

١ - اليس احق الناس ان يدرك الغنى

مرجى امير المؤمنين وسائله

٢ - لقد بسط المهدي عدلا ونائلا

كانهما عدل النبي ونائله

ر - تخريجها : تاريخ الخلفاء ٢٧٤ (من الواقف)

١ - وبأية على المهدي عبرى

كان بها ، وما جئت ، جنونا

٢ - وقد خُمت محاسنها وابتدت

فدائرها ، وظهرت القرونا

٣ - لئن بلي الخليفة بعد عز

لقد ابقى مساعي ما بلينا

٤ - سلام الله عدة كل يوم

على المهدي حيث ثوى رهينا

٥ - تركنا الدين والدنيا جميعا

بحيث ثوى امير المؤمنين

ملاحظات اخرى على ما جُمع لسلم :

١ - يضاف الى نسبة البيتين السابع والثامن من القصيدة ٧ ص ٩٥ - تروى لابي الهول الحميري في فوات الوفيات ٥٣٢/٢ ، ولأشجع في الطبقات ٢٥٢ ، والثامن لأشجع في الاغاني ١٥٦/١٨ مع بيت آخر ، ولأشجع في الاوراق ٩٤ قصيدة بنفس الوزن والقافية . وينسب البيت السابع ايضا لبشار، انتحله سلم في الاغاني ٢٤٢/١٩ .

ب - المقطوعة ١٨ ص ١٠٠ من مطلع البسيط، وكذلك القصيدة ٢٤/٢٣ ص ١٠٤/١٠٣ .

ج - البيتان ٢٣ ، ٢٤ من القصيدة ٢٣ ص ١٠١ (ومعهما بيت ثالث) نُسبَا في الجهمشيري ٢٠٤ لعنان ، وفي الاغاني ١٦٧/١٨ لأشجع .

د - في عيون الاخبار ١٨٨/٣ يروي ابن قتيبة ان معاوية كان يتمثل بالبيتين ١ ، ٤ من القصيدة ٤٠ ص ١١٠ ؛ وهذا وهم ، والارجح ان الابيات لسلم ، فهي كذلك ايضا في المرقصات ٤٥ .

هـ - المقطوعة ٤٥ ص ١١٢ هي في نجاح الحاجة وليس في نجاح الحاجب .

الابيات المستدركة على ما جُمع لابي الشمقمق :

١ - تخريجها : نور القبس ٢٠٢ - ٢٠٣ (من المقارب)

١ - رايتك في النوم اطممتني	قواصر من تترك البارحة
٢ - نقلت لصبياننا ابشروا	برؤيا رايت لكم سالحة
٣ - قواصر تاتيكم باكرا	والا فتاتيكم رائحة
٤ - ماُم العيال وصبيانها	الى الباب اعينهم طامحة
٥ - نقل لي، نعم انها حلوة	ودع عنك، لا، انها مالحة
٦ - وصدق بنجحك تعبها	فلا يك تعبها نازحة

سُبُوقُ السِّبْغَةِ الرَّابِعَةُ

ب - تخريجها : مجمع الامثال ٢/٢٥٤ ، المستقصى ١/٣٢١ ، جوهرة
الامثال ٢/٢٢٢ ، الدرر الفاخرة ٢/٣٧٧ (من الطويل)

وَحَسِبُ أَمْرِي مِنْ شَافِعٍ بِسْمِ اللَّهِ

کما یسٹھی زید بزب رباح

١ - رجل زيد بن عماره مثل مفتاح مناره

۱۔ قد ولیّ فارس والاھـــــواز داود بسن بشر

وله لحيه تيس وله منقار فسر

ولہ نكۃ لیث خالطت نكۃ صقر

بزيادة البيت الاول عن المقطوعة ١٤ ص ١٣٥

هـ - تخریجها : بخلاء البغدادی ۱۰۸، ودون عزو فی

الشريشي ٤٢١/٣ (من السريع)

١ - آويت دهليزك مذ اربع، ولم اكن آوي الدهاليزا

٢ - خبزي من السوق ومدحي لكم

تلك لعمرى قسمة ضيزى

و - تخريجها : بخلاء البغدادي ١٠٧ (من مجزوء الرمل)

١ - انا من زوّار بيتي وانا ضيف لنفسی

- ٢ - اشترى في كل يوم حزمة البقل بفلس
٣ - واذا ما ذقت خللاً كان من ايسام عرسي

ز - تخريجها : نور القبس ١٤٤ ، ودون عزو في كل من اخبار الطراف
والمتاجنين ٤٨ ، والتطفيل ٣ ، واخبار الحمقى
والمغفلين ١٩
(من السريع)

- ١ - يا ايها السائل عن منزلي نزلت في الخان على نفسي
٢ - اكل من مالي ومن كسرتي حتى لقد اوجعني ضرسي
٣ - يغدو علي الخبز من خابز لا يقبل الرهن ولا ينسني

ح - تخريجها : بخلاء البغدادي ١٠٦ - البستان ١ ، ٢ والابيات الثلاثة
دون عزو في المحاسن والمساوي ٢٠/١
(من السريع)

- ١ - الخبز يبطي حين يدعى به كأنما يقدم من قارب
٢ - ويدع الملح لآخوانه يقول، هذا ملح سراق
٣ - سبان اكل الخبز في داره وقلع عينيه بخطاب

ط - تخريجها : بخلاء البغدادي ١٧٣
(من مجزوء الكامل المرفل)

- ١ - يسا كاسرا حرف الرغيف عرضت نفسك للحتوف
٢ - أوما علمت بان هو م ذة غير نوا م ضعيف
٣ - وتراه خوف مطلق للبخل ياكل في الكيف

ي - تخريجها : الحيوان ٣٤٣/٢
(من السريع)

- ١ - ضيع ما ورثه راشد من كيله الاكداس في صقه
٢ - قرب كدس قد علا رسمه كالديك اذ يعطو على رقه

ك - تخريجها : الشريشي ٢١١/١ (من مجزوء الرمل)

انسا في حالٍ تَعَالَى اللهُ رَّبِّي أَيَّ حَالٍ
ليس لي شيءٌ، اذا قِيْلَ لِي: مَنْ ذَا؟ قُلْتُ ذَا لِي
فَارَاضِي اللهُ فَرَشِي وَالسَّمَوَاتُ ظِلَالِي
وَلَقَدْ أَفْلَسْتُ حَتَّى حَلَّ أَكْلِي لَعِيَالِي
مَنْ رَأَى شَيْئًا مُحَالًا فَانَا عَيْنُ الْمُحَالِ
لَوْ بَقِيَ فِي النَّاسِ حُرٌّ لَمْ أَكُنْ فِي مِثْلِ حَالِي

الابيات في القصيدة ٣٨ ص ١٤٦ ما عدا الثالث منها .

ل - تخريجها : المحاسن والمساوى ٤٤٦/٢ (من السريع)

١ - ان امين الله موسى الذي لا يشتري المدحة بالدين
٢ - ايا امين الله والمصطفى دق ثناياي بالنسين

م - تخريجها : الابانة ١٦١ (من الخفيف)

١ - خاض بحر الموت الزوام كناس
او كمتحقير له مستهين
٢ - وسمى في اكتساب شكر وحيد
وحوى ما ابتغى بغير معين

ن - تخريجها : الحيوان ٢٤٧/٦ (من الكامل)

١ - واذا تجنن شاعر او منعم
اسعطته بهرارة الشيطان

س - تخريجها : بخلاء البغدادي ١٨٥ (من البسيط)

١ - ما إن رايت خنازيرا مغربة
الا ذكرت بها ناسا بطوان
٢ - قوم اذا حل ضيف بين أظهرهم
لم ينزلوه، ودلوه على الخسان

ع — تخرجها : الصبح المنبى ٢٥٠ (من مجزوء الكامل المرفل)

١ — المرء ليس بمدرك من دهره ما ينتهي

٢ — يسقي العليل من الدوا خلاف ما هو يشتهي

ف — تخرجها : تاريخ بغداد ٣٣٦/١٤ (من الكامل)

رحل المطي اليك طلاب الندى ورحلت نحوك ناقتي نعلية

اذ لم يكن لي يا يزيد مطية فجعلتها لك في السفار مطية

تحدو أمام العملات وتفتلي في السير تترك خلفها المهرية

من كل طائفة الصوى مزورة قطعاً لكل تنوة دوية

١ — واذا ركبت بها طريقاً عامراً تنساب تحتي كانسياب الحية

٢ — لولا الشراك لقد خشيت جباحها وزمانها ما إن تس يدية

تنتاب أكرم وائل في بيتها حسباً وقبة مجدها مبنية

أعني يزيدا سيف آل محمد فراج كل شديدة مخشية

يوماه، يوم للمواهب والندى خضل، ويوم دم وخطف منية

ولقد اتيتك واثقا بك عالما أن لست تسمع مدحة بنسية

كامل القصيدة ٥٤ ص ١٥٢ — ١٥٣ باختلاف يسير في الرواية، وبزيادة بيتين بين الرابع والخامس .

ملاحظات أخرى على ما جُمع لأبي الشمقمق :

١ — البيتان ١٠ ، ١٢ من القصيدة ٢ ص ١٣١ ينسبان أيضا الى أبي نواس في المحاسن والمساوىء ١/٢٢٢، وفي المحاسن والاضداد ٥٨ . ويذكر الشريشي ١/٢٠٩ أن القصيدة تُروى أيضا عن وهب عابد قرطبة .

ب — في بخلاء الخطيب البغدادي ١٠٥ يروي البيتين ١ ، ٣ من المقطوعة ١٧ ص ١٣٦ لأبي الشمقمق في هجاء أوفى بن نوفل (برواية البيت الاول : أدنى بن خنزير) ثم يذكر أنها تروى أيضا لحفصويه في

هجاء بن زيد بن زبر (برواية البيت الاول : حتى رايتك يا زيد بن خنزير) وفي المحاسن والمساوىء ١٨/١ يذكرهما دون عزو برواية « عوف بن خنزير » . أما رواية المحاسن والاضداد ٥٦ فهي : على أرض ابن منصور — وهما دون عزو هناك .

ج — يرجع نسبة القطعة ٤٧ ص ١٥٠ الى أبي الشمقم كونها في هجاء جميل بن محفوظ ، وقد هجاه أبو الشمقم بأرجان (المقطوعة ٤٠ ص ١٤٦) .

د — المقطوعة ٥٣ ص ١٥٢ تنسب لبخلاء الخطيب البغدادي ١٠٣ لابي هقان أو لابي الشمقم .

ه — المقطوعة ٢ — زيادات ص ١٥٤ تُروى لمسلم بن الوليد في أكثر المصادر، بالإضافة الى بيت ثالث (راجع ديوان مسلم ص ٢٧٠) وهي لابي الشمقم في التبيان في علم البيان ١٨٢ .

و — المقطوعة ٥ — زيادات ص ١٥٦ تُروى أيضا لعلي بن جبلة في الابانة ٧٦، والصبح المنبي ٢٣١، وبدائع البدائء ٢٨٩ ، كما تُروى لدعبل في المعقد الفريد ٣١٤/١ .

(١) راجع كتاب (شعراء عباسيون) ص ٧ الهامش . وقد قام الدكتور احسان عباس بفرجة الدراسات المتعلقة بشعر أبي داود الايادي وعلق عليها، وأضاف السي النصوص التي جمعها الاستاذ غريبان ثم نشرها ضمن كتاب (دراسات في الادب العربي) بدار مكتبة الحياة - بيروت سنة ١٩٥٩ .

(٢) نشر دار مكتبة الحياة - بيروت سنة ١٩٥٩ .

(٣) لعله كان من التسبب جمع شعر مطيع بن ابياس مع شعر حماد عجرد ويحيى بن زياد مثلاً ، وجمع شعر سلم مع شعر مروان ابن ابي حفصة والمكوك ، اما ابو الشقيق فيبقى نسيج وحده في عمره ، ولا يمكننا ان نقرنه بابي دلالة او ابي هفان مثلاً .

(٤) (شعراء عباسيون) ص ١٢٠ .

(٥) ديوانه جمع الدكتور حسين مطوان طبع دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٢ - ص ٣٣ .

(٦) كتاب الورقة لابن الجراح - طبع دار المعارف سنة ١٩٦٦ - ص ١١٦ - الطبعة الثانية .

(٧) نسبة البيعين ثابتة لمطّ بن جبلة - راجع الاغانى ٢٩٠/١٩ ، ديوان الممانى ٥١/١ ، ١٠٨/٢ ، الوساطة ٢٨٩ .

(٨) الدكتور مهسّد الوهاب عزام والاستاذ عبّس السّفار أحمد فراج . وقد نبّه المحققان الى ان البيت الثاني من قصيدة علي بن جبلة .

(٩) طبعة لندن سنة ١٩٣٩ بتحقيق عباس اقبال .

(١٠) للرجاتي - ص ٢٨٩ طبعة عيسى البابي الحلبي - الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي .

(١١) وقعت حديثاً على ثمانية أبيات لسلم منها البيت المذكور ، ذكرتها في مكانها من مستدرک شعره ، مما أكد صحّة حدسي .

مراجع التحقيق

- ١ — الابانة : الابانة عن سرقات المتنبي — للعميدي نشر دار المعارف — مصر سنة ١٩٦١ .
- ٢ — اخبار الحمقى والمغفلين — لابن الجوزي طبع المكتب التجاري — بيروت .
- ٣ — اخبار الظراف والمتماجنين — لابن الجوزي منشورات المكتبة الحيدرية — النجف سنة ١٩٦٧ .
- ٤ — الاعجاز والايجاز — للشمالي ، تحقيق اسكندر آصاف .
- ٥ — الاغانى — لابي الفرج الاصفهاني — نشر دار الثقافة — بيروت .
- ٦ — الانوار : كتاب الانوار ومحاسن الاشعار لابن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي — القسم الاول طبع الكويت سنة ١٩٧٧ .
- ٧ — الاوراق : قسم اخبار الشعراء — للصولي تحقيق ج هيورث دن .
- ٨ — بخلاء البغدادي : البخلاء — للخطيب البغدادي — الطبعة الاولى — بغداد سنة ١٩٦٤ .
- ٩ — بدائع البدائنه — لعلي بن ظافر الازدي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم — مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٠ .
- ١٠ — البرصان والعرجان : البرصان والعرجان والعميان والحولان — للجاحظ — مطابع الاهرام التجارية سنة ١٩٧٢ .
- ١١ — تاريخ بغداد — للخطيب البغدادي — مطبعة السعادة سنة ١٣٥٠ هـ .
- ١٢ — تاريخ الخلفاء — للسيوطي — تحقيق محمد محيي الدين عبيد الحميد ، الطبعة الثالثة ، مطبعة المدني سنة ١٩٦٤ .

- ١٣ - **التبيان في علم البيان** : التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن - لابن الزمكاني - مطبعة العاني، بغداد، سنة ١٩٦٤ .
- ١٤ - **التطفيل** : التطفيل وحكايات الطفيليين واخبارهم ونوادر كلامهم واشعارهم - للخطيب البغدادي - نشر المكتبة الحيدرية - النجف سنة ١٩٦٦ .
- ١٥ - **التمثيل والمحاضرة** - للثعالبي - طبعة دار احياء الكتب العربية - مصر سنة ١٩٦١ .
- ١٦ - **ثمار القلوب** : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - للثعالبي - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - مطبعة المدني، سنة ١٩٦٥ .
- ١٧ - **جمهرة الامثال** - للمسكري - مطبعة المدني، سنة ١٩٦٤ القاهرة.
- ١٨ - **الجهشياري** : الوزراء والكتاب - للجهشياري - الطبعة الاولى سنة ١٩٣٨، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ١٩ - **جواهر الكنز** : تلخيص كنز البراعة في ادوات ذوي البراعة - لنجم الدين بن الاثير - نشر منشأة المعارف الاسكندرية .
- ٢٠ - **الحلة السبراء** - لابن الأبار - تحقيق الدكتور حسين مؤنس - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة ١٩٦٣، القاهرة .
- ٢١ - **الحيوان** - للجاحظ - تحقيق عبد السلام هرون - الطبعة الثالثة.
- ٢٢ - **درة الفواص** : درة الفواص في اوهام الخواص، للحريري - سورة عن طبعة ليبزيج سنة ١٨٧١ .
- ٢٣ - **الدرة الفاخرة** : الدرة الفاخرة في الامثال السائرة - لحمزة بن الحسن الاصبهاني - طبعة دار المعارف، سنة ١٩٧١ .
- ٢٤ - **ديوان بشار** - طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠، بتحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

٢٥ - الرسالة الموضحة : الرسالة الموضحة في سرقات المتنبي وساقط شعره - للحاتمي - تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم - نشر دار صادر، سنة ١٩٦٥، بيروت .

٢٦ - الشريشي : شرح مقامات الحريري - للشريشي - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - نشر المؤسسة الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٦٩ وما بعدها .

٢٧ - الصبح المنبي : الصبح المنبي عن حقيقة المتنبي - للبديعي - طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ .

٢٨ - طبقات الشعراء - لابن المعتز - تحقيق عبد الستار احمد فراج - طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٦ .

٢٩ - العقد الفريد - لابن عبد ربه - طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٣٠ - عيون الاخبار - لابن قتيبة - طبعة دار الكتب، سنة ١٩٢٤ وما بعدها .

٣١ - الفيث المسجم : الفيث المسجم في شرح لامية العجم، للصلاح الصندي - الطبعة الاولى - المطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هـ

٣٢ - فوات الوفيات - لمحمد بن شاكر الكتبي - مطبعة السعادة سنة ١٩٥١ .

٣٣ - كفايات الجرجاني : المنتخب من كفايات الادباء واشارات البلغاء - للجرجاني - مصورة عن طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ .

٣٤ - مجمع الامثال - للبيداني - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩ .

٣٥ - المحاسن والاضداد - للجاحظ - تحقيق فوزي عطوي - الشركة اللبنانية للكتاب سنة ١٩٦٩

- ٣٦ - **الحلمن والمساوىء** - للبيهقي - تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم - مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٦١ .
- ٣٧ -- **المرقصات** : عنوان المرقصات والمطريات - لابن سعيد المغربي -
الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ - دار حمد ومحيو - بيروت .
- ٣٨ - **المستطرف** : المستطرف في كل فن مستظرف - للأبشيهي - مطبعة
المشهد الحسيني سنة ١٣٦٨ هـ .
- ٣٩ - **المستقصى** : المستقصى في أمثال العرب - للزمخشري - طبعة
دائرة المعارف العثمانية سنة ١٩٦٢ .
- ٤٠ - **نصرة الثائر على المثل السائر** - للصالح الصفدي - مطبوعات
مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٢ .
- ٤١ - **نور القبس** : نور القبس المختصر من المقتبس - للمرزباني،
اختصار الحافظ اليفموري - تحقيق رودلف رنهائم - المطبعة
الكاثوليكية سنة ١٩٦٤ .
- ٤٢ - **الهفوات النادرة** : لغرس النعمة الصابي - مطبوعات مجمع
اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧ .

حول تعريب العلوم مشاكل، وحلول، وآراء للدكتور، أحمد سعيدان

شرفني مجمع اللغة العربية الاردني ، فأسند الي مهمة الإشراف على ترجمة كتب متخصصة ، في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، وذلك في اطار العمل على تعريب التعليم الجامعي . وغني عن البيان انني لست متخصصا في هذه العلوم كلها ، فاشرافي انها هو تنظيمي ، ولكن المهمة قد اتاحت لي ان اعيش مع مختلف المشاكل التي يعيش معها ويعاني منها الزملاء الذين يقومون بالترجمة ، كل في حقل تخصصه . ولأني اقف من المشكلة ، في أكثر الأحيان ، كمن ينظر من بعيد لمسرى ما لا يراه القريب ، أو كخلفي البال الذي ينظر بعين نقية صافية ، لا يفشأها ولا يثقل جنونها ما يغشى العيون ويثقلها من حواشي المشاكل وتلايفها ، ومن لواحقها وعقابيلها ، فقد تبدت لي حلول لبعض المشاكل القائمة ، وملاحظات حول حلول سبق ان أقرت أو اقترحت . وانه ليسعدني ان اعرض ها هنا حلولي وملاحظاتي ، عسى ان يجد فيها من يعنيه الامر ما يستحق الاعتبار .

١ - الرموز العلمية

الرموز العلمية اشارات وحروف : اما الاشارات فهي عالمية ، لا يختص بها وطن من الاوطان ، ولا لغة من اللغات ، فكما اخذنا في الماضي اشارات الضرب والقسمة والمساواة ، نأخذ في الحاضر كل ما يستجد من اشارات وتجري . حيث يلزم . التغير الذي يقتضيه ان الإشارة

تستعمل لدينا في اثناء كلمات تكتب من اليمين الى اليسار . فالاشارات < ، > ، < ، > تظهر في الكتابة العربية < ، > ، < ، > على سبيل المثال . ليس في الاشارات العلمية اذن مشكلة ؛ فماذا عن الحروف ؟ الحل الذي لقيناه مطروحا هو ان الحروف انما هي رموز ، كالاشارات ، فلا ينبغي ان تختلف من مكان الى مكان : على هذا جرى الكيميائيون العرب ، فاعطوا المركب الكيميائي رموزه اللاتينية ، واعطوا التفاعل الكيميائي صيفته المألوفة في اللغات الاوروبية . وعلى هذا جرى بعض الذين ترجموا كتب الرياضيات من قبلنا ، سواء عن الانكليزية او عن الروسية ، فجعلوا الرموز كلها لاتينية ، حتى لقد صوروا المعادلات الرياضية تصويرا من الاصول التي عنها ترجمت .

وعلى هذا جرينا اول الامر في ما نقوم بترجمته . اما في الكيمياء فلم نجابهنا مشكلة ، فالطلاب قد ألفوا الرموز اللاتينية من قبل ان ياتوا الى الجامعة ، فلن تصدمهم هذه الرموز على اعقابها ؛ ثم هي رموز تخص علماء بذاته ، ويجري ترتيبها حسب نظام مرسوم ، حتى ليبدو رمز الماء مثلا ، او غاز النشادر او السكر : كل ، كأنها هو مجموعه ، هوية ما يرمز اليه ، او اسم علم لا يحتاج الى تعريف ، شأنه في ذلك شأن الالاف من اسماء الامراض والادوية ، او الاسماء العلمية للاحياء ؛ اسماء يعرفها المتخصصون ، وقلما تعنى شيئا لسواهم .

واما في الرياضيات والفيزياء فالامر يختلف : هنا ترمز الحروف ، على الغالب ، الى اعداد او افكار مجردة . وفي هذه الحالة قلما يتوجب استعمال حرف بالذات ، سوى ما يقتضيه حكم العادة ؛ فما نعطيهِ الرمز x او y ، يمكن ان نعطيهِ ، اذا شئنا ، اي رمز آخر . يُستثنى من ذلك احرف قليلة محدودة ، جرى العرف على استعمالها للدلالة على مقادير بذاتها ، مثل e ، π ،

ثم ان الرموز والمعادلات والصيغ الرياضية تختلف عن مثيلاتها الكيميائية في ان الحاسب يخضعها لما يشاء من ضرب وقسمة ، ورمز وتجزير ، وتفاضل وتكامل . وبرمجة وغير ذلك من العمليات الرياضية .

لماذا يجري اذ نقرأ الكلمات من اليمين الى اليسار ، ونقرأ ما بينها من صيغ رياضية من اليسار الى اليمين ؟ ان ما جرى لي — وأقولها بصدق — شعور بالدوخة، اذ مضى نظري يمنة ويسرة ، في قفزات بهلوانية . وان ما جرى لطلابي ، وقد علمته علم اليقين ، التباس عقدهم حتى اجفلوا من الرياضيات ، وفقدوا الشعور بالاتجاه . جاعتي طالبة تسأل باستحياء : هل 4 - x هي 4 - x أم س - 4 ؟ ولم يُغنِها جوابي ، فهي تقرأ كما أعلمها ولكنها تسبق الى التفكير كما تألف .

ثم ان الصيغ الرياضية تختلف عن الصيغ الكيميائية من نواح اخرى . فاذا كانت الكيمياء للمتخصصين فالرياضيات للملايين . انها للجميع وفي خدمة الجميع ، لا يستغني عنها أحد . فهل نقبل فعلا ان نرى المحاسب ، وعامل الكمبيوتر ، والمهندس يجرون حساباتهم بالانكليزية وهم يعاشون العربية ، وبها يتكلمون ؟ لماذا الترجمة اذن ؟ ولم نشق في تعريب العلوم اصلا ؟ ثم ان الطالب يستعمل في الرياضيات رموزا عربية منذ بدء دراسته الى ان يلتحق بالجامعة ، فلماذا لا تكون الجامعة ، ولو في المراحل الاولى ، استمرارا لما عرف وألف ، كي نأخذ بيده برفق لنعرفه على المزيد ؟ لهذه الاسباب رأينا ان نعرب الرموز والصيغ الرياضية ، وكل ما تنطوي عليه من قواعد ومعادلات ومقاييس . وفي تنفيذ هذا توخينا الامور التالية :

١ - هنالك ، كما سبق ، رموز اُصبح لها ، كاسماء الاعلام ، دلالات خاصة مميزة . فهذه حافظنا عليها باشكالها واسماؤها ، ولكن وضعناها في سياق عربي ، فكتبنا π ، π ، e ، e ، ج ، ج ، كما نكتب ٢س ، ٢س .

٢ - غايتنا ان يقرأ ابننا وان يكتبوا بلغتهم ؟ ولكننا نعرف ان هذا لن يغيثهم عن الرجوع الى المراجع الاجنبية ؛ فاخذنا على ماتقنا ان نسهل عليهم الامر . واننا نعلم ان هذا يقتضي اجراءات ليست من شأن المترجم ، ولكننا ، في نطاق مهمتنا ، جرينا على وضع الصور الانكليزية للصيغ والقوانين المتقدمة كي تلقها عين الطالب ولا تنفر منها .

٣ - في اللغات الغربية تُستعمل حروف متناظرة تخدم أغراضا خاصة ،
مثل *q* ، *p* ، *x* . ولأداء هذه الأغراض نقترح استغلال
أشكال الحروف العربية على النحو التالي :

ا ، ا ، ا

ب ، ت ، ث

ج ، د ، هـ ، ح ، ز ، ح ، خ ، غ ، ف

د ، ذ ، ذ

ر ، ر ، ز

س ، س ، س ، س

ش ، ص ، ش ، ش

ص ، ص ، ص

ض ، ض ، ض

ط ، ظ

ع ، ع ، ع ، ع

غ ، غ ، غ ، غ

ف ، ق ، ف

ل ، ك ، ل ، ل

م ، م ، ن ، ن ، ن

هـ ، لا ، و ، ي

يمثل هذه المجموعات تصبح الأبجدية العربية أكثر سخاء من
الانكليزية في مد الحاسب بالرموز المتناظرة .

٢ - الأرقام

ثمة مشكلة لا بد من عرضها بوضوح ودون تهويل أو تهوين .
وثمة بصدها حقائق يحسن استذكارها . أما المشكلة فيجابهها من
يتعاملون مع الأرقام ، وهي ان أشكال بعض الأرقام العربية لم تعد
تصلح لسايرة التطور الرياضي والتقني . وأعني بذلك رمزي الصفر
والثلاثة .

أما الصفر فان صفره ، ومثابهته للنقطة، يعرضانه لخطر الاختفاء
والاختفاء والتزوير ، حتى لنفضل، في أحيان كثيرة ، كتابة كلمة الصفر
كاملة خشية الالتباس ، ولا سيما ونحن نستعمل النقطة لعدة اسباب
ومناسبات ، ونستعمل الصفر الموجه وصفر المصفوفة وغيرها من
الاصفار التي أدرجت مؤخرا في مناهج التعلّم والتعليم .

وأما شكل الثلاثة ، ذو الاسنان الثلاثة (٣) ، فيسهل التباسه
بشكل الاثنين (٢) ، ولا سيما اذا انبرى احد الاسنان . وقد يبدو هذا
أمرا هينا ، ولكن من نتائج المموسة أننا لا نستطيع ان نطبع بأرقام
عربية جداول بحجم كتب الجيب . وينسحب هذا على كل الكتب العربية
المطبوعة التي تكرر فيها الأرقام ، فهي في العربية أضخم منها في اللغات
الأوروبية ؛ فاذا علمنا ان الرقم ٣ هو أحد الاسباب ، حق لنا ان
نتساءل : ألا يمكن تعديله أو تغييره ؟

تلك هي المشكلة ؛ أما الحقائق التي يحسن استذكارها بهذا
الصدد فهي ان مجموعتي الأرقام : المشرقية (العربية) والمغربية
(الامرنجية) ، كلتاهما هندية عربية : فهما هديتان لأن منشأهما في
الهند ، وعريبتان لان العرب اكتشفوهما ، بعد ان كانتا مفمورتين ،
ونشروهما . أما المجموعة العربية فقد جاءت من السند بالذات ،
وانتشرت في ما نسميه اليوم بالشرق الاوسط ، وهي ما تزال تستعمل
بصورها الاصلية في الباكستان وبنغلادش وأفغانستان . وأما المجموعة
(الامرنجية) فقد أخذها (الامرنج) من اسبانيا ، وما تزال تستعمل
في بلاد شمالي افريقيا ، وهي هناك اعرق منها في العالم الاوربي .

قد يبدو الحلّ واضحاً : نأخذ أشكال الصفر والثلاثة والخمسة المغربية ، ونستعملها بدلاً من أشكالها الشرقية . ولا ضرر في ذلك ولا ضرار ، فهي بضاعتنا رزقت لنا . وقد يبدو هذا الحل أهون أمراً من الحل الذي يدعو إلى استبدال الأرقام المغربية كلها بالأرقام الشرقية ، أعني التخلي عن هذه والاستعاضة عنها بالأرقام التي تُستعمل في الغرب ، وتجري بها الآلات الحاسبة والآلات الكاتبة وحسابات العالم بأسره .

وسواء أخذنا بهذا الحلّ أو ذاك ، فهما لا يستدعيان إهمال أي رمز من الرموز بحيث يذهب نسياً منسياً ، إذ يمكن أن يستعمل حيث لا يخشى الالتباس .

ولكنّ هناك أمراً يخطر على بالي : اننا نعرف كلنا المجموعتين ، قراءة وكتابة ، ونتعلمها منذ الصغر ، ولا نجد صعوبة في كتابة أي منهما ، فلماذا لا نستعملها كما نشاء وحيث نشاء ، وهما مِنّا والينا ؟ يمكن استعمال المجموعة الشرقية في ترقيم الصفحات مثلاً ، وفي الترقيم المتسلسل في الجداول ، واستعمال المجموعة المغربية في المحاسبة والحساب .

٣ - المصطلحات بين الترجمة والتعريب

هنا المشكلة الكبرى والعقبة الكأداء ، فالمصطلحات العلمية كثيرة تُعدّ بالملايين ، وهي تتكاثر على نحو يعجز حتى التعريب عن مجاراته ، بله سبقه ، ناهيك عن الترجمة . ولست أنوي ، وليس في مقدوري ، ولا أحسب أن أحداً يتوقع مني ، أن أضع البلمس الشافي لهذه المشكلة ، أو أن آتي لها بالترياق من العراق . اني انما أدوّن أفكاراً في نطاق ما نجريه لمجمع اللغة العربية الاردني من ترجمة ، وعلى صعيد المراحل الاولى الجامعية . « بيت القصيد » ، كما يقولون ، هو :
انترجم أم نمرّب ؟

اذا نحن اخترنا التعريب ، أو اجزأه ، يهون الامر ، وما علينا عندئذ سوى أن نتفق على ضوابط وانظمة لهذا التعريب . واذا نحن اخترنا الترجمة يطول الامر ويُستبطأ الحل .

ولكن للترجمة مزايا أراها في صالح المجتمع وفي صالح العلم ،
فضلا عن أنها تلقى رضى وترحابا من اللغويين .

أما أنها في صالح المجتمع فلأنها تساعد في نزول العلم الى الشارع ،
ووضعه تحت تناول يد المجتمع ، وعلى لسان الجميع ؛ أن اللفظ
الاجنبي يجعل المصطلح يبدو غريبا ، وقد يجفل منه الشخص
العادي كما يجفل من اسم المرض ، أو يرتبك به كما يرتبك باسم
الدواء . صحيح أن العمال قد عرّبوا أسماء الأدوات والأجهزة والآلات
التي يستعملونها ، ولكن الشارع يعرّب ما يعرف وما يستعمل ، ونحن
المربين واجبنا أن نزيد من معرفته بأن نقرب له ما لا يعرف ، ونعرّبه .

وأما أن الترجمة في صالح العلم فمرّد ذلك الى أن في العربية
اكتفاء ذاتيا ، في نطاق ما تستوعبه من كلمات . فالمصطلحات الانكليزية
مثلا تتركب من مقاطع لاتينية أو اغريقية ، إن يعرفها القليل يجهلها
الكثير ، ولذا تبقى بعيدة عن حياة المجتمع بعدما قد لا نلاحظه الآن
واضحا ، لان المجتمع الانكليزي يسوده طابع علمي نفتقده في المجتمعات
العربية ؛ فالتعلمون فيه كثر ، وكلّ يستعمل مصطلحات تخصّصه
ومصطلحات من تخصصات أخرى عرفها . هذه النسبة من المتعلمين
لو توافر بعضها في مجتمع عربي ترجم المصطلحات العلمية ، لكان
طابعه العلمي أقوى وأوضح ؛ ذلك أن اللفظ العربي المترجم ينقل
معناه ، كلّ أو بعضه ، على درجات قد تتفاوت من الوضوح ، لمن
يعرف ، ومن لا يعرف . مصطلحاتنا العربية منّا والينا ، ولن نحتاج
الى رحلة بعيدة في القواميس كي ندرك معناها ونحوها .

كنت أتحدث مع باحث ، لغته الانكليزية ، في أمر علمي ، فجرت
على لساني عبارة trigonometric function (= اقتران مثلثي)
وإذا بصاحبنا ينظر السي متسائلا في حيرة : function ؟ ماذا تعني ؟
وأوجزت له مفهوم الاقتران في الرياضيات ، فقال : يا الهي !
كم تعبثون ؟ ان كلمة function تعني الوظيفة التي حددها
الخالق للمخلوق .

للقارئ عليّ حق أن أوجز له معنى كلمة « اقتران » — function
في الرياضيات :

إذا اقترن متغيران ، كعمر الطفل وطوله ، أو كالسعر والربح ،
بحيث إذا حدد أحدهما يتحدد الآخر ، نقول أن هناك اقترانا . هذا
المعنى البسيط لا يتضمن أكثر مما تؤديه كلمة « اقتران » أداء طبيعيا
لا نتكلفه ولا نتصيده ولا نتناول حتى نبلغه . دع ما يبقى من شروط
الاقتران والتعبير عنه رياضيا ، فتلك تفاصيل تعني الدارس وحده ،
أما المعنى العام ، لب المسألة ، فقد أدّته الكلمة بيسر .

فإذا جئنا الى كلمة function نجد معناها الدارج
« وظيفة أو مهنة » ، ولكن علماء الفلسفة والدين جعلوا لها في عالمهم
المعنى الذي عرفه صاحبنا وكأنه لا يعرف غيره ، في حين جعل له
الرياضيون المعنى الذي أربك صاحبنا حتى حَسِبْنَا نعبث ؛ وهذه
المعاني كلها كامنة في جذور الكلمة . ولكن جذورها ليست انكليزية ،
وقد لا يعرفها علماء الفلسفة ولا علماء الرياضيات الا من القاموس ،
لأنها جذور ميتة .

ولا أظنني بحاجة الى ايراد مزيد من الامثلة ، ولكن تحضرنى
قصة طريفة :

كنت أتحدث مع رفيق طريق انكليزي ، فقلت له في معرض حديث
مجايلة عابر : كلامك هذا حق . واستعملت في عبارتي كلمة
sentence . ولدهشتي ضحك الرجل بملء فيه ، وقال
لي وهو يكاد يأخذني بالاحضان : كيف عرفت أنني قاض ؟ ان كلمة
sentence التي كانت اول ما تعلمناه في دروس القواعد
الانكليزية ، وقيل لنا إنها تعني « جملة » ، إنما تعني ذلك على صعيد
القواعد المدرسية فقط ، ولكنها في الحياة العامة تعني العقوبة أو
القضاء .

لست أجهل ولا أنكر أن الالفاظ العربية تحمل معاني متعددة
ومتباعدة ، كالانكليزية ، ولكنها تقوم على جذور حية ، عربية أو

معرّبة ، فهي أيسر فهما ، وأقرب الى الذهن والى اللسان . وهذا ما أعنيه اذ أقول إن في العربية اكتفاء ذاتيا يجعل في صالح العلم أن تصير العربية لفة علم ، لان فيها القدرة على الوصول الى الملايين .

أما أن الترجمة تلقى لدى اللغويين رضى وترحابا لا يلقاهما التعريب ، فمن منطلق خلاصته : اذا كان هنالك لفظ عربي يؤدي المعنى فلا حاجة لنا باللفظ الاجنبي .

ولا اعترض على هذا المنطلق من حيث المبدأ ، غير اني لا أرضى ان يُجعل قاعدة ندور حولها بعيون معصوبة .

اجل ! لا حاجة لنا باللفظ الاجنبي اذا كان يجاني الذوق العربي ويستعصي على اللسان ، أو يثير احياءات ممقوتة ؛ أمّا الأجنبي الخفيف الظل ، الحلو الشمائل ، فلماذا لا نرحب به ليكون لنا ثروة لغوية ؟ انه سيتخذ سبيله الى الشارع ، وسيقبله الناس مع الشراب السائف اللذيذ .

اننا نترجم لنحفظ للفتنا أصالتها ومقوماتها ، ولكن هنالك أمرا ينبغي الا يفوتنا ، هو ان اللغة كيان حي متطور ، وان وضع العراقيل دون تطورها أشد خطرا عليها من اللفظ الدخيل . ولتطور اللغة ، في تخلي ، سبل قليلة معروفة ، منها أن تُفتح جميع النواغذ على لغات العالم، فتلقّى منها ما تشاء ، اقتباسا ، واستعارة وتعريبا . ومنها أن يُفسح المجال لصياغة الفاظ جديدة ، أو تحمّل الالفاظ المتوافرة معاني جديدة . ويبدو لي ان اللغويين يباركون هذا التطوير باللسان وبالجنان ، ولكنهم في الواقع يعارضونه عند التنفيذ : ألا تراهم ما زالوا يلحّون على ان النسبة لا تكون الا للمفرد، مع ان الناس يتحدثون عن "الجماهيرية والملائكية والعقائدية والدولية" ، كما تحدّث القدامى عن "الشعوبية والانصارية" ، حتى "البحرانية والفاسيانية" (نسبة الى المثنى) . ان اللغة في أي عصر تسابير ذوق الجماهير أكثر مما تسابير قواعد اللغويين .

اننا نترجم لنحفظ للغتنا مقوماتها ؛ ولكن هنالك امرا ينبغي الا يفوتنا ، هو ان علينا ان نجعل لغتنا عالمية ؛ وهذا يقتضي ، في نطاق العلم ، ان يكون بينها وبين اللغات العالمية عناصر مشتركة . ولقد احسنت الجامع العربية صنعا اذ افنت بان أي مصطلح علمي مشترك بين اللغات الثلاث : الانكليزية والفرنسية والالمانية ، يعتبر عالميا ، ومن ثم نعرّبه ولا نترجمه . فليتنا نتخذ هذه الفتوى ركيزة في ما نعرّب وما نترجم .

جاء في المصباح المنير ان « الاسم المعرّب هو الذي تلقته العرب من العجم نكرة ، نحو ابريسم :

- ثم (١) ما امكن حمله على نظيره من الابنية العربية حملوه عليه ،
(٢) وربما لم يحملوه على نظيره ، بل تكلموا به كما تلقّوه
(٣) وربما تلعبوا به فاشتقّوا منه .
(٤) وان تلقّوه علما فليس بمعرب » .

وليس في هذا النص من جديد ، وما جئت به الا لتوكيد اننا انما نصنع مثل ما صنعوا : نتلقى اللفظ الاعجمي واغلبه ، في هذه الايام ، غربي ، ثم نحن قد نستبقيه كما تلقيناه ، وقد نخضعه للأوزان العربية فنحوّره بعض الشيء تحويرنا التلفزيون الى تلفاز ، وقد نتلعب به فنشتق منه تلفز وتلفزة وبرامج متلفزة .

غير اني وانا اتخيل امامي ذلك الحشد الهائل من المصطلحات العلمية الاجنبية ، والجهود المتواضعة التي يبذلها مجملنا الناس لتعريبها ، يلفت انتباهي في النص ان الأعلام تؤخذ كما هي ، لا تترجم ، حتى ولا تعد معربة . واود لو نضع في صف الاعلام قائمة طويلة تضم اسماء اجهزة القياس ، واصناف الاحياء ، من نباتات وحيوانات ، واسماء العلوم المختلفة ، مثل البيولوجيا والجيولوجيا والاركيولوجيا ، وكل مصطلح اكسبه الشيوع وكثرة الاستعمال هوية خاصة وشخصية خاصة ترفعه فوق مستوى النكرة ، ولا سيما المتخصصة منها التي يتعامل بها المتخصصون دون سواهم .

صفوة القول اذن اننا ، سواء اترجمنا المصطلحات ، أم عربناها ،
أم اخذناها كما نأخذ الاعلام ، فاننا في الحالات جميعا نخدم اللغة
ونخدم المجتمع ؛ المهم ان نعمل بحزم وعزم ؛ وإننا لعاملون .

وفي غضون عملنا بالترجمة ، بحزم وعزم ، تجابهنا المصطلحات
الانكليزية بما تجسّر خلفها وتسوق قدامها من بوادى ولواحق ، فنحارُ بها
اذ نترجم ونحارُ ايضا اذ نعرب ؛ وكثيرا ما نلجأ الى النسبة فيمثل
امام ناظري شبسح اللغويين ؛ ذلك اننا نضطرّ احيانا الى النسبة على
غير قياس . ثم ان ياء النسبة قد طغى استعمالها ، سواء في النسبة
ذاتها أم في ياء الجمع ، مثل "التدريّة والنباتية والحيوانية والاحيائية" ،
وفي المصادر الصناعيّة ، في مثل "الدمتراطية والاشتراكية والانعزالية" .
وهنا يدور في خلدي خاطر :

من قديم استعمل العرب صيغا تعمل عمل النسبة ، او شبه
عملها ، هي كالبواديء او كاللواحق ، ولكن اللغويين لم يسلطوا عليها
ما ينبغي من أضواء .

فمن اشباه البواديء استعملت ذو وذات وابن واخو وامثالها ،
فقالوا :

ذو مال ، وذات الصدور ، واخو حزم ، وابن آوى ، وابن دنيا ،
وابن السبيل ، وكثيرا غيرها . ومن اشباه اللواحق قالوا : بدران ،
وزيدان ، وسعيدان ، وارادوا آل بدر ، وآل زيد ، وآل سعيد . وفي
سلاد عربية ينسبون الى نادي الهلال فيقولون هلالاب ، والنسب الارض
فيقولون ارضاب . ومجموعات اخرى نسبت الى السعد فقلت
سعدون والى العجل فقلت : عجalon ؛ ومثلها حمدون ، وزيدون .

انها ملاحظات مشتتة غير مبلورة اضعها تحت نظر مجمع
اللغة من ناحية ، وتحت نظر الزملاء الذين يقومون بالترجمة ، من
ناحية اخرى ، حتى اذا ضاقت بهم السبيل ، استنفروا السليقة اللغوية ،
ولسوا كره اللغويين .

الدكتور احمد سميدان

من تاريخ حيفا العثمانية

دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي

للدكتور محمد عدنان البخيت

في سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م عندما كان الداعية الاسماعيلي ناصر خسرو (١) (ت ح ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م) في طريقه من مسرو الى القاهرة ، مركز الدعوة الفاطمية آنذاك ، مرّ بحيفا (٢) التي يصفها لنا بقوله : « ثم غادرتها (اي عكة) الى قرية تسمى حيفا في طريق به كثير من الرمل الذي يستخدمه صياغ العجم ، والمسما بالرمل المكسي . وحيفا مشيّدة على البحر ، وبها نخيل وأشجار كثيرة . وهناك عمال يصنعون السفن البحرية المسماة بالجودي » (٣) . وبعد ذلك بقرن من الزمان يشير الجغرافي أبو عبد الله محمد بن محمد الادريسي الحسني (٤) (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٠م) اليها بقوله : « وحيفا تحت طرف الكرمل ، وهو طرف خارج في البحر وبه مرسى حسن لارساء الاساطيل وغيرها . ومدينة حيفا هي فرضة لطبرية وبينهما ثلاث مراحل خفاف » (٥) . ان هذه الصورة المشرقة لحيفا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، تنعكس وتبدو مكهّرة في المصادر العربية ، وذلك بسبب الخراب الذي لحق بها بعد استرجاعها من ايدي الفرنجة : فهذا شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، لا يذكر شيئا عن صناعة السفن فيها ، ولا يشير الى مرساها ؛ وجلّ ما يسجّله لنا عنها على انها « حصن على ساحل بحر الشام ، قرب يافا ، ولم يزل في ايدي المسلمين الى ان تغلب عليه كندفري (٦) الذي ملك القدس في سنة ٤٩٤هـ / ١٠٩٩م وبقي في ايديهم الى ان فتحه صلاح الدين يوسف بن ابوب في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م (٧) وخربته (٨) . ولم تمكث حيفا طويلا في ايدي المسلمين ، اذ استرجعها الفرنجة منهم . والجدير بالذكر ان

الملك لويس التاسع، حوالي سنة ١٢٥٠ - ١٢٥١م، حصّن فيها القلعة التي تعرّضت للخراب ثانية على يد المماليك، وذلك في سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م . فيذكر القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) ، في أخبار سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، ما يلي : « وفي سادس وعشرين جمادى الاول (٢ آذار ١٢٦٥م) توجه السلطان (الظاهر بيبرس) الى جهة عثليت جريدة وسّر الأمير شمس الدين اقتنصر السلاح دار الظاهري والأمير عز الدين الحموي والأمير شمس الدين سنقر الألفي الظاهري الى حيفا، فساروا اليها ودخلوا قلعتها، فنجوا الفرنج بأنفسهم الى المراكب بعد أن قتل منهم وأسر ، وأحضرت الاسارى والروس ، وأخربوا المدينة وقلعتها وأحرقوا أبوابها، وجعلوها خاوية على عروشها كأن لم تكن بالأمس، وكان أخذها وما اعتمد فيها من قتل وأسر وأخراب وأحراق في يوم واحد، وعاد الأمراء سالمين » (٩) . ويؤكد على هذه الصورة من الخراب أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) الذي ينقل عنه الكاتب الموسوعي شهاب الدين أحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، وصفه لحيفا بهذه الكلمات : « وهي خراب على الساحل » (١٠) وإلى مثل ذلك أشار البحارة العثماني بيري محيي الدين ريس (١١) (ت ح ٩٦٢هـ / ١٥٥٤/١٥٥٥م) ، في مؤلفه : كتاب بحرية ، الذي قدمه سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥/١٥٢٦م الى السلطان سليمان القانوني ، حيث ذكر أن قلعتها مدمرة لكن مبنائها يصلح للرسو (١٢) .

كانت حيفا في العهد المملوكي جزءا من عمل اللجون (١٣) الذي كان تابعا لصفد، والتي هي بدورها كانت تشكل القاعدة الخامسة من قواعد المملكة الشامية (١٤)، ولم تتبدل هذه التبعية في العهد العثماني . فمن المعروف أن العثمانيين بعد قضائهم سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢١م ، على حركة العصيان التي قادها ضدهم الأمير المملوكي جان بردى بن عبد الله الغزالي المولى على دمشق « ومعاملاتها » (١٥) ، من قبل السلطان سليم الاول ، قسموا بلاد الشام الى ثلاث ولايات : ولاية حلب ، ولاية طرابلس الشام، وولاية دمشق الشام . وقسمت

الولاية الأخيرة الى عدد من السناجق (الالوية) هي : دمشق ، تدمر ،
عجلون ، الكرك (كانت في معظم الاحيان تدمج مع عجلون) غزة ،
القدس الشريف ، نابلس ، صفد واللجون (١٦) . وعند العودة الى
دفاتر الطابو (الاراضي) العائدة الى سنجق اللجون نجدها تذكر حيفا
كقرية في ناحية ساحل هتليت الغربي التابع للسنجق المذكور . ولعله
من المفيد هنا أن نقارن المعلومات الواردة عن حيفا في دفترين من دفاتر
الطابو : الاول منهما (١٧) يعود تاريخه الى سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م ، اما
الثاني (١٨) فيرجع تاريخه الى سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م .

الضرائب مقدرة بالاقبحة وهي ربيع المحصول الشتوي

رقم الدفتر وتاريخه	عدد السكان خانة (١٩) حطة غزاره	شعبه خراج اشجار غزاره زيتون + تين	رسم مغزة	رسم نخل	بالدهوا	معدية	محصول الاسكدة (ميثاء)
١٩٢ (اسطنبول)	٢٠ مسلمون	١٠	٧٥	٦٣	٢٠٠	٤٠٠	١٠٠٠
٥٩٢٥ / ١٥٢٨	٢٢ مسلمون	٢٠	١٠٠٠	٢٥	٢٥٠	٢٥٠	١٠٠٠
١٨١ (انتقرة)	٣٢ مسلمون	٤٠	٥٦٠٠	٢٥	٢٥٠	٢٥٠	١٠٠٠
١٥٩٦ / ٥١٠٠٥							

نلاحظ من هذين الإحصائين أنه خلال العهد العثماني من القرن السادس عشر الميلادي أن عدد السكان بحيفا كان قد تضاعف . وهذه الزيادة العالية جاءت متفقة مع ظاهرة زيادة السكان التي شهدتها ولاية دمشق حتى مطلع سبعينات القرن السادس عشر ، إلا أن سكان حيفا لم يتناقصوا على غرار ما لوحظ في ولاية الشام (٢٠) . ولقد واكب هذه الزيادة ارتفاع في كميات الضرائب المحصلة ، إذ ارتفعت من ٧٥١ اقجة (٢١) بموجب الدفتر الأول الى عشرة آلاف اقجة حسبها جاء في احصاءات الدفتر الثاني . بجانب ذلك نلاحظ ارتفاع الاسعار ، فمثلا كانت غرارة (٢٢) الحنطة تقدر بمائة وعشرين اقجة سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٢٨م فأصبحت تقوم بمائة وأربعين اقجة بعيد نهاية القرن . وعلينا أن نتذكر هنا ، أن الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي قد بدأت تعاني من أزمة تضخم مالي كبيرة ، إذ أن عملتها الفضية لم تعد قادرة على مواجهة ضغط العملات الأوروبية خاصة الفلوري الإيطالي الذهبي الذي بدأ يغزو الأسواق العثمانية المفتوحة نتيجة لتدفق كميات ضخمة من الذهب والفضة من أمريكا على أوروبا . وكان اجتهد الدولة العثمانية الذي الحق الضرر الكبير بعملتها يتلخص بانتعاش كمية الفضة في تلك العملة ، فارتفعت نتيجة لذلك اسعار السلع وبهذا ضعفت القوة الشرائية للاقجة (٢٣) .

كما نرى من قائمة الضرائب المدونة سابقا ، أن الدولة العثمانية كانت تأخذ ربع الحاصل الشتوي عينا أو قيمته نقدا (٢٤) . أما فيما يتعلق بأشجار الزيتون فلقد نص قانون لواء اللجون على ما يلي : إذا كان الزيتون روماني فنصف حاصله يعطى للسباهية ، أما إذا كان الزيتون اسلاميا فلقد كانت الدولة تجبي اقجة عثمانية واحدة عن كل شجرتين . وكانت الدولة تأخذ عن كل مائة شجرة من الكرمة خمس اقجات عثمانية . والجدير بالملاحظة أن الضريبة على الأشجار يشار إليها في هذه الدفاتر بالمصطلح الاسلامي المعروف « خراج » (٢٥) . أما الضريبة المحصلة عن الماعز فيشار إليها بأسم « رسم » والقاعدة التي اتبعت في جبايتها أن تؤخذ اقجة واحدة عن كل رأسين من

الماعز (٢٦) . والطريف أن العثمانيين كانوا يجبون رسوما على المناحل بمعدل ائجة واحدة عن كل منحلة (٢٧) . ويلمس الدارس لدفاتر الطابو المتملقة ببلاد الشام أن تربية التحل كانت منتشرة في هذه البلاد .

لقد شهدت المحاكم في بلاد الشام في العهد العثماني إجراءات جديدة تتمثل في جمع رسم محدد عند النظر في الدعاوى والقضايا ، أو عند عقد نكاح وكذلك عند تسجيل حجة . فكانت الرسوم التي تجمع عند عقد نكاح بكر أو مطلقة أو أرملة يطلق عليها اسم « رسم عروس » (٢٨) كان جزء من هذه الرسوم يخصص للقاضي وللمن يعمل معه في المحكمة والقسم الأكبر كان يعطى لأصحاب « الخاص » أو « الزعامت » أو « التيمار » حسبما يحدد ذلك دفتر الطابو لكل بلدة أو موقع . أما الضرائب الطارئة والمتفرقة وهي تشبه ما كان يشار إليه في العهد العباسي باسم « الطيارات » ، فإن المصادر العثمانية عادة ما تعبر عنها بالمصطلح الفارسي « بادخوا » (٢٩) . وعند وقوع جريمة قتل أو سرقة أو انتحار فإن الدولة كانت تأخذ من المسؤولين عن تلك الجريمة رسوما تعرف باسم « رسم جرم وجنايت » . أما إذا كان المتسببون بذلك مجهولين فإن أهالي الحارة كانوا يجبرون على دفع تلك الرسوم (٣٠) .

إذا ما ألقنا النظر في قائمة الضرائب المدونة سابقا نجدها تشير إلى ضريبة تسميها محصول اسكلة (٣١) (ميناء) . وإذا ما عدنا إلى قانون نامه لواء اللجون فإننا لا نجد نصا يوضح القاعدة التي كان يتم بموجبها جمع هذه الضريبة . إلا أن قانون نامه لواء الشام ، لحسن الحظ ، يحدد بالتفصيل مقدار الرسوم المحصلة سواء على المواد المصدرة أو المستوردة ويشير إلى ذلك بما يلي : « يطلق على ما يجبي من جمارك ورسوم وغيرها من الواردات عند أبواب الموانئ الكائنة في ولاية الشام كبروت وصيدا وصور وعكة ويافا ، يطلق عليها اسم موجب باب الميناء . ويزودنا قانون نامه المذكور أعلاه بقائمة طويلة ومفصلة بأسماء السلع والمواد المستوردة أو المصدرة ومقدار الرسم المتوجب عليها مبنيا القاعدة

المتبعة في تقدير قيمة البضاعة والرسم المستحق (٢٢) . وهناك ضريبة تذكر في الدفتر الاول فقط بينما لا يذكرها الدفتر الثاني ، حيث ترد باسم معادية وليس لدينا معلومات عنها ، ولربما كانت المعادية تشبه الضريبة التي كانت تجمع في لسواء نابلس من المسلمين باسم « رسم رجالية » بمعدل ٤٠ اقجة على الخانة المسلمة الواحدة (٢٣) . وأخيرا فان هذين الدفترين لا يشيران الى ضريبة تجمع عن اشجار النخيل في حيفا مما يدل على عدم وجودها ، هذا مع العلم ان ناصر خسرو كما راينا في رحلته يشير اليها في حيفا بقوله : « وبها نخل واشجار كثيرة » .

ان كلا الدفترين يشيران الى ان قرية حيفا كانت من ضمن اقتطاع أسرة آل طراباي (٢٤) التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم الاسرة الحارثية (٢٥) . فالدفتر الاول يذكرها من ضمن الاقطاعات التي أعطتها الدولة العثمانية « لأمير الدربين » طراباي بن قراجه . كما ان الدفتر الثاني يبين ان ريعها كان موزعا ما بين أحمد وعلي : ولدي طراباي ووكيلهم (كتخداهم) داؤد . هذا بالإضافة الى خمس مزارع جوار حيفا بلغ مجموع ما يتوجب منها سبعة آلاف اقجة موزعة بين ثلاثتهم (٢٦) . الا انه من الملاحظ ان هذه الاسرة لم تسع الى تطوير ميناء حيفا واستغلاله تجاريا مع أوروبا التي نمت تجارتها مع سواحل بلاد الشام في مطلع القرن السابع عشر ، على غرار ما أقدم عليه معاصروهم فخر الدين المعني في تطوير وتوفير الامن في موانئ بيروت وصيدا وعكا . بل كانوا في سياستهم تلك يلتقون الى حد بعيد مع سياسة الزعيم السني يوسف باشا سيف (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) في طرابلس (٢٧) في عدم اكترائه بتشجيع التجارة مع الأوروبيين . بل أكثر من ذلك فان احد الاحكام الشريفة المرسلة من السلطان الى قاضي اللجون بتاريخ ١٧ شوال ١٠١٩ هـ / ٢ كانون الثاني ١٦١١ م ، يشير الى ان تجار الامرنج الذين كانوا يفدون على حيفا للتجارة كانوا يتعرضون للأذى والخطر من جانب أمير اللواء وآخرين من رجاله . لذا فان هؤلاء التجار لم يعودوا يرتادون حيفا وان الحكم يطلب من القاضي ان يمنع أمير اللواء ورجاله من التعرض بأي اذى لهؤلاء التجار (٢٨) .

ويمكننا القول انه نتيجة للصراع الذي نشب ما بين الامير فخر الدين المعني والامير أحمد الحارثي (ت ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م) فان حيفا قد اصبحت باضرار بالغة . ففي سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م تبين لفخر الدين المذكور ، زعيم الجناح القيسي في بلاد الشام ، ان أحمد الحارثي ، زعيم الجناح اليمني آنذاك ، يعمل ضده فأرسل فخر الدين أحد رجاله « نصوح بلوكباشي مسك برج حيفا » فما كان من علي الحارثي : شقيق أحمد ، الا ان اغار على ساحل عكا واخذ طرشه وعاد الى بلاده مارا على حيفا فطلع اليه ولاقاه نصوح بلوكباشي بسكمانيته وبيرقه في برج حيفا لان الامير كان أوقفه فيه كما ذكرنا ، وحاربه وقصد بذلك اخذ الطرش منه واستخلاصه فركضوا عليه وعلى جماعته بالخيول وجماعة مشاة فقتل نصوح المذكور مع رجلين آخرين وانهزم الباقي الى البرج فدخل عليهم الوهم ونزلوا في مركب وجاؤوا الى عكا (٢٩) . . . وصارت عرب الامير أحمد بن طرباي تغير على بلاد كفرنا وتأخذ طرشها وغلالها وصيرتها دكا واستمروا على ذلك الى ان وصل اليهم خبر كسرة عسكر الشام « (٢٩) في معركة عنجر (٤٠) . فبعد انتصار فخر الدين في تلك المعركة ، قام في شهر شعبان ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٤ م بالتوجه الى شمالي فلسطين حيث أعادها الى سيطرته وكان من ضمن ذلك حيفا . « وابتقى في برج حيفا ترتر حمزه بلوكباشي وحط عنده عازقا (٤١) يكيه وعمل الامير فخر الدين في هذه المنزلة أوتراق (٤٢) ثلاثة ايام » (٤٣) وكانت قد جرت اتصالات للصلح ما بين المعنيين والحوارث « وفي عاشر شهر شوال (١٠٣٣ هـ / ٢٧ تموز ١٦٢٤ م) صار بين الامير فخر الدين وبين الامير أحمد بن طرباي مكاتبات ومراجعة ومراسلات وحصل الاتفاق بينهما أن الامير فخر الدين بن معن يرفع سكمانيته من برج حيفا وأن الامير أحمد بن طرباي يمنع عربائه عن التخريب في بلاد صفد وتصير المصافاة بينهما على بعد ، ففعل كل منهما ذلك ، غير أن الامير أحمد بن طرباي أرسل هدم برج حيفا المذكور بعد خروج السكمانية منه ومشت الدروب بين بلاد حارثة وبلاد صفد وما عاد أحد يتعرض الى أحد » (٤٤) فلربما بسبب هذا الخراب نرى أحمد

الحارثي يخرج عن سياسته التقليدية القائمة على عدم الاهتمام بالميناء فنجدته يسمح لاحد الرهبان الكرملين سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م ببناء مساكن في الميناء ويعطيه بذلك دستورا يقول فيه : « ... وكذلك في الميناء يعمر ما يحتاج اليه من المساكن وأعطيناه دستور في ذلك ، فموجب ذلك لا أحد يعترض لهم في ذلك بوجه من الوجوه لا من أهل البلد ولا من غيرهم من العربان والفلاحين وكل من يعترض لهم لا يلوم الا نفسه والحذر من المخالفة في ذلك ، وذلك جرى في اواخر شهر جمادى الاول سنة واحد وأربعين بعد الالف » (٤٥) . وكما يبدو ان هذه التجربة لم يكتب لها النجاح اذ ان هناك بعض الاشارات تفيد انه بدأ يضايق الرهبان بل زيادة على ذلك سجن أحدهم ولم يطلقه الا بعد ان دفع ذاك الراهب لاحمد الحارثي فدية عن نفسه (٤٦) .

كانت الدولة العثمانية السنية تنظر بمزيد من الحذر لتحركات الاقليات من الجماعات والطوائف غير السنية في بلاد الشام خاصة في منطقة الشوف وجبل عامل والجليل الاعلى . فلقد كان سكان هذه المناطق خاصة جنوبي لبنان وشمال فلسطين ، خليطا من الدروز والشيعية الاثني عشرية (المتأولة) والعناصر المسيحية التي كان من ابرزها الموازنة الذين دأبوا على الهجرة من الشمال الى الجنوب بتشجيع من فخر الدين المعني الثاني ، هذا اذا أخذنا ايضا بعين الاعتبار الهجرة اليهودية في القرن السادس عشر (٤٧) الى منطقتي طبرية وصفد . يضاف الى كل ما ذكر اعلاه تواجد العناصر البدوية ، ولعلنا لا نجانب الحقيقة اذا قلنا ان نسبة العناصر السنية المستقرة كانت في تلك المنطقة ضئيلة بالنسبة لمجموع السكان . فمن أجل معالجة هذا الامر نجد ان الدولة العثمانية تحاول سنة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م ، بعد هروب فخر الدين المعني الى تسكانيا ، اجراء تنظيم اداري جديد في ولاية دمشق الشام . فاقطعت ناحيتي صيدا وبيروت ولواء صفد وشكلت منها ولاية جديدة عرفت باسم ولاية صيدا ، وكانت الغاية الاولى من وراء ذلك مراقبة وضبط حركات الدروز (٤٨) . الا ان الحياة لم تكتب لهذه المحاولة اذ ان الدولة العثمانية عادت وصرفت النظر عنها واعادت الولاية الجديدة

الى ما كانت عليه في السابق من حيث تبعيتها لولاية دمشق الشام .
والمحاولة الثانية التنظيمية جاءت سنة ١٦٦٠م وهدفت كالأولى الى
ضبط العناصر المحلية من المعنيين والشهابيين والحمادية والشيعة
وكانت كما وصفها المطران الماروني اسطفان الدويهي (ت ١٧٠٤م)
مشيرا الى خطورة خطوة الوزير محمد باشا كوبريلي والتي دمشق الشام
آنذاك : « ... وحتى يحطم ذراع اولاد العرب عمل صيدا باشاوية
وكتبها على علي باشا الدفتردار » (٤٩) . وبالرغم من هذا التنظيم
الاداري الجديد ظلت حيفا جزءا من لواء اللجون وتابعة لولاية
دمشق الشام مع العلم ان مساحات كبيرة من الاراضي المحيطة بحيفا
بها في ذلك خليجها الشمالي ، كانت قد ضمت الى اراضي الولاية
الجديدة . وربما كان هذا من حسن حظ حيفا اذ أنها بسبب بعدها
من عين سلطة دمشق أصبحت مأوى للقراصنة وللتجارة المهربة
حتى أصبح يطلق عليها اسم « مالطة الصغرى » . فأخذت السفن
تقصدها متجاوزة عن عكا وصيدا وعلى الاغلب للتهرب من دفع
الضرائب المستحقة او لشراء مصاد لم تكن الدولة تسمح بالمناجزة بها
كالقمح والبارود واللتزود بالماء . وكان القنصل الهولندي في عكا طرفا
في عملية التهريب تلك فكان ذلك مدعاة لاثارة حفيظة زبوله القنصل
الفرنسي نظرا للأضرار التي لحقت بالتجارة الفرنسية التي كانت
تعتمد مينائي صيدا وعكا . ونتيجة للشكاوى الفرنسية ، أصدرت
الدولة العثمانية سنة ١٧١٦م فرمانا الى خليل باشا واليها في صيدا ،
تشير فيه الى حركة القرصنة وتأثره ببناء عدد من الابراج حول
ميناء حيفا في محاولة منها لوضع حد لعملية التهريب تلك . واستجابة
لذلك قام الوالي المذكور بزيارة استطلاعية للمنطقة وكانت توصياته
تتلخص باعادة بناء القلعة ولكن وفاته المفاجئة أجلت الموضوع الى
ان استؤنف النظر فيه سنة ١٧٢٢م (٥٠) . وكان قرار الدولة العثمانية
يتلخص في تعمير برجين على جانبي الخليج ، بدل اعادة تعمير القلعة
نظرا لمسا كان يتطلبه اعادة بنائها من التكاليف الباهظة . وكلفت واليها
عثمان باشا أبو طوق (٥١) في صيدا بالاشراف على تنفيذ هذا القرار .

تم انجاز تعمير البرج الاول على الجهة الشرقية في سنة ١٧٢٣م وفرغ من اقامة البرج الثاني على الجهة الغربية من الميناء في سنة ١٧٢٥م . واثام عثمان باشا أبو طوق في كل منها ستة وثمانين من جنود المدفعية (٥٢) وستة وثلاثين من الجبجية (٥٣) ولقد زار الرحالة الانجليزي Richard Pococke حيفا سنة ١٧٣٧م وأشار الى أن الهدف من وراء تشييد هذين البرجين ، كان صد هجمات القرصان . ومن خلال تفاصيل رحلته يلاحظ القارئ نشاط القرصان من مالطا في منطقة شرقي البحر الابيض المتوسط (٥٤) . كل ذلك تم وحيثما زالت تابعة لولاية الشام ، فمن أجل تصحيح هذا الوضع ووضع الأمور في اطارها الطبيعي صدرت أوامر الدولة في سنة ١٧٢٥م بضمها وضم طنطورة الى ولاية صيدا (٥٥) . ورغبة من الدولة في تعمير حيفا ، وعدت ستة من اصحاب الزعامات في سنجق اللجون وخمسة وثلاثين من اصحاب التيمارات في السنجق المذكور باعفائهم من دفع بدل رواتب الجنود الذين كان يجب عليهم توفيرهم على حسابهم الخاص مقابل حصولهم على تلك الزعامات والتيمارات ، فيما اذا انتقلوا وسكنوا في بيوت تقام لهم بالقرب من البرجين المذكورين . وزيادة في التشجيع على سكنى حيفا وعدت الدولة المسيحيين الذين ينتقلون للاقامة في حيفا باعفائهم من الجزية وكذلك من سائر التكاليف العرفية (٥٦) ، ولقد كانت الاستجابة من جانب اصحاب الزعامات والتيمارات والبنكجيرية كبيرة ، ويلاحظ أنه بعد انتقالهم للسكنى في حيفا بدأوا بالعمل في الزراعة مما جعلهم يصطدمون مع الاهالي من سكان حيفا ومع الفلاحين هناك . ولقد عقد اجتماع في أواخر صفر ١١٣٨هـ أوائل تشرين الثاني ١٧٢٥م ، برئاسة الوالي الحاج عثمان باشا أبو طوق المذكور اعلاه للنظر في الامر والبحث عن حل للمشكلة . وتم الاتفاق في ذلك الاجتماع على أن لا يتعرض الاهالي ولا الفلاحون اصحاب الزعامات في حراثة وفلاحة الاراضي المهجورة . وسجلت بنود هذا الاتفاق في حجة شرعية باللغتين العربية والعثمانية وحفظت نسخة منها في « الجبخانه » للعودة اليها . ونظرا لاهمية هذه الحجة فاننا نثبت نصها العربي التالي (٥٧) :

« لما انعقد المجلس الشرعي في القلعة المجددة موجب الفرمان العالي الشريف غربي اسكلة حيفا بحضرة جناب الدستور المكرم المشير المفخم ناظم منازم الامم الحاج عثمان (٥٨) باشا محافظ ايالة صيدا حالا زاده الله رفعة واجلالا وبحضرة فخر الاشباه الحاج مصطفى (٥٩) حمود زاده ضابط (٦٠) اسكلة حيفا الملحقه باسكلة عكا (٦١) وفخري المستحفظين (٦٢) طوبجي ابراهيم اغا وجبجي باشي محمد اغا وشعبان اغا وفخر الاشباه حسين بيك اميرالاي (٦٣) سنجق اللجون حالا واميرالاي السنجق المزبور سابقا مصطفى زعيم (٦٤) الطيرة (٦٥) وحيفا وبحضرة الشيخ رافع (٦٦) والشيخ احمد مرعي (٦٧) المتكلمين على اهالي حيفا وكافة الاسباهية والينكجيرية الساكنين بقلعة حيفا الشرقية واحمد مصلح وسائر الفلاحين (٦٨) والاسباهية والينكجيرية المرموقين . ان الشيخ رافع والسيد احمد مرعي مشايخ حيفا يتعارضونهم في اراضي ناحية حيفا قائلين وزاعمين انها لهم ولا يأذنون لهم في حرثها وزرعها وطلبوا دفعهم عنهم وعدم المنازعة لهم . فسئل من مشايخ حيفا المذكورين ومن فلاحيتها عن ذلك فاجابوا منكرين المنازعة والمعارضة بل لسائر سكان القلعتين الشرقية والغربية ان يزرعوا ويحرثوا في اي ارض ارادوا زرعها وحرثها ان كانت من ارض السعادة (٦٩) او الحوارث (٧٠) وسائر اراضي احمد زيدان (٧١) واتباعه النازحين عن قريتهم واي ارض تركها اهلها ثلاث سنوات معطلة وغامرة من غير حرث ولا زرع لهم ان يحرثوا ويزرعوا ويتصرفوا بها كما شاءوا واختاروا شرعا وفرعا لا ينازعهم منازع ولا يعارضهم معارض ، فعندها كان من كلام جناب الوزير المشار اليه ان هذه الاراضي حيث تركها اهلها ونزحوا عن بلادهم رجعت رقبته وتصرفها لبيت مال المسلمين وصار امرها مفوضا لوكلاء حضرة السلطان نمره العزيز الرحمن والضابطي المقاطعات ولما كان الامر كذلك ، صدر الامر منه ان من سكن في احدى القلعتين المزبورتين من الفلاحين والزراعيين والحراثين وسائر الرعايا على موجب الفرمان العالي الثبان السلطاني وعمر بها بيتا من حجر ومدر وسكن واستقر بها لاجل محافظة بلاد المسلمين ونفوس المؤمنين ففي اي ارض حرث

وزرع من سائر اراضي سنجد اللجون لا يدفع من محصولاتها الا العشر الشرعي للمعشر كما هو مسطر في كتب الفقه ويكونون معافون (كذا) من جميع التكاليف الشاقة وغيرها ، فعندها التمس سكان القلعتين سندا شرعيا يكون بيدهم مظلدا فقرر مشايخ حيفا ان بلدهم خمسية ومن الآن كل من طلبوا منه ما هو متوجب عليه من المال فيفر عنهم ويسكن في احدى القلعتين فيلزم منه خراب بلدتهم ، فعندها صدر الامر من جناب الوزير المشار اليه ان من فر من اهالي حيفا وسكن باحدى القلعتين فمهما كان متوجب عليه من المال يدفعه لهم ولا ينازعهم من سكان القلعتين منازع ومن تاريخ هذا الكتاب من اراد السكنى من اهالي حيفا في احدى القلعتين فلا يواويه احد من سكانها وارتضى كل من الفريقين على ذلك واقره كل منهم وانفصل الامر عليه والتمس كل منهما كتب هذا الصك وحفظه في كل من القلعتين في الجبخانه العامة ليكون للفريقين سندا شرعيا فكتب ما وقع وحرر بالطلب في اواخر صفر الخير لسنة ثمان وثلاثين ومائة والالف »

شهود

الحاج يوسف بيك	محمد بيك زعيم	ابراهيم بيك زعيم
رجب بيك	احمد بيك	عوض بيك
احمد بيك	قرا حسن طوبجي	يوسف جبجي
وغيرهم		

لقد اتسم العهد العثماني في بلاد الشام ، مقارنة بغيره من المهود الاسلامية ، بتوفير الامن والحماية لسواحل تلك البلاد ، ولقد واكب ذلك ازدهار تجاري اوروبي مع السواحل الشامية ، فكان من النتائج التي ترتبت على ذلك ان السواحل التي كانت مهجورة منذ اخراج الفرنجة منها سنة ١٢٩١م ، قد دبت فيها حركة العمران ، ونتيجة للاغراءات التجارية ونظرا للانتقسام الذي اصاب الكنيسة الارثوذكسية ، أصبحت العناصر السكانية ، خاصة المسيحية منها

تهاجر بالتدريج من الداخل الى الساحل الذي أصبح يكتسب سمة مسيحية بارزة. وزيادة على ذلك فان مراكز الثقل الحضاري والتجاري والفكري والسياسي قد بدأت ايضا تتحول تدريجيا عن الداخل نحو الساحل. ومن هنا لم يكن ظهور الزيادنة وأحمد باشا الجزار ثم دور مسدن السواحل في القرن التاسع عشر والعشرين عفويا .

ان حركة العمران تلك التي عرضنا لها في حيفا لم تكن الوحيدة في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر بل ان هناك تجارب مشابهة ، والذي يهمنا ان ندعو اليه هنا انه من أجل فهم دقيق وموضوعي للقرن التاسع عشر ، أنه آن الاوان لدراسة القرن الثامن عشر من مختلف جوانبه لفهم حركة الاصلاح والتجديد ، قبل هبوب رياح الحضارة الاوروبية على المجتمع الشامي الاسلامي لتتركه على مفترق الطرق .

(١) أبو معين الدين ناصر خسرو القبادباني المروزي من مواليد سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٢ م ، عمل ، بعد دراسته مختلف فنون المعرفة المعروفة في عصره آنذاك موطناً في مرو وتطلب في عدد من المناصب ، إلا أنه تركها وغادر مرو لاداء فريضة الحج ، وربما جاء ذلك طلباً لدموة من الخليفة الفاطمي في القاهرة . بعد اقامة لسه بالقاهرة ادى فريضة الحج وعاد الى بلخ وهو يحمل « لقبس الحجة في الدعوة » ، طارده السلاجقة فالتجأ الى مناطق يمكن حيث انصرف للتأليف والدموة توفي سنة ٤٥٢ / ١٠٦٠-١٠٦١ م ، حول مؤلفاته ورحلته انظر :

E. Berthels, "Nasir-i : Khusraw" E. I. Vol. iii, PP. 869 - 70.

كذلك انظر المقدمة التي صدر بها يحيى الخشاب الترجمة العربية لسفرنامه ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٥ - ٣٢ .

(٢) حول حيفا انظر : "Hayfa" E. I , Vol. iii, PP. 324-6

انظر كذلك النصوص المجموعة منها :

Palestine Under The Moslems, by Guy Le Strange, Khayats, Beirut, 1965, P. 446,

وفي كتاب بلدانيسية فلسطين العربية للاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي ، مطبعة جان دارك ، ١٩٤٨ ، ص ٦٥ . أما عن حيفا في القرن التاسع عشر فانظر كتاب : Laurence Oliphant, Haifa or Life in Modern Palestine, London, 1887.

اشكر الاستاذ عبد العزيز الدوري والدكتور عوض خليفات اللذين زوداني بنسخة مصورة من هذا الكتاب ، كذلك انظر مقالة :

Archdeacon Dawling, "The Town of Haifa", Palestine Exploration Fund, Vol. (1914) PP. 184-91.

أما عن حيفا في مطلع القرن العشرين فراجع محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الحلبي ، ولاية بيروت - القسم الجنوبي ، مطبعة الانتبال ، بيروت ، ١٣٣٥ هـ ، ص ٢٢٦ - ٢٧٠ .

(٢) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٥٢ ، أما الجودي فهي مفردة قرآنية ترد في سورة هود في معرض قصة سفينة نوح عليه السلام حيث يقول سبحانه وتعالى : « وقيل يا ارض ابلمي ماءك ويساء اقلمي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » آية رقم ٤٤ . وفسرت الجودي هنا بأنها مكان حيث يذكر ياقوت ذلك بقوله « الجودي ... هو جبل مظل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح م لما نضب الماء » ومثل ذلك يذكره ابن منظور إلا أنه يضيف اليها معنى آخر نفلا عن الجواليقي فيقول : « والجودياء بالنبطية او الفارسية الكساء » وذكرت الكلمة في بيت من الشعر بمعنى « جبة السبور » حتى هنا نرى ان هذه اللفظة لا تستغنى بمعنى السفينة والجدير بالذكر ان شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر

البناء الهشاري المقدسي (ت ٥٢٧٥ / ٩٨٥ م) عند تعدادة لبعض أنواع السفن لا يذكر الجودي ، زيادة على ذلك لا ياتي على ذكر حيفا عند تناوله اقليم الشام . كما ان حبيب الزيات في مقالته « معجم المراكب والسفن في الاسلام » لا يذكرها ، وعند العودة الى كتاب جورج نضلو حوراني فانه لا يذكر الجودي ، راجع موهوب ابن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت ٥٥٤٠ / ١١٤٥ م) « المغرب من الكلام الاعجمي على هروف المعجم » ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، طبعة الاونست ، طهران ، ١٩٦٦ م ، ص ١١١ ، انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق دوفويه ليدن ١٩٠٦ م ، ص ٨١ ، ص ١٥١ - ١٩٢ ، معجم البلدان ، ٦ م تحقيق برنارد وستيلد ، طبعة مصورة ، طهران ، ١٩٦٥ م ، ٢ م ، ص ١٤٤ ، لسان العرب ، ١٤ م ، دار صادر بيروت ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م ، ٣ م ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، حبيب الزيات ، « معجم المراكب والسفن في الاسلام » ، المشرق ، ٤٣ ، (١٩٤٩ م) ص ٢٢١ - ٢٦٤ .
George Fadlo Hourani, Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, Khayats, Beirut, 1993.

(٤) حول حياة الادريسي انظر :

G. Oman, "al-Idrisi" II³ Vol. iii, PP. 1032 - 5.

(٥) الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الرابع ، روما ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٦٥ .

(٦) كندري المقصود به هو Godfrey de Bouillon (١٠٦٠ - ١١٠٠ م)

دوق لورين الدنيا ، كان قد استجاب مع اخوته لنداء البابا أوربان الثاني في ارسال حلات صليبية لاستخلاص قبر السيد المسيح من ايدي المسلمين ، وشارك في حصار القدس والدخول اليها في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ م ، حيث وقع عليه الاختيار ليكون اول ملك لرنجي للقدس ولكنه رفض لقب ملك واكتفى بلقب :

Advocatus Sancti Sepulchri

ولقد كانت وفاته يوم الاربعة في ١٨ تموز سنة ١١٠٠ م وخله على ملك القدس اخوه بلدوين الاول انظر حول هذه الاحداث :

S. Runciman, A History of the

Crusades, Vol. I, Cambridge U. P, PP. 112, 145 - 7, 280 - 6, 291 - 318

(٧) ذكر ياقوت خطأ ان تاريخ استرجاع حيفا كان سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م والواقع كان

ذلك بعد عشر سنوات من التاريخ الذي ذكره . حول ذلك انظر العباد الاصمغاني ، محمد بن صلي الدين (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) ، الفتح القسي في الفتح المقدسي ، تحقيق وشرح محمد محمود صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ٩٤ ، حيث يذكر ان حيفا استسلمت الى بدر الدين لدرم وغرس الدين قليج بمعد فتمهم قيسارية .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ م ، ص ٢٨١ .

(٩) حول هذا الدمار الذي لحق بحيفا في عهد السلطان الظاهر بيبرس ، انظر محيي الدين بن عبد الظاهر الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦م ، ص ٢٢٤ ، وكذلك راجع بيبرس الدواداري المنصوري (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، المتحف البريطاني ، رقم Add. 23325 ورقة ٧٠ ب ، راجع أيضا تقي الدين أحمد بن علي القرظي (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، م ١ / ق ٢ تحقيق محمد مصطفى زياده ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ، والملاحظ ان الشيخ قطب الدين يونس بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) لا يذكر خبر مهاجمة حيفا في أخبار سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، انظر ذيل مرآة الزمان ، م ٢ ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ، م ٢ ، ص ٣١٨ . اما أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) فيشير الى ان الظاهر بيبرس فتح قيسارية « وتسلم قلعتها في يوم الخميس الآخر خامس عشرة نهدمها وانتقل الى غيرها » البداية والنهاية ، ١٤ م ، بيروت ، ١٩٦٦م ، م ١٣ ، ص ٢٤٤ .

(١٠) التلشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ١٤ م ، المطبعة الاميرية ، دار الكتب المصرية ١٩١٢ - ١٩١٩م ، م ٤ ، ص ١٥٥ .

(١١) حول حياة هذا البحار انظر :

Franz Babinger, "Piri Muhyi al-Din Reis" E.I, Vol. III, PP. 1070-71.

(١٢) انظر هذا الوصف في النص الذي ترجمه ونشره :

U. Heyd, "A Turkish Description

of the Coast of Palestine in the Early Sixteenth Century", Israel Exploration Journal, Vol. VI, (1956), PP. 201-216.

(١٣) حول اللجون انظر صدر الدين محمد بن عبد الرحمن العثماني الدمشقي (ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٦م) حيث يذكره على انه ولاية من العمل السابع في صدد وان اهلته من مشير يمين

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS, Vol. XV/3, (1953), P. 483.

انظر أيضا ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ٢٥١ .

(١٤) حول صدد المملوكية انظر العثماني المذكور اعلاه ، والتلشندي ، صبح الاعشى ، م ٤ ، ص ١٤٩ .

(١٥) حول هذه الحركة انظر شمس الدين بن طولون (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) مفاتيح الخلان في حوادث الزمان ، م ٢ ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦٢ - ١٩٦٤م ، م ٢ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، كذلك لنفس المؤلف ، اعلام الورى بن ولي نائبا من الاتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق محمد احمد دهمان ، دمشق ، ١٩٦٤م ، ص ٢٣١ - ٢٣٧ .

(١٦) حول هذه التقسيمات انظر :

U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine

1552 - 1615, (O. U. P.) 1960, P. 35.

(١٧) هذا الدفتر محفوظ بمديرية المحفوظات التابعة لرئاسة الوزراء باسطنبول ، تحت رقم ١٩٢ . والجدير بالذكر أنه يوجد بنفس المديرية دفتر طابو آخر تحت رقم ١٠٢٨ ، غير مؤرخ يزودنا بالمعلومات التالية من حيث : « قرية حيفا تابع مرج بني عامر ، خانة ١٦ ، حاصل قسم من الربيع ،

حظنة / غراره / شمر / غراره خراج زيتون خراج ثين رسم معزة رسم نحل

	٨	١٥
٢٥٠	١٢٥	٥٠
١١٦٥	٥٦٠	١٩٥٠

يكون ٤١١٠ ، ص ٢٢١ « ويبدو أن هذا الدفتر أقدم بعض الشيء من دفتر رقم ١٩٢ م .

(١٨) مديرية الأراضي والطابو بالقاهرة ، رقم ١٨١ . لقد استخدم كل من W. D. Hutteroth and K. Abdul Fattah

هذا الدفتر في دراستهما المعنونة باسم :

Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th, Erlangen 1977.

من دفاتر الطابو انظر أيضا :

O. L. Barkan, "Daftar-i Khakani : E. I.³ Vol, ii PP. 81 - 3.

وأيضا من الدفاتر المتعلقة بالبلاد العربية انظر :

B. Lewis, the Archives as a Source for the History of the Arab Lands" JRAS, London, PP. 139 - 55.

Ibidum," Studies in the Ottoman Archives I. BSOAS, Vol. XVI / 3, London (1953) PP. 469 - 501.

هذا بالإضافة الى الدليل الواسع الذي أعده :

Midhat Sertoglu, Muhteva Bakimindam Basvekalet Arsivi, Ankara, 1955.

أما بشأن مديرية محفوظات اسطنبول التابعة لرئاسة الوزراء ، انظر :

B. Lewis, "Basvekalet Arsivi" E. I.² Vol. i, PP. 1089 - 91.

(١٩) الخانة : وحدة تعداد السكان في الدولة العثمانية ، والمقصود بذلك الاسرة ويقدر الدارسون لهذا الموضوع عدد أفرادها ما بين ٥ - ٧ أشخاص . أما الذين لم يكن لهم أسر فكانوا يدونون تحت عنوان مجردين أي غير متزوجين .

(٢٠) حول سكان لسواء دمشق الشام في القرن السادس عشر ، انظر :

M. A. Bakhit, The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century Ph. D. London, 1972, PP. 44 - 94.

(٢١) الاتجة : الاسم الذي كان يطلق على وحدة النقد العثماني المخروبة من النصف وتشير اليها المصادر الأوروبية عادة باسم أسبر المحرف عن اليونانية . حول تاريخ هذه الوحدة النقدية ، انظر :

H. Bowen, "Akce" E. I. , Vol. I, PP. 317 - 8.

(٢٢) كانت غرارة دمشق تزيد بقليل من ٢٥٠ لستر ، حول ذلك انظر :

B. Lewis, "Jaffa in the 16th Century According to the Ottoman Tahrir Registers" in Arabic and Islamic Studies in Honour of Hamilton A. R. Gibb, Leiden, P. 437, Footnotes.

(٢٣) حول اسباب هذه المشكلة من التضخم وارتفاع الاسعار ، انظر :

B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey, (O. U. P.) 1965, PP. 29 - 32.

وانظر أيضا :

Halil Sahillioglu, "Sivis Year Crises" in Studies in the Economic History of the Middle East, Edited by M. A. Cook, O. U., P. 1970, PP. 240 - 1

O. L. Barkan, Kanunlar, Istanbul, 1945, P. 220.

(٢٤) انظر :

(٢٥) دفترى طابو ، ١٨١ (أنقرة) ، ص ٢ .

(٢٦) المصدر والمكان ذاتهما .

(٢٧) ينص قانون نابة لواء الشام على ما يلي :

"ve iki Kavana Bir Para resimolina" Barkan, Kanunlar, P. 220.

(٢٨) حول هذه الضريبة انظر :

B. Lewis, "Arus Resmi" E. I.² , Vol. 1. P. 679.

وكانت القاعدة في دمشق الشام انه عند عقد نكاح بنت بكر أن تأخذ الدولة مائة وخمسة وعشرين درهما ، عشرون منها تمطى للقاضي العثماني الحنفي ، ودرهم واحد للمأذون الذي أجرى العقد ، وأربعة للشهود ، أما المائة الباقية فكانت إما أن تحول للخاص السلطاني ، أو لخاص أمير اللواء أو لآحد أصحاب التيمارات حسبما يحدد ذلك دفتر الطابو . أما في حالة الإمرة أو المطلقة فكان الرسم دون ذلك ويبلغ خمسة وسبعين درهما ، خمسة وعشرون منها توزع بالطريقة المشروحة أعلاه والباقي تحول إما للخاص أو لصاحب الزعامة أو للمستفيد من التيمار ، انظر :

Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, PP. 139 - 40.

(٢٩) باد هوا (رياح الهواء) مصطلح فارسي مركب من كلمتين - باد - ربح وهواء العربية وهي الضرائب المتفرقة حول هذه الضريبة راجع :

B. Lewis, "Bad - i Hawa" E. I. , Vol. i, P. 850.

Bakhit, The Ottoman Province, P. 140. (٣٠) حول هذه الضريبة انظر :

حول الغرامات والعقوبات التي تلحق المرتكب « للجرم والجنايات » في قانون العقوبات العثماني ، انظر :

U. Heyd, Studies in Old Ottoman Criminal Law, Edited by

V. L. Menage, (O. U. P.) 1973, P. 276.

(٢١) كلمة اسكلة مفردة من اصل يوناني تعيد معنى التحصيل والتزليل ، دخلت الى اللغة الإيطالية ومن طريق هذه اللغة وبسبب النشاط التجاري للمدن الإيطالية صيربت هذه الكلمة للغة العربية على شكل « سفالة » والى اللغة التركية باسم اسكلة - اي الميناء . حول تاريخ هذا المصطلح البحري انظر :

H. Kahane and A. Tietze, *The Lingua Franca in the Levant, Turkish Nautical Terms of Italian and Greek Origin*, Urbana, 1953, PP. 568 - 72.

انظر أيضا :

R. Dozy, *Supplement aux Dictionnaires Arabes*, 2 Vols, Brill, Leiden, 1881, Vol. i. P. 23

J. Redhouse, *Türkçe - İngilizce Sözlüğü*, Istanbul, 1966, P. 550.

(٢٢)

Barkan, *Kanunlar*, PP. 224 - 6.

(٢٣) طابو دفتری ١٠٢٨ (اسطنبول) ، ص ٢٣٥ .

(٢٤) طابو دفتری ١٩٢ ، ص ٤ .

(٢٥) حول هذه الاسرة انظر دراستي : *الاسرة الحارثية في مرج بني عامر ٥٨٨٥ / ١٤٨٠م - ٥١٠٨٨ / ١٦٧٧م* . المقدمة الى ندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة مين شمس ، أيار ١٩٧٧ ، وكذلك مقالة :

M. Sharon, "The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries" in *Studies on Palestine During the Ottoman Period*, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

(٢٦) طابو دفتری ١٨١ (انترة) ، ص ١٩ .

(٢٧) حول حياة ودور هذا الزعيم في مجريات الاحداث المحلية انظر محمد أمين بن نضل الله (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ٤ م ، تصوير مكتبة خياط ، بيروت ، لا ، ت ، ٤ م ، ص ٥٠٢ وكذلك دراسة :

K. Salibi, "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640" *Arabica*, Vol. XX, (1973), PP. 25- 52.

كذلك مقالتي « أحداث بلاد طرابلس الشام ١٠١٥ / ١٠١٦هـ ، ١٦٠٥ / ١٦٠٦م » مجلة مجمع اللغة العربية الازدي ، العدد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ١٧١ - ٢٠٦ والمصادر المذكورة في هذا المقال .

U. Heyd, *Ottoman Documents on Palestine*, P. 129. (٢٨)

(٢٩) الشيخ أحمد الخالدي الصندي (ت ١٠٢٤هـ / ١٦٢٤م) ، تاريخ الامر فخر الدين المعني الثاني ، تحقيق أسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٩ .

(٣٠) المصدر ذاته ، ص ١٤٢ .

(٣١) المازق ، محرقة من أزيق التركية وهي المؤونة ، انظر رد هاوس ، ص ٨٢ - ٨٣ (طبعة ١٩٢١) .

(٤٢) أوتراق : الإقامة ، أنظر رد هاوس ، ص ٩٠٤ (طبعة ١٩٦٨) .

(٤٣) الخالدي المندي ، المصدر ذاته ، ص ١٩٣ .

(٤٤) الخالدي ، المصدر ذاته ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ، يذكر طنوس الشدياق (ت ١٨٥٩م) دون أن يذكر مصدره أن هدم البرج كان جزءا من بنود الاتفاق ، أخبار الاعيان في جبل لبنان ، ٢ م ، تحقيق نؤاد أنرام البستاني ، بيروت ، ١٩٧٠م ، م ١ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، يشير جميل البحري الى برج المعجوز أو برج الزورة على أنه « صخرة منتصبة على شاطئ البحر قيل أنها من بقايا برج حصن للمدينة القديمة ، وربما كانت هذه الصخرة من بقايا البرج الذي هدمه أحمد الحارثي . هذا مع العلم أن ظاهر العمر الزيداني سنة ١٧٥٠م هدم حيفا وبنى مدينة جديدة بالقرب منها أسماها العمارة الجديدة وأنه بسبب ذلك وعلى الأرجح ، لم يبق بالبرج القديم أنظر ، جميل البحري ، تاريخ حيفا ، المطبعة الوطنية ، ١٩٢٢ ، ص ٥ ، كذلك راجع :

L. A. Mayer and J. Pinkerfeld, Some Principal Muslim Religious Buildings, Jerusalem, 1950, PP. 39 - 40.

(٤٥) أنظر نص هذا الدستور في كتاب جميل البحري ، تاريخ حيفا ، ص ٥٠ ، ويذكر البحري أنه نقله من مخطوط موجود في مكتبة دير الكرمل .

(٤٦) أنظر محمود العابدي ، صفد في التاريخ ، عمان ، ١٩٧٧ ، ص ٧٠ .

(٤٧) أنظر حول ذلك : B. Lewis, "The Jews in Palestine in the 16th Century" in Notes and Documents From the Turkish Archives, Jerusalem, 1952, PP. 5 - 47, See also U. Heyd "Turkish Documents Concerning the Jews of Safed in the Sixteenth Century" in Studies on Palestine During the Ottoman Period, PP. 111 - 18.

(48) U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, PP. 47 - 8.

(٤٩) الدويهي ، اسطنان (ت ١٧٠٤م) ، تاريخ الزمنية ، تحقيق الاب نرديان توبل اليسومي ، بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ، حول منزلة اسطنان الدويهي التاريخية أنظر :

Kamal Salibi, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959, PP. 89 - 160.

الشدياق ، أخبار الاعيان ، م ١ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، راجع أيضا :

A. Rafeq, The Province of Damascus 1723 - 1783, Khayats, Beirut, 1966, PP. 3 - 4, 32.

(٥٠) أنظر : Amnon Cohen, Palestine in the 18th Century, Patterns of Government and Administration, Jerusalem, 1973, PP. 137 - 140.

وحول نواجد القناصل في الدولة الإسلامية أنظر :

B. Spuler "Consul" E. I. Vol. ii, pp. 60 - 61.

والجدير بالذكر أن السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م) ،
يعرب القنصل بقوله : « قلت ويعبر به عن الوكيل للكار في بلاد الاسلام » ،
تاج العروس ، م ٨ ، ص ٨٩ .

٥١ (القبودان عثمان باشا أبو طوق (ت ١٧ ربيع الثاني ١١٢٩هـ / ٢٦ كانون الأول
١٧٢٦م) ، كان زوجا لشقيقة السلطان ، تولى حكومة دمشق الشام أكثر من
مرة ، وكذلك البصرة وصيدا ، وأثناء توليه دمشق كان أمير قافلة الحاج
الشريف أكثر من مرة ومن هنا اكتسب لقب حاج . ولي أحد أبنائه الذي كان
زوجا لابنة السلطان صيدا وآخر ولي القدس . اتسم عهده بدمشق بظهور فئة
أطلق عليها اسم العوانية ، ألحقت الضرر بالناس وابتزت أموالهم مما دفع العامة
بقيادة المفتي محمد خليل البكري الصديقي (ت ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م) إلى أن يهاجموا
العوانية « فمنهم من قتل ومنهم من صلب واخبروا الدولة العلية بما وقع وصدر » ،
حول اوضاع بلاد الشام في عهده أنظر ، محمد بن جهمه القار (ت ح ١١٥٦هـ /
١٧٤٣م) ، كتاب الباشات والقضاة نشره صلاح الدين المنجد مع نصوص أخرى
باسم ولاية دمشق في العهد العثماني ، دمشق ، ١٩٤٩م ، ص ٥٧ - ٦٠ ،
الشدياق ، أخبار الاميان ، م ١ ، ص ٥٧ ، م ٢ ، ص ٣١٦ ، حيدر أحمد
الشهابي (ت ١٨٣٥م) الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان ، تحقيق أسد رستم
ونؤاد أنرام البستاني ، م ٢ ، ص ١٧ ، عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر ،
دمشق ، ١٩٦٨م ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ولنفس المؤلف :

The Province of Damascus PP. 77-85, 112-13.

يذكر عبد الأمير محمد أمين شخصا باسم الوزير عثمان باشا متسلما للبصرة
ما بين ١٧١٢ - ١٧١٤م ، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ،
بغداد ، ١٩٦٦م ، ملحق رقم ٣ ، ص ٩٣ ، حول حياة الشيخ البكري ، راجع
محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ،
م ٢ ، ص ٨٢ - ٩٧ .

٥٢ (تذكر المصادر العثمانية جنود المدفعية باسم طوبجو ، حول هذا المصطلح أنظر :
H. A. R. Gibb and H. Bowen, Islamic Society and the West, (O. U. P) 1963,
Vol. i, Part i, PP. 66.7.

٥٣ (الجبجية : الجنود الذين يلبسون الدروع ، انظر المرجع السابق ، الصفحة ذاتها .

٥٤ (يصف ذلك بقوله : "There are also ruins of a large building that
seems to have been the castle ; and they have built two forts, as a defence
against the corsairs", A Description of the East and some other Countries,
Vol. ii, Part i. Observation on Palestine or the Holy Land, Syria, Mesopota-

mia, Cyprus and Candia, London, W. Bowyer, 1745, PP. 51, 56.

وليزيد من التفاصيل حول هذه الرحلة انظر :

Mohammad Ali Hachicho, English Travel Books About the Arab Near East in the Eighteenth Century, Leiden, E. J. Brill, 1965, PP. 35-8.

(٥٥) امنين كوهين ، المرجع ذاته ، ص ١٤٠ .

(٥٦) المرجع ذاته ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٥٧) الحجة التي ثبت النص العربي منها هنا وجدتها ملصقة في داخل دفتر الطابو رقم ١٨١ الموجود في مديرية الاراضي بانقرة ، وتاريخها « أواخر صفر الخير لسنة ثمان وثلاثين ومائة والف » بينما يشير امنين كوهين الى وثيقة مشابهة لها ضمن مجموعة المالبية المدورة باسطنبول ولكن تاريخها ١٣ ربيع الثاني ١١٢٨ هـ / ١٩ كانون الاول ١٧٢٥ م . انظر كوهين ، المرجع ذاته ، ص ١٤١ - ١٤٢ ، وهامش رقم ٩٦ .

(٥٨) انظر هامش رقم ٥١ اعلاه .

(٥٩) لم أشر على ترجمة للحاج مصطفى حمود زاده الا انه كما يبدو أن عائلة حمود الصيداوية خلال مطلع القرن الثامن عشر قد كانت تلتزم بجاية الضرائب المتوجبة على عكا وصور وصيدا وبيروت وبهذا الخصوص يذكر حمود الصباغ ما يلي : « بما أن عكا لم كانت في ذلك الوقت في يد ضاهر بك كان ملتزمها علي اغا حمود الذي كان مقيم في صيدا ويلتزم من كل وزير يحضر عكا وبيروت وصور اقلام صيدا ويرسل السى الاماكن المذكورة متسلما من طرفه » الروض الزاهر في اخبار ضاهر ، المكتبة الوطنية ، باريس ، Arabe 4610 ورقة ١٩ .

(٦٠) ان طبيعة عمل الضابط من خلال هذا النص ونصوص اخرى تبدو لنا انها تعني الالتزام بالضرائب ولكن على نطاق ضيق ومحدود . وعلى الأرجح انه ليس ذا بعد عسكري . وكان هذا اللقب يطلق على الملتزمين بغض النظر من دينهم ، فمثلا يذكر حيدر أحمد الشهابي أن نارس الدهان (مسيحي) كان ضابط الكرك لدى الجزائر ، على أية حال فان الضابطية كمؤسسة بحاجة لدراسة اولى ، انظر تاريخ أحمد باشا الجزائر ، نشره الاب انطونيوس شجلي والاب اغناطيوس مبدخ خليفة ، مكتبة انطون ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، ص ١٠٣ ، انظر أيضا :

B. Lewis, "Dabit". E. I.³ , Vol. ii, P. 74.

(٦١) حول تطوير عكا في القرن الثامن عشر انظر ، امنين كوهين ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ - ١٣٧ ، راجع أيضا النصوص التي جمعها عنها الاب بمرجي الدومينيكي ، بلدانية فلسطين ، ص ١٦١ - ١٦٦ كذلك انظر :

F. Bühl, "Akka" E. I.² , Vol. i, P. 341.

(٦٢) المستحفظان : هم الجنود الذين كانوا يوضعون لحماية القلاع .

(٦٣) الإي كلمة تركية تعني مجموعة من العسكر ، انظر : جب ، وبون ، المرجع ذاته ، م ١ ، ج ١ ، ص ١ ، ٥١ ، ١٤٥ .

(٦٤) زعيم رتبة في نظام التيهار العثماني ، كان صاحبها يمنح اقطاعا من صف الخاص ، انظر المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٥٦ .

(٦٥) في القرن السادس عشر كان هناك ثلاث قرى باسم الطيرة ، منها أولا قرية طيرة اللوز تابيع ساحل مثلث الغربي التي كان عدد سكانها سنة ١٩٤٥ / ١٥٢٨م ، ٦٩ خانة ومجردين ، وقيمة حاصلاتها المستحقة ٢٠٣١٠ اقة (ص ٥ - ٦) ، أما في سنة ١٩٠٥ / ١٥٩٦م ، فان عدد سكانها يتناقص الى ٥٢ خانة ، وكانت قيمة وريع حاصلاتها ٢٢٠٠٠ اقة أما رسم الماعز والنحل المحصل منها فكان ٢٠٠ اقة ومثل ذلك « البادهوا ورسم عروس » . خمسة عشر الف اقة من هذه العائدات كانت مخصصة كجزء من زعامات أحمد وعلي ولدي طراباي وكخداهم (ويكلهم داود) . (ص ١٨ - ١٩) ، أما الطيرة الثانية ، فكانت تعرف باسم الطيرة الشمالية عدد سكانها بموجب الدفتر الاول ثلاث خانات وقيمة ريع حاصلاتها ١٩٤٢ اقة . والطيرة الثالثة تذكر باسم الطيرة القبليّة عدد سكانها ٥ خانات وقيمة ريع حاصلاتها ١٩٧٠ اقة (ص ٢٩ - ٣٠) ، وبموجب الدفتر الثاني تذكر الطيرة الشمالية والقبليّة كمزارع من زعامات أحمد وعلي ولدي طراباي وقيمة ريع حاصلاتها في السنة ١٢٠٠٠ اقة (ص ١٧) . من هذا يظهر أن المقصود بقرية الطيرة هي المشار إليها باسم طيرة اللوز لأن الآخرين تحولوا الى مزارع . ويشير U. Heyd الى أن الأمير عساف ال طراباي في سنة ١٩٨٧ / ١٥٧٩م ، كان قد بنى مسجدا في قرية الطيرة ، راجع :

U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, P. 110. n. 4

(٦٦) ان كلمة شيخ الشائمة والمتداولة منذ زمن بعيد في التاريخ العربي الاسلامي ذات حلولات مختلفة ، فعند النسابين تفيد معنى المتنفذ في العشيرة ، وبالنسبة للصوبية تعني من بلغ مستوى رفيعا في الطريقة ، ولدى اصحاب الحسرة والاصناف تدل ايضا على المستوى الرفيع في تنظيمهم الهرمي ، وهي رتبة علمية في وسط العلماء . والملاحظ أن مثل هذا اللقب يشيع استعماله في ريف بلاد الشام بين الفلاحين والزراع ولا يقتصر استخدامه على المسلمين السنة فقط بل ان غيرهم من بعض الاسر الدرزية والمسيحية كان لها مثل هذا اللقب . والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل لقب أمير وشيخ ومقدم الذي تذكره المصادر كان يمنح ويستخدم بموافقة الدولة العثمانية أم أنه كلقب كان يدل على منزلة اجتماعية نشأ محليا ؟ من ناحية أخرى حافظت الدولة العثمانية على مؤسسة المشيخة التي كانت استمرارا لمؤسسة إمارة العرب التي وجدت في العهد الايوبي واستمرت في عهد المماليك . والذي يبدو أن المشايخ في القرى كانوا أصحاب نفوذ ولم يكونوا أصحاب سلطة الى أن بدأوا يعملون كمليّزمين صغار ربما باستثناء ظاهر العمر

الذي يصفه عبود الصباغ بقوله « قصار الاسم الى ظاهر عند الدولة والمشخة
 عند الفلاحين » وانه كان يحارب « مشايخ الفلاحين الذين بالقرب منه ويأخذ
 بلادهم ويلتزمها » وأصبح لقبه كما يذكره المرادي « شيخ شيوخ البلاد الصندية » .
 وعلى الأرجح أنه لم يكن للشيخ في القرى في هذه المرحلة السلطة والصلاحيات
 وشبه الصفة الرسمية التي كان يتمتع بها الشيخ في القرية المصرية في القرن
 الثامن عشر . حول من تلقب بهذا اللقب أنظر الشيخ حسن البوريني (ت ١٠٢٤هـ /
 ١٦١٥م) ، تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، ٢ م ، تحقيق صلاح الدين المنجد ،
 دمشق ١٩٥٩م ، ١٩٦٣م ، ٢ م ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، الخالدي الصندي ، المصدر
 ذاته ، ص ١٣ ، ١٤ ، ٢٦ ، ص ٣٤ ، ٤١ ، ٦٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٩٦ ،
 المرادي ، سلك الدرر ، ٢ م ، ص ١٨٤ ، عبود الصباغ ، المصدر ذاته ،
 ورقة ٣ ب ١٧ ، حيدر الشهابي ، الفرر الحسن ، ٢ م ، ص ٦ .

من الشيخ في مصر في القرن الثامن عشر أنظر :

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، الريف المصري في القرن الثامن عشر ،
 مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤م ، ص ١٨ - ٢٣ .

أنظر أيضا عن سياسة الدولة العثمانية تجاه القبائل وأحياء المشخة في القرن
 الثامن عشر : Barbir, Carl K., The Dynamics of Ottoman Rule in
 Damascus During the First Half of the Eighteenth Century Ph. D. Princeton
 1976, PP. 135 - 139.

(٦٧) لم أعر على ترجمة أو أية معلومات عن الشيخ رافع أو الشيخ أحمد مرعي .
 (٦٨) ان قوانين نامة الولايات العربية في الدولة العثمانية « قوانين نامة الموصل ،
 القدس ، الشام ومصر » . تذكر الفلاحين في معرض اعطائهم نصف محصول
 الزيتون الروماني ، وان الفلاحين كما نص قانون نامة لواء دمشق الشام ليسوا
 جزءا من ملكية الأرض وان اقتسامهم مخالف للقانون ، والملاحظ أن الفلاحين
 في القرن الثامن عشر في بلاد الشام أصبحوا قوة محلية ذات رئاسة متمثلة
 بالمشايخ . ويلبس من يقرأ الروض الزاهر في تاريخ صاهر ، ان عبود الصباغ
 يكثر من استخدام هذا المصطلح مثل « ... والمشخة له عند الفلاحين » وانه
 كان « ... يصطبر على الفلاحين لثاني سنة فلأجل ذلك كانت الفلاحين داخل
 البلاد جبيما يجبوه » ورقة ، ٣ ب ، ١٦ ، ١٦ ب ، حول كلمة نلاح لسي
 قوانين نامة أنظر :

Barkan, O. L., Kanunlar, Istanbul 1945, PP. 122, 178, 217, 226, 359 - 72.

أنظر أيضا الخالدي ، الصندي عن الفلاحين في شمال فلسطين ، المصدر
 ذاته ، ص ١١٢ .

(٦٩) يذكر الخالدي نهرا في لحد جبل الكرمل اسمه نهر السعادة فلربما كانت الأرض
 المحيطة به تسمى أرض السعادة ، الخالدي ، الصندي ، المصدر ذاته ، ص ١٩٣ .

(٧٠) أي أراعي الاسرة الحارثية ، ثم يذكر عبود الصباغ أن ظاهر العمر فيما بعد صار يتغلب على بلاد حارثة ويأخذها من مشايخ الفلاحين التي بها ، الروض الزاهر ، ١٠ ، ب ، حول اسرة الحوارث ، انظر الملاحظات المذكورة لسي هامش رقم ٣٥ أملاه .

(٧١) ان المصادر التاريخية المتوافرة لدينا غير واضحة في المادة التي توردها من ظاهر العمر الزيداني ، نمثلا المرادي (ت ١٢٠٦ / ١٧٩١م) وهو من أقدم المصادر عن ظاهر بترجم له تحت حرف العين يقول : « عمر بن صالح الملقب بالظاهر الصفدي الزيداني حاكم مدينة مكا وشيخ شيوخ البلاد الصفدية صاحب الموانع الشهيرة الخارج عن طاعة الدولة العثمانية مولده بصند سنة ست ومائة واثم (١٦٩٤م) ومن غريب الاتفاق أن هذا التاريخ اعني تاريخ مولده موافق لعدد لقبه ظاهر ... وكان والده وجده وأعمامه حكما بصند وعكا ويعرفون ببني زيدان وهم حمولة كبيرة » من هنا يظهر لنا حسبما جاء عند المرادي أن اسمه عمر وان اسم أبيه صالح وظاهر هو عبارة عن لقبه . واذا عدنا الى تاريخ ميخائيل نقولا الصباغ (ت ١٨٦١م) نجده يذكر أن الاسرة كانت تسكن في معرة النعمان وان كبيرا كان اسمه علي وان ابنه الذي تولى مشيخة العائلة كان اسمه عمر تزوج من السردية فانجبت له ثلاثة اولاد : علي توفي بعد والده عمر ، وسعد وظاهر ، وان الاسرة بقيادة عمر هاجرت الى الجليل « وقاموا جميعا جهزوا حالهم وشسدوا رجالهم وسافروا ونزلوا عند قيسارية فاقاموا قليلا لما أعجبهم ذلك المكان لقبه وخراجه فانطلقوا الى نواحي الاردن الى طبرية ونزلوا بكبر قومها وبأهلها فاعجبتهم فاستوطنوها وراوا أراضيها خصبة فاستقلوا بها واشتروا الغنم والبقر وأخصبت معهم تلك السنة وكان ذلك سنة ١٧٠١م وكان ظاهر له من العمر اثني عشر سنة » وفي سنة ١٧٣٠م انتقلوا من طبرية الى قرية مرابة ، فمن المعروف أن قيسارية تقع قريبة من جنوبي حيفا وربما كان جد ظاهر اسمه أحمد زيدان ، او أن أحد أقاربه كان يحمل هذا الاسم وعمرت الأرض به بعد انتقال العائلة من قيسارية الى طبرية ثم فيما بعد الى مرابة . انظر المرادي سلك الدور ، م ٣ ، ص ١٨٤ - ١٨٧ ، عبود الصباغ ، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر ، رمتع ، ١ - ٣ ب ، ميخائيل نقولا الصباغ ، تاريخ ظاهر العمر رمتع ١١ - ١٢ ، حيدر الشهابي ، الغرور الحصان ، م ٢ ، ص ٦ ، م ٧ . انظر أيضا الرسالتين اللتين نشرهما عيسى اسكندر المعلوف بعنوان « تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني » المنشور ، م ٢٤ ، (١٩٢٦م) ، م ٥٢٩ - ٥٦٠ ، حول أبناء واقارب ظاهر انظر :

Cohen, Palestine in the 18th Century, PP. 8-10, 14, 25, 34, 46, 58, 81, 84, 85, 95-96.

حول قبيلة مخطوط عبود الصباغ انظر :

George, Haddad, "The Chronicle of Abbud al-Sabbagh and the fall of Daher al-Umar of Acre" al-Abhath, Vol. XX (1961), PP. 37-44.

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والأربعين

للدكتور عدنان الخطيب
(الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع)

(ينص قانون مجمع اللغة العربية بالقاهرة
على أنه يتألف من أعضاء مصريين وأعضاء
يمثلون البلاد العربية الأخرى ؛ وهم يلتقون
مرة واحدة على الأقل في كل سنة ، في مؤتمر
تُعرض فيه الأعمال العلمية التي نظر فيها
مجلس الأعضاء المصريين ، وكلمة المؤتمر فيها
هي الفصل .

وزميلنا الدكتور عدنان الخطيب يتابع نشر
موجز عن أعمال المؤتمرات التي يحضرها ؛
وقد خص مجلتنا بوقائع المؤتمر الأخير .

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الرابعة
والأربعين ، في المدة الواقعة من تاريخ الرابع من شهر ربيع الآخر
الموافق ١٣ من آذار (مارس) حتى تاريخ الثامن عشر من ربيع الآخر
سنة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٧ من آذار (مارس) سنة ١٩٧٨ م ، وعقد
خلالها تسع جلسات علمية بالإضافة إلى جلستي الافتتاح والختام .

(*) يخطئ بعض علماء العربية كلمة « وقائع » على أساس أن مفردا « وقعة » فلا
تؤدي معنى « الإخبار والحوادث تقع فتسجل » الذي تساق فيه ؛ وقد عرض
مؤتمر مجمع اللغة العربية لهذا الأمر في دورته الحادية والأربعين ، وانتهى إلى
اتخاذ تصحيح لفظية « وقائع » على أن مفردا « وقعة » حملا على نظائره من مثل :
رُخْصَة و حُلْبَة و كَلَّة .

لقد كانت أبحاث المؤتمر وقراراته على جانب كبير من الأهمية ؛
وفيما يلي عرض موجز لتلك الأبحاث مع تسجيل كامل للتوصيات والقرارات
التي اتخذها المؤتمر في جلسته الختامية :

أولا - جلسة الافتتاح :

عقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة
الدول العربية ، صباح يوم الاثنين الثالث عشر من آذار سنة ١٩٧٨ ،
واستمع المؤتمر والمدعوون من رجال الفكر والادب الى كل من :

١ - الأستاذ عبد المنعم الصاوي، وزير الثقافة والاعلام ؛ وقد رحّب
بكلمته بالمؤتمرين، مشيراً الى الروابط المتينة بين اللغة وحياة
البشر ، ثم بين ما تميّزت به اللغة العربية على سائر اللغات ؛
وأشاد بالدور العظيم الذي يقوم به مجمع اللغة العربية للحفاظ
على سلامتها متطورة تلاحق العصر، وتستوعب كل جديد أو
طريف أو مستحدث .

٢ - الدكتور ابراهيم مذكور، رئيس المجمع ، الذي أوضح في كلمته أن
أبحاث المؤتمر ستدور حول « العامية والفصحى » في عدد من
الاقطار ، مشيراً الى دعوات خبيثة ظهرت من أوائل هذا القرن
تزعم بأن العامية تصلح أن تكون لغة قومية ، ونفى عن لظفي
السيد، الرئيس السابق للمجمع، أن يكون من مؤيدي تلك الدعوات ،
مؤكداً أن كل ما كان يدعو اليه هو الأخذ بفصحى جديدة سهلة
ميسرة، تمتت الحوشي والغريب من الالفاظ ، وتأنس بالكلمات
والتعبيرات السائغة ؛ وهذا امتداد لما بدأ به رفاعة الطهطاوي
وعزّزه الأستاذ الامام . ثم قال : ان لظفي السيد يُعَدّ بحق من
مؤسسي الفصحى الحديثة ، بقلمه واسلوبه في الجريدة وغيرها،
وبتلاميذه أمثال طه حسين، ومصطفى عبد الرازق، وعلي عبد الرازق،
وأحمد حسن الزيات . وبعد أن بيّن الدكتور مذكور انحسار
الدعوات الى العامية في العقد الثالث من القرن ، أعلن أسفه لاسترداد

هذه الدعوات في أوائل العقد السادس شيئاً مما فقدته، تعينها في ذلك بعض وسائل الاعلام، وتشجعها لغة بعض القادة والرؤساء . ثم أهاب بالمؤتمر أن يواصل الجهود التي يبذلها في المساعدة على سيادة الفصحى .

٣ - الدكتور محمد مهدي علّام، أمين المجمع ؛ وقد عرض في كلمته لأعمال المؤتمر السابق والتوصيات التي اتخذها ، ثم عرض أعمال مجلس المجمع خلال السنة الماضية وانجازاته التي ستناقش في هذا المؤتمر . ثم أشار الى الاعضاء الذين افتقدهم المجمع ، مرحّباً بالزملاء الذين انضمّوا اليه ، معددا الاعمال التي انتهت طباعتها، أو التي هي قيد الطبع .

٤ - الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، عضو المجمع من تونس، ممثلاً أعضاء المؤتمر الواقدين من سائر الأقطار العربية ؛ وقد شكر في كلمته رعاية مصر لهذا المؤتمر، مشيداً بميزات لغة الضاد ودقّتها ومرونتها وعظيم استيعابها ، في العصور الاسلامية الاولى ، لحضارة فارس ومدنية اليونان وحكمة الهند . وأنهى كلمته بذكر جهود مجمع اللغة العربية في رفد العربية بكل مستحدث لتواصل مواكبتها لهذا العصر، الذي لا يمرّ فيه يوم من غير أن تجدّ معه مئات المصطلحات والالفاظ في عديد الميادين . وختمت الجلسة على أن تُعقد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى المجمع نفسه .

ثانياً - المصطلحات العلمية :

درس المؤتمر وناقش ، خلال جلساته اليومية ، المصطلحات العلمية والفنيّة التي رفعتها اليه اللجان المختصة عن طريق مجلس المجمع في القاهرة ؛ وقد أقر المؤتمر، بالاجماع حيناً وبالاكثرية أحياناً ، أكثرها ، كما جرى تعديل بعض منها أو اعادته الى اللجان المختصة لاستيفاء دراسته .

وبلغ عدد المصطلحات التي نظر فيها المؤتمر (١١٤٥)
موزعة بين العلوم والفنون التالية :

١ - ٢١٤	مصطلحاً في الفيزياء (الفيزيقا)
ب - ١٠٩	مصطلحات في الكيمياء والصيدلة .
ج - ٧٨	مصطلحاً في جيولوجية النفط .
د - ١٦٠	مصطلحاً في الجيولوجية .
هـ - ١٠٠	مصطلح في علم التربية وعلم النفس .
و - ٢٢٩	مصطلحاً في القانون المدني .
ز - ١٩٧	مصطلحاً في علم المياهيات (الهيدرولوجيا) .
ح - ٥٨	مصطلحاً في الفاض الحضارة الحديثة .

ثالثاً - البحوث والدراسات :

استمع المؤتمر الى بحوث ودراسات القاها الاعضاء ،
فناقشوها فيما ارتأوه ، او علّقوا على ما جاؤا به ، مقرّين نشرها ونشر
البحوث الأخرى التي قدّمها أعضاء لم يستطيعوا الاشتراك في المؤتمر
والقاءها ، محيلين بعضها على اللجان المختصة لبدء الرأي فيها .

كانت البحوث والدراسات التي استمع المؤتمر في هذه الدورة
اليها هي التالية ، مع أهم ما دار حولها من مناقشات :

- ١ - « من قصة العامية في الشام » بحث القاه الاستاذ سعيد الامغاني ،
عضو المجمع المراسل من سورية ، تحدّث فيه عن حال العربية
في بلاد الشام في العقدين الاولين من القرن العشرين ، وفاض
في ذكر ما صنعه الرواد الشاميون في أوائل النهضة العربية
الحديثة احياء للفصحى لغة تخاطب ودفعاً لطلاب المدارس الى
الالتزام بها ، بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى .

وجرى بعض التعليقات على الفاظ وردت في البحث، مثل فعل (يعكس) الذي انتقل بالمعنى الذي استعمل فيه من لغة العلوم الى لغة الادب ، ومثل لفظة (عملاء) التي ادخلتها السياسة في الفاظ التنبيذ والاحتقار .

٢ - « تقريب العامية من الفصحى » بحث القاه الدكتور حسين علي محفوظ، عضو المجمع المراسل من العراق ، تحدث فيه عما تزخر به لغة العامة في العراق من كلمات يمكن ردها الى الفصحى، واغناء الفصحى بها ؛ مشيراً الى اتجاه عديد من العراقيين نحو تدوين العامية العراقية للافادة منها . وأعقب الحديث نقاش حارّ سبّبه التوهّم بأن غاية المتحدث الدفاع عن عامية أهل العراق ؛ واشترك في المناقشات الاستاذ عباس حسن (مصر) رافضياً مفهوم « التقريب » محتجاً بأن كل كلمة إما أن تكون فصيحة أو غير عربية ، مؤكداً رفض مجمع اللغة العربية فكرة تدوين العاميات لان في تلك احياء لها ، والعرب اليوم في امس الحاجة الى التوحيد بالفصحى ونبذ العاميات . وتحدّث الدكتور محسن مهدي (العراق) مؤيداً فكرة دراسة الالفاظ والتراكيب والاصوات العامية وتسجيلها، لتسهيل الجهود التي تبذل لنشر الفصحى . ودافع محمد عزيز الحبابي (المغرب) عن كل مسعى يُبذل من اجل الافادة من العاميات فيما لا نظير له في الفصحى . اما الدكتور اسحق موسى الحسيني (فلسطين) فقد قال معلقاً : ان كانت غاية البحث استخلاص الكلمات الفصيحة التي تنتشر على السنة العامة، فهذا عمل جيد ، أما ان كانت غاية « التقريب » الاستعانة بمفردات عامية في الفصحى، فهذه فكرة جانبها التوفيق .

وختمت المناقشات بكلمة من صاحب البحث، نفى أن يكون قد تجاوز في بحثه مجرد الاشارة الى ان العامية العراقية اقرب الى الفصحى ، او انه في قوله : « انه لا بد من قاموس يُذكر فيه ما يقابل الدخيل والاجنبي والعامي من العربي الفصيح » تجاوز حدود تيسر الوصول الى العربية والفصحى .

٣ - « الفصحى المعاصرة » بحث القاه الدكتور شوقي ضيف، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه تطور العربية في مختلف العصور متأثرة بتطور العلوم والفنون ، كما عرض ظروف نشوء العاميات ومدى ارتباطها بالفصحى على مر الزمن ، مؤكداً على ازدهار فصحى هذا العصر، وعلى أن عاميته آخذة في الاقتراب منها، مما يبشر بخير عميم. واثار البحث تعليقات جمة ، أهمها كان استغراب الدكتور ابراهيم السامرائي (العراق) هذا التفاؤل العريض في البحث بينما تناقضه حقائق ملموسة .

ورد الدكتور ضيف على المعلقين مشيراً الى أن لكل عصر نصحاء وعاتيته ، وأن الحديث عنها يُعتبر تقييماً لمزايا كل واحدة منهما. وبيانا لشوائبها، بهدف زيادة المزايا واستبعاد الشوائب ؛ مؤكداً على أن العامية في عصرنا تدنو من الفصحى ، وأن الفصحى المعاصرة توشك أن تقضي على العامية .

٤ - « العامية في العراق » بحث القاه الدكتور ابراهيم السامرائي، عضو المجمع المراسل من العراق ، عرض فيه نشأة العامية في العراق، ومدى تأثير الفارسية وغيرها من اللغات فيها ، داعياً الى ضرورة العمل على تنقية الفصحى مما تتسرب اليها من شوائب عامية، وإلى عدم التساهل مع ما يفزو الفصحى اليوم من التراكيب والاستعمالات والألفاظ العامية، وبخاصة السياسية منها . وجرى مناقشات حول بعض الشواهد والأمثلة التي وردت في البحث ، ثم خُتِمت بكلمة تقدير من الاستاذ سعيد الانغاني (سورية) لأن المحاضر اجتنب تعبير « فصحى معاصرة »، والفصحى دوماً واحدة، أما العاميات فهي وحدها متعددة تقترب من الفصحى في زمن، وتبتعد عنها في زمن آخر .

٥ - « خواطر حول الترجمة الذاتية في العصور الإسلامية » بحث القاه المستشرق الألماني الاستاذ رودلف زلهام، استاذ العربية بجامعة فرانكفورت وعضو المجمع المراسل ، عرض فيه الطابع المميز لفن

الترجمة عند المسلمين وارتباطه موضوعيا بالعلم، ولا سيما الديني، بخلاف ما عند الأمم الأخرى، إذ ينتحي لديها المنحى الشخصي معتمدا على التحليل والتصوير، ومع كل هذا فلم تُخلُ العصور الإسلامية من ظاهرة الخُلاء عند بعض المؤلفين، وحبّ التحدث عن النفس، مما أوجد الترجمة الذاتية. واتی المحاضر بأمثلة توضّح الخواطر التي أُحبّ تسجيلها.

وتحدّث إثر انتهاء المحاضرة الدكتور إبراهيم مذكور، رئيس الجمع، عن موضوعية الترجمة عند علماء المسلمين، وبعده هؤلاء عن **الترجمة الذاتية حياة وتواضعا**. ثم علّق الدكتور اسحق موسى الحسيني (فلسطين) على المحاضر مقدرا البحث في هذا الموضوع الذي يحتلّ مكانا عظيما في التراث الإسلامي يسترعي النظر والاهتمام، واضاف بأنه يعتقد أن اسباب ذلك ترجع الى :

- ١ — الحسّ التاريخي بالزمن عند المسلمين ،
- ٢ — الدافع الديني الى ضبط الحديث النبوي وتدوين السيرة ،
- ٣ — العناية الفائقة بتسجيل الاسانيد، وطلب الاجازة بالرواية من الشيوخ ،
- ٤ — الرغبة في القدوة الحسنة بالحصول على تراجم ذاتية من الشيوخ .

٦ — « موسوعة تراجم رجال القرن الثاني عشر الهجري » بحث القاه الدكتور اسحق موسى الحسيني، عضو الجمع من فلسطين ، استهله باستعراض الانظار الى سعة الموضوع المتّصل بتراجم الرجال ، والى انفراد العقلية العربية بهزاي في فن الترجمة ، مؤكدا على **فضائل المؤرخ الشامي خليل المرادي** مفتي دمشق صاحب « سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر » بمراسلة عدد من علماء الاقطار العربية بحثهم على جمع تراجم اعيان اقطارهم ، مما زودنا بموسوعة ضخمة في تراجم رجال القرن الثاني عشر . ثم عرض وصفا لخطوط في

تراجم أعيان فلسطين لحسن الحسيني يُعتبر جزءاً مهماً من تلك الموسوعة .

واعقب المحاضرة عدد من التعليقات المفيدة ؛ فقد نوّه الدكتور أبراهيم مذكور رئيس المجمع بهذه الدراسة الشاملة المقارنة قائلاً : « وأعتقد أنه آن الاوان لأمتنا العربية كي تستعرض تراثها عَصراً عَصراً » ، كما أفاض الاستاذ محمد عبد الغني حسن (مصر) في ذكر الخط التاريخي الذي اتبعه المرادي ، وكان ابن خلكان قد بدأه في « وفيات الاعيان » ، وقد ترجم فيه للرجال من أقدم العصور حتى القرن السابع ، ثم جاء بعده ابن حجر العسقلاني صاحب « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة » ، وأعقبه السخاوي صاحب « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » ، ومن بعده الغزي صاحب « الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة » ، ثم المحبي صاحب « خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر » . وأضاف الاستاذ شوقي أمين (مصر) اسم أحمد تيمور بعد المرادي في تراجمه لاعيان القسرن الثالث عشر . وذكر أعضاء آخرون مؤرخين وكتباً أتبعَت الخط التاريخي نفسه ، ممّا يفيد الدارس ومن يحب المتابعة .

٧ — « اللغة والواقع » بحث القام الدكتور محمد عزيز الجبّابي عضو المجمع المراسل من المغرب ، عرض فيه لواقع العربية بالنسبة للتقدم السريع في العلوم والفنون الذي يدفع الدول الغربية الى ان تضيف كل يوم الى لغاتها اشكالا ومفاهيم جديدة ، وانه يدعو الى صنع معاجم جديدة تقوم على تفرّغ كلمات كثيرة تمتلئ بها المعجمات القديمة من معانيها اللغوية الميتة ، وتحميلها معاني جديدة او المعاني التي تحملها في العامية ؛ كما أنه يدعو الى وضع الحركات على الحروف ، والعناية بعلامات ضبط القراءة ، وايجاد لون جديد من الحروف للتفريق بين مختلف المعاني وظلالها ، واستعمال الارقام الغبارية ، وكلّ هذا لاعانة الطلاب على فهم النصوص ، وبه نستطيع العربية مسيرة لغات العالم المتقدم .

وأثارت أفكار الدكتور الحبابي تعليقات حارة ، فلفت الدكتور
أبراهيم مذكور الانظار إلى خطورة وضع معاجم باجتهادات فردية ،
وأشار الأستاذ عباس حسن إلى أن المجمع سبق أن رفض بعض
الأفكار التي يدعو إليها المحاضر ، منكرًا عليه الدعوة إلى شكل
الحروف حيث لا ضرورة إليه .

وُخِمت المناقشات بإيضاح من الدكتور الحبابي بأنه يريد
محاكية العامية بتيسير تعليم العربية ، وبالمعمل على إزالة صعوبات
النطق والهجاء ، وأنه لا يريد تغيير الحروف العربية بل استكمالها ،
ونقل مزايا اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية !

٨ — « العربية في تونس بين الفصحى والعامية » بحث القاه الدكتور
محمد الحبيب ابن الخوجة ، عضو المجمع من تونس ، عرض فيه
الواقع اللغوي في افريقية يوم فتحها المسلمون ووحّدوا نواحيها
بفصحاهم ، وكيف غدا أهل اللهجات المختلفة عربًا بلفتهم ؛ كما بيّن
أثر اللهجات البربرية ورسابات كل من : الفارسية والتركية
والاسبانية والطيانية والفرنسية في العاميات المنتشرة اليوم ، وكيف
أن الناس يصفّون ، حتى الآن ، من يستخدم العامية في حديثه بأنه
(يبربر) بينما ينعنون المتكلم بالفصحى بالـ (متفقه) .

وقد اجمع المؤتمر على تقدير البحث ، وأشادوا بغائده
وأمثاله في دعم الفصحى في تونس وسائر المغرب العربي ، شاكرين
المحاضر على جهوده .

٩ — « من أسرار الزيادة في القرآن الكريم » بحث القاه الأستاذ على
النجدي ناصف ، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه موضوعًا نحويًا
هامًا ، معلا نزول (أن) بعد (لما) و (ما) بعد (إذا) في بعض آيات
القرآن الكريم ، مفيدًا أن هذه الزيادة من ضرورات المعنى المراد في تلك
الآيات .

وعلق على البحث كلّ من الدكتور أبراهيم الدمرداش والأستاذ
شوقي أمين ، معنيين الشكر للمحاضر مع التقدير .

١٠ — « كتاب مخطوط لابن عسكر ولابن خميس » ألقاه الاستاذ محمد الفاسي ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه مخطوطا نادرا ضمَّ نُبْذاً من أخبار وتراجم رجال مالقه في الاندلس . والكتاب حلقة في سلسلة من كتب تاريخ المغرب والاندلس يعمل الاستاذ المحاضر على نشرها مشكورا .

١١ — « العربية أمس واليوم » بحث القاه الاستاذ عبد الله كُتُون ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه للعربية بين أمسها وحاضرها بعد ان غدت إحدى اللغات العالمية الكبرى ، ولغة رسمية في المحافل الدولية ، حائاً العلماء المهتمين بمستقبلها على التضافر وبذل الجهود في العناية بمشكلاتها . ولقي البحث تقديرا من المؤتمرين كافة .

١٢ — « اللغات العامية واللسان المدون » بحث القاه الاستاذ الشاذلي القليبي، عضو المجمع من تونس ، عرض فيه واقع الفرد في العالم العربي ، اذ لكل واحد لغتان مختلفتان ، يستخدم الاولى في البيت والمصنع والسوق ، ثم يقرأ ويكتب بالآخرى ، وكل جهد يبذل لتوحيد هاتين اللغتين عقيم ؛ وبينما تختلف اللغة الاولى بين بلد وبلد ، نجد الثانية توحد بين ابناء مختلف الاقطار ، لذلك فهي السبيل الوحيد للتقارب والتفاهم ؛ ومع هذا الواقع ، لا بد من اجماع العرب على رفع مستوى اللغة التي لا سبيل للتفاهم فيها بينهم إلا بها ، وسلوك الدروب المؤدية الى الغاية المرجوة ؛ وأكد الاستاذ القليبي على مسؤولية وسائل الاعلام بانواعها ، فيجب الزامها بفصحى ميسرة يرتفع معها مستوى العاميات ، حتى ينتهي الامر بنا الى لغة قومية مشتركة توحد بين الاقطار المتباعدة .

ولقي البحث صداه المستحب ، وعقب عليه كثيرون بالثناء والتقدير .

١٣ — « الجغرافيا عند العرب » بحث القاه الدكتور محمد محمود الصياد، عضو المجمع من مصر ، رسم فيه صورة واضحة المعالم تبين الفضل الكبير للعرب على علم الجغرافية ، وكيف نشأت معلوماتهم

الجغرافية مروية ممتزجة باللغة والادب ، ثم استكملوها بالبحث والدراسة ، مندفعين في ذلك بحسّهم الجغرافي المرفه وبشعورهم الديني العارم ، منذ كانوا بُدأةً رُحلاً، مضطّرين الى معرفة الارض وجِهاًتها المختلفة ، الى أن أصبحوا اصحاب دولة وحضارة، مضطّرين بحكم دينهم وسلطانهم الى معرفة كل ما يعينهم على اداء فروضهم ومناسكهم الدينية، والحفاظ على دولتهم وحضارتهم .

واعقبت هذا الحديث تعليقات طريفة دلّت على أنه جزء من موضوع ضخم يعمل الدكتور الصياد على انجازه .

١٤ - هذا وكان المؤتمر على موعد مع الدكتور ناصر الدين الاسد، عضو المجمع من الاردن ، للاستماع الى بحثه « شواهد على صحة الشعر الجاهلي من شعر صدر الاسلام والشعر الاموي »، وهو حلقة من سلسلة يحاول الدكتور الاسد معها تقويض مزاعم الشكّكين بالشعر الجاهلي ، ولكـن غيابه بمهمة رسمية جعل المؤتمرين يقررون الانتظار حتى يُنشر البحث فيقرأوه .

رابعا : المعجم الكبير (*)

عرضت على المؤتمر المواد التي انتهى مجلس المجمع دراستها من المعجم الكبير ، وهـي :

١ - المواد المبتدئة من اول حرف التاء والميم وما يثلثهما ، حتى نهاية مواد هذا الحرف .

٢ - المواد من أول حرف الجيم الى اخر الجيم والتاء وما يثلثهما .

وقد أقر المؤتمر أكثرها بعد سماع ملاحظات الاعضاء وتعديل بعضها ، كما أنهم أعادوا بعض المواد الى اللجنة لاعادة النظر فيها في ضوء ما تقدم به الاعضاء من اقتراحات .

* * * أتم المجمع طبع الجزء الاول من هذا المعجم في مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٠م في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، متضمنا مواد حرف الهـزة ، وأما الجزء الثاني المتضمن مواد حرف الباء فما زال قيد الطبع .

خامسا : اعمال لجنة اللهجات

عرض الاستاذ شوقي أمين على المؤتمرين اعمال لجنة اللهجات وتتضمن قرارات انتهت اليها في المسائل الآتية :

المسألة الاولى : ظاهرة الاسكان في الفصحى

انتهت لجنة اللهجات ، في دراستها ظاهرة الاسكان في اللغة العربية ، الى ان :

« اسكان الحركة الإعرابية ليس بمنكور في الفصحى ؛ وهي ترى امكان الاستناد الى ذلك في اجازة الوقوف بالسكون على الأعلام المتتابعة »
واعترض بعض الأعضاء منكرين هذا القرار ، غير ان غالبية المؤتمرين اجموا عن الاعتراض عليه ، فأعتبر بمثابة فتوى يمكن اللجوء اليها عند الضرورة .

المسألة الثانية : المصطلحات اللغوية

قامت لجنة اللهجات بجمع اللهجات القديمة في لسان العرب ، وصنفت المادة المجموعة بطريقة تيسر على الباحثين الانتفاع بها . وكان التصنيف وفقا لمستويات اللغة بالترتيب الآتي :

« ما يتصل بعلم الاصوات ، وما يتصل بعلم الصرف ، ثم ما يتصل بعلم النحو ، وفي النهاية ما يتصل بعلم المعجم »

وقد بدأت اللجنة بالجانب الصوتي، وراعت ما يأتي :

- ١ — التعريف بالمصطلح من الناحية اللغوية ما دعت الفائدة الى ذلك
- ٢ — التعريف بالمصطلح من الناحية الاصطلاحية كما عرفه اللغويون القدامى .

- ٣ — اسناد الظاهرة الى القبائل التي توجد فيها .

- ٤ — مناقشة الآراء المختلفة التي تقدمها اللغويون للظواهر المدروسة

٥ - الاهتمام بما يشابه الظاهرة في اللغات السامية القديمة .

٦ - التعريف على ما يتصل بهذه الظاهرة في اللهجات العربية المعاصرة .

٧ - تقديم التفسير اللغوي الحديث .

وكان سُبْقُ لِلْجَنَّةِ ان عرضت على مجلس الجمع ومؤتمره في الدورة الحادية والاربعين ، مجموعة من المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة ، نوافق على سَنَةِ منها وأقرها وهي :

١ - التثنية (١) ب - الشنشنة (٢) ج - الطبطبانية (٣)

د - الفحفة (٤) . ه - المنعنة (٥) . و - المعجمة (٦) .

وفي هذه الدورة عرضت اللجنة المصطلحات الاتية :

١ - الكُسْكُة : - ويراد بها زيادة السين بعد كاف المؤنث ، وابدال السين من كاف الخطاب مثل (مُنْكُس) و (أبوس) في منك وأبوك .

ب - الكُشْكُة : - ويراد بها لحوق الشين كاف الخطاب ، او ظهورها بدلا منها . مثل (مُنْكُش) او (مُنْش) في منك

ه - اللخاكية : - ويراد بها ظاهرة استقاط بعض الحروف في الكلمات التي يكثر دورانها على الالسنه، مثل (انشا الله) في ان شاء الله .

(١) التثنية في الاصطلاح : كسر حروف المضارعة او أحد ها .

(٢) الشنشنة في الاصطلاح : جعل الكاف شينا .

(٣) الطبطبانية في الاصطلاح : ابدال لام التعريف ميما .

(٤) المعجمة في الاصطلاح : ابدال الباء جيبا .

(٥) المنعنة في الاصطلاح : ابدال العين من الهزة المفتوحة .

(٦) الفحفة في الاصطلاح : جعل الحاء مينا .

د — الاستثناء : — ويراد بها إيراد النون في موضع الميم الساكنة قبل طاء (أنطى بدل أعطى) .

هـ — الوُتْم : — ويراد به قلب السين تاء ، نحو (النات) في الناس

و — الوُكْم : — ويراد به كسر كاف جماعة المخاطبين إذا كان قبلها ياء أو كسرة ، نحو : السلام (عليكم) .

ز — الوهم : — ويراد به كسر هاء جماعة الغائبين في الضمير المتصل (هم) مطلقا مثل : فيهم وعَنهم .

المسألة الثالثة : حرف الضاد واللفة العربية

كانت لجنة اللهجات درست السؤال المحال اليها حول سبب تسمية العربية بلفة الضاد ، ومثل هذا الحرف يُسمع في بعض اللغات ، بينما حرف الظاء لا يُسمع أبدا في غير العربية .

وانتهت دراسة اللجنة الى القرار الآتي : —

« للضاد — في العربية — صور شتى ، غير أن مخرج الفصحى منها بالاستناد الى أقوال الأئمة واللغويين يُعتبر من أصعب الأصوات نطقا على أبناء العربية ، بله الإعاجم ، ومن ثم قد ساد وصف العربية بأنها (لغة الضاد) أو اللسان الضادي ، كما جاء في شعر المتنبي .

وَهُوَ فخر كل من نطق الضا د وعود الجاني وغوث الطريد

وجاء أيضا في استعمالات اللغويين ، ومن بينهم الفيروزبادي صاحب القاموس .

أما الصور الأخرى للضاد ، كنطقها في لسان أهل مصر (مطبق الدال) أو نطقها في لسان أهل العراق (ظاء) أو قريبا منها — فلها ما يناظرها في بعض اللغات غير العربية » .

وجرت مناقشات مطوّلة وحادة ، انتهت بموافقة الأغلبية على القرار ، ولا سيما أن تسمية العربية بلفة الضاد ، وإن تأخرت عن القرنين الأول والثاني ، قديمة مشهورة ، وليس تعليل الأسماء ضربة لازب .

المسألة الرابعة : الافادة من المقطعية في تدريس العربية

كان المؤتمر ، في دورته السابقة ، أحال الى لجنة اللهجات بحث الدكتور اسحق موسى الحسيني المعنون : « الافادة من المقطعية في تدريس العربية » .

وقد ناقشت اللجنة البحث المذكور، واستمعت الى آراء بعض الخبراء، وانتهت الى :

« أن اعتماد المقطع (الوحدة الصوتية) في تعليم القراءة العربية يحتاج الى تجربة ميدانية، وتطبيق تربوي في مختلف المستويات، لمعرفة اثره في تقويم القراءة الصحيحة ، وكذلك اعتماد ذلك في وزن العروض، وفي تعليل اللهجات يحتاج الى متابعة للبحث ومزيد من الدراسة لاستخلاص ما يترتب على ذلك للاستفادة والتيسير » .

وأقرّ المؤتمر ما انتهت اليه اللجنة، مقدرين الجهود التي بذلتها في دراساتها المعروضة على المؤتمر .

سادسا : اعمال لجنة الاصول

نظر المؤتمر في اربع مسائل أقرتها لجنة الاصول ورُفِعَتْ اليهم بموافقة مجلس الجمع ، وجرت مناقشات حارة حول اولها انتهت برفض قرار اللجنة فيها ، وقُبِلَ قرار اللجنة في المسألة الثانية ، وفي الثالثة بعد تعديل طفيف فيه ؛ أما موضوع المسألة الرابعة فتقرر تأجيله الى مؤتمر العام القادم . وفيما يلي موجز عن المسائل التي عُرضت :

المسألة الاولى : جواز وصف المرأة دون علامة التانيث في القاب المناصب والاعمال :

اتخذت لجنة الاصول ، بعد دراسة طويلة ، قراراً هذا نصه :
« يجوز في القاب المناصب والاعمال ، اسماء كانت ام صفات ،
ان يوصف المؤنث بالتذكير ، بشرط ذكر الموصوف منعاً للبس، فيقال :

فلانة استاذ أو عضو أو رئيس أو مدير، استنادا الى ما نقله ابن السكيت من العرب وما أورده من أمثلة .

وقد اعتمدت اللجنة في قرارها هذا على ما نقله صاحب المصباح عن ابن السكيت عن الفراء : « تقول العرب : هاملنا امرأة ، وأميرنا امرأة ؛ وفلانة وصي ، وفلانة وكيل فلان ؛ وانها دُكِّرَ لأنه انما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء ، فلما احتاجوا اليه في النساء اجروه على الأكثر في موضعه ؛ وانت قائل : مؤذنُ بني فلان امرأة ، وفلانة شاهد بكذا ، لان هذا يكثر في الرجال ويقل في النساء ؛ وقال تعالى : « انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر » فذكر « نذيرا » وهو لاحدى ، وليس بخطا أن نقول : « وصية ووكيلة ، بالتأنيث ، لانها صفة للمرأة اذا كان لها فيه حظ ؛ وعلى هذا لا يمتنع أن يقال : امرأة إمامة ، لأن في الامام معنى الصفة » .

فلما عُرض قرار اللجنة على المؤتمر ، كان محلَّ نقدٍ الاكثريّة ؛ فلا قولُ ابن السكيت اقتنعهم ، ولا وجدوا ذوقَ مَنْ يحذف علامة التانيث من المترجمين او ممن لا تهّمهم قواعد اللغة مقبولا ، كما انهم لم يقنعوا بوجود ضرورة ملحة للخروج على قواعد اللغة ، وبخاصة حيث تكثر الاسماء المشتركة بين الرجال والنساء ؛ وفازت الاغلبية بالتصويت معلنة ضرورة التفرقة بين الذكر والانثى في القاب المناصب والاعمال .

المسألة الثانية : جواز مجيء فعل مصدرا لفعل اللازم

انتهت لجنة الاصول ، بعد دراسة مذكرات وأبحاثٍ قُدِّمت اليها ، الى القرار الآتي :

« المشهور في قواعد اللغة أن مُعَلَّ* اللازم مصدره مُعُولُ كسَجَسَدُ سَجودا ؛ وذلك ما ذهب اليه المجمع في قراره الخاص بتكملة فروع

مادة لغوية لم تذكر بقيتها (❦) ونظراً لما رواه الفراء من أنه :
 « اذا جاء فعل لم يسمع مصدره فاجعله فُعْلاً للحجاز وفُعولاً لنجد ؛
 ونظراً لورود افعال كثيرة لازمة مصدرها على فُعْلٍ ، كهُبِسَ هُمْسًا ، ترى
 اللجنة اجازة ما يجيء من المصادر على فُعْلٍ وفِعْلُهُ لازماً وان كان المسموع
 على فُعُولٍ » .

وبعد مناقشات هادئة وافق المؤتمر على القرار .

المسألة الثالثة : جواز تسكين الأعلام المتتابعة مع حذف ابن

هذه المسألة من الموضوعات المزمنة في مجمع اللغة العربية ،
 فقد عُرِضَتْ عليه أكثر من مرة دون أن يتخذ قراراً فيها ، واستطاعت
 لجنة الأصول اخيراً أن تتخذ القرار الآتي :

« بعد مناقشة الموضوع وما قُدِّمَ فيه من مذكرات ، انتهت اللجنة الى :

ترى اللجنة اجازة ما يجري على الألسنة من حذف ابن في
 الأعلام المتتابعة في مثل : سافر محمد علي حسن ، وتضبط هذه الأعلام
 على احد الوجوه الآتية :

- ١ — يُعْرَبُ الْعَلَمُ الْأَوَّلُ بِحَسَبِ مَوْقِعِهِ ، وَيُجَرَّ مَا يَلِيهِ بِالْإِضَافَةِ .
- ٢ — يُسَكَّنُ الْعَلَمَانِ الْأَوَّلَانِ وَيُعْرَبُ الْآخِرُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ الْأَوَّلُ مِنْ أَغْرَابٍ .
- ٣ — تُسَكَّنُ الْأَعْلَامُ كُلُّهَا ، إِجْرَاءً لِلْوَصْلِ مَجْرَى الْوَلَفِ » .

وبعد مناقشة هادئة ، واعتراض الاستاذ عبد الله كُنُون على
 الوجه الثاني الوارد في قرار اللجنة بقوله : « لا يصح الإعراب بعد
 القطع » قرر المؤتمر الموافقة على قرار اللجنة بعد حذف الوجه
 الثاني المشار اليه .

(❦) من المصطلحات العلمية التي نظر فيها المؤتمر في دورته السابقة مصطلح (الطَمِي)
 بمعنى : الغرين يحمله السيل أو النهر فيستقر في الأرض . ولما كان مصدر فعل
 طَمَا النهر بمعنى : ارتفع وامتلا وعُزِّرَ ، في المعجم العربي (طُمُوًّا) ، وليس فيه
 (طَمًا مَكْنًى) فقد اقترع المجمع إحالة هذا الأمر على لجنة الأصول ، لتنظر في
 جواز تكملة مادة (طَمَى) في المعجم .

المسألة الرابعة : تنسيق ابواب النحو

مرض الاستاذ شوقي امين على المؤتمرين فكرة موجزة عن
موضوع تنسيق النحو ، قائلا بان الدكتور شوقي ضيف قدّم بحثا
يصوغ النحو صياغة تيسر ويتألف من قسمين ، أنهت لجنة الاصول
دراسة القسم الأول منه ، وراى مجلس الجمع تاجيل النظر فيه الى
ان تستكمل دراسة الموضوع كله .

ووافق المؤتمر على ارجاء بحثه الى العام القادم لتستكمل
اللجنة دراستها .

سابعاً : اعمال لجنة الالفاظ والاساليب

نظر المؤتمر في اعمال لجنة الالفاظ والاساليب المحالة الى المؤتمر
من قبل مجلس مجمع القاهرة ، فأقر المؤتمر أكثرها ، بينما دار
بينهم نقاش شديد حول بعضها انتهى الى رفضه أو اعادته الى اللجنة
لدراسته في ضوء ملاحظات الاعضاء .

وفيما يلي عرض موجز لما طرح على المؤتمر من مسائل وما
انتهى اليه في شأنها :

١ - أبداً في معنى النفي

تقول لجنة الالفاظ والاساليب : « يجري في الاستعمال العمري
مثل قولهم (لم أفعل هذا ابداً) ويأخذ النقاد النحاة على هذا الاستعمال
ان (أبداً) تستعمل ظرفاً منكراً لتأكيد الاثبات أو النفي في المستقبل ؛
والفصحى ان يقال : لم أفعل هذا قطّ ، ولا أفعله أو لن أفعله ابداً ؛
واللجنة ترى جواز الاستعمال العمري ، فقد اثبتت اللغة من معاني
الابد الدهر مطلقاً أو الدهر القديم أو الطويل ، وورد الأبد في الشعر
المستشهد به بمعنى الزمن الماضي ؛ ووروده بهذا المعنى في المثل السائر :
(طال الأبد على بُد) وكذلك ورد (الأبد) ظرفاً منكراً لتأكيد الماضي
المنفي في قول المتنبي :

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَوَّلًا، وَظَنَى أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ .

وجرت مناقشة بين الاعضاء، أَيْدُ خلالها الدكتور شوقي ضيف قرار اللجنة مستشهدا بقوله تعالى في سورة النور : (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا) ولكن هذا النص القرآني غير مقصود به الماضي فحسب بل الحاضر والمستقبل ، وانتهى المؤتمر الى الموافقة على قرار اللجنة .

٢ - القيد بمعنى التقييد

تقول اللجنة : « يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : أحضر فلان القيد » وقد يُظَنُّ أن اللفظة مخالفة للأصول اللغوية ، غير أنه ذُكِرَ في معيار اللغة (باب الدال فصل القاف) ما يأتي : « .. قاده يقيده قيذا كباع : جعل في رجله القيد كقيده تقييدا » . واذن فكلية القيد تحل محل كلمة التقييد ، وهي شائعة الاستخدام في الكتابات الديوانية والقانونية . وواضح أنها صحيحة .

وأقرَّ المؤتمر ما انتهت اليه اللجنة .

٣ - المديونية

جاء في قرار اللجنة : « يشيع استعمال مصطلح "المديونية" في لغة القضاء المدني، مُزَادًا به حالة كون الانسان مدينا ؛ وفي رأي بعض النقاد أنه خطأ، على أساس أن القياس في اسم المفعول من (دان) هو (مدين) فيجب أن يكون « مدينية » لا مديونية .

وبدراسة المسألة وَجَدَت اللجنة أن بعض قبائل العرب تجري في لغتها على التصحيح في صيغة اسم المفعول من الثلاثي المَعْتَل المين بالياء ، وقد نُصَّت المعجمات على صيغة (مديون) بالتصحيح ، وعلى هذا تكون المديونية مصدرا صناعيا .

واقـر المؤتمرون قرار اللجنة .

٤ — سواء كذا أو كذا — لا خلاف بين هذا أو ذاك

عُرض على المؤتمر قرار اللجنة الذي تقول فيه : « يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : سواء كذا أو كذا ، وقولهم : سِيان كذا أو كذا ؛ وقولهم : لا خلاف بين هذا أو ذاك ؛ وقد يرى بعض نقّاد اللغة أن استعمال (أو) في هذه العبارات على غير صواب ، إذ الصواب أن تُستعمل (الواو) هنا مكان (أو) ، فالمقام مقام جمع يستدعي العطف بأداته وهي (الواو) . وقد درست اللجنة هذه الاستعمالات المصرية ، وانتهت إلى إجازتها استناداً إلى أن جبهة كبيرة من النحاة يُنصّون على أن من معاني (أو) مطلق الجمع ؛ يضاف إلى ذلك المروي من الشواهد على ذلك شعراً ونثراً . »

واحتدم جدال عنيف بين مؤيدي القرار ومخالفيه ، وبرّاً خلاله الاستاذ سعيد الافغاني اللغة من كل شواهد البحث الذي استندت إليه اللجنة في قرارها . وحسم الرئيس الأمر بأن اقترح إعادة القرار إلى اللجنة لدراسته مجدداً ؛ فاقـر المؤتمر الاقتراح .

ه — هذا منزل آيل للسقوط — فلان آيب من سفر

جاء في قرار اللجنة : « يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : هذا المنزل آيل للسقوط ، كما يشيع قولهم : فلان آيب من سفره ، بتسهيل الهمزة في كل من آيل وآيب . وقد يبدو للناقد اللغوي في مثل ذلك خروج على القاعدة الصرفية ، إذ الأصل أن يقال آئل وآئب ، بهزتين محققتين . واللجنة ترى أن استعمال الكلمتين على هذه الصورة صحيح استناداً إلى أن :

ا — أهل الحجاز يستقلون تحقيق الهمزة الواحدة .

ب — ورد تسهيل الهمزة في اسم الفاعل الأجوف في بعض القراءات القرآنية السبع والعشر . »

واقروا المؤتمرين هذا القرار .

٦ - لعب دوراً

يشيع في هذه الايام القول: (لعب دوراً) وهو من لغة التمثيل المسرحي ، نُقِلَ الى العربية مترجماً من لغات اجنبية ، ودخل الى لغة الكتابة والحديث وفيها عُمِّ وانتشر ؛ وقد تناولت لجنة الالفاظ والاساليب هذا التعبير البعيد عن العربية ، بالمناقشة والبحث، وانتهت فيه الى القرار التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم (لعب دوراً) يريدون به اداء مهمة من المهمات في أي عمل من أعمال الحياة ؛ وربما يسبق الى خاطر ان العبارة غير صحيحة ، على اساس ان الفعل (لعب) لازم . ولكن اللجنة لا ترى مانعاً من استعماله ، ويمكن تخريج صحته من وجهين :

اولهما - ان يُجْعَلَ (دوراً) مفعولاً مطلقاً مباشراً ؛ ومعلوم ان المفعول المطلق يصف الفعل من أي وجه كان ، وكلمة دور في اللغة العربية المعاصرة تعني : مهمة أو نصيب ، وهي وصف للفعل ؛ فلعِبَ دوراً أي نصيباً ، ولذلك تصبح كلمة (دور) مفعولاً مطلقاً .

ثانيهما - ان قائل هذه العبارة وما يشبهها لا يريد بالفعل (لعب) معناه الحقيقي الذي يدل لفظه عليه ، بل يريد معنى : أدَّى ونحوه ؛ إما لفظ (دور) فمصدر (دار) ويراد به في العبارة معنى : المهمة أو القدر أو النصيب ؛ وإذاً يكون الفعل (لعب) فيما يعنيه الاستعمال المعاصر في العبارة مضمناً معنى : أدَّى مثلاً وهو متعدي ، وإذاً يكون (دور) مفعولاً به للعب .

ويتضح مما سبق ان صيغة (لعب دوراً) صحيحة لقويماً ، وإما على ان كلمة (دوراً) مفعول مطلق ، وإِثْمًا على أنها مفعول به لفعل لعب المضمن معنى : أدَّى . »

وادی عرض قرار اللجنة على المؤتمر الى انقسام شديد في الراي ؛ فمن رانضٍ له الى مدافع عنه مؤيد لضرورة اقراره .

واكد الاستاذ الشاذلي القليبي، عضو المجمع من تونس، أن العربية في غنى عن هذا التعبير المترجم ؛ وتساءل الاستاذ محمد عبد الغني حسن، عضو المجمع في مصر : لماذا تضيق بهذه اللفظة ونحن مهتمون بإثراء اللغة العربية ؟ مؤكداً أن امثال هذه التعبيرات المستحدثة ضرورة حتمية للنمو والتطور اللغوي . وقال الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر، عضو المجمع من مصر : إن من اكبر الخطأ أن يُصدر مجمع اللغة العربية رخصة لا سند لها من ضوابط اللغة ؛ ولسوف يقال هذا رأي المجمع ، واخشى ان ننشر العامية بمثل هذه الرخص . وقال الدكتور اسحق موسى الحسيني، عضو المجمع من فلسطين، أن اللعب على المسرح هو البراعة في الأداء ، وما دام في الكلمة ظلال من المعاني فلا بأس من قبولها . وقال الدكتور محمد محمود الصياد، عضو المجمع من مصر، إن اللعب في المعجم العربي يقتصر على معنى اللهو ؛ وتساءل الاستاذ حمد الجاسر، عضو المجمع من العربية السعودية ، واذا ما اجيز التعبير ، هل يجوز لواحد ان يقول : لعب القرآن دورا في تخليد اللغة العربية ؟

واقترح البعض اعادة الموضوع الى اللجنة للاستزادة من الدراسة ، وعرض الامر على التصويت فرجحت كفة الرافضين لقرار اللجنة .

٧ - يلعب الكرة

تقول لجنة الالفاظ والاساليب في قرارها : « يشيع في اللغة المعاصرة قولهم (يلعب الكرة) ويريدون به ممارسة اللعب بالكرة ؛ وربما يسبق الى خاطر أن العبارة غير صحيحة، على أساس أن الفعل لازم والكرة أداة فيجب وصلها بالباء ليقال : يلعب بالكرة، كما هو وارد في اللغة .

وبدراسة المسائل انتهت اللجنة الى أن قول المعاصرين "يلعب الكرة" يمكن توجيهه بأحد وجهين :

الاول - أن تكون الكرة (مفعولا مطلقا) اذ هي أداة الفعل ، والادوات تنوب عن المصدر في الانتصاب على المفعولية المطلقة، على حدّ (ضربته سوطا أو عصا) والاصل كما قال النحاة : ضربته ضربا بسوط أو عصا ، ثم حذف المصدر واقيمت الآلة مقامه .

الثاني - أن يكون الكلام من قبيل الحذف والايصال : حذف حرف الجر ، ثم وصل الفعل بالاداة فتيل (يلعب الكرة) . ولهذا ترى اللجنة أن قولهم (يلعب الكرة) صحيح لا بأس في استعماله ، أما اذا كان المراد نوعا معينا من اللعب لكرة القدم أو كرة السلة ، فترى اللجنة : أن التعبير صحيح أيضا على أنه مفعول مطلق « .
وعند التصويت : وافق المؤتمر على القرار .

٨ - تراوح الشيء بين كذا وكذا

تلى قرار لجنة الالفاظ والاساليب المتضمن : « يستعمل الكتاب المعاصرون مثل قولهم (السعر يتراوح بين الارتفاع والانخفاض) أو (الجو يتراوح بين الحرارة والبرودة) ، وقد يُفترض على هذا التعبير بأن الصواب : راوح بدلا من تراوح ، كما هو ماثور في اللغة ؛ وترى اللجنة اجازة التعبير على أساس :

١ - أن تراوح في معنى راوح ، نظيرا بينه وبين ما ورد في اللغة من صيغ الزوائد المتعاقبة .

٢ - أن تراوح من باب المطاوعة، لأن قولهم: راوح بين الامرين ، وإن كان لازما في الظاهر، هو مُتَعَدٍّ في المعنى « .

وعند التصويت على هذا الموضوع ، أقرّ المؤتمر قرار اللجنة .

٩ - غشّ في الامتحان

جاء في القرار الذي عرض على المؤتمر : « يجري على أعلام الكتاب المعاصرين قولهم : غشّ الطالب في الامتحان ، أو غشّ الاجابة

من الاسئلة ، أو غُش عن زميله ؛ أو ورَقْتَه مَفْشُوشَة ؛ يراد بذلك
كله النقل عن آخر ، ونسبة المنقول الى غير صاحبه في غفلة من الرقيب .

**وتجيز اللجنة هذه الاستعمالات على أساس أن مدلول الغش في
اللغة اظهر غير الصحيح ، ومجانبة الامانة في الأداء ؛ ومنه الغش
بمعنى الخلط والشُّوب ؛ ولا بأس بالانتساع في هذا المدلول ، بحيث
يُسْتَوْعَب ما تحمله الاستعمالات العصرية من معنى مجانبة الخلوص ،
وذلك في اظهار المحتن خلاف ما هو له .**

وأقرّ المؤتمر اللجنة على قرارها .

١٠ - عزف لحنا

تلى قرار لجنة الالفاظ والاساليب المتضمن : « يَسْتَعْمَلُ الْكِتَابُ
المعاصرون مثل قولهم : عَزَفَ لحنا ، وهذه معزوفة من معزوفاته ،
وعَزَفَ على العود ؛ على حين أن فعل عزف بمعنى صَوَّتَ لازم في اللغة .

واللجنة تجيز الاستعمالات العصرية : إمّا على أن فعل عزف
المتعمد مأخوذ من المعزف اسما للكلفة (١) ، وإمّا على إعراب (لحنا)
في قولهم (عزف لحنا) مفعولا مطلقا ، وإمّا على أن (عزف) مضمَّن
معنى : أَدَّى .

واقر المؤتمر قرار اللجنة .

١١ - أدانت المحكمة فلانا، أو حكمت المحكمة بالإدانة

تضمن قرار لجنة الالفاظ والاساليب ما يلي : « يشيع في لغة —
القانون — قولهم : أدانت المحكمة فلانا أو حكمت المحكمة بإدانتته ،
بمعنى أثبتت الجريمة عليه ؛ وهو معنى يبدو في ظاهره مخالفا لما
نُصِّت عليه المعجمات في معاني (أدان) التي تأتي في الاصل بمعنى اقرض .

(١) كان مجمع القاهرة اقر في دورته الاولى جواز الاشتقاق من أسماء الاميان . وفي
دورات لاحقة وضع قواعد لهذا الاشتقاق . وفي منشورات المجمع ابحاث كثيرة
حول هذا الموضوع . انظر كتاب (مجموعة القرارات العلمية) القاهرة ١٩٦٢ .
وكتاب « في اصول اللغة » القاهرة ١٩٦٦ م .

درست اللجنة هذا ، وانتهت الى أن (دان) الثلاثي المتمدي يشترك مع الرباعي في معنى الاقتراض ، ويفتقد بمعنى المجازاة ، كما جاء في اللسان ؛ وليس ببعيد في رأي اللغة أن يُحْمَل الرباعي على الثلاثي في دلالة المجازاة ، ليكون أدانه بمعنى جازه ، وتكون الإدانة بمعنى المجازاة . وثمة توجية آخر : أن قولهم (دان شخصاً) معناه في اللغة ايضاً : حمّله على ما يكره ؛ ومن الممكن أن (ادانه) محمول على هذا المعنى، اذ الحكم بالادانة أساسه الحمل على غير المحبوب .

وعند التصويت على قرار اللجنة هذا ، اقْرأه المؤتمر .

١٢ — امعن النظر وانعم النظر

تقول اللجنة في قرارها : « يشيع في استعمال المعاصرين مثل قولهم : امعن النظر في الامر متعدياً بنفسه ؛ والمثبت في المعجمات : أن امعن فعل لازم يتعدى بالحرف . واللجنة تجيز ذلك الاستعمال لوروده في نصين من الشعر الجاهلي ، إمّا على أن الاسم مفعول به ، وإمّا على أن الاسم منصوب على نزع الخافض ؛ يضاف الى ذلك أن من المثبت في المعجمات : انعم النظر في معنى امعن في النظر ، ومن المحتمل أن يكون بين الفعلين قلب مكانى » .

وقد اقر المؤتمر هذا القرار .

ثامناً : ختام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمر جلستهم الختامية صباح يوم الاثنين في السابع والعشرين من آذار (مارس) سنة ١٩٧٨ م ، عرض فيها الدكتور مهدي علام أمين المجمع، ما انجزه المؤتمر خلال هذه الدورة ، ثم أبدى الاعضاء ملاحظاتهم، وقدموا الاقتراحات التي يرونها : وبعد مناقشتها اتخذوا التوصيات والمقررات التالية :

- ١ — تعريب التعليم الجامعي هدف يُسعى اليه في العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق تزويد مكتبتنا بمراجع عربية حديثة وافية ،

وقيام الاستاذ بواجبه قياماً حقاً نحسو مادته ولفته ، وتمكّن الطالب من لغته القومية ومن لغة أخرى اجنبية تربطه بسير العلم وتقده .

٢ — تتقارب اللهجات الدارجة في العالم العربي في العشرين سنة الماضية تقارباً ملحوظاً ؛ وللمدرسة والمدرّس شأن في ذلك ، ولوسائل الاعلام من صحافة وإذاعة ، ومسرح وسينما شأن أوضح . وما أجددنا ان نتعهد ذلك ونرعاه كي ينتهي بنسأ الى الهدف المنشود .

٣ — توحيد المصطلح العلمي والأدبي والفني هدف منشود لعالما العربي ؛ ولكن بعض الهيئات والافراد يعمد الى اصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة في استعمال المصطلحات العربية لدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون . والمؤتمر يوصي : بأن يُترك أمر المصطلحات للمجامع العربية ، على ان يُنسّق ذلك في اطار اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .

٤ — يأسف المؤتمر لما يبدو من تحريف في نطق بعض الحروف على السنة العاملين في الاذاعات : المسووعة والمرئية . لذلك يوصي المؤتمر : بأن تعنى وزارات الاعلام بتدريبهم على نطق الحروف العربية من مخارجها الصحيحة ، مستعينة في ذلك بالاساتذة المتخصصين في هذا الميدان .

٥ — ما زال الكتاب المدرسي العربي في حاجة الى اخراجه بصورة تجتذب الطلاب وتُحبّب اليهم ، كمنظائره في كثير من البلاد الاجنبية . والمؤتمر يوصي وزارات التربية والتعليم بأن تحرص على تحقيق ذلك في الكتاب المدرسي ، كحرصها على اختبار موضوعاته ، وضبط كلماته .

٦ — يُشجّع المؤتمر ما بدأت وزارة الثقافة والاعلام في مصر من اقامة امسيات شعرية ، لأعلام الشعراء ؛ ويستحثّها على المضي في هذا السبيل ، ويأمل ان تأخذ بذلك وزارات الثقافة والاعلام في وطننا العربي ، ففيه احياء لتراثنا الشعري لدى أبناء هذا الجيل ، وترغيب لهم فيه ، ليُقبلوا عليه ، ويفيدوا منه .

٧ - تبلغ توصيات المؤتمر وقراراته للمجامع اللغوية والعلمية ،
 واتحاد المجامع ، والجامعات ، وجامعة الدول العربية ، والمنظمة
 العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات التربية والتعليم ،
 والثقافة والإعلام ، في العالم العربي جميعه .

وبعد اتخاذ هذه القرارات والتوصيات استمع المؤتمر
 الى تصيدة لشاعر الاهرام ، عضو المجمع ، الاستاذ محمد عبد
 الغنى حسن بمناسبة انتهاء أعمال المؤتمر ، كما استمعوا الى
 تحية منظومة من الدكتور حسين على محفوظ ، عضو المجمع
 بالمراسل من العراق .

ثم أعلن الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع ختام دورة
 المؤتمر ، متمنيا للأعضاء الوافدين عودة حميدا ، آملا لقاء الجميع
 في المؤتمر القادم الذي سيعقد في الاسبوع الاخير من شهر شباط
 (فبراير) سنة ١٩٧٩ ، ان شاء الله .

تعليقات ومناقشات

١ - ندوة حول : تجربة جامعة دمشق في تدريب
تعليم العلوم، قَدَّم لها : الدكتور عبد الكريم
خليفة - رئيس المجمع الاردني، وادارها : الدكتور
هسني سبيع - رئيس مجمع دمشق، وشارك فيها:
الاستاذ وجيه السمان، والدكتور هيثم الخطاط -
من اعضاء مجمع دمشق .

يوم السبت - ١٦/٥/١٣٩٨ هـ.

الموافق - ٢٢/٤/١٩٧٨ م.

الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم السبت ، السادس عشر من
شهر جمادى الاولى سنة ١٣٩٨ هـ. الموافق ٢٢/نيسان/١٩٧٨ م. عُقدت
الندوة في قاعة الندوات في كلية التجارة والاقتصاد بالجامعة الاردنية ،
بدعوة من مجمع اللغة العربية الاردني ، وحضرها جمهور كبير من
اساتذة الجامعة وطلابها ، ومن المعنيين بشؤون اللغة العربية
وقد تفضل الاستاذ الدكتور حسني سبيع ، رئيس مجمع اللغة
العربية في دمشق ، بادارة الندوة ، وشارك فيها المهندس الاستاذ
وجيه السمان ، والاستاذ الدكتور هيثم الخطاط ، من اعضاء مجمع
دمشق .

بدأ الندوة الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع
اللغة العربية الاردني ، بكلمة قال فيها :

انه لمن دواعي سروري أن أرحب ، باسم مجمع اللغة العربية
الاردني ، باساتذتنا من مجمع اللغة العربية في دمشق ، ومن جامعة

دمشق . ولا شك في أن موضوع تعريب العلوم الذي يُطرح في الوطن العربي في هذه الفترة التاريخية ، لهو في غايبة الأهمية ، لانه يتماشى مع طموح هذه الأمة الى حريتها واستقلالها، ومشاركتها في ركسب الحضارة العالمية ؛ ولم يعد من الجائر مطلقا أن يُطرح مبدا « هل تصلح هذه اللغة العربية لان تكون لغة العلم ام لا ؟ » فلقد انتهت الفترة التاريخية التي كانت تُطرح فيها هذه القضية للمناقشة ، ومّرت اللغة العربية بهذه التجربة ، وكانت دمشق أول بلد أدرك، منذ عهد بني أمية، انه لا بدّ من التعريب من أجل بناء حضارة عربية اسلامية أصيلة . ومن دمشق ايضا بدا التعريب في العصر الحديث .

لهذا كانت الفكرة تراودنا لندعو استاذنا الكريم الاستاذ حسني سبيع ، شيخ اطباء ، ومن رواد التعريب في العصر الحديث ، لكي يلتقي مع هذه الفئة من الغيورين على لغتهم وعلى أمتهم ، بدعوة من مجمعا الاردني الفتّي الذي يُعتبر نفسه لجنة في مجمع عربي واحد . وفي رحاب هذه الجامعة الاردنية تنعقد الآن هذه الندوة .

واضاف الدكتور خليفه قائلًا :

هناك تيارات وتيارات تتصارع في هذه القضية ، في مشرق البلاد ومغربها ؛ فان كانت في المغرب اللغة الفرنسية ، ففي المشرق اللغة الانكليزية . لكن الشعوب الحديثة أصبحت تدرك انه لا يمكنها الوصول الى جدّ الابداع والمشاركة الاصيلة ، إلا من خلال لغاتها .

ثم انتقل الى تقديم الدكتور حسني سبيع وزميليه ، وذكر ما قام به كل منهم في مجال اختصاصه من جهد كبير مشكور في تعريب العلوم ، وتعريب التعليم العلمي الجامعي .

وأعطيت الكلمة للدكتور حسني سبيع ، فقال :

اشكر أولا مجمع اللغة العربية الاردني، الذي تفضّل مدعانا الى هذا اللقاء . وإنها لبادرة حسنة وطيبة، تدلّ على المسمى الطيّب الذي يقوم به هذا المجمع الفتّي من أجل الماضي في ترقية اللغة العربية

لتلحق بركب الحضارة ، وتصبح مؤهلة لاستيعاب جميع العلوم والفنون والتكنولوجيات ..

ومضى يقول :

من نافلة القول أن نبحت في ضرورة التعليم باللغة العربية ، فما من أمة في العالم إلا تحترم لغتها ، وتسمى جهدها لتكون هذه اللغة هي الوحيدة التي تعبّر عن جميع شؤونها ، وتعلّم بها في جميع مراحل التعليم . وذلك لأن التعليم بلغة أجنبية دليل على الضعف وعدم الثقة بالنفس ، بل دليل على خمول العزيمة في أهلها .

ثم مضى الدكتور سبّح يتحدث حول تعليم العلوم بالعربية في مصر وسوريا فقال : أتراك الآن الأمور العلمية المتعددة لأنظر في الطب وحده ، لأنني عانيتُه واشتغلْتُ به ، ولي قسط متواضع في وضع بعض مصطلحاته العربية . لقد كان الطَّبُّ يُدرّس في مدرسة القصر العيني ، في مصر ، وبعد أن تولّت الأسرة العلوية الحكم في مصر اتجهت إلى إصلاحات كبيرة ، كان من جملتها الالتفات إلى العلوم ، والنهوض بمصر لكي تستفيد قدر المستطاع مما بلغته ديار المغرب من رقي ، فأرسلت البعثات ، وعُيِّن بتدريس العلوم العصرية ، وأُسِّست مدرسة القصر العيني ، وكان التدريس فيها باللغة العربية ، وتخرّج فيها مئات الأطباء ، وانتشروا في جميع الأقطار العربية ، وظلّ التعليم في هذه المدرسة سبعين سنة باللغة العربية .

وتابع الدكتور سبّح كلامه قائلاً :

ثم احتلّ الإنكليز مصر ، وكان من الطبيعي أن لا يوافقوا على بقاء اللغة العربية لغة التدريس ، ذلك لأن الاستعمار لا يكون أبداً استعماراً مادياً فحسب ، بل لا بدّ له من السيطرة الثقافية كذلك . وهكذا بدّل المستعمرون لغة التدريس من العربية إلى الإنكليزية ، وظل الأمر كذلك حتى عصرنا الحاضر .

ثم أُنْقَل إلى الحديث على جامعة دمشق — أو الجامعة السورية ، كما كانت تدعى — فذكر أن كلية الطب فيها قد أُنشئت في المعهد الفيصلي ، وفي زمن رئاسة أحمد رضا الركابي للحكومة السورية .

وقد دُعيت يومئذ (المدرسة الطبية) وبدأ التعليم فيها باللغة العربية ، بعد أن كان التعليم في بيروت والقسطنطينية باللغة التركية . وقال الدكتور مبيع :

ولما جاء الانتداب الفرنسي لم يستطع فرض الفرنسية لغة للتدريس في مدرسة الطب ، لأن للمواطنين من وعيهم وحبهم للغتهم ما يُعَدّ مضرب الأمثال .

وتحدث على المجمع العلمي العربي بدمشق ، فقال إنه قد أُنشئ في أواخر الحرب العالمية الأولى ، وكان العمل الذي قام به هو تحويل المصطلحات التركية السائدة إلى مصطلحات عربية . وهكذا وُجِدَت جميع المقومات لأجل الإدارة والتدريس بالعربية ، ولا سيما في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وكان المجمع يشرف على كل ما يُطْبَع من الكتب المدرسية إشرافاً فعلياً . وكان يُنظر في جميع المصطلحات التي ترد عليه ، كما كان يجيب عن كل ما يوجه إليه من أسئلة فردية وجماعية ، في الصحف أو سواها .

وأضاف الدكتور مبيع قائلاً :

وبعد أن أُنهيت دراسة الطب في دمشق ثم في أوروبا ، عهد إلي بالتدريس في مدرسة الطب في دمشق ، وقمت بما يفرضه علي الواجب ، ووضعت كتباً شاركت فيها في تعريب الطب . وعُقب على ذلك بقوله :

إن التعليم باللغة القومية ينبع من مشيئة الناس ؛ وعلى هذه الإرادة الوطنية قامت تجربة دمشق في تعريب التعليم العلمي .

وقال أن في سوريا الآن ثلاث جامعات ، وأغلب الأساتذة فيها درسوا في بلدان غربية عديدة وبلغات غريبة مختلفة . وهذا كاد يؤدي

الى مشكلة في لغة التدريس الجامعية ، غير أن مجمع دمشق ألح على الحكومة أن تشترط على كل عضو في هيئة التدريس إتقان اللغة العربية . وقد استجابت الحكومة لطلب المجمع ، وأصبح المؤهل الآن لكل من ينضم الى التدريس في أي من الجامعات الثلاث هو اِجادة اللغة العربية .

وحول الانتقال في التدريس من اللغة الاجنبية قال الدكتور سبع :
انما لا اميل الآن الى فكرة الطفرة ، بأن نلزم الاساتذة والطلاب بين عشية وضحاها ان يُبدلوا التدريس من لغة الى لغة أخرى ؛ وارى أن نجد اولا الاساتذة المتكئين من لغتهم العربية ، وإن نُجد لهم كُتبا في المصطلحات الجديدة بعد ان كثرت هذه المصطلحات في جميع العلوم والفنون ، وأصبحت لا تُقدَّر او تُحصى . وانما مؤمن بأن الطبيب الذي يُدرُس الطب بالعربية اُتدَرُّ على التفاهم مع مريضه باللغة التي يفهمها مريضه . وقد بُت لي بالتجربة أن خريجي كلية الطب في جامعة دمشق ، وهم يتعلمون الطب باللغة العربية لا بالانكليزية ، ليسوا اقل مقدرة من دُرسوا بالانكليزية على اجتياز الامتحانات الطبية المؤهلة للبعثات في أمريكا ، فهم يُنجحون فيها في الطب وفي اللغة الانكليزية ، وفي دراساتهم بعدئذ في أمريكا لا يعجزون عن فهم الدروس التخصصية التي يتلقونها ، وحيانا كثيرة يتفوقون على زملائهم الذين دُرسوا الطب باللغة الانكليزية .

وانما اود ههنا ان اشير على المدرسين بأن يأخذوا أنفسهم بتدريس المواد العلمية باللغة العربية ، وعندما يحتاجون الى مصطلح لا يعرفون مقابله العربي ، فلا ضير عليهم من استعمال المصطلح الاجنبي مع شرحه بالعربية .

وختم الدكتور حسني سبع كلمته بقوله :

وختاماً لا يسعني الآن أن أكرّر الشكر للأستاذ الدكتور هبـد الكريم خليفه على اتاحته هذه الفرصة للقائكم ، وانني على استعداد للرد على أي سؤال .

* * *

ثم أُعطيت الكلمة الى المهندس الاستاذ وجيه السَّمان . فقال :

مما تقدم به الدكتور حسني سبيح نستطيع أن نستنتج أن تعليم الطب باللغة العربية قد نجح، وليس لدي شك في سلامة هذه التجربة ، وفي أنها أعطت أحسن النتائج . فهل تُرى نجحت التجربة في فروع أخرى من العلم ؟

لقد كانت كلية الطب الكلية العلمية في دمشق حتى سنة ١٩٤٦ . وبعد الاستقلال قامت سوريا بتوسيع الجامعة ، فأُنشئت كلية للعلوم ، وكلية للهندسة ، ودارٌ عليا للمعلمين . ثم توالى الكليات بعد ذلك ، فأُنشئت كلية الفنون الجميلة ، وكلية الزراعة . وأُنشئت بعد ذلك جامعة تشرين . وطبعاً لم تقتصر هذه الجامعات على كليات الطب وحدها ، بل اشتملت على كليات أخرى متعددة . والآن تنشأ جامعة رابعة بين حمص وحماة ، بدى فيها بكلية الطب البيطري، وكلية النفط .

ولقد كان لي شرف الانتماء الى كلية الهندسة في جامعة حلب . وكان تدريس العلوم بالعربية سهلاً جداً ، لان مصطلحاتها في السنة الجامعية الاولى كان أكثرها من جملة مصطلحات التعليم الثانوي المألوفة في سوريا وفي أكثر البلدان العربية . وأما تعليم الهندسة فقد لقي صعوبة ، لان مصطلحاتها لم تكن لها أُسس سابقة . ومع ذلك صمَّم الاساتذة على أن يتخطَّوا المصاعب بهمة الشباب واخلص العلماء، وراحوا يضعون المصطلحات العربية لكل سنة . ووُضِع المصطلحات لا يمكن الا أن يكون تدريجياً : عمل بناءً بطيء ، ثم لا بدّ من الرجوع اليه ، واعادة النظر فيه ، والاستفادة من كلّ مصطلح جديد . وهكذا نستطيع أن نقول الآن بكل اطمئنان إن كليات العلوم وكليات الهندسة ، بجميع فروعها ، تجد كل مصطلحاتها حاضرة ، يُعلِّمها المدرسون ويفهمها الدارسون .

وتبقى ثمة قضية المراجع لمن يريد الاستزادة . وهنا أقول إن الشعوب العربية المتقدمة لا تكفي بإلزام طلابها بمعرفة لغتهم القومية وحدها ، بل تطلب منهم معرفة لغتين أو أكثر من أجل التوسّع في

البحث العلمي . وهذا يعني أن نُقْتَدِيْ بِهِمْ ، مُنْزِلِمْ الطَّالِبِ بِاتِّقَانٍ
لِغَتِهِ الْعَرَبِيَّةِ أَوَّلًا ، ثُمَّ بِاتِّقَانٍ لِّغَةِ أَعْجَنِيَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ أَجْلِ الْإِسْتِزَادَةِ
الْعِلْمِيَّةِ . وَهَذَا طَبْعًا يَتَطَلَّبُ جَهْدًا أَضَافِيًّا ؛ وَلَا بَدَّ مِنْ هَذَا إِذَا كَانَ
الْعَرَبُ يَطْمَحُونَ إِلَى مُسْتَقْبَلٍ مُشْرِفٍ .

وَأَضَافَ الْإِسْتَاذُ السَّمَانُ قَائِلًا :

أَعْتَقِدُ أَنَّ السَّبَبَ فِي تَهَرُّبِ الْبَعْضِ مِنْ تَعْلِيمِ الْعُلُومِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
هُوَ قِلَّةُ الْإِقْدَامِ ، وَعَدَمُ الْاعْتِمَادِ عَلَى النَّفْسِ . وَقَدْ جُرُبْنَا نَحْنُ وَنَجَحْتُ
تَجْرِبَتُنَا فِي سُورِيَا ، فَلَدِينَا الْآنَ كِلَيَاتِ لِلطَّبِّ ، وَلِلْهَنْدَسَةِ ، وَلِلْعُلُومِ ،
وَلِلزَّرَاعَةِ ، وَكُلُّهَا تُدْرَسُ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَهِيَ أَيْضًا تُدْرَسُ اللُّغَاتُ الْأَعْجَنِيَّةُ
لِكَيْ يَتِمَّكَنَ الطَّلَابُ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْمَرَاجِعِ الْعِلْمِيَّةِ الْأَعْجَنِيَّةِ . وَفِي
كُلِّ جَامِعَةٍ لَجَنَةٌ خَاصَّةٌ لِنَشْرِ الْمَرَاجِعِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُرْتَجِمَةِ وَكُتُبِ الْإِسَاتِذَةِ ،
وَهِيَ تُصَدِّرُ كُلَّ سَنَةٍ عَشْرَاتٍ ، إِنْ لَمْ نَقْبَلْ مِائَاتٍ ، مِنَ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ .

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الْأَمْرُ عَلَى الْكُتُبِ التَّدْرِيسِيَّةِ ، بَلْ هُنَاكَ مَرَاجِعٌ عَدِيدَةٌ ،
وَقَدْ سَاهَمْتُ أَنَا شَخْصِيًّا بِتَرْجُمَةِ بَعْضِهَا . لَقَدْ تَرَجَمْنَا مُوسُوْعَةً فِي
الْفِيزِيَاءِ مِنَ اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ بِتَعَاوُنِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْإِسَاتِذَةِ . وَكُنَّا قَبْلَ
التَّرْجُمَةِ نَجْتَمِعُ وَنَتَّقَى عَلَى تَعْرِيبِ الْمِصْطَلَحَاتِ مَعًا ، ثُمَّ يَمْضِي كُلُّ
وَاحِدٍ فِي تَرْجُمَةِ نَصِيْبِهِ مِنَ الْمَوْضُوعِ . وَلَمْ نَصَادَفْ أَيْةَ مُشْكَلَةٍ ، لِأَنَّ
لَدَى الْإِسَاتِذَةِ وَالطَّلَابِ رَغْبَةً تَامَةً فِي جَعْلِ لِفْغَتِهِمُ الْعَرَبِيَّةِ جَدِيدَةً بِأَمْتِهَا
الْمَجِيدَةِ .

وَأَضَافَ الْإِسْتَاذُ السَّمَانُ قَائِلًا :

وَأَنْنِي لَا أَشْعُرُ بِالْأَسْفِ وَالْأَلَمِ حِينَ أَسْمَعُ بَعْضَ الْمُتَقَفِّينَ عِنْدَمَا
يَتَكَلَّمُونَ فِي الشُّؤُنِ الْعِلْمِيَّةِ لَا يَخْتَلِفُونَ عَنِ الْعَامَةِ ، لِجَهْلِهِمُ الْمِصْطَلَحَاتِ
الْعَرَبِيَّةِ . كَمَا أَنَّ مِنَ الْمَوْسُفِ أَنْ نَسْمَعَ مِنْ أَصْحَابِ الْمِهْنِ الْمُخْتَلِفَةِ تَعَابِيرَ
مُسْتَفْزِيَّةٍ ، تَخْتَلِفُ بَيْنَ كُلِّ بِلَدٍ وَالْبِلَادِ الْآخَرِ . وَهَذَا مَا يَجِبُ أَنْ يُوضَعَ لَهُ
حَدٌّ ، وَالْأَكَاثَرُ الْعَرَبِيَّةَ غَيْرَ جَدِيدَةٍ بِالْحَيَاةِ ، لِأَنَّهَا لَا تَعُودُ لِفْغَةً وَاحِدَةً
بَلْ عِدَّةُ لُغَاتٍ .

* * *

ثم أعطيت الكلمة للدكتور هيثم الخياط ، فقال :

موضوع القديم والجديد أخشى أن أخوض فيه ، ويخيل إليّ أن هذه القضية ليست بهذه الدرجة من الأهمية . واعتقد أن الموضوع قد مولج من عدّة نقاط ، وسيجد المزيد من المعالجة بما سيتقدم به الاخوة الحاضرون من أسئلة ومناقشات . وما أريده هو أن أعلّق تعليقاتي أو ثلاثة .

قبل كل شيء أحبّ أن أطرق موضوع التعليم بالعربية ، وموضوع المصطلحات ، وهما أمران مختلفان تماما : فالهمّ في التعليم هو البيان : أن يتكلم الاستاذ باللغة العربية التي يفهمها هو أكثر مما يفهم اللغة الأجنبية ، ويفهمها كذلك الناس منه أكثر مما يفهمون حين يخاطبهم بلغة أجنبية .

هذا شيء ، والشيء الآخر موضوع المصطلحات التي هي الفاظ اصطلاح عليها القوم — أو تصالحوها — على أن تدلّ على معنى معيّن ، أو على فكرة معيّنة . وهذا أمر قد يكون فيه بعض الصعوبة أحيانا ؛ والعصر الحديث فيه صعوبات أكثر ، لأنه يصدر في كل يوم عدد كبير من المصطلحات التي تحتاج الى نقل الى العربية .

ولقد أصبحت العربية اليوم لغة رسمية في الأمم المتحدة ، ولغة رسمية في المحافل الدولية عامة ، ومنها منظمة الصحة العالمية . ونحن ما زلنا نتردّد في استعمال المصطلحات الطبية ، مثلا، في كليات الطب عندنا . والتعليم بالعربية أمر لا بد منه ، ولكنّ هناك فجوة فصلنا عنه . واعتقد أن الكليات الطبية في العالم العربي ستبدأ عاجلا أو آجلا بالتعليم بالعربية ، على أن السبق سيكون للذين يبدأون بالتعليم بالعربية قبل أن يعرّبوا المصطلحات . ولست أحبّ أن أذكّر ههنا بالنواحي القوميّة والوطنية التي تقتضي ذلك ، فهذه أمور كثر الحديث حولها ، وإنما أحبّ أن أذكر نقطة مهمة جدّا ننساها جميعا ، وهي قضية الابداع : الاستاذ الذي يستطيع أن 'يبدع' هو الاستاذ الذي يقرأ بلغته ويعلم بلغته . والدليل على ذلك أن الجامعات العربية التي

ما تزال تعلّم بالانجليزية منذ عشرات السنين ، لم ينبغ فيها أحد ، ولم تتقدّم ببحث علمي مبتكر ، ولم تُخرج علينا بشيء جديد .

نحن نقول إنّنا نريد أن نعلّم طلابنا باللغة الأجنبية ليظلّوا على اتصال دائم بما يجدّ في العلوم ، ويستطيعوا متابعة البحث العلمي ، والمساهمة في البحث العلمي ؛ ولكن التجربة تُثبت خلاف ذلك . والقضية أنّنا نثير بعض الحجاج حول قضية ما زلنا نجِدُ بعض الحرج في التخلّي عنها ، أو ما زلنا نحتاج الى بعض الشجاعة للإقدام عليها .

وأما المصطلحات فأمر آخر ؛ وأنا لا أُقلّ من شأنها . والمصطلحات العربية التي ستصبح دُولِيّة ، هي أيضا المصطلحات التي تُستعمل في اللغة الفارسية ، واللغة الاوردية في تدريس الطب . اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، وهي لذلك لغة هؤلاء الذين يعرفون لغة القرآن ؛ وهم حين أرادوا ترجمة العلوم الى لغاتهم، لجأوا الى المصطلحات التي وجدت في لغة القرآن . وهم يكتبون الينا دائما لنرسل اليهم مصطلحاتنا . ونحن نقرا مجلاتهم التي تكتب بحروف عربية، فنجد المصطلحات المستعملة فيها مصطلحات عربية .

لقد أحببتُ أن نضع أنفسنا أمام هذا الموقف الذي نعيشه . هذه مجموعة من المتناقضات في الحقيقة ، فالناس يطلبون منا أشياء ، ونحن ندير ظهورنا لهم ، ونريد أن نتقوّع ، وأن ننكمش عند لغة من اللغات الأجنبية . ومن المؤسف أنّنا نرى أن أكثر المدافعين عن التعليم بلغة أجنبية هم ممّن لا يجيدون اللغة الأجنبية ؛ والغريب أن الذين درسوا باللغة الأجنبية واتقنوها هم من كبار المدافعين عن التعليم بالعربية .

انني أخشى أن تكون هذه القضية مظهرًا من مظاهر التخلف والاستعمار الفكري ؛ والاستعمار ليس في حقيقة الامر من طرف المستعمر فحسب ، وانما هو قابلية للاستعمار ... والأُمم التي ليست لديها قابلية للاستعمار لا يمكن استعمارها . وأنا أخشى أن يتسرّب الينا بعض القابلية حينما نقف مثل هذا الموقف .

كثيرون يقولون : نحن مؤمنون بالتعليم بالعربية ومستعدون له ، ولكن يجب قبل ذلك أن تتوافر لنا الكتب العربية ، وأن تكون لدينا المصطلحات التي يستطيع الطلاب أن يتعلموها . وأنا قلتُ من قبل إن القضية قضية بيان ؛ فلندرس بالعربية ، ولنستعمل — مثلما استعمل الترجمة الأولون — المصطلحات الدخيلة كما هي ؛ فالنقطة الأولى هي نقطة الحديث بالعربية أولا ، ثم نؤلف الكتب . ولا يجوز أن نوقف شيئا على شيء ، والا بقينا ندور في حلقة مفرغة . وفي وسع العرب أن يترجموا كل ما يصدر باللغات الأجنبية من كتب علمية ، كما يفعل الروس الآن . وسينتشر بذلك الكتاب العلمي العربي ، وتنتشر كذلك المجالات العلمية العربية ، وستجد لها قراء كثيرين في جميع أرجاء الوطن العربي . قد تطول هذه القضية بعض الشيء ، ولكنها في النهاية لن تقاوم التجارب الحديثة .

أن الطالب يتعلم في الدراسة الثانوية بلغته ، ثم ينتقل فجأة الى اللغة الأجنبية في الجامعة . ونحن طبعا مؤمنون بأنه يجب أن يعرف لغة أجنبية لكي يستطيع أن يتابع البحوث العلمية الجديدة ، لكن أيها اهون على الطالب ، وأيها ادعى الى الفهم : أن ينتقل هذه النقلة في نهاية الدراسة الثانوية ، أم في نهاية الدراسة الجامعية ؟ اعتقد أن الافضل والأهون هو أن يدع هذه النقلة الى نهاية الدراسة الجامعية ، فهناك يستطيع أن يتخصص ، وأن يتابع قضية تقوية لغته الأجنبية .

وقال الدكتور الخياط :

نحن نريد توحيد المصطلحات التي تستعمل في التعليم المام والتعليم الثانوي على مستوى الوطن العربي كله ، لأن العربية ستدخل ، إن عاجلا أم آجلا ، في التعليم في الجامعات العربية كلها .

ثم تطرق الى بعض المعاجم الجديدة الموحدة فقال :

التجربة الاولى كانت في المعجم العسكري الموحّد ، والمعجم الطبي الموحّد ؛ فقد صدر معجم العلوم الطبية مختصر ، أصدره اتحاد الاطباء

العرب ، وحاول أن يوحد فيه المصطلحات الطبية بقدر الامكان ؛ وقد
طينت منظمة الصحة العالمية الآن هذا العمل ، وعهدت الى لجنة
تضمّ الاعضاء الأقدمين مع أعضاء من المغرب العربي لمتابعة هذا
العمل ، وتوسيعه واقراره بصفة نهائية . ونرجو أن تكون هذه خطوة
أولى وجيدة في سبيل توحيد مصطلحات التعليم العالي .

* * *

ثم دار نقاش طويل اشترك فيه عدد كبير من الحاضرين ، وكان
كل من الاساتذة الثلاثة يجيب بدوره عن الاسئلة والمناقشات، مما زاد
الموضوع وضوحا . واختتم رئيس المجمع الأردني الدكتور عبد الكريم
خليفة الندوة بتوجيه الشكر الى الاساتذة الثلاثة والى الحضور .

٢ - تعليق الدكتور عدنان الخطيب

على العدد الأول من المجلة

ما كدتُ اتناول العدد الاول من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، حتى ادهشتني المفاجأة، وملأت نفسي غبطة وحبورا لهذه البداية الجميلة ؛ ولم اكن لانتوقع مبلغها من حسن الاختيار ومن جمال الاخراج ، وما كان عددٌ أولٌ من أي مجلة يستطيع حمل كل رغبات مُصدريه كاملة ؛ وما العدد الاول عادة الا الخطوة الاولى في سبيل الكمال المنشود .

ان التهامي التي اُزجِ بها السى القائمين على المجلة ، بمناسبة صدور العدد الاول ، لا تعني اني رايت فيه الكمال الذي لا ينفذ معه أي نقد الى جوانبه المتعددة ؛ فليس مثل هذا الكمال بمستطاع ولو توافرت كل الجهود الخيرة من اجله .

ولسي ملاحظات على العدد الاول ليكون اقرب الى الكمال مما صدر عليه ، فانا كنت انتوقع — ولست اُزعم بأن رايتي دوما على صواب — ان اُقرأ شيئا عن الغاية التي دُفعت المجمع الاردني الى اصدار المجلة ، وهل هي تحقيق الاهداف التي يرمي اليها المجمع ، أم هي احدى الوسائل الى تحقيقها ، وهل يُفترض في كل من يقع العدد الاول بين يديه ان يكون عارفا بالاغراض السامية التي قسام المجمع الاردني من اجل تحقيقها ؟ !

ليس من حق كل من يقرأ عددا اول من مجلة ما ، ان يقرأ فيه موعده مع العدد الثاني — ولو بالأمل — ؟ لا شك ان من حقه ذلك ، كما من حقه ان يقرأ خطتها، وهل هي فصلية او نصف سنوية ، ليتمكن من ترقب صدور العدد الثاني ؛ كما ان من حقه ان يعرف كيف يمكنه الحصول عليه، والتمن الذي يجب ان يدفعه لقاء ذلك . لقد خلا

عدد المجلة حتى من العنوان الذي يتكّن معه القارئ من مراسلة الإدارة اذا ما أحب مراسلتها ؛ لا بل اني انتقدت في المجلة ، وفي باطن غلافها على أقل تقدير ، رقم صندوق بريد المجمع الأردني نفسه !

وهناك أمر آخر ، هو من وجهة نظري في غاية الاهمية ؛ ذلك ان المجلة تصدر عن مؤسسة عامة ، وعن مجمع قام لخدمة اللغة وللمحافظة على سلامتها ؛ ولا يُعقل ان يكون كل ما يُنشر فيها معبراً عن رأي المؤسسة، او يمثل الرأي الرسمي للمجمع ؛ فلا بد اذن من ان يعلن للناس ان ما يُنشر في المجلة لا يعبر الا عن رأي كاتبه ؛ فيبقى لأي واحد ان يناقشه في رأيه وصولاً الى الحق والصواب المنشود .
ومما يتصل بهذا وجوب قيام لجنة المجلة بالتعليق على ما يُنشر في المجلة ، وبخاصة اذا ما كان فيه ما يمسّ بالاغراض الجمعية ، او بأي قرار مجعّم معتمد .

لقد قرأتُ كل ما نُشر بين دفتي العدد الأول ، وسجّلت ملاحظات كثيرة على اكثر موضوعاته ؛ وها اني موجز تلك الملاحظات :

كان بحث الدكتور خليفه عن ابن رشد في أدبه ، أوّلى بحث قرائه في موضوعه ، بلغ الكاتب فيه الذروة في تقويم المكانة العلمية، وتحليل شخصية ابن رشد من خلال اتجاهاته الادبية ؛ فهو شكور على بحثه المتمع .

وبُحِثُ الدكتور الدوري عن نشأة الثقافة العربية الاسلامية ، بحث جدّ قيم ؛ واذا كان الكاتب وُصفه بنفسه انه محاولة أولية لرسم الخطوط العامة لتلك النشأة ، فهو بالواقع أكثر من محاولة ؛ انه ثبت بمعالم واضحة مترابطة الاجزاء تنير السبيل لتاريخ انتشار العربية بالاسلام ، وقيام أضخم حضارة عرفت بها البشرية في اقصر زمن يمكن ان تقوم فيه حضارة تزخر بالقيم الانسانية الرفيعة . ان البحث بارقة أمل لاعادة تدوين تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في موسوعة علمية حديثة .

وأما بحث الدكتور سعيدان حول تعريب التعليم الجامعي ، فهو بحث واقعي فذ في أسلوبه ؛ ولكني رأيت الكاتب يمشی في دروبه وهو شديد الحذر، وكأنه لا يقول كل ما في نفسه ؛ ولعل ما في نفسه ، لو كتبه ، لا يرضي الكثيرين .

وفي المجلة بحث طريف هو بحث الاستاذ تروبو، الذي يرفع به عن نحو العربية بعض مزاعم المستشرقين القدامى ، وقد دأبوا على زرع الشكوك في مختلف الجوانب المتصلة بالحضارة الاسلامية وعلومها . لقد كان الاستاذ تروبو في نقضه زعم المستشرق الالماني مركس منطقياً منهجياً ، بداهه وكان مقولة المستشرق حقيقة ، ثم اخذ ينقض اطرافها جزءاً جزءاً الى ان أعلن خطأ المقولة ، ثم اثبت ارتباط النحو العربي بعلم الحديث والفقه ارتباطاً وثيقاً ، دفعه الى تأكيد اعتقاده بأن « علم النحو — هو — أعرب العلوم الاسلامية » . والحمد لله أن بحث مستشرقاً يفند بعض مزاعم المستشرقين .

وها اني سأقف قليلا امام البحث اللغوي الممتع حقاً ؛ إنه بحث الدكتور الأسد ؛ وكم كنت أحب الاصغاء الى الصديق الكريم يبين عن رأيه الطريف يوم عرض مؤتمر مجمع اللغة العربية لهذا الموضوع في دورته التاسعة والثلاثين . وحسبه في مقاله هذا اثبات ان العرب قالوا : العشرين والثلاثين . . الى آخر اسماء العقود للدلالة على السنوات المضافة الى احد هذه الاسماء . ولكن ليسمح لي الدكتور الأسد أن أقول له : إن الفاظ العقود بالدلالة المشار اليها ، الفاظ شاعرية لا تعطي الدلالة المقصودة الا في الشعر ، واما في النثر فكل لفظة لا تدل الا على سنة بذاتها .

أما ما ذكره من جواز جمع الفاظ العقود بالالف والتاء، مثل : عشرين وعشرينات ، فما اظن أحداً ينكر عليه قوله ؛ والاستاذ الذي استشهد بمقاله في جريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٩٧٧/٩/٢١ ما اظنه بحاجة لمن يدافع عن رأيه في تخطئة من يجمع عشرين على عشرينات ؛ وعلى ما اعتقد ، لا يخطئ الا من يريد بالجمع الدلالة على احدي

السنوات المضافة الى العشرين ، لان الجمع في موطن النسبة خطأ ولا شك ، ولهذا اقر مؤتمر مجمع اللغة العربية في جلسة ١٩٧٣/٢/٢٠ : « ان الفاظ العقود يجوز أن تُجمع بالالف والتاء اذا لُحِقت بها ياء النسب ، فيقال : ثلاثينيات ... ويدل اللفظ حينئذ على الواحد والثلاثين الى التاسع والثلاثين » ولم اسمع أحداً يقول بأن جمع ثلاثين على ثلاثينيات خطأ، الا اذا كان يُقصد بالجمع الدلالة المشار اليها في قرار مؤتمر المجمع ؛ لهذا اردف المؤتمر في قرارة نفسه يقول : « وفي هذا المعنى لا يقال : ثلاثينات بغير ياء النسب (١) » . وهذا في رأي صواب لا يرد عليه اي اعتراض (٢) .

بقي بحث تعريب رموز الوحدات الدولية، للدكتور بدران ؛ ان هذا البحث قيم ، ولا بد للانفاذة منه من عناية فائقة من قِبَل المختصين في المنظمات العربية التابعة للجامعة العربية ؛ وهو جدير بالاخذ بعين الاعتبار . ولكن اذا كانت مرونة الحرف العربي دُفِعت صاحب المقال الى اقتراح استخدام صور مستحدثة للحرف من اجل نظام متكامل للوحدات الدولية ، فانا اعلق على هذا الاقتراح بأن الحرف العربي على انواع كثيرة شائعة ، وقد لا يكون ثمة من ضرورة لاستخدام صور مستحدثة . ان الفارق العظيم في صورة الحرف العربي الواحد بين الخط الرقعي عنه في الخط النسخي ، فضلا عن الخط الكوفي او الديواني او خطي التعليق والثلث ، يُفني عن استحداث كثير من الصور المقترحة .

ولست اريد أن اكيل الثناء على الوصف الرائع والمقارنات الموفقة في بحث « الاندلس في المغرب » . لقد استمتعت بقراءته المتعة كلها ،

(١) انظر قرار المؤتمر والمذكرات المستند اليها في « كتاب الالفاظ والاساليب » من مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٧ - وانظر المناقشات التي دارت حول هذا الموضوع في جلسة المؤتمر في كتاب المؤتمر في دورته التاسعة والثلاثين ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٢) مما يلاحظ ان اكثر من واحد من كتاب العدد الاول استعملوا الفاظ العقود بصيغة الجمع من دون ياء النسب، للدلالة على سنوات منسوبة الى العقد .

ومشيت مع المؤلف في رحلته خطوة خطوة وافتت من بيانه . واذا كان لسي من تعليق على المقال ، فهو ينصبّ على رأي — أرى أن المؤلف قُذِفَ به دون أن يراجع فيه معجما واحدا ، أو يذكر مصدرا يدعمه — ذكره وهو يشير الى الزخارف والنقوش الاندلسية مُتَبِّهاً كلامه بجملة : (والمقربصات الرائعة البارزة في الجبص و في الخشب — والمقربصات تعني « النقوش المجسّمة النافرة »؛ وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية (Corpus) التي تعني « الجسم ». ويخطئ من يدعوها « المقرنسات » أو « المقرنصات »، فهي كلها مجسمات نافرة) ا وليت المؤلف نظر فيما تحت يده من معجم ، حتى ولو كان « المنجد » أو « الوسيط » أو « متن اللغة » ان لم يكن « التاج » أو « اللسان » . ويكفي أن أنقل من « تكملة » الصاغاني قوله : « القرناس : أنسف الجبل ، وسقف مقرنس : عمل على هيئة السلم ». أما صاحب « الصحاح » فقد أورد شعرا لمالك بن خويلد الخناعي ، ذكره صاحب « لسان العرب » منسوباً لمالك بن خالد الهزلي ، وَصَفَ وَغُلًّا فَقَالَ :

نَالَهُ يَبْقَى عَلَى الْإِيَامِ ذُو حَيْدٍ ،
بِمَثْمَخِرٍ بِهِ الظَّيْئَانُ وَالْأَسُ
فِي رَأْسٍ شَاهِقَةٍ أَنْبُوبُهَا خُضِرٌ ،
دُونِ السَّمَاءِ لَهُ فِي الْجَوِّ قُرْنَسُ

واذا عرفنا أن « القرناس » لغة في « القرناس » فهل يُصَرِّحُ المؤلف على أن « المقربصات » كانت من جملة الروائع التي رآها في المغرب ؟ وما هو سندك في هذا الرأي ؟ أرجو إفادتي .

سيادة الاستاذ الكبير

الدكتور عبد الكريم خليفه، حفظه الله

رئيس مجمع اللغة العربية الاردني

تحيتي واحترامي وبعد ،

ارجو ان تسمحوا لي ، لأبحث اليكم بهذه الملاحظات على العدد الأول من مجلتكم الزاهرة .

قرأت العدد الاول من مجلتكم بتقدير وإعجاب ؛ فاهنئكم أصدق تهنئة ، راجيا للمجمع كل ازدهار ، ولجلته أعظم انتشار ، بتوجيهاتكم السديدة .

في مقال الاستاذ العالم الدكتور (ناصر الدين الاسد) ما دعاني الى التوقف عند قوله : « والجمع الذي ينتهي بالالف والتاء ، والذي يسمونه جمعا مؤنثا سالما ، اذ كثيرا ما جمعت عليه الفاظ لمذكر غير عاقل ، اذ لم يكن لهذه الالفاظ جمع تكسير ، فالفاظ مثل حَمَام ، وَهْزَان ، وَسِجَل ، وَقَرَار ، وَمُسَوَّغ ، تُجمع على : - حَمَامَات ، وَخَزَانَات ، وَسِجَلَات ، وَقَرَارَات ، وَمُسَوَّغَات . وكلها ، في مفردها ، تدلّ على مذكر غير عاقل . بل استعملوه ايضا في القديم والحديث لجمع الجمع للمذكر العاقل وغير العاقل ، ففي العربية رجال رجالات ، وجمال جمالات ، وبيوت بيوتات ، وبيوع بيوعات ، وأهرام أهرامات ، ومفردا مذكّر . والحقيقة ، ان المفرد المذكر العاقل الأعجمي ، اذا لم يُذكر معه جمعه ، يُجمع جمعا مؤنثا سالما ؛ مثل باشا ، باشوات ؛ وبك ، بيكات ؛ وبيكوات .

ورابت الاستاذ العالم يتوقف عند (تين ايجرز) بالانكليزية ولا يجد في اللغة العربية الفصحى ما يعبر به عن هذا الاصطلاح ؛ وقوله

صحيح ، لكن الارادنة يقولون ، وهم يذكرون الفتاة والفتى في ما بين الحادية عشرة والتاسعة عشرة : « بالطمعش » .

وقد توقفت عند قول الاستاذ : « وانكار المبرّد لا ينصرف الى تثنية العقد ، وانما انصرف الى وجود إعرابين ؛ فالواو والنون للرفع في جمع المذكر السالم ، والالف والنون للرفع في المثني ؛ ولو قال : « لي عشرينان ثنتان » ما انكر المبرّد شيئا . وقول الاستاذ فيه نظر ، فلو قال لي عشرينان ثنتان لوقع في وهمين : —

١ — الاول ان الجارّ والمجرور متعلّقان بخبر مقدّم ، وهذا الخبر يحتاج الى مبتدا .

٢ — وعشرينان مبتدا مؤخر من حقّه الرقع ، وهذا يفرض عليه خطاين في كلمة واحدة : جعله المبتدا منصوبا بلا موجب ، فابقاء إعرابي الرفع أولى من هذا التملّح .

ثم رأيت الدكتور الفاضل يكتفي برواية واحدة لقول (سحيم بن وثيل الرياحي) .

وماذا يدري الشعراء مني ، وقد جاوزت رأس الاربعين ؟

والمعروف ، ان للبيت ، روايتين أخريين : —

وماذا يبتغي الشعراء مني ، وقد جاوزت حد الاربعين ؟

وماذا يدري الشعراء مني ، وقد جاوزت حدّ الاربعين ؟

ولو وقفت عند الرواية وحدها ، لكان الامر ، لكنه فسّر رأس الاربعين ببلوغ الشاعر التاسعة والأربعين ، في حين ان الرأس هو البداية ، لا النهاية . جاء في لسان العرب لابن منظور ، مادة (رأس) : « أنت على رأس امرك ، ورئاسه ، أي مشرف على شرف منه . قال الجوهري : — قولهم أنت على رئاس امرك ، أي اوله ، والعامّة تقول : — رأس امرك » .

ومما يؤيد ما ذهبنا اليه ، قول الشاعر بعد البيت المتقدم ذكره : —

اخو خمسين مجتعا أشدي وتجذبني مداورة الشؤون
إذا ، فالصواب هو : — حدّ الاربعين الذي هو التاسعة
والاربعون ، لا رأس الاربعين الذي هو الحادية والاربعون .



وتوقفتُ عند مقال الاستاذ العالم ، الدكتور (ابراهيم بدران)
المعنون بـ (تعريب رموز نظام الوحدات الدولية) . فقد تتابعت
الاضافات ، تتابعا ، لا تسيغه البلاغة العربية . وصدمني هذا
الاصطلاح الذي أَصَرَ عليه في مقاله ، فكرّرهُ ثلاث عشرة مرة ، وهو
(الترميز) ؛ والترميز ، هو الهزال . جاء في لسان العرب مادة (رم ز) :
« الترميز من رمزت الشاة ، اذ هُزلت » .

وقد تسرّب في مقال الدكتور أوهام منها : —

قوله : الكهربائية ، وقد كرّرها مرارا . والصواب الكهربائية ،
والكهربا بلام مدّ . لأنها من الفارسية (كاه ربا) — اي جاذب التّين — ، وليس
في أصل الكلمة همزة . وكان أول من أشاع هذا الوهم العلامة المرحوم
(بطرس البستاني) في (محيط المحيط) . ومن الأوهام قوله : —

« احرف العربية » ، وهذا جمع قلة ، وهو ما دلّ على ثلاثة ، الى
العشرة ومن المعروف أن حروف العربية تسعة وعشرون حرفا .

وقوله : « الدُوليّة ، والصواب الدُوليّة » لكي يفرّق بين ما هو
للمفرد ، وما هو للجمع ؛ فقد قالوا الانصاري والاخواني والغضائري ؛
وأجاز الصرفيون النسبة الى جمع التكسير . وقوله : « الكيميائية »
والصواب (الكيماوية) ففي كتابة الكلمة خطأ ، وفي اثبات الهمزة خطأ ثان .

وقوله : « ولا سيما في مجالات التعليم الجامعي . ولا سيما
عند استعمال المعادلات » . والذي يعرفه العرب الفصحاء ، أن (ولا
سيما) يقع بعدها الاسم في واحدة من ثلاث حالات : —

- ١ — حالة الرفع نحو — : « أجاد الخطباء ، ولا سيما مكرم .
- ٢ — حالة النصب — رَبِّ عِبْرَة أصلحت أمة ، ولا سيما عِبْرَة من التاريخ .
- ٣ — حالة الجر ، اكرم الادباء ، ولا سيما اديب مخلص .
- ولم نر من استعمل (ولا سيما) كما استعملها الاستاذ .
- وكتب أميركة بهذه الصورة (أميركا) مرارا ، والصواب أميركة أو أميركا . لان الذي نُسِب اليه اكتشاف أميركا — ظُلماً — هو (أميركو فسبوشي) Americo Vespucci — لا أميركو .
- وكتب أوربية هكذا : أوربية؛ وهو خطأ .
- وقال : « مُرْصِيَّة » وهو يريد ان يقول، مرضي عنها .
- وجعل المؤكد قبل المؤكد وهو خطأ . وجعل كلمة ذات ، من وسائل التوكيد المعنوي، وهو استعمال خاطيء ؛ وغير ما ذكرت من الاوهام ؛ حقا ، اني ما كنت احاسب على ذلك ، لولا انه جاء من استاذ كبير ، ونشر في مجلة الجمع اللغوي .
- وتقبلوا اسمي الاحترام ،



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

السنة الثانية

كانون الثاني - نيسان / ١٩٧٩

العدد المزدوج ٣ - ٤

صفر - جمادى الأولى / ١٣٩٩ هـ.

المشتمل

- ١ — دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات
للدكتور عبد الكريم خليفة
- ٢ — حول أبجدية عربية صالحة
للدكتور أحمد سعيدان
- ٣ — كلمات في (الصحاح)
للدكتور إبراهيم السامرائي
- ٤ — احتجاج النحويين بالحديث
للدكتور محمود حسني محمود
- ٥ — سبل الحق في نظر علماء العرب
للدكتور محمد سويس
- ٦ — قصيدة الناشئ الأكبر في مدح النبي ونسبه
للدكتور يوسف حسن بكار
- ٧ — تحقيق نسبة كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل »
للدكتور عمر الساريسي
- ٨ — وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة
للدكتور عدنان الخطيب

مع الكتب

- خليل مردم بك وكتابه « دمشق والقدس في العشرينات »
عيسى الناعوري

تعليقات ومناقشات

- ١ — حول (المقريصات — والكهبا)
للدكتور ف. عبد الرحيم
- ٢ — رد الناعوري
- ٣ — رد العزيزي

أخبار جمعية

الصفحة

- ١٦٤ ندوة اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية
- ١٦٦ كلمة جلالة الملك المعظم
- ١٦٨ كلمة رئيس مجمع اللغة العربية الاردني الدكتور عبد الكريم خليفة
- ١٧٤ كلمة رئيس اتحاد الجامعات الدكتور ابراهيم بيومي مذكور
- ١٧٨ توصيات الندوة ومقرراتها
- ١٨٢ لجنة المتابعة في مجمع اللغة العربية الاردني
- ١٨٣ توصيات ندوة مشرفي اللغة العربية
- ١٨٨ المجمع العلمي العراقي
- ١٩٢ المجمع الاردني وتعريب تدريس العلوم
- ١٩٣ تعريب التعليم العلمي الجامعي
- ١٩٤ وزير المواصلات الاردني يدعو للتعاون مع المجمع
- ١٩٦ التسميات الاجنبية على المحال التجارية
- ١٩٨ من منشورات المجمع

دَوْرُ التَّرَاتِ الْعِلْمِي فِي تَعْرِيبِ الْعُلُومِ وَالتَّقْنِيَّاتِ
لِلدَّكْتُورِ عَبْدِ الْكَرِيمِ خَلِيفَةَ
(رئيسَ المَجْمَعِ)

شهد وطننا العربي في السنوات الأخيرة حملة خُيِّرة ، تهدف الى استعادة اللغة العربية مكانتها الحضارية ، من حيث كونها لغة الأدب والفكر ، ولغة الفن والعلم في مجالاته المختلفة . وادركت أمتنا العربية في أقطارها الممتدة من أفريقيا الى آسيا ، أنَّ تحرُّرها الوطني واستقلالها السياسي لا يمكن ان يتكامل الا باستعادة هويتها من خلال لغتها العربية . وليست هذه اللغة مثل سائر اللغات القومية ، وانما تتميز عنها جميعا بميزتين أساسيتين : اولاهما انها لغة القرآن الكريم الذي حفظها واعطى لامتنا العربية مَقُوم وجودها الحضاري والانساني ، وثانيتهما تلك التجربة التاريخية الخصبة التي مرَّت بها هذه اللغة ، عندما استطاعت في فترة من تاريخها الزاهر ان تستوعب حصيلة المعرفة الانسانية ، وتصبح بعد ذلك لغة العلم والحضارة في العالم أجمع ولعدة قرون .

وليس تعريب العلوم والتقنيات الحديثة استكمالا للهوية السياسية والقومية فحسب ، وانما هو ركن أساسي من أركان نهضة الأمة في محاولتها اللحاق بركب الحضارة، والمشاركة الفعالة المبدعة في جميع مجالات المعرفة . فانبرت دول ومؤسسات علمية في أقطار العروبة ، تأخذ على عاتقها الدعوة لبحث المشكلات والقضايا التي يمكن ان تُبَسِّر عملية هذه النقطة التاريخية في حياة أمتنا ، بحيث تصبح اللغة العربية لغة العلوم والتقنيات الحديثة ، ولغة البحث والتعليم في الجامعات في مختلف فروع المعرفة . ومنذ سنة اثنتين وستين ،

طُرحت جميع جوانب هذه القضية في مؤتمرات التعريب في الرباط والجزائر وطرابلس وبغداد ؛ ونُظمت الندوات العلمية حول هذا الموضوع الحيوي في مجامع اللغة العربية وفي الجامعات ... وفي هذا النطاق الخيّر عُقدت أيضا ندوة للتعريب في جامعة الخرطوم في السودان الشقيق ...

وقد تمخّضت تلك المؤتمرات والندوات عن أبحاث مهمة ، عالجت مختلف القضايا التي تتصل بعملية التعريب بمعناها الواسع ، وانبثقت عنها توصيات ، لم يُحظَ معظمها بالمتابعة والتنفيذ . ومن أهم النتائج التي توصلت إليها تلك المؤتمرات أن قضية التعريب قضية تتصل ، من حيث الأساس ، بالإرادة السياسية للدولة ، وبقرار سياسي تتخذه الدولة في أعلى مؤسسات السلطة .

لا شك أن عملية تعريب العلوم والتقنيات الحديثة تطرح قضايا لغوية وفنية مهمة ، تكون موضوعا للدراسة والبحث . وقد حان الوقت لكي تنتقل من الحديث عن التعريب وقضاياها ، الى الخوض في تعريب العلوم والتقنيات الحديثة ، والممارسة الفعلية لتعريب التعليم الجامعي في جميع أنواع المعرفة ، وجعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس في جميع الكليات وعلى مختلف المستويات .

حقا لقد خاضت اللغة العربية تجربتها التاريخية عندما استطاعت أن تستوعب حصيلة ما وصل اليه الانسان اذ ذاك من المعارف والعلوم ، فأرست قواعد واصولا واضحة في اختيار الالفاظ اللغوية الدالة على تلك المعانسي والمصطلحات العلمية . وكان نتيجة ذلك كله تراث لغوي وعلمي ضخم ، يشكل رافدا مهما من روافد إثراء هذه اللغة في مواجهة عملية التعريب الحديثة في أوسع معانيها .

فاللغة العربية تواجه في الوقت الحاضر علوما حديثة تنمو وتزداد بسرعة كبيرة ، وتنبئ بتحوّلات مثيرة تجعلنا نعتقد أن الانسان

يقف في فجر حضارة جديدة ؛ وهذا الحال يخلف كلياً عن الحال الذي واجهته لغتنا في تجربتها الاولى ، عندما نشط المترجمون في نقل حصيلة المعرفة الانسانية اليها من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والسريانية وغيرها . . . ولا شك ان مثل هذا الوضع يحتم ظهور صعوبات اساسية في مجالات الترجمة والتعريب ، لا بسد من معالجتها في ضوء معطيات العصر الحديث ووسائله التقنية الهائلة . وإن النظر الى الصعوبات والقضايا التي تطرحها عملية التعريب بمعزل عس الوسائل والامكانيات التقنية الهائلة التي يوفرها العلم الحديث ، يجعل الصورة خاطئة ومزيفة تبعث على اليأس والنكوص . ومن أهم القضايا التي تطرحها عملية التعريب، موضوع المصطلحات العلمية ، من حيث وضعها وتشذيبها وتوحيدها ، وجعلها حية نامية، تواكب تقدم العلم وخطواته الواسعة . وان اتصال الماضي بالحاضر شرط اساسي في نهضة الامم وتقدمها ؛ وأكثر ما يتجلى فيه هذا الاتصال لغة الامة . وغني عن البيان ان اللغة العربية تتميز بهذه الصفة التي لا تكاد تشاركها فيها لغة من اللغات ، من حيث المواصلة والقدرة على التفاهم بين الحاضر والماضي . ولا شك ان هذه الثروة اللغوية الضخمة المثلة بتراث امنا ، ترغد لغة الحاضر في محاولتها لاستيعاب المعاني الحضارية والعلمية الجديدة ، وتحديد مصطلحات لها .

فالتراث العلمي العربي يُمدّنا في الوقت الحاضر بثروة لغوية كبيرة ، يمكن ان تكون مادة خصبة من أجل استيعاب المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة في اطار خصائص اللغة العربية ، والاصول اللغوية التي ارسنها تلك التجربة التاريخية في حياة هذه اللغة ، عندما واجهت لأول مرة في تاريخها موضوع المصطلحات العلمية ، واستيعاب حصيلة ما وصل اليه الفكر الانساني اذ ذاك . وهذه الاصول التي نبعت من طبيعة اللغة العربية وخصائصها ، تُمدّ لغتنا بالحياة، وتجعل منها لغة متطورة ونامية ، مطوعة لاستيعاب كل ما يجد في حضارة الانسان وثقافته وعلومه . وبذلك أصبح الاشتقاق والمجاز والابدال

والنحت والتعريب، بنوعيه وفق مفهومه التاريخي المحدد ، وسائل نمو اللغة العربية وشرائين الحياة فيها . وقد وجد العلماء العرب في الاشتقاق مثلاً مجالاً واسعاً لتنمية اللغة ومُدّها بالمصطلحات العلمية . ولم يقتصرُوا على الاشتقاق من أسماء المعاني ، بل اشتقُوا أيضاً من أسماء الأعيان فقالوا : "ذَهَبٌ" من الذهب ، "وَفَضٌّ" من الفضة ، "وَدُرُّهُم" من الدرهم ، "وَحَدْدٌ" من الحديد ... الخ .

واشتقُوا أيضاً من أسماء الأعيان المعربة فقالوا : "هَنْدَسٌ" من الهندسة ، "وَمَنْطَقٌ" من المنطق .. الخ .

واستخدم العلماء العرب خصائص « المجاز » في اللغة العربية ، من حيث هو لفظ ينقل المتكلم معناه الأصلي الموضوع له ، الى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلي علاقة . وكان المجاز وما برح من أنجع الوسائل في تنمية اللغة العربية ، وفي جعلها صالحة لاستيعاب العلوم والتقنيات الحديثة . والأمثلة على ذلك كثيرة . وقس على ذلك موضوعات الإبدال والنحت والتعريب ، ولكن على مستويات مختلفة من حيث الرأي والاجتهاد ، هذا فضلاً عن اللجوء الى ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها .

ونحن اذا القينا نظرة تاريخية شاملة على هذه الحركة اللغوية في مواجهة المصطلحات العلمية ، واستيعاب ما وصل اليه العقل الانساني في شتى مجالات المعرفة ، لا بد أن نقف طويلاً عند الكندي، ابي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي، فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ، وقد عاش في نهاية القرن الثاني الهجري وفي النصف الاول من القرن الثالث . ويُعْتَبَرُ الكندي من أوائل الفلاسفة العرب الذين تأثروا بحركة ترجمة المعارف القديمة عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية وغيرها ... فواجه الكندي مع من واجه من المشتغلين بالترجمة والنقل الى اللغة العربية ، موضوع مصطلحات علمية ليس للغة العربية عهد بها ، او تجربة سابقة .

وقد وضع الكندي رسالة من المصطلحات سماها « رسالة في حدود الاشياء ورسومها » (١) وبذلك رُبما يكون أول من وضع معجما للمصطلحات العلمية وصل اليها . واشتملت هذه الرسالة على ثمانية وتسعين مصطلحا فلسفيا ، جميعها من اصل عربي ، باستثناء مصطلحين اثنين فقط هما : « فلسفة ، واسطقس » . ولم يكتف الكندي بوضع المصطلحات العلمية والفلسفية ، ولكنه عمل على تعريف هذه المصطلحات وتحديدتها ؟ فتناولت هذه التعريفات المنطق ، والرياضيات ، والطبيعة ، وما بعد الطبيعة ، والنفس ، والاخلاق ، وغيرها ؛ مثال ذلك :

الإبداع : اظهار الشيء عن ليس (٢) .

الازلي : الذي لم يكن ليس ، وليس يحتاج في قوامه الى غيره ، والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره فلا علة له ، وما لا علة له فدائم أبدا (٣) .

الاسطقس : منه يكون الشيء ، ويرجع اليه منحلّا ، وفيه الكائن بالقوة ؛ وايضا : هو عنصر الجسم ، وهو اصغر الاشياء من جملة الجسم (٤) .

التوهم : هو الغنطاسيا ، قوة نفسانية مدركة للصور الحسية مع غيبة طينتها . ويقال : الغنطاسيا وهو التخيل ، وهو حضور صور الاشياء المحسوسة مع غيبة طينتها (٥) .

(١) طبعت في « رسائل الكندي » ج ١ ، ص ١٦٥ — ١٧٩ القاهرة ، ١٩٥٠ م

(٢) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ١٦٥

(٣) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ١٦٩

(٤) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ١٦٨

(٥) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ١٦٧

الجوهر : هو القائم بنفسه ، وهو حامل للأعراض لم تتغير
ذاتيته ؛ موصوف لا واصف ؛ ويقال : هو غير قابل
للتكوين والفساد ... الخ (٦) .

الجرم : ما له ثلاثة أبعاد (٧) .

وعلى هذا المنوال ينسج الكندي من حيث عنايته بإيجاد المصطلح
المكافئ باللغة العربية عن طريق الاشتقاق وحياء الكلمات المهجورة .
ومن أمثلة محاولته إحياء الكلمات المهجورة ، لكي ترمز الى معان علمية
مستحدثة،نورد الأمثلة التالية :

الذحل : هو حقد يقع معه ترُصْدُ فرصة الانتقام . واسم
الذحل في اللغة اليونانية مشتق من الكمون
والرُصْد (٨) .

الضفد : انضمام اجزاء الهيولي لعتين : إما ان تكون اجزاؤها
غير متمكنة للتقارب ، فاذا عرض لها عرض تقارب
اجزاؤها ؛ يسمى ذلك عصوا « عصا الجرح شدة » ،
أو لان يكون كالوعاء مملوءا فينضم اجزاؤها ،
يسمى ذلك عصوا (٩) .

وكان الكندي في جميع مؤلفاته قلما يلجأ الى التعريب بمفهومه
المحدد ، الا عندما يتحدث عن كتب أرسطو ، حيث نجده يستعمل
مصطلحات مثل باريار مانياس ، انولوطيقي و « بولوطيقي » و
« بوليطيقيا » .. الخ ، ولكنه مع ذلك كان يعنى بوضع تعريفات
محددة لهذه المصطلحات . مثال ذلك :

(٦) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ١٦٦

(٧) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ١٦٥

(٨) رسائل الكندي الفلسفية ، ج ١ ، ص ١٧٦

(٩) رسائل الكندي الفلسفية ، ج ١ ، ص ١٧١

باربار مانياس : ... يعني تفسير ما يقال في المقولات ،
وقرنها لتكون قضايا : موضوع ومقبول ،
اعني من حامل ومحمول (١٠) .

انولوطيقي الاولى : ومعناه العكس من الراس (١١) .

بولوطيقي : اي المدني (السياسة المدنية) (١٢) .

بوليطيقيا : ومعناه الشعري (١٣) .

ريطوريقيا : ومعناه البلاغي (١٤) .

ونلاحظ ان هذا اللون من المصطلحات المعربة محدود جدا
في استعمالات هذا الفيلسوف العربي ، الذي اخصى له ابن النديم
تصانيف يربو عددها عن مئتين وأربعة وأربعين ، ما بين كتاب ورسالة ،
تناولت موضوعات شتى في الفلسفة والمنطق والحساب ، والموسيقى
والنجوم والهندسة والفلك والطب وغير ذلك من المعارف . ولم يصل
اليها من هذه التصانيف الا القليل مع الاسف . وربما ان بعضها قد
ضاع الى الابد ، وربما ما زالت تائهة تنتظر من يكشف عنها ويحققها ،
لكي تصبح سائفة أمام الباحثين والدارسين . وان أهمية هذه التصانيف
تكمن في قيمتها التاريخية من الناحية العلمية ، فضلا عن قيمتها اللغوية
في مجال المصطلحات ، إذ هي رافد مهم من أجل اثراء اللغة الحديثة
في مواجهتها للعلوم والتقنيات .

وان نظرة شاملة في هذه التصانيف التي وصلت اليها ، توضح
لنا مدى أهمية هذا الرافد اللغوي في مجال المصطلحات . فهنالك

(١٠) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ٣٦٦

(١١) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ٣٦٧

(١٢) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ٢٨٤

(١٣) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ٣٦٨

(١٤) رسائل الكندي ، ج ١ ، ص ٣٦٨

مصطلحات تولى الكندي شرحها بنفسه ، كما اشرنا ، وهناك مصطلحات فلسفية ومصطلحات في الكيمياء والعلوم العملية ، وهناك مصطلحات في الموسيقى وفي الطب والصيدلة ... الخ .

ونحن اذا تركنا الكندي الى الجاحظ ، الكاتب العقلاني الضخم ، وقد كانا متعاصرين ، نجد انفسنا امام مدرسة واحدة من حيث الاصاله اللغوية في مجال المصطلحات العلمية ، وتطويع اللغة العربية لاستيعاب جميع ما وصلت اليه المعرفة الانسانية ، والمشاركة الفعالة المبدعة في ميادينها المختلفة ... وكان الجاحظ ، على حد تعبير ياقوت في معجم الادباء ، « واسع العلم بالكلام ، كثير التبجر فيه ، شديد الضبط لحدوده ، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا » (١٥) . وقد وضع الجاحظ تصانيف كثيرة في مواضيع شتى ، اورد ياقوت قائمة طويلة بأسمائها ، كما ان الجاحظ نفسه ذكر عددا كبيرا منها في مقدمة كتابه (الحيوان) ... وكان ابن العميد يقول : " ان كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والادب ثانيا " (١٦) .

وفي مجال المصطلحات العلمية ، نجد الجاحظ يستخدم مصطلحات عربية الاصول ، كما يستعمل أخرى مغربة ، شأنه في ذلك شأن علماء عصره . ونجده يشارك الكندي في نهجه ، فيقوم بتعريف المصطلحات في كثير من المواضع ، حيثما كان يشعر ان ذلك المصطلح بحاجة الى تعريف او تفسير .

وفي هذا المجال نكتفي بالإشارة الى كتابه الرائع « الحيوان » ، حيث يلجأ الجاحظ أحيانا الى تفسير « المصطلح » .. مثال ذلك :

الامفال : الوقت الجيد في الحمل ، على الشاء ان تخلى سبعة اشهر بعد ولادها ، فان حمل عليها في سنة مرتين فذلك الامفال (١٧) .

(١٥) انظر معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٥

(١٦) انظر وفيات الاعيان ج ٣ ، ص ٤٧٣

(١٧) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٥١٩

قلوص : ويقال للأنثى من ولد النعامة قلوص على التشبي
بالنعام من الإبل .

المرايسة : والمرايسة أن يخرج الضب الرأس ويدع الذنب .
النهار : والنهار فرخ الحبارى .

الخلاسي : « ورأينا الخلاسي من الناس ، وهو الذي يتخلق
بين الحبشي والبيضاء .

المضبب : والمضبب هو الذي يصيد الضباب .

الرّكاز : والرّكاز الذي ليس للفقراء فيه نصيب (١٨) .

المغناطيس : والمغناطيس الجاذب للحديد اذا حلّ عليه الثوم لم
يجذب الحديد (١٩) .

واحيانا يستغني الجاحظ عن ايراد التفسير ، وذلك باستعمال
المصطلح ، حيث يغني السياق عن التفسير . مثال ذلك :

البنكابات : « وملوكنا وعلماؤنا يستعملون بالنهار الاسطرلابات
وبالليل البنكابات ؛ ولهم بالنهار سوى الاسطرلابات
خطوط وظلّ يعرفون به ما مضى من النهار وما
بقي » (٢٠) .

الفلّز : وفي الارض عيون ناز ... واصناف جميع الفلز
من الذهب والفضة والرصاص والنحاس .

وفي مجال الحياة الاجتماعية والادوات الحضارية ، نرى الجاحظ
لا يتوانى مطلقا في اخذ هذه الكلمات والمصطلحات الاعجمية ويجري

(١٨) الحيوان ج ١ ، ص ١٠١

(١٩) الحيوان ، ج ٤ ، ص ١١٢

(٢٠) الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٩٤

عليها رونق العربية ، كما نعمل في جميع « اسطراب » على اسطرابات وغيرها ، ويدخلها الى اللغة العربية بأسلوبه الجميل وروحه الفكرة الساخرة أحيانا ، والامثلة على ذلك كثيرة ولا سيما في كتابه القيم « البخلاء » ... ولئن يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما في دراسة المجتمع العباسي أبان ازدهار بغداد والبصرة في عهد الجاحظ ، فإنه أيضا مصدر لغوي مهم في الدلالة على الالفاظ والمصطلحات الفلسفية ، وتلك الخاصة بالطبقات والفئات الاجتماعية فيها يتعلق بطعامها وما تستعمله من أدوات والبسة ، وكذلك الالفاظ والمصطلحات التي لها اتصال بالدولة والثقافة وجميع جوانب الحياة اليومية في ذلك المجتمع .

فالجاحظ يكثر من استخدام العرب بنوعيه في كتاب البخلاء ، ولا سيما عندما يدور الحديث حول كل ما يتعلق بمعاني المحنوسات ، من ألوان الطعام والأدوات والروائح والانغام وغير ذلك من ادب الحواس . مثال ذلك :

سهريز : وهي كلمة فارسية ، تعني نوعا من الطعام .

الشُّبَارِقَات : فارسي معرب ، وهي ألوان اللحم في الطباخ .

السُّكْبَاج : مَرَقٌ يعمل من اللحم والخل .

الشاهبرم : نوع من الريحان ، يقال له سلطان الرياحين .

القهرمان : معناه « مُدَبِّرُ البيت » ..

السُّكَّرَجَات : مغردها السُّكَّرُجَّة ، وهي الصفحة التي يوضع فيها الأكل .

طسبت : اناء من نحاس لغسل الأيدي .

وكذلك فإن كتاب « البيان والتبيين » ورسائل الجاحظ ، وبقية تصانيفه الفزيرة لا تقل أهمية في هذا المجال ، سواء فيها وضعه الجاحظ نفسه من مصطلحات عربية أو معربة ، أم فيها شذبه وأدخله

في أسلوبه الجميل ولغته السلسة ، حيث يكتسب المصطلح العلمي
أو الحضاري هوية الفصاحة والاستعمال .

وفي مشارف القرن الرابع الهجري نسود ان نشير الى مصنفات
عالمين شهيرين هما : الرازي والفارابي .

وقد اجمع المؤرخون على الاشادة بالرازي الطبيب ، فقال
ابن النديم: « كان اوحده دهره وفريد عصره »؛ وسماه ابن ابي اصيعة
« جالينوس العرب » . وقد ترك الرازي لنا ثروة هائلة من الرسائل
والمؤلفات ، فقد قسم منها ، والقسم الاكبر ما زال مخطوطا ، والقسم
الضئيل هو الذي طبع . وقد ترجم عدد من مؤلفاته الى اللغة اللاتينية .
وظل الرازي الى القرن السابع عشر حجة الطب بلا مدافع .

فكتابيه الموسوم « كتاب الحاوي في الطب » — كما يدل عليه
عنوانه — اكبر موسوعة طبية في اللغة العربية ، على حد تعبير
دائرة المعارف الاسلامية . ويقال ان الرازي قد انقطع خمسة عشر عاما
من حياته للكتابة . والظاهر انه مات قبل ان يتمه .

وقد اكتسبت العربية من خلال مؤلفات الرازي فنيضا من الكلمات
الفنية والمصطلحات العلمية ، سواء اكان ذلك عن طريق الترجمة ام
عن طريق التعريب . وان منهجه في كتابه « الحاوي » يوضح ذلك
ويجعل تناول المصطلحات العلمية اكثر سهولة . فقد وضع كتابه
في ثلاثة وعشرين جزءا ، ويتناول كل جزء امراض عضو من اعضاء
الجسم، مبتدئا من الرأس : فجاء يبحث في امراض الرأس ، وآخر
في امراض العين ، وثالث في امراض الاذن والانف ، ورابع فيما يصيب
الجلد ، وخامس في الكسور ... الخ ،

ونحن نستطيع ان نميز في كتاب « الحاوي » مصطلحات خاصة
بالادوية والعقاقير ، حيث يكثر الرازي من استخدام التعريب بنوعيه .
وهناك مصطلحات طبية خاصة بأسماء الامراض ، واخرى تتعلق

باسماء الحيوانات والطيور ، وما يعرض لها في حالة التسمم وغير ذلك مما يدخل في سمر الامراض وما يتعلق بها ...

والرازي في ذلك كله يقدم ثروة لغوية هائلة في مجال المصطلحات العلمية ، يمكن ان تكون رافدا مهما في عملية التعريب الحديثة .

أما أبو نصر الفارابي ، الحكيم المشهور ، وهو من اكبر فلاسفة المسلمين ، وقد تتلمذ على تصانيفه وكتبه الرئيس أبو علي ابن سينا ، وكان كما تصفه الروايات من ازهد الناس في الدنيا ، توفي بدمشق في اوائل القرن الرابع الهجري عن عمر يناهز الثمانين عاما ، وصلى عليه سيف الدولة الحمداني ، فقد ترك ثروة علمية ، نافذة عن المئة والخمسين مصنفاء ذكرها ابن أبي أصيبعة . وترجمت بعض مؤلفاته الى لغات عدة .

وقد شهد القرنان الثالث والرابع الهجريان حركة ترجمة نشطة من حضارات الامم الاخرى الى اللغة العربية ، وبخاصة اليونانية . وكان الجهد الذي قام به الفارابي في حركة النقل هذه عظيما جدا ، وذلك من حيث دقة الانتاج المنقول وغزارته . وكان ، رحمه الله ، من اصحاب الاختصاص في مجال العلوم التي كان ينقلها ويشرحها ، وبخاصة الفلسفة والمنطق ، فضلا عن اتقانه للغة العربية وجملتها من اللغات الاخرى ، ومن بينها اليونانية . وقد اثنى مؤرخو العلوم القدامى على نهج الفارابي في التحقيق وشرح الغامض وكشف الاسرار العلمية في كتب ، على حد تعبير صاعد صاحب طبقات الامم : « صحيحة العبارة لطيفة الاشارة » . وهم في ذلك يعتبرونه قد تغلب على العقبات التي واجهت « الكندي » .

ونحن اذا ما استعرضنا ما وصل الينا من مصنفات الفارابي ، سواء منها الموضوع او المترجم ، فاننا نلاحظ سعة باعه في مواجهة المصطلحات العلمية ، فنجدته يهتم كثيرا بالترجمة ، اذ ينقل معاني المصطلحات العلمية الى تراكيب عربية يقوم بشرحها وتحديد معانيها .

المقاييس البقينية : هي المقاييس التي تسوق الذهن الى
الانقياد لما هو حق يقين .

المقاييس الجدلية : هي التي تسوق الذهن الى الانقياد الجدلي .
المقاييس المغالطية : هي التي لا تسوق الذهن الى انقيادات
المغالطات الواردة عليه ...

ونحن نلاحظ هذا الاتجاه عاما في جميع كتبه ، فقد كان يلجأ الى
تحديد المصطلحات العلمية أينما وردت . ولم يكتف بذلك ، فقد وضع
كتابا مستقلا وسمّاه « الالفاظ المستعملة في المنطق » ، اذ أورد فيه
المصطلحات الاساسية التي كان يستعملها في المنطق ، وحدّد دلالتها .
وان هذا النهج ليذكرنا برسالة الكندي في المصطلحات العلمية التي
اشرنا اليها سابقا .

وقد استخدم الفارابي جميع وسائل تنمية اللغة في مواجهته
لموضوع المصطلحات ، واستيعاب ما وصل اليه الانسان المتحضر من
معارف ، فاستخدم ايضا الاشتقاق والنحت وإحياء الالفاظ القديمة ،
والتعريب . وكثيرا ما نراه يثبت المصطلح باللغة العربية ، ويذكر مقابله
في اللغة الاخرى ... مثال ذلك يقول : كتاب العبارة، وهو باليونانية
« باري ارمينياس » .

كان للفارابي منهج متكامل في الترجمة ، ووضع المصطلحات
العلمية العربية ؛ فكانت لغته العلمية ، على حصد تعبير بعض النقاد
القدامى ، صحيحة العبارة ، لطيفة الاشارة . ونحن نكتفي في هذا
المجال بأن نشير الى تلك المصطلحات الغريبة التي ترد في كتابه
« احصاء العلوم » ، وكذلك في كتابه « آراء اهل المدينة الفاضلة » ،
وفي شرحه لكتاب أرسطو في العبارة ، وفي كتابه « الالفاظ المستعملة
في المنطق » ، وغير ذلك من رسائله وتصانيفه .

وخلاصة القول فان المجال يضيق بنا حتى عن استعراض عام
لتصانيف اعلام الفكر العربي في مختلف مجالات العلوم : المعنوية

منها والمادية ، والاشارة الى هذه الكنوز الضخمة من المصطلحات العلمية التي دخلت العربية،نتيجة تطويع اللغة العربية اذ ذاك لكي تصبح لغة البحث العلمي والتدريس في جميع مستوياته . ولا يتسع المجال أيضا الى ذكر كتب مشاهير المترجمين والنقلة من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية الى العربية ؛ ونكتفي أيضا بالاشارة الى تلك التصانيف المشهورة ، مثل « رسائل اخوان الصفاء » وغيرها من الموسوعات العلمية التي زادت اللغة العربية ثراء . . . وكذلك الى تصانيف الخوارزمي وابن الهيثم وابن سينا وابن رشد ، حيث تبلغ اللغة العلمية العربية قمة المجد والازدهار في الاستيعاب والاضافة الجديدة والابداع .

واخيرا نُودّ ان نتساءل أين يقف دور المصطلح العلمي في التراث من هذا التحدي الكبير الذي يواجه لغتنا العربية في العصر الحديث ؟؟

ان مسؤولية نقل المعرفة في العصر الحديث الى اللغة العربية مسؤولية وطنية وخلقية ، بل هي مسؤولية الحياة والبقاء لامتسا بهويتها وكيانها التاريخي . وان موضوع المصطلح العلمي في التراث ليشكل جزئية مهمة من جزئيات هذه العملية الكلية في نقل العلوم والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية .

ونحن نعتقد أنه من الواجب أن تنبري إحدى الجهات العربية من خلال مؤسساتها العلمية ، لكي تقوم بتكليف المتخصصين باستقصاء المصطلحات والتراكيب اللغوية التي استعملها العلماء في كتب التراث العلمي العربي في مختلف فروع المعرفة ، وترتيبها ترتيبا معجميا وفق موضوعات العلوم وجزئياتها ، لكي تيسر عملية اختيار المصطلح الحديث وتحديثه ، وتدفع بعملية استيعاب اللغة العربية للعلوم والتقنيات الحديثة ، على طريق السير السريع والاصالة .

المصادر والمراجع

- ابن ابي اصيعة : موفق الدين ابو العباس أحمد بن القاسم بن خليفه
السعدي الخزرجي ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ،
بيروت ، ١٩٦٥ م .
- ابن خلكان : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ، وفيسات
الاعيان وانباء أبناء الزمان ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
- ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ، تلخيص كتاب
النفوس وأربع رسائل ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- ابن النديم : محمد بن أبي يعقوب ، الفهرست ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ، البخلاء ، مصر ، ١٩٦٣ م .
- الحيوان ، ج ١ - ٧ ، = = = : = = = ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- الرازي : أبو بكر محمد بن زكريا ، الحاوي في الطب ، ج ١ -
٢٣ حيدر اباد ١٩٥٥ م .
- صاعد الاندلسي : أبو القاسم صاعد بن أحمد ، طبقات الامم ،
النجف ، ١٩٦٧ م .
- الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، رسائل
الفارابي ، حيدر اباد ، ١٩٢٦ م .
- أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، احصاء
المعلوم ، القاهرة ، ١٩٣١ م .

الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، آراء أهل
المدينة الفاضلة ، بيروت ، ١٩٥٦ م .

= : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، الالفاظ
المستعملة في المنطق ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

= : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، رسالة
في العقل ، بيروت ، ١٩٣٨ م .

= : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، كتاب
السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات ،
بيروت ، ١٩٦٤ م .

= : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، شرح
الفارابي لكتاب أرسطو - طاليس في العبارة ،
بيروت ، ١٩٦٠ م .

الكندي : أبو يوسف يعقوب بن إسحق ، رسائل الكندي
الفلسفية ، ج ١ - ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ١٩٥٣ م .

الكندي : أبو يوسف يعقوب بن إسحق ، رسالة الكندي في
خبسر صناعة التأليف ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

ياتوت : أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي ، ارشاد
الاريب الى معرفة الاديب ، معجم الادباء ،
القاهرة ، ١٩٣٦ م .

هل أبجدية عربية صالحة

للدكتور أحمد سعيدان

(عضو المجمع)

ما فتىء مجمع اللغة العربية الاردني ، منذ تأسيسه ، في شغل شاغل : يتلقى مصطلحات المصارف ، والمحاسبة ، والاقتصاد ، والعسكرية ، والارصاد الجوية ، والتعليم الصناعي والزراعي والتجاري ... فينشئ اللجان المتخصصة لتحصيلها وتصحيحها ، كي تعرض على المجمع لاقرارها او تعديلها . هذا بالاضافة الى ما يترجم او يعرب من مصطلحات علمية وتقنية ، وبالإضافة الى ما يقوم على نقله الى العربية من كتب علمية جامعية .

ان مجعنا يخوض معركة ، اعضاؤه فيها رفاق سلاح ، وفي خضم هذه المعركة أحب ان اتصور ان ما ينتجه هذا المجمع الناشئ انما هو اول الغيث : قطر ثم ينهر ، او هو باكورة انتاج غدير يتميز كمًا ونوعًا ، ويؤتي اكله دفعا للعربية الى صف اللغات العلمية الحية . وأحب ان اتصور ان الترجمة والتعريب والاستمارة والاقتباس ونحت الالفاظ وابتكار التعبيرات ستمضي قدما من أجل ان يطلع علينا عصر نهضة فكرية زاهر . احلام يقظة أغرق فيها فيوقظني من حلمي اللبذ تصور الابجدية العربية ...

نقول للمطبعة : نريد ان يكون الكتاب العربي بمثل حجم الكتاب الانكليزي الذي تُرجم عنه ؛ فيقول لنا الطابع : لا يمكن الا اذا صغرنا الحروف الى حد لا يفرق بين النون والتاء ، ولا بين الباء والياء .

ونقول للزملاء في لجان المصطلحات : نَعْرَبُ ، فيقولون : اجل ، ولكن لفظة سزموجراف : هل نكتبها بالحيم أم بالكاف أم بالفين ؟ وهل نضع واوا بعد الميم ؟ وياء بعد السين ؟ ومشكلة تشكيل الحروف معروفة ، ومشكلة الهمزة معروفة ، ومشاكل الابجدية بجمعها طُرِحت منذ نصف قرن ، وما تزال تُطْرَح ، واقتُرِحت لها حلول ، وحلول ما تزال تُقْتَرَح . وقد وُضِعَ بعض هذه الحلول موضع التنفيذ ، فخَفَّفَ حِدَّةَ هذه المشاكل ، ولكن معظم الحلول قد رُفِضَ ، لانها لم تعالج جذور المشكلة ، او لم تكن حلولاً تتمشى مع الاعتبارات الواقعية الموضوعية . فما دامت المشكلة ما تزال قائمة ، وما دامت تجابه مجعنا ، فلن يضر احدا ان اطرح على صفحات مجلة المجمع الناشئة حلاً جديداً عساه يحلّ بعض جوانب المشكلة ، او يكون خطوة صوب حل اشمل واكمل .

وابادر الى القول بأن الخط العربي بذاته لا عيب فيه ، فهو في الماضي قد وصل الى حد من الابداع جعل الكتابة العربية في قمة الفنون الجمالية الرقيقة ، وهو في الحاضر ضرب من الاختزال لا يخلو من فائدة ومزايا .

ولكن المشكلة أنّ تطور الخط العربي مَرَّ بجميع مراحل ، يوم كانت الكتابة يدوية ، ثم هو توقف عن التطور فلم يواكب حاجات الطباعة والكتابة الآلية ، اللتين هما اليوم من لوازم الحضارة . والطباعة والكتابة الآلية (اعني الآلة الكاتبة) تقتضيان أولاً أقل عدد ممكن من اشكال الحروف ، وثانياً ان تكون هذه الاشكال واضحة متميزة بعضها عن بعض بيسر ، بعيدة عن مجال اللبس والابهام .

فالابجدية العربية تضم في الواقع ٢٨ حرفاً ، ولكن لكل حرف عدة اشكال ، فهو منفصلاً غَيْرُهُ مَتَصِلاً ؛ وهو في اول الكلمة غيره في وسطها أو آخرها ؛ هذا بالاضافة الى ان بعض الحروف يتغير شكلها حسب الحرف الذي يتصل بها او تتصل به . وتقدر الاشكال المختلفة

للحروف العربية بأربعمئة وخمسين شكلا . ثم أن بعض هذه الحروف متشابهة، نفرّق بينها بنقاط ، كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، وكالسين والشين ، والعين والغين ، والصاد والضاد ، والطاء والظاء .

اضف الى ذلك أن لبعض الحروف اسنانا تزيد من اللبس اذا انبرت ، وقد حافظت الحروف المطبوعة على هذه الاسنان ، رغم انها تطورت في الكتابة اليدوية .

فإذا ذكرنا أن بعض الحروف المتصلة تكاد تكون قاصرة على سن ، فوقه او تحته نقطة او أكثر ، ادركنا أحد الاسباب التي من أجلها قلّمنا نجد كتابا عربيا يخلو من أخطاء الطباعة ، في حين أننا قلّمنا نجد مثل هذه الأخطاء في كتاب انكليزي مثلا .

صفوة القول أن الحروف العربية بحاجة الى تطوير يجعلها تواكب متطلبات المطبعة والكتابة الآلية . وقد يلوح في الامق حل يبدو للوهلة الاولى سهل التنفيذ ؛ هو أن نكتب ، كما يكتب معظم الامم ، بحروف منفصلة . وهنا يتبدى لنا أمر آخر في اشكال حروفنا يجعل هذا الحل اصعب مما نظن ، ذلك أن بعض حروفنا تطول على امتداد السطر ، وهي آخذة في الطول قليلة العرض حتى لتبدو بعض الحروف المتصلة مجرد مدّة على السطر يميزها سن او أكثر . فإذا كتبنا بحروف منفصلة ، أي اذا جعلنا حروفنا منفصلة ، صارت كلماتنا آخذة في الطول ، عديمة التناسق الى حد منفرّ يجعل العين تقرأ كلمة كلمة ، في حين انها ، في اللغات الأوروبية ، قد تستوعب بضع كلمات بنظرة واحدة .

وبهذا الصدد اشير فيما يلي الى حقيقة اسوقها على سبيل الترجيح ، لا اليقين :

في اواخر العصور الوسطى اخذت الطباعة تنتشر في اوروبا ، في زمن كانت فيه القوميات آخذة في التشكل والانفصال عن جسم

الامبراطورية الرومانية . ومع تشكل القوميات اخذت اللغات القومية تنافس اللاتينية وتحاول اثبات وجودها . وكما تثبت اية لغة وجودها ، لا بد من ان تصير لغة مكتوبة ، اي لا بد لها من ابجدية ، وفي سبيل صياغة اول ابجدية اوروبية ، كان طبيعيا ان يلجا اولئك الذين وكل اليهم الامر الى الابجدية العربية ، ذلك ان العربية كانت ما تزال لغة العلم والحضارة والفكر والتجارة ، والينبوع الذي ينهل منه كل شارب ، مكرها او مختارا . ويندو لي انهم اخذوا بعض الحروف العربية ، ولكنهم عدلوها فجعلوها : أولا تمضي من اليسار الى اليمين تمثيا مع طريقتهم في الكتابة ، وثانيا تمتد راسيا لا افقيا ، لتناسب طباعة الحروف منفصلة .

والجدول التالي يبين بعض التشابه في الابجدية العربية والابجديات الاوروبية :

ا	آ	a	ء (الهمزة)
ب	ب	b	ب
ك	ك	t	ت
ل	ل	g	ج
م	م	e	ح
ن	ن	c	ز

وسواء أضحَ حدسي ام لم يصحّ ، فبصدد اقتراح تطوير للحروف العربية يجعلها اصلح لمواكبة تقنيات العصر الحاضر ، ولا سيما ان دخول الكمبيوتر ميدان الطباعة يستلزم الا تزيد اشكال الحروف عن (٦٠) حرفا ، ارى ان نلجا في الطباعة الى الحروف المنفصلة ، وان نجعل بعض الحروف المستطيلة راسية لا افقية .

وفي تقديري ان اي تطوير لاشكال الحروف يجب ان يتوافر فيه ما يلي :

اولا : ان أي تعديل في اشكالها يجنب الا يبعد بها عن حاضرها ، حتى لا نمسي وقد صارت قراءة هذا الحاضر امرا عسيرا . ويحسن ايضا الا تستبعد الطريقة القائمة في الكتابة اليدوية ، فهي ضرب

من الاختزال الطبيعي مألوف دارج ؛ ولكن اي تطوير في الاشكال المطبوعة سيترك بالتدريج آثارا على الاشكال الخطية .

ثانيا : ان مقاييس الحروف ينبغي أن تكون بحيث تستوعب العين الكلمة بنظرة واحدة ، لا أن تقرأها حرفا حرفا . وبهذا الصدد يحسن الاطلاع على ما جرى من دراسات عن استيعاب العين . ومن هذه الدراسات ما يشير الى أن العين تنظر الى أعالي الحروف ، فيحسن أن تكون مميزات الحرف في رأسه ، كي تراه العين بسهولة .

فاذا نحن عزمنا على إحداث تطوير جديد في أبجديتنا ، فيحسن أن نجعل هذا التطوير يحل مشاكل أخرى تتعلق باللغة ، وأعني ما يلي :

١ - مشكلة الحركات : اي الفتحة والضمة والكسرة والشدة والتنوين . أرى أن تُطَبَّع حركة كل حرف بعده مباشرة ، كما لو كانت هي نفسها حرفا مستقلا . والاشكال الحالية لهذه الحركات مناسبة ، فهي رقيقة دقيقة متميزة تؤدي وظيفتها وتبقى معها الحروف الاصلية في اللفظة واضحة ، فيبقى الثلاثي ، مثلا ، ثلاثيا ورباعي رباعيا .

٢ - مشكلة الهمزة : وهذه أرى أن يُتَّخَذَ لها حرف واحد ثابت يدل عليها ، كما أن للباء والتاء وكل صوت آخر حرفا . والشكل (ء) واضح الدلالة يفني بالغرض . فإن يُقْلَ قائل : ماذا عن همزة القطع وهمزة الوصل ؟ أو ماذا عن تخفيف الهمزة الى الف أو ياء أو واو ؟ نُقْلُ : إن هذا امر يمكن أن يُعْلَمَ كما تُعْلَمَ قراءة الحروف الشمسية والقمرية او كما يُعْلَمُ الادغام ، دون أن يظهر في الكتابة .

٣ - مشكلة الاصوات الاجنبية : اننا نعيش في عصر نستورد فيه مضطرين التقنية الاجنبية والفكر الاجنبي ، ونتاجهما وما فيه من خير وشر . وترد علينا مع ذلك مصطلحات تتكرر فيها اصوات ليس لها مقابلات في العربية . فاذا عمدنا الى تحويلها الى اصوات

نألفها . كما نحول (ا) الى باء مثلا ، فقد نبعث بها عن أصلها ، وقد نفقدها بعض دلالاتها . وإذا جعلنا بعض حروفنا تخدم وظيفتين ، كما نفعل بالحرف (ج) اذ يؤدي وظيفتي الجيم الشامية والجيم المصرية، وقعنا في لبس محير ؛ والحل ميسور هو ان ندخل في أبجديتنا حروفا تدل على ثلاثة اصوات يكثر تكرارها هي : *q* (للجيم المصرية) ، *p* ، *q* .

تبقى أصوات أخرى كثيرة لا نجسد ما يطابقها في العربية ، ولكن تكرارها قليل أو لدينا ما يقاربها . فان هي فرضت نفسها علينا فلا ضرر من اتخاذ الصوت مع الشكل الذي يدل عليه . وهناك أيضا حركات امالة ليس لها مثيلات في العربية . ولا اجد في هذه مشكلة ، اذ لا ضرر إن تغيرت بعض ملامح الالفاظ بانتقالها من لغة الى لغة .

الخلاصة :

صفوة القول اني ادعو الى الكتابة بحروف منفصلة ، ، على ان تمتد الحروف رأسياً لا أفقيًا ؛ والابجدية التي في ذهني على مثل النحو التالي :

حروف المد : ا و ي

الحركات : / // س د د د ع

الاصوات : ع [ع.ع] ح [ح.ح] د [د.د] ر [ر.ر] ل [ل.ل] ط [ط.ط] ع [ع.ع] غ [غ.غ] ه [ه.ه] و [و.و] م [م.م] ن [ن.ن]

والاصوات المستجدة

وهذه تكون بمجموعها (١١) شكلا .

ولست ادعي انسي جنث بفصل الخطاب أو بما لم تأت به الاوائل ولا الاواخر ، بل اني اظن أن لو عرض رأيي على ذوي اختصاص فقد يجدون فيه ما يمكن أن يخرج منه أبجدية عربية أصح . وليس المهم أشكال الحروف بذاتها ، فما دامت متميزة واضحة ، وما دامت مجرد تطوير للأشكال الدارجة ، فلا ضرر ولا ضرار .

ولكن الا تنطوي الكتابة بحروف منفصلة على مشاكل غير
منظورة ؟ قد ينشأ ميل الى فصل حروف الجر والعطف وال التعريف
من الالفاظ التي يتصل بها . وارى الا نشجع ذلك ، استبقاء لطبيعة
الكتابة العربية واستبعادا للكلمات القصيرة التي توامها حرف وحركة .
وفي تقديري ان اثبات الحركات في الكتابة سيكون حافزا على اتقان
اللغة واستقرار الالفاظ على صيغ موحدة .

ويعمد فانا على يقين ان هذا الذي اطرحه ، بعجره وبجره ،
كما يقولون ، سيذهب ، كما ذهبت عشرات الاقتراحات غيره ، طي
النسيان . ولكن السنا نبذر البذرة ثم اذا هي بعد حين نبتة ، فشجرة ؟
من يفري ؟ لعل اقتراحا يكون بذرة ، ثم يصير نبتة ، ثم تكبر النبتة ،
لتصير شجرة ثمرها حلو وظلها ظليل .

د. أحمد سمير

كلمات في « الصحاح » للدكتور ابراهيم السامرائي

« الصحاح » معجم من اوائل المعجمات في العربية ، وصاحبه
ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (١) الذي صنفه للاستاذ ابي
منصور البيشكي (٢) .

قال ياقوت : « كان الجوهري من اعاجيب الزمان ذكاء وفطنة ،
واصله من بلاد الترك من فاراب ، وهو امام في علم اللغة والادب .. » (٣) .

ولقد نُؤّه اللغويون والادباء المتقدمون بـ « الصحاح » وأشاروا
الى قيمته اللغوية ومنزلته التاريخية ، وسبق الجوهري في ابتداء
نظامه . وحسبك أن تعرف ما قال ابن منظور في مقدمة « اللسان »
واطرا : « تصنيع الجوهري في « الصحاح » الذي « قد احسن ترتيب
مختصره وشهره بسهولة ووضعه مخففاً على الناس امره فتناولوه ، وقرب
عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه » . وهو يشير الى فضائل « الصحاح »
كما يفصح عن عسر المنهج وسوء الترتيب في « تهذيب » الازهري و
« محكم » ابن سيده (٤) .

وكان من عناية الدارسين بـ « الصحاح » أن كثرت نسخه ،
وكان من ذلك أيضاً ما وصل الينا من الحواشي والتعليقات والاستدراكات

(١) اسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر ، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . انظر ترجمته في اثابه
الرواة للقطي ١٩٤/١ ، ونزهة الالباء للانباري ص ٢٣٦ ، وبغية الوعاة للسيوطي ص ١٩٥

(٢) هو أبو منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي . انظر معجم البلدان ١٥٧/٦ (ط . السعادة)

(٣) معجم الادباء ١٥١ / ٦ « ط مرجوليوت »

(٤) مقدمة « اللسان » .

الكثيرة . ولو أردت أن تحصي هذه الحواشي والتعليقات والاستدراكات
لكانت معجماتٍ برأسها . وبحسبك أن تدرك هذه العناية أنك تجد
مجد الدين الفيروز آبادي يجعل من مسود منهجه الإشارة إلى أو هام
الجوهري في « الصحاح » كما يبدأ له .

ولقد درج الجوهري في تصنيف معجمه هذا على نهج فريد ابتدعه
ولم يسبقه إليه سابق ، فقد رتب الكلمات بحسب أواخرها ، وأَعَدَّها
أبواباً، ثم عاد في كل باب فرتبها بحسب أوائلها فَعَدَّها فصولاً، متتبعا
الحروف الهجائية كما رُتِّبَت ترتيبها المشهور غير الابجدي .

قلت : لم يسبقه في هذا النظام سابق ، وهنا يحسن بي أن
أقف وقفة خاصة على كتاب التنقيفة في اللغة « هـ » لأبي بشر اليمان بن
أبي اليمان البدينجي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ . وهذا الكتاب ضرب من
معجمات المعاني الخاصة . أقول « الخاصة » وأعني بها تلك التي
ترمي إلى غرض خاص . والغرض من « التنقيفة » للبدينجي هو كان
المصنّف استشعر أن حاجة الكتبة والناظرين إلى أن يكون بين أيديهم
حشد من الكلم الذي يأتي على قافية واحدة، والذي يخضع إلى ما
يشبه الوزن الواحد . ولم يشر المصنف إلى غرضه هذا ولكني تبينته
من النظر الدقيق والاستقراء الوافي لمادة هذا المعجم الخاص .

ولنأت على شيء من هذه المادة لتبين هذا الغرض الذي اثبتناه
فنعقول :

بدأ المصنف به « بباب الألف المحدودة » فذكر : « الأباء » وهو
القصب ويقال : رؤوس القصب ، قال الشاعر ...
ثم ذكر « الإباء » أي الامتناع .

وتحوّل بعد ذلك إلى « الخباء » ثم « السباء » ثم « الهباء »
ثم « الحرباء » ثم « العباء » ... إلى أشياء أخرى مما أدرجه في هذا
البسباب .

(هـ) من مطبوعات وزارة الأوقاف ببغداد ١٩٧٦ بتحقيق الدكتور خليل العطية

فأنت ترى أن الكلمة لا تعني المصنف إلا بالقدر الذي يفهم من
 الغرض وهو توفّر القافية، وهي الهمزة ، ولا يعنيه أن يكون الكلام
 مرتباً من حيث أوائله على حروف المعجم، فقد تحول من الهمزة في
 أول « الإباء » إلى الخاء في « الخِباء » ثم الهاء في « الهُباء » ثم عداد
 إلى الحاء في « الحِرباء » ثم العين في « العُباء » ثم ...

قلت : أنه لم يُعَنَ عناية كافية بالأبنية والصيغ لتوفّر القافية
 التي هي غرضه ، ذلك أن « الحِرباء » ليست من وزن « أبساء » بفنح
 الهمزة الأولى ولا من وزن « إِبَاء » بكسر الهمزة الأولى مصدر « أبى »
 « يأبى »، وليست هي من وزن « خِباء » مثلاً . وعلى هذا فقد كان
 الحفاظ على الأبنية غير متوفّر . وهذا يعني أن المهم هو الهمزة الأخيرة
 التي اتخذها قافية . ولا يذهبن بالقارئ الوهم في أن المصنف التزم
 الباء قبل الألف في هذا الضرب من الكلام ، ذلك أنه أدرج في هذا الباب
 أي الألف المحدودة، « النافقاء » و « الرهطاء » و « القاصعاء » و « الرجاء » .

ثم أنه قصر كل التقصير في استكمال هذه المواد التي تدخل
 في « باب الألف المحدودة » التي ابتدأ بها كتابه . أنك تفتش مثلاً عن
 « الجِباء » بكسر الحاء و « المِداء » بكسر العين فلا تجد لهما مكاناً في
 هذا الباب الكبير .

وأنت تجد من سوء الترتيب وعبث المنهج والنظام في هذا « المعجم »
 الشيء الكثير . لقد شغل المصنف بغرضه وهو « التفتية » أي توفّر
 « القافية » عن ذكر الدلالات الضرورية للكلم واستقراءها واستيفائها .
 لقد ذكر المصنف « الجِذاء » ووضع إلى جنبه النعل وما غفل ذكر « الجِذاء »
 بمعنى المحاذاة مصدر « حاذى » ، وليس ذلك بعيداً عن منهجه فقد ذكر
 « الإِبَاء » مصدر « أبى » « يأبى » وذكر « الحُداء » وهو صوت تساق
 به الإبل ، فلم يذكر « الغُناء » و « البقاء » و « السنساء » وهى
 مصادر كلها .

لسم بشر المحقق الدكتور خليل العطيه الى شيء من هذه المآخذ . ولو
انك عمدت الى أن تخصي ما فات المصنف من الكلم المدود لانتيت على
شيء كثير تستدركه عليه .

ولا تستطيع أن تتبنى شيئا يشبه المنهج قد اتبعه المصنف، أو أنه
جمع مادته في شيء يشبه الجزازات، بل أنك لتذهب الى أن تقطع أنه
يكتب ما يمن له ويخطر في ذاكرته ، فقد يذكر الشيء ولا يذهب الى
نظيره ، انه يذكر « الشُّجْراء » وكان عليه مثلا أن يجمع الى ذلك
الطرفاء والحلفاء والقصباء وغيرها، وذلك احفل بالنظام واقرب الى
التصنيف المنهجي . لم يكن شيء من ذلك، فاذا ذكر « العُجْراء » وقال،
المرأة الوافرة العجيذة، فلا يدعوه ذلك الى أن يأتي على « الحسناء »
و « العوراء » و « الرعناء » و « النجلاء » وسائر المحاسن والعيوب
والصفات التي تتصل بـ « خلق المرأة » .

ولا أريد أن اعرض لما رافق التحقيق من مآخذ فقد استوفيتها
في مبحث نشرته منذ سنوات .

ولا يكثرث المصنف أن يأتي هذا الكلم المدود مختلفا في إبنيته
فقد رايت أنه يأتي بالاسم كما يأتي بالمصدر ويأتي بالمفرد كما يأتي
بالجمع ويأتي بالمذكر كما يأتي بالمؤنث . انه يشترط ألف المد والهمزة
في الآخر ، وقد يحيل المقصور الى المدود ولو كان ذلك على قلة من
الاستعمال ليخضعه الى هذا « الباب » .

لقد أتى بـ « سُهْداء » و « سُعراء » و « أُمراء » وهي جموع
كما أتى بـ « رداء » و « جذاء » و « رُشاء » وهي أسماء . وأتى بـ
« حرياء » و « نافقاء » و « شُجْراء » وهي مؤنثات كما أتى بكثير غيرها
من المؤنث والمذكر على حد سواء .

ولم يكثرث بالحروف الاوائل ولم يكن لها اي اعتبار .

وقد قلت : انه ربما راعى شيئا يشبه البناء والصيغة الواحدة

فهو مثلا في بناء « فعل » يأتي بـ « الخَبَب » و « النَّدَب » و « الغُبَب » و « السَّبَب » . وهو الى هذا الحد ملتزم بالبناء ، ولكنه يأتي في هذه « القائمة » بـ « الطَّبَب » بكسر الطاء بمعنى الطرائق ، و « الكُتُب » بضم الكاف جمع كُتْبة بالضم ايضا وهي تعني ثلثي القدح من الشراب .

ولا نظن ان المصنف يجمع في كل باب كل الكلم الذي اخضعه للصيغة والوزن كما ادعى وزعم ، فقد افلت منه قدر عظيم الى جانب سوء طريقته في التأليف والتصنيف .

وبعد كل هذا فقد ظفر بالمخطوطة الاستاذ الجليل حمد الجاسر في خزانة اياصوفيا باستنبول ، واثار الى ذلك في مجلة « العرب » (٦) وقد كتب مقالة يشير فيها الى سبق (البدينجي) في صناعة المعجم في نظام القوامي ، واثار الى ان الجوهري لم يكن البادئ في « نظامه » هذا . وقد أعجب بالراي والمقالة الاستاذ خليل العتيه وبدا له ان يدرس المصنف وكتاب « التقفية » متخذا ذلك رسالة للدكتوراه ، فكان له ما اراده .

ومن المؤسف ان الدارسين العرب ، بل قل المشاركة عامة ، حين يتصدون للكتابة في موضوع تذهب بهم الحماسة الايجابية للموضوع اي مذهب ، فيتعصبون بل يضيقون بالعلم فتفسد النتيجة . اقول اذا اراد احدهم ان يكتب عن فلان او فلان من الشعراء والادباء وسائر اصحاب العلوم والفنون ، يأخذه شيء من هوى ليس من العلم ، فيحب الرجل ويجعله اعلم الناس ، ثم يذهب به هذا الاندفاع الى شيء من العبث فيفسر من آرائه تفسيراً يبتعد عن العلم ليقول لنا ان صاحبه قد أدرك النهاية في العلم ، وانه كيت وكيت .

ان شيئا من هذا قد اخذ به الدكتور العتيه فحسب ان البدينجي كان « رائدا » كما يقال في هذه الايام ، وانه سابق لاسماعيل بن حماد

(٦) مجلة العرب ، ٧ ، (١٩٦٧) ، ص ٥٧٧ - ٥٨٨

الجوهري وليس « الصحاح » الا تقليدا للتقنية في المنهج والنظام .
ولقد رأينا أن التقنية لا تتصل بأي نظام وأي منهج ، وإن صاحب
« الصحاح » قد رسم المنهج واضحا ، وأنه عني بالآخر عنايته بالأوائل
من أصوات العربية . ولو أن شيئا مما خيل للأستاذ الجاسر وللدكتور
المطية قد كان ، لصرح بذلك المتقدمون ممن عاصروا الجوهري ومن
اتوا بعده ، ولم يصل إلينا شيء من ذلك .

انتهى الكلام على « التقنية » وعن صلته المتوهمة بـ
« الصحاح » . ولنعد إلى « صحاح » الجوهري فأقول :

لقد سُئِلَ الباحثين هذا المعجم طوال عصور عدة، كما أُثْبِتَ في
أول هذه المقالة ، ولم تقتصر العناية على أولئك العلماء في العصور
المتعاقبة . لقد كان أهل عصرنا هذا من المعنيين بـ « الصحاح » عناية
المتقدمين به . وما أظن أحدا يجهل قدر العناية الوافية التي أولاهها
الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار لهذا المعجم (٧) فقد أفرد جزءا برمته
لدراسة الكتاب دراسة وافية جاء فيها بفوائد جمّة . ثم طلع علينا
الأستاذان نديم المرعشلي وإسماعيل المرعشلي بكتاب جديد وسم بـ
« الصحاح في اللغة والعلوم » . وقد أثبتنا تحت هذا الاسم :

« تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية
للمجامع والجامعات العربية » .

والكتاب في جزأين كبيرين مع رسوم وإيضاحات وافية (٨) .

ولنبدا بالكلام على هذا « الصحاح المجدّد » لنرى أين الجدّة
بل التجديد . كأن ديباجة « الصحاح » قد رثت فحلا للمرعشليّين أن
يجدّداها ؟ فماذا صنعنا ؟

(٧) الجزء الأول من « الصحاح » وهو مقدمة المحقق وتقع في ٢١٢

(٨) الصحاح . دار الحضارة العربية — بيروت ، بتقديم الشيخ عبد الله الملايلي .

ان هذا المعجم الجديد ليس فيه من « صحاح » الجوهري غير الاسم؛ فقد عمد المصنفان المرعشليان الى مواد مختارة من هذا المعجم، وهي هي في المعجمات الاخرى مع كثير من الابداز والحذف ، ثم اضافا اليها ما هو شيء من مواد عصرنا هذا من المصطلح العلمي، مما اجتهدت فيه مجامع اللغة العربية .

نموذج (١)

أبـد :

الابـد : الدهر . وابدت البهيمة تأبـد أبوداً؛ توحشت .

والاوابد : الوحوش .

والاوابد : الشوارد من القوافي ، قال الفرزدق :

لن تدركوا كرمي بلؤم ابـيكم وأوابـدي بتنخل الاشجار

ثم عقبا على هذا المرور الخاطف بهذه المادة الكبيرة التي وردت في « الصحاح » بـله « اللسان » باضافة لمادة معاصرة هي : أن الابـد (EON) وهو اطول مرحلة من مراحل الزمن الجيولوجي، لا يقل مداها عن مئات من ملايين السنين ...

نموذج (٢)

أبـر :

أبـر النخل ، ونخلة مؤبـرة . والأبـار : صانع الإبر .

ثم ماذا ؟

الابرة المغناطيسية ...

وهكذا جرى المصنفان في سائر المواد التي اختارها واختصرها وأوجزاها على طريقتيها، مع اضافة ما يتصل بهذه المواد مما جاءت به الحياة المعاصرة من المصطلح العلمي والفني .

فهمل ونيسا بحاجة أهل العلوم من المصطلح الجديد ؟ هذا ما
نُفّر فيه أشدّ التّقصير .

وإذا كان هذا « الصحاح المجدّد » ليس من « صحاح » الجوهري
في شيء، لأنّه اختصار بل مسخ لا يفي بغرض الدراسة التاريخية ، فهل
لنا أن ندعوه بـ « الصحاح » ونقيّد به « العلامة » الجوهري ؟ انه
ليس من « الصحاح » وليس شيئا جديدا مستوفيا للحاجات الجديدة
المعاصرة . ان الذي فيه من المصطلح العلمي لا يفي بحاجة الدارس
الجديد في العلوم والتكنولوجيا . انتهى الكلام على مادة هذا
« الصحاح المجدّد » .

ولنعمد الى تقديم « العلامة » الشيخ عبد الله العلايلي، ثم
نعقب ذلك بالكلام على مقدمة المصنفين أسامه ونديم المرعشليين .

لقد نوّه الشيخ عبد الله العلايلي بصنيع المصنّفين وفُضّلها
واتقان عملها فقال :

« بعضه احياء وبعضه تجديد ، وجاء عن يد مصنفه متكاملا
هذا التكامل ... »

وحاجة اللغة الى مثله يوما لم تكن بأكثر منها اليوم ... »

ثم عرض الشيخ العلايلي في تقديمه الى أهمية اللغة ومنزلتها من
التصنيف الاجتماعي فقال : « انها مؤسسة مرتبطة ارتباطا مباشرا
بنشاط الانسان، تتحرك بقانون الغاية والسببية ، فاذا غلبت بقانون
السببية الصرف ، واخضعت له في قسر وعنف، مثلما فعل قدامى
اللغويين، تنعزل رأسا وتقلب الى « بناء فوقى » منقطع ، واذا ذاك
تحدث الهوة بينها وبين الجماعة » .

وينتهي هذا التقديم بين المعرفة اللغوية والاشادة بجهود
المحقّقين .

ولا بد لي من الوقوف على هذا « التقديم » فأقف على لغة
الشيخ العلايلي واستعمالاته الخاصة .

جاء في التقديم :

١ - ... هذا شأن اللغة، أية لغة ...

أقول : ليس هذا من أساليب العربية الفصيحة؛ ذلك أن
« اللغة » معرفة، فلا يمكن أن يبدل منها أو توصف بكرة . وهذا
من زحف اللغة الأجنبية واساليبها على العربية .

٢ - قال الشيخ العلايلي : « فهي عند نفر لغة شائخة منزوفة
الطاقة والمائية » . .

أقول : ليس في العربية بناء « فاعل » من الفعل « شاخ » بل
يصار إلى « فعل » ساكن العين وهو « شيخ »، ولكن حلا للشيخ
العلايلي أن يشتق ويقيس اعتمادا على القياس المشهور، وكأنه
يملك هذا الحق فيخرج بشيء يحسبه جديدا، والعربية تقبل الكثير
من مظاهر الجدة .

ثم ما معنى « المائية » هذه ؟

٣ - وقال : وهي عند آخر جاءت والصعوبة على موعد ...

أقول : والفصيح الملبح أن يقال : جاءت هي والصعوبة على موعد .

٤ - وقال :

فإذا غلبت بقانون السببية ... تنعزل ...

أقول : ولم لم يقل : انعزلت ؟

٥ - وقال :

في صراع اتخذ اشكالا عديدة .

اقول : ولا تعني كلمة « عديد » الكثير وانما تعني المحدد ؛
قال السموال :

تَعْمَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا، إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ
وهذا من استعمال العامة في عصرنا .

٦ - وقال :

وبعد هذا التعميم ...

اقول : وقد صاغ اهل عصرنا « التعميم » نظير « التخصيص » .
وليس « عُمَم » نظير « خَصَص » ، بل ان التعميم « شيء يتصل
بالعمّة والعمامة » ، والفصيح « الإعمام » .
ثم نأتي الى المقدمة التي حرّرها المصنفان .
قالا :

١ - واللغة أبدا - كعامل للفكر - .

اقول : ان استعمال الكاف في هذا الاسلوب ليس من العربية ،
وليست كاف التشبيه ، وانما هي مقابل ل (Comme) الفرنسية
أو (as) الانكليزية .

٢ - وقال :

تلك الوشيجة الحية في العلاقة الجدلية ما بين البنية التحتية ..
بالبنية الفوقية ...

اقول : لم يعرف المصنفان دلالة « وشيجة » بوصفها بـ
« حيّة » في العلاقة الجدلية .

فما الوشيجة ؟ وما العلاقة ...

ثم نسيا ان يكررا « بين » لَيْسَتْ بِنَاءِ الجمله وينضح المعنى
المقصود .

٣ - لقد عرفت « لغتنا » الامتداد والانتشار تشعماً متمركزاً .

اقول : وهل جاز للمرحشليين أن يشتقا كما يشاءان فيأتيا بـ
« تشعما » ؟

٤ - وقال :

والاروع من ذلك .

اقول : والشدة يعرفون أن الفصح : « واروع من ذلك » ...

٥ - وقال :

والعربية، كل اللغات الحية، لغة مفتحة على الحياة .
اقول : ووصف اللغة بـ « مفتحة على الحياة » ليس من
العربية بل هو أسلوب مترجم ، ألم تكن من الفرنسية
Elle S'ouvre Sur

وليس من حاجة أن أنبّه على استعمال « الكاف » التي لا تفيد
تشبيها ، وهي في حقيقة الامر دخيلة أعجبية كما اشرت حين
عرضت في « تقديم » العلابلي ؛ ذلك أنها تكررت مرات عدّة .

٦ - وقال :

« وحتى اذا نعى عليها المهبضو الجناح ، الضيقو الافق ان
عودها لا نسغ فيه او حياة، رافعين لواء الاعجمية او مرق
خرق العامة، عرف الأصلاء كيف يتحركون للمناحة عنها » .
انتهى كلامهما غير الفصح المليح .

اقول : ليتهما كانا من « الاصلاء » الذين عرفوا كيف يتحركون
للمناحة عن اللغة .

هل كان قولهما : « المهبضو الجناح » و « الضيقو الافق » من
« الاصالة »؟ ألم يعرفا ما الاضافة بنوعيتها، المعنوية واللفظية،
وشدة الدارسين في النحو يدركون ما وقع فيه .

ثم لا ادري اي تركيب هذا يسمح بقولهما : « وحتى ... » .

٧ - وقال :

« وبدهي . ان العمل المعجمي يتصدى ... » .

اقول : وقع المصنفان في لفة الناس ومساوئها وما عرفنا ان الصحيح الفصح هو : « وبدهي » ، وذلك لان النسبة الى « فعيلة » غير عُلِمَ وغير اسم مشهور ، تبقى فيه الياء ، فقد قال العرب : عبد الله بن محمد البجلي والنسبة الى « بُجيلة » عُلِمًا لقبيلة معروفة . وفلان بن فلان الحنفي ، والنسبة الى « حنيفة » قبيلة معروفة . وقالوا المذهب الحنفي ، والنسبة الى ابي حنيفة النعمان . وقالوا : السُّور المدنية والنسبة الى مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

ولا يصح ان نقول : ومن الطبيعي والبدهي وغير ذلك ، والصواب :
الطبيعي والبدهي .

٨ - وقال :

« واستمرت عملية جمع مفردات اللغة في العديد من المؤلفات المتفرقة ... » .

اقول : لقد اشرنا الى ان « العديد » يعني « العدد » كما ورد هذا الخطأ في « تقديم » العلايلي .

٩ - وقال :

« والخليل مضافاً عن كونه لغويًا عُلِمًا ، فهو موسيقي فذ ... » .
اقول : وهل كان المصنفان من « الاصلاء » الذين « ينافحون »
« عن اللغة » في استعمالهم هذا النظام الاعجمي في الجملة العربية ، وفي الكلام على الخليل ؟

قالا : « والخليل » وهو مسند اليه، فأيسن المسند ؟

ثم إلا يكون من التطاول على المصطلح العلمي أن يوصف الخليل
بـ « الموسيقي » .

انني اعرف ان الذين ترجموا للخليل قد ذكروا انه صنف كتاب
« النغم الكبير » وكتاب « النغم الصغير »؛ فهل يكون هذا
مُسَوِّغا وصفه بـ الموسيقي ؟

١٠ - وقال :

« وهكذا ابتدا بالعين من الحروف الصماء » .

لا ادري ما الحروف الصماء، ولم توصف الحروف « الاصوات »
بالصمم في مصطلح اهل الاصوات، قدماء ومحدثين .

ثم فاتهما ان يقولوا : الصَّمّ، لان التصحيح هو الوصف
بـ « فُعْل » جمع افعل او فعلاء .

لعلهما ارادا « الضم »، و« الصنم » من الاصوات هي غير الحلقية .
وقال الجوهري في الصحاح : انها عد الذلقية .

١١ - وقال :

« ومنذ ان احتك العرب بدينيا الغرب ... نتيجة حملة
نابليون على مصر واستقلال الجبل اللبناني ... وافتتاح الكلية
الاميركية ... ووفود الارساليات ... والتي كثيرا ما تركزت
بمدارس ... والثقافة العربية في لقاح مستمر بالثقافات الغربية » .

اقول : جاء الجواب لجملة الظرف « منذ » بعد أربعة أسطر؛
فهل هذا من الاصلة والدفاع عن العربية ؟!

انتهى الكلام على « صحاح » المصنِّفين أسامه ونديم المرعشليين .

اقول :

من الخير ان نضع معجما جديدا يتخذ انباطا مِدَّة، فهو :

- ١ — معجم تاريخي يؤرخ الكلمة العربية وتطورها طوال العصور .
- ٢ — معجم حديث تثبت فيه الكلمة العربية في العربية المعاصرة .
- ٣ — معجم مدرسي لفائدة الدارسين بحسب درجاتهم .
- ٤ — معجمات مِدَّة للمصطلحات .

ومن الخير ايضا ان نترك « الصحاح » للجوهري وان نشرع
ببناء جديد .

د. ابراهيم السامرائي

احتجاج النحويين بالحديث

للمكتوب محمد مهني محمد

لم تكن قضية الاحتجاج بالحديث تشغل فكر أحد من النحاة الأوائل ، الواضعين لعلم النحو ، المستقرئين لاحكامه من لسان العرب . لقد اثاروا النقاش حول الاحتجاج بالشعر ، والاحتجاج بأقوال العرب وبالقراءات ؛ ولكن أحدا منهم لم يحاول أن يبدي رأيا حول الاحتجاج بالحديث . فُلِمَ لاذ هؤلاء بالصمت ؟ لأن النبي قال قوله المشهورة : (١) « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » ، فلم تترك هذه القولة مجالا لاحد في المناقشة ، وكأنها تجعل الاحتجاج بالاحاديث امرا مسلما به ، كما هو الامر في الاحتجاج بالقرآن الكريم ؟ . ام لان الوضع في الحديث كثر وتزايد ، بحيث صُعب على هؤلاء النحاة الأوائل الذين كانوا يتحررون الدقة ويتشددون التشدد كله أن يميزوا ما هو للرسول وما هو ليس له ؟ ام لان الحديث روي بعض منه بالمعنى فاشتمل على لفظ غير لفظ النبي ، واعراب غير اعرابه ، وتصريف في اللفظ غير تصريفه ، الامر الذي جعل هؤلاء يتخرجون في البت في هذه القضية ؟

يبدو لي أن هذه الاسباب جميعا جعلت هؤلاء يلونون بالصمت دون أن يصرحوا بقول أو رأي ، وكان الوقت لم يحن بعد للقطع في مثل هذه القضية . ولو بُتوا فيها كما بتوا في الاحتجاج بنصوص الشعر والنثر لما كان هناك مجال لاحد من النحاة المتأخرين في الذهاب فيها مذاهب متباينة ، والادلاء بآراء متناقضة ، والتعامل على بعضهم بعضا ،

(١) الفائق في غريب الحديث (المقدمة) . . النهاية في غريب الحديث ١ : ١٧١ .

ولما امتد هذا الخلاف ازمئة متعاقبة ظهر تأثيره في كتب المعاصرين الذين بحثوا هذه القضية وناقشوا جوانبها العديدة .

ولعل افراط ابن مالك في الاستشهاد بالحديث افراطا شديدا هو الذي اثار قضية الاحتجاج بالحديث ، واوهم النحاة في عصره وبعد عصره انه خرج على سُنَّة الاولين ، وانه شقَّ مذهبا جديدا لا سابق له . وجعلهم يحاولون كدَّ عقولهم لمطالعة الناس بفتاوى وآراء ، فكان حصيلة ذلك آراء ثلاثة رئيسية :

الاول : لا يجوز الاحتجاج بالحديث مطلقا لاسباب عديدة، اولها : أن الحديث مروى بالمعنى دون اللفظ ، وما دام كذلك فكثير من الفاظه وما اعترأها من تصريف او اعراب ليس من نطق الرسول ولا من لفظه . وثانيها : ان الحديث وقع فيه لحن كثير، لان أغلب رواته اعاجم لا يتقنون اللغة العربية . وثالثها : ان اوائل النحاة من ائمة البصريين والكوفيين ، النحاة المتأخرين في بغداد والاندلس وغيرها لم يفعلوا ذلك . وأبرز من قال (٢) بهذا الرأي ابو حيان ، وابن الضائع ، والسيوطي .

الثاني : رأى (٣) الشاطبي ، الذي يقف موقفا وسطا بين المنع والتجوز، يرى انه يجوز الاحتجاج بالاحاديث التي اعتنى بنقل الفاظها لمقصود خاص ، كتلك التي قصد بها بيان فصاحته ، وكالامثال النبوية . ولا يجوز الاحتجاج بالاحاديث التي اعتنى رواتها بالمعنى دون اللفظ . وقد تبع الشاطبي ابا حيان في نفيه احتجاج أحد من النحاة الاوائل به .

الثالث : التجوز مطلقا ؛ وقال به ابن مالك والرضي (٤) الذي زاد عليه جواز الاحتجاج بكلام اهل البيت، رضي الله عنهم .

(٢) انظر : خزانة الادب ١ : ١٠ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ١ : ١٣ .

(٤) انظر : المصدر نفسه ١ : ٩ .

وقال به أيضا الدماميني (٥) وابن الصلاح (٦) . غير أن أشد هؤلاء تحمُّساً لهذا الرأي وأكثرهم دفاعاً عنه امام أبي حيان ، ابن الطيب المغربي، في شرحه على اقتراح السيوطي ، ولعل أبرز ما يني عليه دفاعه :

أن القول (٧) ، إن القدامى لم يستدلّوا بالحديث ولا اثبتوا القواعد الكلية، لا دليل فيه على أنهم يمنعون ذلك ولا يجوّزونه .

إن القول (٨) أن الاحاديث بأسرها ليس موثوقاً بأنها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، قول باطل ، لأن المتواتر، وإن كان قليلاً، مجزوم بأنه من كلام النبي ، وكذلك ما اشتمل عليه صحيحا البخاري ومسلم، الا قليلاً، مجزوم بأنه من كلامه ، وما صح أنه من كلامه لا شك في كونه في اثبات القواعد كالقرآن .

أما القول (٩) أن الرواة جوّزوا النقل بالمعنى، فاحتمل نقل المعاني دون اللفاظ، فالخلاف فيه مشهور . وكما أجازته قوم منعه آخرون ؛ بل ذهب الى المنع كثير من المحدثين والفقهاء والاصوليين . وإن بعض الائمة شدّد في الرواية بالمعنى غاية التشديد ، فمنع تقديم كلمة على كلمة أخرى ، وحرف على آخر . وذهب بعض الائمة الى أنه لا تجوز الرواية بالمعنى الا لمن أحاط بجميع دقائق علم اللغة، والا فلا يجوز له الرواية بالمعنى .

أما القول (١٠) بتعدد رواية القصة الواحدة ، فالرد عليه بأن ورود القصة الواحدة بالعبارات المختلفة صحيح موجود في كثير من

(٥) انظر : المصدر نفسه ١ : ١٤

(٦) انظر : المصدر نفسه ١ : ١٥

(٧) شرح الاقتراح ورقة ١ : ٣٩

(٨) المصدر نفسه ورقة ٣٩

(٩) شرح الاقتراح ورقة ٤٠

(١٠) المصدر نفسه ورقة ٤٢

الاحاديث ، فقد كان النبي يعيد الكلام المرتين وأكثر لقصد البيان
وازالة الابهام . وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام كان من عادته
تكرار الكلام ثلاث مرات ؛ وقد وضع البخاري بابا اسماه : باب من
اعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه .

وآخر دفاعاته (١١) ان صحيح البخاري مع انه مشتمل على
سبعة آلاف ومئتين وخمسة وسبعين حديثا بالمتكرر : فان التراكيب
المخالفة لظاهر الاعراب فيه تكاد لا تبلغ اربعين ، ومع ذلك بسطها
سُرَّاحه ، وازال النقاب عن وجوه اشكالها ابن مالك في ما كتبه على
صحيح البخاري ، بحيث لم يعمد فيها إشكال ولا غرابية .

وقضية الاحتجاج بالحديث هي في حقيقتها ذات جانبين يمكن
دراسة احدهما مستقلا عن الآخر ، وان كان كل منهما يكمل الآخر
ويلقي الضوء عليه :

الجانب الاول : الامتلاء في الاحتجاج بالحديث : هل يجوز او لا يجوز ؟

الجانب الثاني : هل احتج النحاة الاوائل بالحديث ام لا ؟ ومتى
كانت بداية الاحتجاج به ؟ وما حجتهم ان كانوا عملوا به ؟

اما الجانب الاول فقد بُت فيه مجمع اللغة العربية اذ جَوَّز
الاحتجاج بعد ان وضع شروطا (١٢) ومقاييس للأحاديث التي
يُحتج بها .

واما الجانب الثاني فقد بقي المجال فيه مفتوحا امام الباحثين
المعاصرين للتفتيش والتبیین : هل كان الحديث مصدرا من
مصادر الاحتجاج أو لا ؟ وقد نفسى الدكتور (١٣) شوقي ضيف :

(١١) المصدر نفسه ورقة ٤٤

(١٢) انظر : كتاب مجمع اللغة العربية في ٣٠ عاما . القاهرة

(١٣) انظر : المدارس النحوية ص ١٧ ، ص ٨٠

والدكتور (١٤) عبد الرحمن السيد احتجاج أوائل النحاة كآبي عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وغيرهم ، بالحديث . وعد (١٥) الاستاذ طه الراوي ابن خروف (ت ٦٠٩ هـ) أول من احتج به . بينما عد (١٦) الشيخ محمد الخضر حسين ابن حزم سابقا لابن مالك لمي هذا المضمار . أما الدكتور أحمد مكي الانصاري فقد نسب (١٧) أولية الاحتجاج به الى الفراء . وكان الدكتور عبد الفتاح شلبي دقيقا في قوله حين بحث في هذا الموضوع ، اذ جعل ابا علي الفارسي اسبق من ابن خروف ، ولكنه لا يستطيع — كما ذكر — ان يدعي انه أول من احتج به ، قال : (١٨) « ولست ازعم ان صاحبي أول من اعتهد الاحاديث في الاحتجاج اللغوي والنحوي والصرفي ، لان هذه قضية عريضة تستلزم استقصاء آثار النحاة الذين سبقوا ابا علي ؛ ولكني اكتفي بتقرير ان ابا علي اسبق من ابن خروف في الاحتجاج بالحديث في مسائل النحو والصرف » .

ولم يتنبه أحد قبل عثمان فكي الى احتجاج سيبويه بالحديث النبوي ، فقد ذكر (١٩) انه عثر في ثنايا الكتاب على ثلاثة احاديث ، وعده بناء على ذلك أول من احتج به ؛ وتابعه في ذلك كل من الدكتور (٢٠) احمد مكي الانصاري ، والدكتور (٢١) موسى بناي ، والاستاذ احمد راتب النفاخ بعد ان زاد (٢٢) عليها حديثين آخرين .

(١٤) انظر : مدرسة البصرة ص ٢٥٥

(١٥) انظر : نظرات في اللغة والنحو ص ٢٠

(١٦) انظر : دراسات في العربية ص ٣٤

(١٧) انظر : أبو زكريا الفراء ص ٢٤١

(١٨) أبو علي الفارسي ص ٢٠٢ — ٢٠٣

(١٩) انظر : الاستشهاد في النحو العربي ص ١٥٧

(٢٠) انظر : سيبويه والقراءات ص ٤٢ (الحاشية)

(٢١) انظر : الايضاح في شرح المفضل ص ٨٤ (قسم الدراسة)

(٢٢) انظر : شواهد كتاب سيبويه ص ٥٧ — ٥٨

ومن يستقصى هذا الموضوع بعناية، ويتخصص كتيب الاقدمين
يُبين ان سيوييه ليس أول من احتج بالحديث، وليس هو صاحب هذه
السنة ، وانما سبقه اليها اوائل النحاة الذين أخذوا على عاتقهم
شق طريق القواعد العربية في النحو والصرف بجدّ وعناء . وأول
هؤلاء — حسب ما توصلت اليه في هذه الدراسة — أبو عمرو بن
العلاء (ت ١٥٤ هـ) ؛ وأبو عمرو هذا استاذ استاذ سيوييه ، وتلميذ
تلميذ أبي الاسود الدؤلي — فقد أورد الزجاجي القول الآتي : (٢٣)
« اعلم ان للعلماء في اشتقاق النبي قولين : اما سيوييه في حكايته
عن الخليل فيذهب الى انه مهموز الاصل من انبا عن الله ...
فالنبي في مذهب هؤلاء فعيل بمعنى فاعل، ولأمله همزة ابدلت ياء
وإدغمت فيها التي قبلها ف قيل نبيّ كما ترى ... وقيل : القول الآخر
مذهب جماعة من أهل اللغة، وهو رأي أبي عمرو بن العلاء ، قالوا
ليس بمهموز الاصل ، وانما هو من النبوة، وهي الرفع ، فانه قيل :
نبا ينبو : اي ارتفع على الخلق وعلا عليهم ، ولأمله واو قلبت ياء
لوقوعها بعد ياء ساكنة ، وإدغمت الاولى في الثانية ف قيل نبيّ كما
ترى . وهمزة على هذا المذهب خطأ غير جائز ، وعلى المذهب الاول
جائز همزة وترك همزه ، لان ما كان مهموز الاصل فتخفيفه جائز ،
وما لم يكن مهموزا في الاصل فهو له لحن، الا ما كانت فيه علة موجبة .
وقال هؤلاء، والدليل على صحة مذهبنا ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم، ان رجلا قال له : يا نبي الله ، فهمزه . فقال له عليه
السلام : (٢٤) لست بنبي الله، ولكنني نبيّ الله) ، فقال القائلون
بالمذهب الاول : هذا حديث مرسل رواه حمزة » .

وهذا القول فيه امران صريحان :

الاول : كان أبو عمرو بن العلاء ممن يحتجون بالحديث، فقد دعم

(٢٣) . اشتقاق اسماء الله ص ٥٠٤ - ٥٠٦

(٢٤) النهاية في غريب الحديث ٣/٥

رايه في عدم همز النبي بقوله صلى الله عليه وسلم، ردًا على الرجل :
(لست بنبيء الله ولكنني نبي الله) .

الثاني : لم يكن الخليل وسيوويه يرفضان الاحتجاج بالحديث أو
أو يمنعان، وإذا كانا يرفضان فإنها يرفضان الاحتجاج بالحديث المرسل ،
فلم يرفضوا الاحتجاج بالحديث المذكور لأنه قول الرسول وإنما لأنه
مرسل، والمرسل (٢٥) نوع من أنواع الحديث الضعيف لعدم أسناده .

صحيح أن هذا الحديث استشهد به أبو عمرو في ميدان علم
الصرف ، إلا أن من يستشهد بالحديث في الصرف يستشهد به في
النحو ؛ فالصرف أقرب إلى النحو من أي علم آخر، وأشد صلة به
من الاشتقاق أو علم اللغة . وكان إلى فترة طويلة من الزمن علما
واحدا، انفصلا فيما بعد ولكن الصلة بينهما بقيت قوية . هذا بالإضافة
إلى أن الصرف يبحث في ما يطرأ على الكلمة من زيادة أو نقصان أو
تغيير، بينما يبحث النحو غالبا في ما يتناوب على آخرها من حركات
الاعراب لتناوب العامل ، فالأول أكثر (٢٦) صعوبة والافناء فيه أشد
خطورة .

أما بالنسبة لاحتجاج الخليل فقد أورد الزجاج نصا آخر فيه
أنه كان يحتج بحديث النبي (٢٧) : (لا تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة مسلمة) في
موضوع وصف الذكر والمؤنث، قال الزجاج (٢٨) : « فأما ما كان من صفات
المؤنث نحو : طالق طامث ، فإذا سميت به رجلا انصرف، لأنك إنما سميت
بلفظ مذكر وُصِفَ به مؤنث ؛ قال الخليل : المؤنث الذي يوصف

(٢٥) انظر : أصول الحديث ص ٣٢٤

(٢٦) انظر : النصف ١/٤ (المقدمة)

(٢٧) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث ١٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ . وسنن ابن

ماجة ، كتاب الصيام : حديث ٣٥

(٢٨) ما ينصرف وما لا ينصرف ص ٥٥

بالمفكر بمنزلة شيء، كأنك قلت : شيء طالق . قال : والمؤنث الذي يكون صفة للمذكر نحو قولهم : رجل رُبعة ، وامرأة رُبعة ، ورجل نُكحة ، وجمل حُجَأة ، قال الخليل : لفظ الذُكر في هذا الذي وصف بالمؤنث بمنزلة سلعة ، كما جاء في الخبر (لا تدخل الجنة الا نفس مؤمنة مسلمة) .

فسيبويه انن يأتي ثالثا في الاحتجاج بالحديث — حسب ما توصلت اليه — وليس الاول كما ذكر .

اما الاحاديث الثلاثة التي ذكر عثمان فكي ان سيبويه احتج بها، وتابعه في الموافقة عليها د. احمد مكي الانصاري . ود. بناي ، والاستاذ النفاح ، فساحول ان اقف عندها واحقق في امرها لابدي رايا نحوها .

واول هذه الاحاديث ورد في باب « ما يكون فيه هو وانت واننا ونحن واخواتهن فصلا » قال سيبويه (٢٩) : « واما قولهم (٣٠) كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه ويُنصرانه) ، ففيه ثلاثة اوجه : فالرفع وجهان ، والنصب وجه واحد . فاحد وجهي الرفع ان يكون المولود مضمرًا في يكون ، والابوان مبتدآن ، وما بعدهما مبني عليهما ، كانه قال : حتى يكون المولود ابواه اللذان

(٢٩) الكتاب ٢ : ٣٩٣ (دار القلم)

(٣٠) الحديث في موطن مالك : باب الجنائز نصه . . . « كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه » . وفي مسند ابن خنبل ورد في صبيغ مختلفة احداها ٢ / ٣٤٦ : « ما من مولود الا يولد على الفطرة حتى يكون ابواه اللذان يهودانه وينصرانه » . وفي صحيح الترمذي ، ابواب القدر : « كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . وفي سنن ابي داود ٢ / ٥٣١ . كتاب السنة . باب ذراري المشركين : « كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه » . وقد ذكر النفاح خطأ انه في باب القدر من كتاب السنة لسنن ابي داود

انظر : شواهد سيبويه ص ٥٧

وقد استفاد من هذا الحديث ابو علي الفارسي واورده كما اورده سيبويه انظر : الايضاح ص ١٠١

يهودانه وينصرانه . والوجه الآخر : ان تعمل يكون في الابوين ويكون :
 هما : مبتدا ، وما بعده ، خبرا له . والنصب على ان تجعل هما
 فصلا .

ومع ان هذا الذي استشهد به سيبويه حديث نبوي، الا ان
 الضمير ، هما ، وهو موطن الاستشهاد والذي جاء بالحديث من اجله ،
 لم اثر له على ذكر في كتاب من كتب الحديث ، ولم يرد في نص من
 نصوصه ، وكان سيبويه ساق الحديث النبوي هذا للاستفادة منه في
 ميدان النحو بعد تخليه هذا الضمير لتوضيح ما يذهب اليه . ويبدو
 ان سيبويه احس بالمخالفة وتخوف ان ينسبه بعد ان ادخل فيه ما
 ادخل ، فسبق ذكره بقوله : « كقولهم » وكان ما يستشهد به عبارة
 نثرية عادية ، والصيغة المشهورة للحديث (٣١) :
 (ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه ، او ينصرانه ، او
 يمجسانه) .

ولذلك فان هذا الحديث لا يجوز — وفقا لما ذكرت — ان يكون
 في عداد الاحاديث التي استشهد بها سيبويه، ما دام موطن الشاهد ،
 وهو ضمير الفصل « هما » والذي يركز حديثه عليه ، ليس من لفظ النبي .

وثانسي الاحاديث ، ورد في عمل اسم التفضيل ورفعها اسما
 بارزا ؛ قال سيبويه (٣٢) « وتقول : "ما رايت رجلا ابغض اليه الشرُّ
 منه اليه ، وما رايت احدا احسن في عينه الكحل منه في عينه" ، ومثل
 ذلك (٣٣) . (ما من ايام احب الى الله عز وجل فيها الصوم منه في

(٣١) صحيح البخاري . باب الجنائز ٢ / ٩٥

(٣٢) الكتاب ٢ / ٣١ — ٣٢ « دار القلم »

(٣٣) الحديث في ميزان الاعتدال ٤ / ١٠٠ « ما من ايام احب الى الله ان يتعبد له فيها من
 ايام العشر » . وفي صحيح الترمذي . ابواب الصوم « ما من ايام العمل الصالح
 فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر » . وفيه ايضا عن ابي هريرة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال : « ما من ايام احب الى الله ان يتعبد فيها من عشر
 ذي الحجة » .

عشر ذى الحجة) وان شئت قلت : ما رأيت أحدا احسن في عينه الكل منه ، وما رأيت رجلا ابغض اليه الشر منه ، وما من أيام أحب الى الله فيها الصوم في عشر ذى الحجة » .

ومع ان ما استشهد به سيبويه يختلف في بعض الفاظه عما ورد في كتب الحديث ككلمة « الصوم » التي لم اعثر عليها في رواية من الروايات، والتي حلت محل « ان يتعبد له فيها » او محل « العمل » ، الا ان موطن الشاهد ثابت وهو كلمة « أحب »، وأنها رفعت اسما ظاهرا وهو « الصوم » الذي ورد محل « العمل » في احدى (٢٤) روايات الحديث ؛ ولذلك فان هذا الحديث يعد واحدا من الاحاديث التي كان يحتج بها سيبويه .

وقد استشهد به المبرد، ولكنه ذكره كما يذكر عبارة نثرية. قال في باب مسائل « افعل مستقصاة » (٣٥) : « وكذلك لو قلت : ما من أيام أحب الى الله فيها الصوم منه في عشر ذى الحجة ، او تؤخر الصوم ومعناه التقديم »؛ وقد أخذه عن سيبويه كما هو ؛ ولما كان سيبويه ساقه من غير ان ينسبه فقد التبس الامر على المبرد ، فأورده من غير معرفة بأنه حديث نبوي، ظناً منه انه عبارة نثرية؛ وهذا ما أوحاه اليه تعبير سيبويه. وقد وقع (٢٦) ابن السراج في ما وقع فيه المبرد استاذة . ولو كان يعلم المبرد (ت ٢٨٥هـ) وابن السراج (ت ٣١٠هـ) ان ما يستشهدان به حديث، لما التزما بكل لفظة أوردها سيبويه فيه ، وبخاصة كلمة « الصوم » التي لم تذكر في رواية من الروايات؛ وذلك لان كتب الصحاح كانت قد بدأت تنتشر وتشيع في عصرهما ، وأولها صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) . ولكنهما لم يفعلا ذلك .

(٣٤) انظر : مسند أحمد بن حنبل ٢ / ١٣١ - ١٣٢ أحد نصوص الحديث فيه : « ما من أيام اعظم عند الله ولا أحب اليه العمل » نيهن من هذه الأيام العشر »

(٣٥) المقتضب ٣ : ٢٥٠

(٣٦) انظر : الاصول في النحو = ١ : ١٥٥

وقد علق (٢٧) محمد عضية ، محقق المقتضب ، على الاشعوني ، في شرحه لانه جعله حديثا . وذكر أن الراوية في كتب الصحاح : البخاري ، والترمذي ، وسنن ابن ماجة ، وسنن النسائي ليس فيها « أحب » رافعا للاسم الظاهر . فانكر عليه ذلك . ومع أن ما نسبته عضية الى الصحاح صحيح ، إلا أن « أحب » رويت رافعة اسما ظاهرا في احدى روايات مسند ابن حنبل ، كما اشرت قبل قليل .

إما الحديث الثالث الذي ذكره عثمان فكي ، فهو ما ورد في موضوع التنازع : قال سيبويه في الاستغناء عن الفاعل أحيانا لمعرفته من السياق : « ومما يقوي ترك نحو هذا العلم المخاطب قوله عز وجل (٢٩) : (والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الاول ، استغناء عنه ؛ ومثل ذلك (٤٠) (ونخلع ونترك من يفجرك) » .

وهذا الحديث نصه مطابق لما روي فليس فيه ما يمنع أن يكون في عداد الاحاديث التي احتج بها سيبويه .

وقد أضاف (٤١) الاستاذ النفاخ الى هذه الثلاثة ، التي شارك فيها عثمان فكي حديثين آخرين انفرد بهما وعدهما أيضا مما استشهد به سيبويه في كتابه :

أحدهما في باب « ما ينتصب لانه خبر للمعروف المبني على ما

(٣٧) انظر : المقتضب ٣ : ٢٥٠ (الحاشية) .

(٣٨) انظر : شرح الاشعوني ٢ : ٣٩٠

(٣٩) الاحزاب آية ٤٥

(٤٠) الحديث ب : النهاية في غريب الحديث ٣ / ٤١٤ . وأشار النفاخ الى انه قطعة من دعاء القنوت أخرجه الطحاوي في معاني الآثار ص ١٤٧ . وقد ورد بعض لفظ الحديث مغلوطا في دراسة الدكتور بني للإيضاح في شرح الفصل ص ٨٥ إذ ورد : « ونخلع ونترك من يفجرك »

(٤١) انظر : شواهد سيبويه ص ٥٧ - ٥٨

هو قبله من الاسماء المبهمة « قال سيبويه (٤٢) : « وقد تقول هو عبد الله وانا عبد الله فافرا أو موعدا : أي اعرفني بما كنت تعرف ، وبها كان يملك عني ؛ ثم يفسر الحال التي كان يعلمه عليها أو تبلغه فيقول : انا عبد الله كريما جوادا، وهو عبد الله شجاعا بطلا ، ويقول (٤٣) (انسي عبد الله) مصفرا نفسه لربه، ثم يفسر حال العبيد فيقول (٤٤) (آكلأ كما يأكل العبد وشاربا كما يشرب العبد) » .

وهذا الذي أورده سيبويه لا يمد من بين الاحاديث التي احتج بها سيبويه لامور ثلاثة :

اولا : ان الطريقة التي ساق بها سيبويه هذا القول لا توجي الى انه استشهد به حديثا نبويا ، وانما توجي الى انه يأتي بعبارة نظرية استوحاها من الحديث في رواياته المتعددة والتي اشرت اليها في الحاشية .

ثانيا : ان الصياغة التي أتى بها سيبويه تختلف عن الروايات التي روى الحديث بها كتب السنن .

ثالثا : ان موطن الاستشهاد الذي مثل به سيبويه يختلف في لفظه وفي اعرابه عما ورد في كتب السنن ؛ فان كلمة « آكلأ » التي أوردها سيبويه ، والتي هي موطن الاستشهاد، حلت محل « آكل »؛ فالكلمة الاولى اسم والثانية فعل مضارع ؛ الاولى منصوبة على أنها حال ، بينما الثانية هي وفاعلها اما أن تكون في محل رفع خبر على أنها خبر ان ، أو في محل نصب على

(٤٢) الكتاب ١ / ٢٥٧ (بولاق)

(٤٣) حقق عبد السلام هارون قول سيبويه هكذا : « وتقول (اني عبد الله) مصفرا نفسه لربه ، ثم تفسر حال العبيد فتقول : (آكلأ كما تأكل العبيد) » . الكتاب ٢ / ٨٠ (دار القلم)

الحديث في طبقات ابن سعد ١ : ٢٨١ . وفي سير اعلام النبلاء ٢ / ١٣٧ : « آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » . وفي طبقات ابن سعد ١ / ٣٧١ : « آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ، فانما أنا عبد » . وفي البيان والتبيين ٢ / ٢ : « أنا أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

انها حال .

امّا ثانيهما فهو ما أورده سيبويه في باب « من المصادر ما ينتصب باضمار الفعل المتروك اظهره » قال « (٤٤) : « واما (سُبُوحًا) » (٤٥) قُدُوسًا رَبُّ الملائكة والروح) فليس بمنزلة سبحان الله ، لان السُّبُوح والقُدُوس اسم، ولكنه على قوله : اذكر سبحوا قدوسا ، وذلك انه خطر على باله او ذكره ذاكر فقال : سبحوا اي ذكرت سبحوا ، كما تقول : اهل ذلك ، اذا سمعت الرجل ذكر الرجل بثناء او بذم كانه قال : ذكرت اهل ذاك » .

وما استشهد به سيبويه هذا ليس واحدا من الاحاديث النبوية كما تراءى للنفاخ ، ذلك ان « سبحوا قدوسا » وردتا في الحديث النبوي مرفوعتين لا منصوبتين، ولكن سيبويه استفاد من الحديث لمعالجة قضية نحوية وليوضح فكرة الباب الذي عرضهما فيه ، وهو نصب المصادر بأفعال مضمرة متروكة، فأتى بهما منصوبتين، فالنصب ليس من نطق الرسول وانما هو من صنع سيبويه ، او نقله عن العرب ، كما سيظهر في ما بعد في الرفع . فلا يجوز اذن أن يعد شاهدا من شواهد الحديث عند سيبويه ، ولو ذهبنا الى ذلك لكانما اعترفنا بأن النصب من لفظ الرسول، وهو ليسه .

وقد نسب النفاخ « سبحوا قدوسا رب الملائكة والروح » الى النبي، وعده حديثا اعتمادا على ما ورد في « عون المعبود » الذي أتى بقول للقاضي عياض يتحدث فيه عن حديث النبي « (٤٦) (سبح قدوس رب الملائكة والروح) قال القاضي عياض « (٤٧) : « وقيل فيه سبحوا

(٤٤) الكتاب ١ / ٢٢٧

(٤٥) الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الصلاة . وفي مسند ابن خنبل ٦ / ١٤٨ : « سبح

قدوس رب الملائكة والروح » . بالرفع . وكذلك في سنن أبي داود ١ / ٢٠١

وفي سنن أبي داود ١ : ٢٢٥ من عون المعبود

(٤٦) سنن أبي داود ١ : ٢٠١

(٤٧) عون المعبود ٣ / ١٢٤

قدوسا على تقدير اسبح سبوحا او اذكر ، او اعظم ، او اعبد (رب
الملائكة والروح) هو من عطف الخاص على العام ، لان الروح من
الملائكة ، وهو ملك عظيم ، يكون اذا وقف كجميع الملائكة . وقيل ،
يحتمل ان يكون جبريل .

وقول القاضي عياض : « وقيل فيه سبوحا قدوسا » ليس معناه
ان النبي كان ينصب فيقول هذا القول ، لمدة دلالات منها :

١ - لو كان القاضي عياض ينسب النصب الى النبي لاسنده باحدى
الطرق .

٢ - يستخدم القاضي عياض أسلوب « قيل » المبني للمجهول ، وليس
فيه تحديد او اشارة الى القائل ، ففيه النسبة معمبة مما
يوحي ان هذا القول قول عام .

٣ - يلح من سياق كلام القاضي عياض انه يريد ان يعالج لفظ
الحديث من الناحية اللغوية والنحوية ؛ فقد اورد صاحب عون
المعبود قولة القاضي في سياق شرح معنى « سبوح قدوس » ،
وسياق بيان الالوه الاعرابية واللغوية والاشتقاقية ، وهو
يستأنس برأي القاضي في هذا المجال .

بالاضافة الى ذلك كله فان « عون المعبود » لا يقوم بدور
الجامع للأحاديث او تصنيفها وتحقيقها ، وانما بدور الشارح لما ورد
في سنن أبي داود وما ورد فيه من احاديث . ولم يرد النصب في
هذه السنن .

وقد ورد « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » بالرفع في
صفحة كتاب سيبويه نفسها التي ورد فيها النصب ، وعده النفاخ من بين
الاحاديث التي استشهد بها سيبويه . ومع ان هذا القول حديث
نبوي - كما اشرت اليه في الحاشية حين الحديث عن النصب ، الا
انه في المقام الذي اورده سيبويه فيه لا يعد حديثا ، وانما قولا من اقوال

العرب ما دام نسبه اليهم. قال سيويه بعد الحديث عن النصب: « ومن العرب من يرفع فيقول : (سُبُوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ) ، كما قال اهلُ ذاك وصادقٌ والله ؛ وكل هذا على ما سمعنا العرب تتكلم به رفعا ونصبا » . وما دام كذلك فلا يجوز ان يُعدَّ من بين الاحاديث التي احتج بها سيويه ؛ ولو جاز لجاز ان نعد (٤٨) « فَأَنْزَلْنَاهُ سَكِينَةً عَلَيْنَا » الذي استشهد (٤٩) به سيويه على النون الخفيفة والثقيلة حديثا مع انه فعلا حديث نبوي ، ولكنه في الاصل من شعر عبد الله بن رواحة ثم أعجب به النبي ، فكرّره مرارا ، وصار حديثا تناقله رواة الحديث ؛ غير ان سيويه حينما استشهد به نسبه الى عبد الله بن رواحة ؛ فهو قول عبد الله ، ولو نسبه الى النبي لكان قول النبي وحديثه .

من هذه الوقفة يتبين لنا ان ما صَحَّحَ ان يُعدَّ من الاحاديث التي احتج بها سيويه، مما ذكره الفكي والنفاح، حديثان اثنان : الاول « ونخلع ونترك من يفجرك » . والثاني « ما من ايام احب الى الله فيها الصوم منه في عشر ذى الحجة » .

ولقد حاولت ان اتعمق كتاب سيويه لالتقط بعض درر الحديث التي زين كتابه بها ؛ وكتاب سيويه بحر شاسع، كلما أعدت النظر فيه وتمعنت اكتشفت شيئا جديدا ؛ ولكن اكتشاف الحديث فيه ليس امرا يسرا . تفحصت الكتاب جملة جملة ودوّنت ما ظننت انه حديث او توقعت ، لان سيويه لا يصرّح به ، ثم استشرت بعض الكتب التي تفهرس الحديث ، فاستخرجت ثلاثة اخرى عرضتها على كتب الحديث ووثقتها .

اما الحديث الاول فاستشهد به سيويه في « باب تسمية المذكر

(٤٨) الحديث في : صحيح البخاري كتاب الجهاد ٣٤ . باب القدر ١٦ . باب الاصب ٩٠

وصحيح مسلم . كتاب الجهاد . حديث ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢

(٤٩) انظر : الكتاب ٣ : ٥١١

والمؤنث « وهو الذي استشهد به الخليل كما مر . قال سيويوه (٥٠) » وما جاء مؤنثا صفة تقع للمذكر والمؤنث : هذا غلام يَفْعَة ، وجارية يَفْعَة ، وهذا رجل رُبْعَة ، وامرأة رُبْعَة ؛ فأما ما جاء من المؤنث لا يقع الا لمذكر وصفا ، فكانه في الاصل صفة لسلمة او نفس ، كما قال (٥١) (لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة) .

أما الثاني فاستشهد به في باب « إن وأن » مبينا المواطن التي تفتح فيها همزة إن وتكسر قال (٥٢) : « وتقول (٥٣) : (لبيك ان الحمد والنعمة لك) ، وان شئت قلت ان ، ولو قال انسان ان « ان » في موضع جر في هذه الاشياء ؛ ولكنه حرف كثر استعماله في كلامهم فجاء فيه حذف الجار ، كما حذفوا رَبَّ في قولهم :

وبلد تحسبه مكسوحا

لكان قولاً قويا .

أما الثالث فقد استشهد به في باب « تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الاسماء » . قال (٥٤) : « وأما ثم وأين وحيث ونحوهن اذا صيرت اسما لرجل أو امرأة أو حرف أو كلمة ، فلا بد لهن من أن يتغيرن عن حالهن ويصرن بمنزلة زيد وعمرو ، لانك وضعتن بذلك الموضع ، كما تغيرت ليت وان ، فان أردت حكاية هذه الحروف تركتها

(٥٠) الكتاب ٢ / ٢٢٧

(٥١) انظر : صحيح مسلم . كتاب الايمان . حديث ١٧٨ ، ٢٧٧ ، ٣٧٨ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الصيام ، حديث ٢٥

(٥٢) الكتاب ٢ : ١٢٨

(٥٣) انظر : الموطن . كتاب الحج . باب العمل في الاهلال . وصحيح البخاري : كتاب الحج . وصحيح مسلم . حج حديث ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، وصحيح الترمذي ابواب الحج . باب ما جاء في التلبية . وسنن النسائي : مناسك الحج (التلبية) . سنن ابن ماجه . مناسك الحج . باب التلبية

(٥٤) الكتاب ٢/٢٦٨

على حالها ، كما قال (هـ) : (ان الله ينهاكم عن قيل وقال) ومنهم من يقول عن قيل وقال لما جعله اسما ، وفي الحكاية قالوا : من شُبِّ الى كُبِّ ، وان شئت مَذْ شُبِّ الى كُبِّ .

وقد ذكر سيويه الحديث مرويا بالمعنى لا بالحرف . ولكن موطن الاستشهاد ثابت في الكتب التي روت الحديث . والاستفادة من قول النبي بيّنة ، فهو يبين هنا أن الفعلين « قيل وقال » يدلان على المصدرية في وضعهما كما هما من غير تحويل ، مع جواز دخول الجر عليهما . قال الاستاذ محمود شاكر (هـ) : « وهما مصدران بمعنى الإشارة الى هذين الفعلين الماضيين يجعلان حكاية متضمنة للضمير والاعراب ، على اجرائها مجرى الاسماء ، خلوين من الضمير فيدخل عليهما حرف التعريف لذلك ، فيقال : « القيل والقال » .

وقد صرح بهذا الحديث الفراء واحتج به في بيان اصل الآن قال (هـ) « وان شئت جعلت « الآن » أصلها من قولك آن لك ان تفعل ادخلت عليها الالف واللام ثم تركتها على مذهب فعل ، فاتاها النصب من نصب فعل ؛ وهو وجه جيد كما قالوا : نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال ، فكانتا كالاسمين ، فهما منصوبتان ولو خفضتا على انهما أخرجتا من نية الفعل كان صوابا ؛ سمعت العرب تقول : من شُبِّ الى كُبِّ بالفتح ، ومن شُبِّ الى كُبِّ ، يقول : مُذْ كان صغيرا الى ان دب . وهو فعل » .

(هـ) الحديث بالحرف في تفسير الطبري ٢ / ٦٦ بولاق : « ان الله عز وجل كره لكم ثلاثا قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال ، فاذا شئت رأيته في قيل وقال يومه اجمع ، وصدر ليلته » .

وفي لسان العرب . مادة « قول » : « روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن قيل وقال ، واضاعة المال » وفي تاج العروس . مادة « قول » ايضا : « وفي الحديث : نهى عن قيل وقال واضاعة المال »

(هـ) تفسير الطبري ٥ / ٦٠٠ دار المعارف (الحاشية) .

(هـ) معاني القرآن ١ : ٤٦٨ . وانظر : اللامات ص ٣٩ ، والاتصاف مسألة ٧١ وشرح

المفصل ٤ / ١٠٣

هذه احاديث ثلاثة احتج بها سيبويه ، ولعل في كتابه احاديث اخرى لم اهتمد اليها ، وقد يهتدي اليها آخرون .

وما هو ضروري في هذا الصدد أن أنكر من خلال ما مر أن سيبويه كان يعامل قسما من الاحاديث معاملة تختلف عن القسم الآخر ؛ كان يورد احاديث القسم الاول بعد أن يغير فيها ما يخدم الفكرة التي يتحدث عنها ، ولكنه ينظر في هذه الحالة الى ما استشهد به وكأنه عبارة نظرية ؛ ومثل هذا لا يعد من ضمن الاحاديث التي استشهد بها ، وبخاصة اذا كان موطن الشاهد ليس مذكورا في احدى روايات الحديث . أما احاديث القسم الآخر فكان يوردها كما هي من غير تغيير أو تعديل، واذا طرا عليها ما يخالف الرواية المشهورة فإن موطن الشاهد يبقى ثابتا لا يمسّه تغيير ، واحاديث هذا القسم تُمدّ من شواهد الحديث في الكتاب .

ومن يمعن النظر في الاسلوب الذي يقدم به سيبويه القسم الاول يجده نحو « وأما قولهم » أو « وقد تقول ... » أو « وأما ... » ، بينما يقدم القسم الثاني بـ « مثل ذلك ... » أو « كما قال ... » والاسلوب الآخر أوضح اشارة الى أن ما يورده واحد من احاديث النبي .

يتبادر الى الذهن في نهاية هذا البحث سؤالان يبحثان عن الاجابة عنهما :

الاول : لم كانت احاديث سيبويه التي احتج بها قليلة الى هذا الحد اللانته ؟

الثاني : لم كان سيبويه يسوق الحديث دون أن ينسبه الى النبي ؟ وفي تصوري أن الاجابة عنهما تكمن في حقيقتين اثنتين ، احدهما تكمل الاخرى :

الاولى : ان سيبويه كان ممن سمعوا الحديث ولكنه كان (٥٨)

« شديد الاخذ » حذراً، حريصاً، دقيقاً في كل ما يقول ، وفي نسبة ما ينسب من الشواهد ؛ فانه كان يخشى ان ينسب الى النبي فيقول « قال النبي » او « وفي الحديث » ثم يظهر خلاف ما ذكر . وضدُّ سيبويه مجمع عليه . قيل (٥٩) ليونس : ان سيبويه السف كتابا في الف ورقة في علم الخليل . فقال : ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كله ؟ جيئوني بكتابه ، فلما نظر فيه كتابه ورأى ما حكى قال : يجب ان يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه كما صدق فيما حكى عني .

وقد ترسخت الثقة بسيبويه من خلال نسبه شواهد الشعر الى اصحابها ؛ فشواهد اصح الشواهد (٦٠) « اعتمد عليها خلف بعد سلف ، مع ان فيها أبياتاً عديدة جهل قائلوها ، وما عيب بها ناقلوها ؛ وقد خرج كتابه الى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدة ، ونظر فيه وفتش ، فما طعن أحد من المتقدمين عليه ، ولا ادعى انه أتى بشعر منكر » .

أما الثانية : فان الوضع في الحديث والكذب على النبي جعل التخرج والتحرز مبدءاً من مبادئ سيبويه (ت ١٨٠ هـ) التي لا يتحرج عنها ، ولم تظهر المسانيد التي جمعت الاحاديث ودونها ، والتي تجنب الموضوع منها الا في فترة تالية لسيبويه ، وأول (٦١) من الف فيها أبو داود سليمان الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ) ثم تلا المسانيد كتب الصحاح ، وصاحب أولها البخاري (ت ٢٥٩ هـ) الذي اجمع المحققون على (٦٢) « ان كتابه اصح كتاب بعد القرآن » . وكان مسلم يقول

(٥٩) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٢ .

(٦٠) خزائن الادب ١ : ١٦ - ١٧ .

(٦١) انظر : اصول الحديث ص ١٨٢ .

(٦٢) شرح صحيح البخاري - (المقدمة) -

له (١٢) « يا طبيب الحديث » .

وكتب الصحاح هي (١٤) ذروة الفن في تحقيق الحديث ، وضع أصحابها شروط الاحاديث الصحاح التي اطمان اليها المؤمنون ، وبينوا متواتر الحديث ، وآحاده ، ومشهوره ، وعزیزه ، وغريبه ، ومقبوله ، ومردوده ، وشاذة ، ومنكره ، ومحكمه ، ومختلفه ، ومعلقة ، ومرسله ، ومنقطعه ، ومعضله .

ومن ينظر في كتب النحاة بعد تأليف الصحاح يجد أن الاحتجاج بالحديث بدأ يزداد ، والتصريح بأنه حديث أخذ يلزم كل فكر له .
فقد اطمان النحاة وتعمقت الثقة ؛ ويأتي في طليعة هؤلاء نحاة المدرسة البغدادية الذين يُعَسِّدُ (١٥) الاحتجاج بالحديث في كتبهم والإكثار منه ميزة واضحة من مزايا مدرستهم ، ومن أبرزهم في الاحتجاج بسنه الزجاجي ، والفارسي ، وابن جني ، والزمخشري . فابن خروف وابن عصفور وابن مالك ليسوا الا مقتنفين لآثار نحاة المدرسة البغدادية في هذا المضمار .

د. محمد حسني محمد

(٦٣) المصدر نفسه — (المقدمة)

(٦٤) انظر : الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص ٢٩

(٦٥) انظر : المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ص ١٤٧

ثبت المصادر والمراجع

- ١ — د. ابراهيم مخكور — مجمع اللغة العربية في ٣٠ عاما — الطبعة الثانية ١٩٧١ م .
- ٢ — الاشموني — شرح الاشموني — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الاولى ١٩٥٥ م .
- ٣ — ابن الاثير — النهاية في غريب الحديث — تحقيق الطناحي ، دار احياء الكتب العربية .
- ٤ — ابن الانباري — الانصاف ، مطبعة السعادة ، الطبعة الرابعة ١٩٦١ م .
- ٥ — ابن جني — المنصف ، تحقيق ابراهيم مصطفى ، الطبعة الاولى ١٩٥٤ م .
- ٦ — ابن السراج — الاصول في النحو ، تحقيق د. عبد السلام الفتلي ، بغداد ١٩٧٣ م .
- ٧ — ابن سعد — طبقات ابن سعد ، بيروت ١٩٥٧ م .
- ٨ — ابن الطيب المغربي — شرح الاقتراح ، مخطوطة مصورة ملك الزميل الدكتور محمد اسماعيل عواد .
- ٩ — ابن ماجه — سنن ابن ماجه . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية .
- ١٠ — ابن منظور — لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ م .
- ١١ — ابن يعيش — شرح المفصل ، المطبعة المنيرية .
- ١٢ — ابو داود — سنن ابي داود ، مطبعة الحلبي ، الطبعة

الاولى ١٩٥٢م .

١٣ - ابو الطيب محمد شمس الحق - عون المعبود في شرح سنن
ابي داود ، تحقيق عبد الرحمن عثمان ، الطبعة الثانية ١٩٦٨م .

١٤ - ابو علي الفارسي - الايضاح المعصدي ، تحقيق حسن
شاذلي فرهود . دار الكتب ، الطبعة الاولى . ١٩٦٩م .

١٥ - احمد بن حنبل - مسند ابن حنبل ، بيروت .

١٦ - احمد راتب النفاح - شواهد كتاب سيبويه ، دار الامانة ،
الطبعة الاولى ١٩٧٠م .

١٧ - د. احمد مكي الانصاري - ابو زكريا الفراء ، القاهرة ١٩٦٤م .

١٨ - د. احمد مكي الانصاري - سيبويه والقراءات ، دار المعارف
بمصر ١٩٧٢م .

١٩ - البخاري - صحيح البخاري ، بولاق ، ١٣١٥هـ .

٢٠ - البغدادي - خزائن الادب ، تحقيق عبد السلام هارون ،
القاهرة ١٩٦٧م .

٢١ - الترمذي - صحيح الترمذي ، المطبعة المصرية ، الطبعة
الاولى ١٩٣١م .

٢٢ - الجاحظ - البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ،
الطبعة الثانية ١٩٦١م .

٢٣ - الذهبي - سير اعلام النبلاء ، تحقيق ابراهيم الابياري .

٢٤ - الذهبي - ميزان الاعتدال ، تحقيق محمد البجاوي ، مطبعة
الخطابي .

٢٥ - الزبيدي - تاج العروس ، بيروت ١٩٦٦م .

٢٦ - الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق ابو الفضل

ابرهيم . القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٥٤م .

٢٧ — الزجاج — ما ينصرف وما لا ينصرف ، تحقيق هدى قراعة ،
القاهرة ١٩٧١م .

٢٨ — الزجاجي — اشتقاق اسماء الله ، تحقيق د. عبد الحسين
المبارك ، النجف الاشرف ١٩٧٤م .

٢٩ — الزجاجي — اللامات ، تحقيق د. مازن مبارك ، دمشق ١٩٦٩م .
٣٠ — الرمخشري — الفائق في غريب الحديث . تحقيق ابو الفضل
ابرهيم ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٤٨م .

٣١ — سيبويه — الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القلم ١٩٦٨م .
سيبويه — الكتاب ، بولاق .

٣٢ — د. شوقي ضيف — المدارس النحوية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م .
٣٣ — الطبري — تاريخ الطبري ، تحقيق محمود شاكر ، دار المعارف .
الطبري — تاريخ الطبري ، بولاق ، الطبعة الاولى ١٣٢٤هـ .

٣٤ — طه الراوي — نظرات في اللغة والنحو ، بيروت ، الطبعة
الاولى ١٩٦٢م .

٣٥ — د. عبد الرحمن السيد — مدرسة البصرة النحوية ، دار
المعارف ، الطبعة الاولى ١٩٦٨م .

٣٦ — د. عبد الفتاح شلبي — ابو علي الفارسي ، مكتبة نهضة مصر .
٣٧ — عثمان فكي — الاستشهاد في النحو العربي ، رسالة ماجستير
مقدمة الى كلية دار العلوم في ١٩٦٩م .

٣٨ — د. عز الدين السيد — الحديث النبوي ، القاهرة ، ط ١٩٧٣م .
٣٩ — الفراء — معاني القرآن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،
الطبعة الاولى ١٩٥٥م .

- ٤٠ — القنطري — إنباه الرواة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،
القاهرة ١٩٥٢م .
- ٤١ — الكرمانى — شرح صحيح البخارى ، المطبعة البهية المصرية .
- ٤٢ — مالك بن أنس — الموطأ ، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ،
دار احياء الكتب العربية ١٩٥١م .
- ٤٣ — البرد — المقتضب ، تحقيق محمد عضيمة ، القاهرة ١٣٨٥هـ .
- ٤٤ — محمد الخضر حسين — دراسات في العربية ، دمشق ،
الطبعة الثانية ١٩٦٠م .
- ٤٥ — د. محمد الخطيب — اصول الحديث ، لبنان ، الطبعة
الاولى ١٩٦٧م .
- ٤٦ — د. محمود حسني محمود — المدرسة البغدادية في تاريخ
النحو العربي ، مكتبة الجامعة الاردنية ، ضمن مجموعة
الرسائل الجامعية .
- ٤٧ — مسلم — صحيح مسلم ، دار احياء الكتب العربية .
- ٤٨ — د. موسى بناي — الايضاح في شرح المفصل لابن الحاجب (دراسة)
بغداد ١٩٧٦م .
- ٤٩ — النسائي — سنن النسائي ، المطبعة المصرية .

سُبل الحق في نظر علماء العرب

للدكتور محمد موسى

ان العلماء المسلمين قد جعلوا العقل في المنصب الاعلى، وكثيرا ما صرّحوا « انه اعظم نعم الله عندنا، وأنفع الاشياء لنا، وأجداها علينا » (١) وهو « الشيء الذي به نتصور افعالنا العقلية قبل ظهورها للحس، فنراها كأن قد أحسسنّاها، ثم نتمثل بأفعالنا الحسية صورها فتظهر مطابقة لما تمثلناه وتخيلناه منها » (٢) واستنتجوا من ذلك انه حقيق علينا « الا نجعل العقل، وهو الحاكم، محكوما عليه، ولا وهو الزمام مزموما ، ولا وهو المتبوع تابعاً ، بل نرجع في الامور اليه، ونعتبرها به، ونعتمد فيها عليه » .

وجعلوا أسمى اغراضهم « طلب الحق لذاته »، وجعلوا طالب الحق « المتبّع الحجة والبرهان ، لا قول القائل الذي هو انسان » (٣) .

وقال بعضهم: « البرهان القاطع لا يُدرا بالظواهر بل يسُلط على تأويل الظواهر ». وقال متطرفوهم : « اذا تعارض العقل والنقل في مطلوب فيتبع العقل ، ويتتبع المخلص في المنقول ليوافق المعقول، إن أمكن، والا يعد المنقول من قبيل المتشابهات » (٤) .

ولكنهم سرعان ما تيقنوا ان لا سبيل للعقل في تأويل بعض المسائل، وسرعان ما اضطروا الى تقسيم العلوم الى علوم نقلية والى

(١) الرازي : الطب الروحاني ص ١٨

(٢) أبو البقاء الحسيني : كتاب الكليات ص ٧١٥ وما بعدها

علوم عقلية . واعترفوا ان سبل الحق مختلفة متعددة بحسب ميادين البحث ؛ وقد تتضائل المصادر المعول عليها في مسألة من المسائل نسياتي بعضها لبعض مساعدا ومعيناً ...

ولخصوا هذه المصادر في الحس والحدس والعقل والقياس والالهام والوحي الالهي .

يفصح البيروني عن غرضه في كتابه « الآثار الباقية » فيحصره في « استقراغ الوسع واستنفاد الجهد في الابانة عن مقصده على حساب ما بلغه علمه إن بسماع وإن بعيان وقياس » (٢) ويضيف « ان اقرب الاسباب المؤدية الى ما سئلت عنه هو معرفة أخبار الامم السالفة وانباء القرون الماضية، لأن اكثرها احوال عنهم ورسوم باقية من رسومهم ونواميسهم ، ولا سبيل الى التوصل الى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات والقياس بما يشاهد من المحسوسات (٣) » .

ويجمع ابن الهيثم بين الحس والنظر فيقول : « فرايت انني لا اصل الى الحق إلا من آراء يكون عنصرها الامور الحسية، وصورتها الامور العقلية » .

ويقول ابن سينا : « ان النفس ، بعد ان تستعين بالحواس ، ترجع الى ذاتها شيئاً فشيئاً (٤) » اي انها تعتمد أولاً على المادة ثم تتخلص منها مقداراً فمقداراً، كيما ترتقي الى احكام معقولة صرفة ، وكثيراً ما عاد ابن سينا الى هذا المعنى المتمثل في كون « الجسم لا بد منه لتستكمل النفس قوتها النظرية » .

« والانفس تحدث كلما تحدث مادة بدنية صالحة لاستعمالها اياها » (٥) .

(٣) الآثار الباقية ص ٤

(٤) المجاة ص ٥٠

(٥) الشفاء ج ١ ص ٢٥٤

والجسم بحواسه الظاهرة والباطنة هو الذي يقدم للعقل
الادراكات الجزئية المشخصة، فيحاول العقل بالتفكير فيها ان يستخرج
منها الادراكات الكلية والمعارف المرتبطة بها ...

وعن علاقة النفس بالبدن يقول أبو الثناء محمود بن عمر
الشيثاني المعروف بابن رقيقة (ت. بدمشق سنة ٦٥٣هـ / ١٢٨٧م) :
من قصيدة شديدة الشبه بعينية ابن سينا (الطويل) :

اقول لنفسي حين ابدت تشوقاً الى العالم الاعلى رويدك يا نفسي
مُحالاً ترومين النجاة وانت في المهالك من جنس الطبيعة والحس
ودونك بحرٌ ان تمعّيت لَجْه انمّيت وكُزّت بالخلاص من الحبس
نان رمت وصلانحو سنخك فاكشني غطاءك وانضي ما عليك من اللبس
ولا تقبلي نحو الكثيف فتحرمي مجاورة الاطهار في حضرة القدس

الى ان يقول :

وصلت على كره الى الهيكل الذي به اعتضت بالذعر الطويل عن الانس
وما كان هذا الوصل الا لترجمي منزهة بالعلم عن وصة الوكس (٦)

ولئن زعم جابر بن حيان أن الصناعة « انها تكون لذي الرأي
الصحيح، والقياس الواجب، والدرسي الدائم للعلم الحق الواضح »، وانها
« انها تحتاج الى حجج وبراهين »، وان « البرهان اصدق شاهد واعدل
حاكم » (٧) فان معظم علماء العرب يقولون بوجوب التجربة المادية،
وباستقراء الموجودات وتتبع خواص المحسوسات ؛ ومن امثالهم :
« المشاهدة اقوى دليل ». ويقول ابن البيطار : « فما صَحَّ عندي
بالمشاهدة والنظر، وثبت لدي بالخبرة لا الخبر ، اذخرته كنزاً سرياً، وعددت
نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنياً » (٨) .

(٦) عيون الاتباء ج ٢ ص ٣٦٦

(٧) كتاب اسطقس الاس الاول نشرة هليارد ، باريس ١٩٢٨ ص ٧٠ - ٧١

(٨) من مقدمة كتاب الجامع لمفردات الادوية والافغية

ويقول البيروني : « انما يلذّ العاقل لذّة نفسانية اذا لاحظها بعين البصرة والاعتبار ، كما يلذّ الغافل لذّة جثمانية في الاصطباح والاغبتاق ، والتقلب بين الخمر والخمار ... » ويستشهد بقول الله تعالى ، وقوله الحق المنير : « ويتفكرون في خلق السماوات والارض ؛ ربّنا ما خلقت هذا باطلا » .

ويربط ابن سينا بين التجربة والتذكّر، وهي فكرة افلاطونية، فيقول : « اذا تكرر في احساسنا وجود لشيء مثل الاسهال للسقمونيا ، والحركات المرصودة للمساويات، تكرّر ذلك منا في الذكر . واذا تكرر منا ذلك في الذكر حدثت لنا منه تجربة بسبب قياس اقترن بالذكر . وهو أنه لو كان هذا الامر ، كالاسهال مثلا عن السقمونيا ، اتفاقيا فرضيا ، لا عن مقتضى طبيعته ، لكان لا يكون في اكثر الامر من غير اختلاف ، حتى انه اذا لم يوجد ذلك استندرت النفس الواقعة، فطلبت سببا لما عرض من انه لم يوجد . واذا اجتمع هذا الاحساس وهذا التذكر مع هذا القياس، ادعنت النفس بسبب ذلك التصديق بأن السقمونيا من شأنها، اذا شربت، أن تسهل صاحبها » (٩) ويضيف :

« ان التجربة ليست تفيد العلم لكثرة ما يشاهد على ذلك الحكم فقط ، بل لاقتران قياس به قد ذكرناه . ومع ذلك فليس تفيد علما كليا قياسيا مطلقا بل كليا بشرط » . ويواصل ابن سينا حكمه على التجربة بقوله :

« ولسنا نقول ان التجربة امان عن الغلط، وانها موقعة لليقين دائما ؛ وكيف والقياس ايضا ليس كذلك ! بل نقول ان كثيرا ما يعرض لنا اليقين عن التجربة ، فيطلب وجه ايقاع ما يوقع منها اليقين » (٩) ومما نلاحظ في هذه الفقرات :

اولا : ان ابن سينا يقرن ما تكرر في احساسنا بالتذكّر ؛ وهي نظرة، كما اشرنا اليه ، مستمدة من الفلسفة الافلاطونية ، ويلخصها الفارابي فيما يلي :

(٩) الشفاء المنطق ج ٥ البرهان ص ٩٥

« ان التلمس تفكر ، وان التفكير هو تكلف العلم ، والتذكر تكلف الذكر ، والطالب المشتاق متكلف ؛ فمهما وجد مهما قصد معرفته طلب دلائل وعلامات ومعاني ما كان في نفسه قديما ، مكانه يتذكر عند ذلك » . بل هو يتجاوز ذلك ويقول : « ان العقل ليس هو شيئا غير التجارب ، وكلما كانت هذه التجارب اكثر كانت النفس اتم عقلا ... » (١٠) .

ثانيا : انه يرى ان العلم الحق هو اليقين الذي تطمئن له النفس ، ويعترف ان المعرفة المعتمدة على التجربة وحدها انما هي معرفة نسبية لا تبلغ اليقين المطلق ، فكيف تكتسب المعلومات اذن ، وما هي طريقة الكشف عن الحقيقة ؟

يعود ابن سينا مرات الى هذا الموضوع في النجاة وفي الاشارات ، ويحصر المعرفة والعلم في التصور والتصديق ، واما آلتاهما فهما الحد والقياس . وفي ذلك يقول محمد بن المجلي بن الصائغ العنبري (الخفيف) :

ابلغ العالمين عنى بانى كل علمي تصوّر وقياس (١١)
قد كشفت الاشياء بالفعل حتى ظهرت لي وليس فيها التباس

والتصوّر هو العلم الأول ، ويكتسب بالحدّ وما يجري مجراه ، مثل تصوّرنا ماهية الانسان ؛ والتصديق انما يكتسب بالقياس او ما يجري مجراه .

وطريقة العقل في الكشف عن الحقائق هي الحدس او الفكرة . يقول ابن سينا : « الحدس جودة حركة للذهن الى اقتناص الحد الاوسط من تلقاء نفسها : مثل ان يرى الانسان القمر ، وانه يضيء من جانبه الذي يلي الشمس على اشكاله ، فيقتنص ذهنه بحدسه

(١٠) التوبيق بين ارسطو و افلاطون

(١١) عيون الانباء ج ٢ ص ٢١٦

هذا أوسط وهو أن سبب ضوئه من الشمس . . . والفكرة حركة ذهن
الإنسان نعتو المبادئ للمطلب ليرجع منها الى المطلب « (١٢) .

ويروي لنا المسعودي في الموضوع أن الواثق بالله العباسي
سأل من حضر مجلسه من العلماء عن الطريق الذي أدرك الإنسان به
الطب . فقال منهم قائل : زعم طوائف من الأطباء أن هذا الطريق
هو التجربة فقط ، وحدوه بأن يتكرر الحس على محسوس واحد في
أحوال متغايرة ، فيوجد بالحس في آخر الأحوال كما يوجد في أولها « (١٣)
ويقول ابن أبي أصيبعة : « أنه قد يكون حصل منها شيء بطريق
الالهام ، كما هو لكثير من الحيوانات . . . فالثور يفرق بين الحشائش
المتشابهة في صورها ، ويعرف ما يوافقه منها فيرعاها ، وما لا يوافقه
فيتركه ، مع نهمه وكثرة أكله وبلادة ذهنه » (١٤) . ويضيف « وبالجمل
فانه قد يكون من هذا وما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادفة أكثر ما
حصلوه من هذه الصناعة » .

وهنا إشارة مهمة لما للصدفة والاتفاق من قيمة في
الاكتشاف العلمي .

ويواصل ابن أبي أصيبعة قائلا : « ثم تكاثر ذلك بينهم وعضده
القياس بحسب ما شهدوه وأدته اليه فطرحهم ؛ ثم أنهم تأملوا ما
حصل لهم من الأشياء الكثيرة واستخرجوا عللها ، والمناسبات التي
بينها فتحصّل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادئ منها يبتدي بالتعلم
والتعليم » . ويصنف ابن سينا النفس العاقلة مراتب تختص بميزات
مختلفة ، فهي أولاً مستعدة لقبول الصور العقلية ، وتسمى اذن العقل
الهيولاني ، ثم هي تحصل فيها التصورات والتصديقات البديهية ، وهذه

(١٢) شفاء ، المنطق ٢٥٩

(١٣) بروج الذهب ، ج ٤ ص ٣٠ ط مصر

(١٤) عيون الأنباء ج ١ ص ٢٦

مرتبة العقل بالملكة .

وننتقل من هذه المبادئ والمقدمات الى المطالب الفكرية
البرهانية، وتصر العقل بالفعل، ثم تكون الصورة العقلية حاضرة
بالفعل بنعم صاحبها بالنظر اليها ، وهي العقل المستفاد، وهي عقل
النفس القدسية التي ترتقي الى منزلة العارفين والصادقين .

والى هذه المعاني يرمي ابن سينا حين يقول :

هَضَبُ النَفْسِ بِالْعُلُومِ لَتَرْقَى وَذَرِ الْكُلَ فَهِيَ لِلْكَلِّ بَيْتٌ
أَمَّا النَفْسُ كَالزَّجَاجَةِ وَالْعُلُومُ مَرَاجُ ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ زَيْتٌ
فَإِذَا أَشْرَقَتْ فَانَكَ حَيٌّ وَإِذَا أَظْلَمَتْ فَانَكَ مَيِّتٌ

فيرى ابن سينا أن « العملية العقلية لا بد منها لتكتسب النفس
ملكة الاتصال بالعقل الفعال ؛ فهي في الواقع ليست سببا مباشرا
للمعرفة ، وانما هي صقال للنفس فقط . واما المعرفة ذاتها فهي
فيض، او اذا شئت فقل : انطباع في النفوس المجلوة المتهيئة للارتسام ،
وهذا يشمل سائر المعارف حتى المعقولات الاولى ؛ فحصلها فيض
علوي ونور الهي (وفي الخلاصة) اذن فالجسم لا بد منه للعملية
العقلية ، التي لا بد منها لصقل النفس ، الذي لا بد منه للاتصال
بالعقل الفعال وادراك المعارف منه ... » وفكرة الاتصال بالملأ
الاعلى ، ليست عند ابن سينا مستمدة من الفلسفة الافلاطونية ؛ بل
هذا القرآن بين يديه مفعم بقصص الانبياء وبأخبار الرسل الذين
اتصلوا بالله سبحانه ؛ وفي القرآن قصة العبد الصالح الذي آتاه
الله من لدنه علما ... » ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء .

فالنفس والجسد في مبدأ أمرهما مرتبطان زمنيا ، والنفس مغايرة
للبدن، وهي جوهر روحي مجرد ، تتأثر في ملكاتها الخلقية بالجسد،
والنفس باقية بعد انحلال البدن ، فاذا ما فارقت وزالت عنها العوائق
المادية وانسأقت الى أسواقها ، الى الكمالات ، فهي تتصل بالفيض
الالهى . وذلك الشأن بالنسبة الى العارفين المنتزهين ، « فاذا وضع

عنهم درن مقارنة البدن وانفكوا عن الشواغل ، خلصوا الى عالم
القدس والسعادة ، وانتقشوا بالكمال الاعلى ، وحصلت لهم اللذة
العليا « (١٥) .

ويرفع ابو نصر الفارابي الدعوات في هذا الشأن الى الله ،
جلّ وعلا، مبتهلا بقوله : « امنحني فيضا من العقل الفعال ، يا ذا
الجلال والامضال ؛ هذب نفسي بانوار الحكمة ، واوزعني شكر ما
اولبنتني من نعمة ؛ ارني الحق حقا والهمني اتباعه ، والباطل باطلا
واحرمني اعتقاده واستماعه ؛ هذب نفسي من طينة الهيولي ، انك
انت العلة الاولى ، (الكامل) :

هذب بفيض منك ربّ الكل من كدر الطبيعة والعناصر عنصري
... واطلع على ظلماء (نفسي) شمسا من العقل الفعال ،
وامبط عنها ظلمات الجهل والضلال . واجعل ما في قواها بالقنوة
كامنا بالفعل ، واخرجها من ظلمات الجهل الى نور الحكمة وضياء
العقل ... » (١٦) وهذا ابن الهيثم عند وصفه لطريقته في البحث
العلمي وبعد عرضه لما تحلّى به من الصبر والتحفظ والنقد والتريث ،
يتوجه في البدء والنهاية الى قوة متسامية ، لتمتد رعايتها على كافة
الخلق ، يسألها الهداية والعون والتوفيق : « وما نحن مع جميع ذلك
برآء مما هو في طبيعة الانسان من كدر البشرية ، ولكننا نجتهد بقدر
ما هو لنا من القوة الانسانية ، ومن الله نستمد المعونة في جميع
الامور » .

فهو العالم الحق ، العامل المجتهد ، الطموح المتواضع ، العارف
حق المعرفة بمنزلة البشرية وحدودها ، المؤمن بأن لا هادي لمن
لم يهده الله .

(١٥) الاشارات ج ٢ ص ١٩٦

(١٦) عيون الانبياء ج ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٩

فالمعلم في نظره جَدّ وطلب من جهة ، وحُدس والهام من جهة
أخرى، وهو نور يقذفه الله في أفئدة من اصطفى من عباده ، شارحا
صدورهم كاشفا لهم الخفايا والاسرار .

« فإذا ثبت هذا وجاز أن يكون في الناس عالم ومتعلم، وإمام
ومأموم، وأن تكون فيهم مراتب ودرجات، جاز أن يختص الله بحكمته
ورحمته قوما ويصطفيه من خلقه، ويجعلهم رسلا اليهم ويؤيدهم،
ويفضلهم بالنبوة ويعلمهم بوحى منه ما ليس في وسع البشر (أن
يعلموه ليعلموا الناس ويرشدوهم الى ما فيه صلاح امورهم دنيا
ودنيا) » (١٧) .

ويؤاخذ البيروني ابا بكر الرازي على كتاب « سر الاسرار »
بعد ما كان متشوقا اليه نيفا واربعين سنة ، ولخص قوله فيه
بالآية الكريمة : (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) .
وللرازي كتاب فيما يرويه من اظهار ما يدعي من عيوب الاولياء .
فيقول ابن ابي اصيبعة في شأنه : « وهذا كتاب ، ان كان قد ألف
والله أعلم ، فربما ان بعض الاثرار المعادين للرازي قد ألفه
ونسبه اليه ليسيء من يرى ذلك الكتاب او يسمع به الظن بالرازي ...
حتى أن بعض من يذم الرازي، بل يكفره، كعلي بن رضوان المصري
(ت ٤٦٠ هـ) (١٨) وغيره يسمون ذلك الكتاب : كتاب الرازي في مخاريق
الانبياء » (١٩) .

ويقول ابن سينا عن محمد بن زكرياء الرازي انه « متكلف

(١٧) من كتاب اعلام النبوة لابي حاتم الرازي في الرد على محمد بن زكريا الرازي
وقد اتهم بانكار النبوة . رسائل الرازي ص ٢٩٩

(١٨) أبو الحسن علي بن رضوان الطبيب المصري ، ينسب اليه « كتاب في الرد على
الرازي في العلم الالهي واثبات الرسل » ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٠٥

(١٩) عيون الانبياء ج ٢ ص ٢٥٩

فضولي في شروحه في الالهيات وتجاوز قدره في بسط الجراح والنظر
في الابوال والبرازات ، لا جرم فضح نفسه وابدى جهله فيما حاوله
ورامسه « (٢٠) .

نفسي الخلاصة ان طلب العلم طموح وشوق للخروج من الحيرة ،
و « لادراك ما به تنكشف تمويه الظنون ، وتنقشع غيابات المشكك
المفتنون » . فكيف يصل الانسان الى اليقين وكيف يقف على الحق
الذي لا يمازجه شك ؟

لا شك ان العقل وسيلة قوية ناجعة « حبانا بها الله لنفال
ونبلغ من المنافع العاجلة والاجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه » ،
والحس منطلق للمعرفة لا بد منه ، والحدس والالهام لهما دور مهم
في سبيل الحق ، والتجربة والرياضة معينان قويان يخرجان نفس الانسان
الى كماله الممكن له في حدي العلم والعمل ...

ولكن من فوق كل ذلك فيض رباني ، والهام من الله يهدي
به من يلهم ، فيوقظ النفس من نومها ، « ويلهمها مجورها وتقواها » (٢١)
ووحى اختص به انبياءه الصديقين ومفضلهم على الناس جميعا ،
وجعلهم أدلة لهم وايمة يقتدون بهم ... فخلصوا الى عالم القدس
والسعادة وانتقشوا بالكمال الاعلى ، وحصلت لهم اللذة العليا ؛ نفوس
كاملة اتصلت بالفيض الالهي عند سدرة المنتهى تحت عرش الرحمان
وفي عالمه الاول : ناظرة الى ذاته (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة) (٢١) .

د. محمد سومي

(٢٠) انظر مقال حسين نصر « مناظرة بين البيروني وابن سينا » ، رسالة اليونسكو ،
جويلية ١٩٧٤ ص ٢٧ - ٢٩ ورسائل الرازي ص ٢٩٠

(٢١) سورة الشمس ، ٨

قصيدة الناشئ الأكبر في مدح النبي ونسبه

للكاتب يوسف بن بكار

أولاً : مخدرات عن الناشئ الأكبر وقصيدته

١ - الناشئ : سيرته ، علمه ، شعره .

- ١ -

الناشئ الأكبر (١) ، هو أبو العباس ، عبد الله بن محمد ، المعروف بابن شرشير (٢) . لُقِّبَ بالناشئ ، لأنه « دخل مجلساً فيه أهل الجدل ، فتكلم فتى حديث السن على مذهب المعتزلة ، فجُودَ وقطع من ناظره ؛ فقام شيخ منهم فقبل رأسه ، وقال : لا أعدمنا الله مثل هذا الناشئ أن يكون فينا ... واستحسن أبو العباس هذا الاسم ، فلقَّب به (٣) » . ولد أبو العباس بالأنبار وفيها نشأ . أقام ببغداد مدة طويلة ، ثم خرج إلى مصر فنزلها إلى أن مات عام ٢٩٣ هـ . زعم المرزباني أن سقوطه ببغداد كان سبب ذهابه إلى مصر ، وادعى أنه « كان متهوِّساً شديد الهوس » ، وقال : « وقد قرأت بعض كتبه ،

(١) وهناك الناشئ الأصغر ، أبو الحسن علي بن عبدالله بن وصيف الحَلَّاء (لاته كان يعمل حلية من النحاس) . ولد عام ٢٧١ وتوفي عام ٣٦٥ أو ٣٦٦ هـ ببغداد . كان متكلماً بارعاً وشاعراً مجيداً خاصة في قصائده في آل البيت

(٢) في الفهرست : المعروف بشرشير . وشرشير طائر يصل إلى الديسار المصرية من البحر في الشتاء ، وهو أكبر من الحمام بقليل

(٣) الفهرست ٢١٧

مغلقي على هوسه واختلاطه ، لانه أخذ نفسه بالخلاف على اهل
المنطق والشعراء والعروضيين (٤) وغيرهم ، ورام أن يحدث لنفسه
اقوالا ينقض بها ما هم عليه ، فسقط ببغداد ، فلجا الى مصر ، فخص
اليها ، واقام بها بقية عمره « (٥) » .

وقد يكون من عوامل تركه بغداد وشخصه الى مصر أيضا
شيعيته (٦) ، ومطاردة الدولة للمتكلمين بعد محنة « خلق القرآن » ،
وثورة الحنابلة على المعتزلة والمتكلمين ، وانتصار المتوكل لاهل السنة ،
وعدائه للمتكلمين والمعتزلة (٧) ، لان ثمة من يقول انه كان معتزليا (٨)
وانه كان ثنويا (٩) . وقد ادرجه ابن النخيم في قائمة رؤساء المتكلمين
الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الزنقة (١٠) . غير أن مدحه الرسول
الاکرم ونظمه نسبه في القصيدة التي نحققها قد يبده نسبة هذه التهم
اليه ، ويلقي ضوءا على تشيعه .

- ٢ -

كان الفاشيء — امثال كثيرين من القدماء — متعدد الجوانب
العلمية والادبية ، وصاحب « عبدة تصانيف جميلة (١١) » . يذكر
القفطي ، وكأنه يرد على المرزباني ومن يشاطره رايه السالف ،

(٤) في البداية والنهاية ١١ : ١٠١ : والفروضيين (بالفاء)

(٥) تاريخ بغداد ١٠ : ٩٢ . ولم اجد عنه شيئا في كتابي المرزباني : « الموشح » و « معجم
الشعراء »

(٦) شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ٤٩٣

(٧) زغلول سلام : ابو العباس الناشيء الاكبر وكتابه في الشعر ، مجلة كلية الاداب —
جامعة الرياض ، المجلد الخامس ، ص ١٧٦

(٨) الفهرست ٢١٧ ، ومقالات الاسلاميين في مواطن عدة

(٩) الفهرست ٢١٧

(١٠) الفهرست ٤٠١

(١١) وفيات الاميان ٣ : ٩١

وينفي تهمة ، ان ابا العباس « كان يعلم العلوم ويتبحر فيها : علم النحو واحكمه ونظر في علله . وهو متكلم ، تبين له بقوة الكلام نقض اصوله منقضها وصنف فيها ، وكذلك العروض ادخل على قواعده شُبهاً ناقضة لها ، ومثله بامثلة غير امثلة الخليل ، واحسن والله في كل ذلك واظهر قسوة ، وكذلك فعل بالكُتب المنطقية . واذا وقف الواقف على تصنيفه وانصف ظهر له الاجتهاد والامتناع ، حتى ان الغير (كذا) منصف ينسبه الى التهوس . وليس الامر كذلك ، وانما هي قسوة وفطنة » (١٢) .

يُستشف من هذا النص ونص المرزباني السابق ، على تفاوتهما في الحكم والتقويم ، ان كانت للناشيء جهود وآثار في النحو والعروض ، والكلام والمنطق . لكن ، مما يؤسف له ، ان ما وصل الينا منها لا يكاد يذكر .

ووصف في النحو والعروض « بالنحوي العروضي » ، وقيل انه اخذ عن سيبويه والافخش ، ثم وضع في النحو « كتابا » ، لكنه مات قبل ان يتمها وتأخذ عنه ، حتى قال المبرد « لو خرج علم الناشيء الى الناس لما تقدمه احد » (١٣) . بيد انه لم يصل الينا شيء من نحوه او عروضه . اما في الكلام والمنطق ، فله نقول مبعثرة في « مقالات الاسلاميين » ، وقطعتان (١٤) نشرهما الدكتور جوزيف . فان . اس . من جامعة توبنجن ، بالمانيا الغربية ، عام ١٩٧١ ضمن منشورات المعهد الالماني للدراسات الشرقية ببيروت .

— ٣ —

وكان الناشيء ناقدا ايضا ، وقد خلف في دنيا النقد كتابا وقصيدتين من « النظم التعليمي » .

(١٢) انباء الرواة ٢ : ١٢٨ ونبات الاميان ٣ : ٩١

(١٣) مراتب النحويين ٨٥ ، والمزهر ٢ : ٤٠٩

(١٤) انظر : احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ص ٦٢ .

أما الكتاب ، مُذَكَّرٌ بأسماء مختلفة ، اذ ذكره التوحيدي باسم « نقد الشعر » واحتفظ منه بمادة طيبة في « بصائره ونخائره » ، وهي التي اعتمدها الدكتور احسان عباس فيما كتبه عن الناشئ في « تاريخ النقد الادبي عند العرب (ص ٦٣ — ٦٦) ؛ وذكره ابن رشيق القيرواني باسم « تفضيل الشعر » وقال انه ذكر فيه اشياء من شعره ، فشكرها ونوّه بها ونبّه عليها ، ومضّ لها على اشعار الفحول من مثل جرير ، وهو ما عدّه عيباً عليه (١٦) . أما أبو اسحق الحصري القيرواني فكان يكتفي في نقله عن الكتاب بقوله « وقال الناشئ في فصل من كتابه في الشعر » و « قال في هذا الكتاب » (١٧) . وقد اعتمد الدكتور محمد زغلول سلام التسمية الاخيرة في مقاله « ابو العباس الناشئ الاكبر وكتابه في الشعر » واماد في كلامه على القسم النقدي منه مما بقيت من نصوصه في « البصائر والنخائر » و « زهر الاداب » . واما القصيدتان النقديتان ، اللتان تَذكران بقصيدة « فن الشعر » لهوراس ، فهما تنميه لمحاولات الناشئ وآرائه النقدية في كتابه ، الاولى في اثنين وعشرين بيتاً مطلعها (١٨) :

لعن الله « صنعة الشعر » ، ماذا . من صنوف الجهال فيها لقينا ؟
والاخرى في ثمانية عشر بيتاً ، اولها (١٩) :

الشعر ما قَوِّمَتْ زَيْغُ صدوره . وشددت بالتهذيب أسر متونه

في القصيدتين مسائل نقدية ، يعضد بعضها ما اثر عنه في كتابه المذكور ، ويلقي بعضها الآخر الضوء على لغات وامور جديدة . وقد كانتا معتمدي في الكشف عن جهود نقدية جديدة للناشئ في

(١٦) المدة ١ : ٢٠١

(١٧) زهر الاداب ٣ : ٦٨٥

(١٨) المدة ٢ : ١١٣ — ١١٤

(١٩) وردت كاملة في : زهر الاداب ٣ : ٦٨٦ — ٦٨٧ ، وذكر ابن رشيق منها اربعة

مشر بيتاً فقط في المدة ٢ : ١١٥ — ١١٦

مقالتي « الناشيء الأكبر نائدا (٢٠) » الذي يعد تنمة لما بداه الدكتور احسان عباس، الذي كان أول من تحدث عن الناشيء نائدا من المعاصرين .

— ٤ —

واما الناشيء الشاعر ، فكان ، فيما يدلنا مؤرخو الادب وما تبقى من شعره ، ناظما وشاعرا ؛ ومن المؤسف انه لا توجد — الى الآن — اية اشارة الى ديوان له . ففي النظم ، هناك تصيدته النقيديتان اللتان مر ذكرهما ، وتصيدة قيل انه نظمها في الكلام او في « فنون العلم » في اربعة آلاف بيت على روي واحد (٢١) . ويجوز ان تسلك تصيدته التي نحن في صدها في نظمه التعليمي ايضا .

اما في الشعر ، فله قصائد ومقطوعات في أكثر فنونه وموضوعاته من مثل : الغزل ومجالس الانس ، والمديح والافتخار ، والهجاء ، وعلم الكلام والافتخار بالتكلمين ، ووصف الطرد والصيد ، ونبه ابن خلكان الى ان للشاعر في الموضوع الاخير اشعارا كثيرة ترسم فيها خطى ابي نواس في طردياته ، وهي تؤلف قدرا كبيرا مما جمعه كشاجم الرمل في « المصايد والمطارد » . واما اشعاره في الموضوعات الاخرى فمبعثرة في مصادر الادب المختلفة ، وقد عُنيت — وما زلت — بجمعها جميعا ، وانني لاتطلع الى ان اوفنق الى الانتهاء منها ونشرها في المستقبل القريب ان شاء الله . ولهذا ، امسك الآن عن الكلام على شعره والتعرض لما للقدامى والمعاصرين فيه من احكام وآراء .

(٢٠) مجلة الانيسب « البيروتية » حزيران ١٩٧٤ ، ص ٢٢ — ٢٦

(٢١) وبيات الاميان ٣ : ٩١ . ويقول الدكتور شوقي ضيف « وربما كانت منها الابيات التي انشدها الحصري له في موضوعات الشعر وصفاته اللفظية والمعنوية (المعصر المباسي الثاني ، ص ٤٩٢) . وهو يقصد قصيدته « النونية » :

الشعر ما قومت زيغ صدوره وشددت بالتهذيب اسر مئونه

٢ - القصيدة وموضوعها

- ١ -

اهتديت الى مخطوط هذه القصيدة صدفية ؛ ففي حين كنت انظر في عدد من المخطوطات في مكتبة المتحف البريطاني بلندن عام ١٩٧٤ ، وقعت عيناى عليها في آخر مجموعة « المثل السائر والحناسة » الخطية (Add,9614,Item III) ، فطلبت تصويرها ، لانني عرفت من خلال صحبتي للناشئ ، وانا اكتب عنه مقالتي « الناشئ الاكبر ناقدا » ، ان له قصيدة في مدح الرسول (ص) ونسبه الشريف .

وعدت الى الشاعر من جديد ، ورحت اتقصى اخباره ثانية ؛ لعلي اظفر بجديد عنه وعن قصيدته ، فوجدت ان بروكلمان اشار الى وجود القصيدة في مكتبة المتحف البريطاني وغيره ، وإن ذكر سهوا أو خطأ انها « ميمية (٢٢) » . وخطر ببالي توا كتاب « المدائح النبوية في الادب العربي » للمرحوم الدكتور زكي مبارك ، فهرعت اليه علني أجدها هناك ، غير أنني لم أقع فيه على أية إشارة عنها أو عن صاحبها . ولا تثريب ، فربما كان الناشئ غير معروف عند زكي مبارك آنذاك ، فانسحب عليه قوله « ولم نرد الاستقصاء ، واما اكتفين بالكلام عن آثار الشعراء الفحول (٢٣) » .

ثم قصدت كتب التاريخ والسيرة خاصة ، فوجدت أن حانظ المغرب أبنا عمر يوسف بن عبد البر القرطبي « ت ٤٦٣ هـ » أول من

(٢٢) تاريخ الادب العربي ٢ : ٢٣٤ (الترجمة العربية) .

(٢٣) المدائح النبوية في الادب العربي ، ص ١٥ - ١٦

أشار إليها وأثبتها في كتابه « الإتياء على قبائل الرواة » (ص ٥٠ - ٥٥) ، ثم تلاه الإمام أبو الغداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) فنقلها عنه (٢٤) وأرجعها في كتابيه : « البداية والنهاية في التاريخ » (الجزء الثاني ، ص ١٩٥ - ١٩٨) و « السيرة النبوية » (الجزء الاول ، ص ٧٧ - ٨١) . ولما قابلت بين القصيدة مخطوطة وبينها مطبوعة فسي المصادر الثلاثة ، بانث لسي اختلافات وتصحيحات كثيرة ، واحسست بحاجتها الى بعض الشروح والتوضيحات . وقد قوت هذه العوامل جميعا عزمي على تحقيق القصيدة ونشرها بالشكل الذي هي عليه الآن .

- ٢ -

يمكن ، بسهولة ، تصنيف القصيدة في قسمين رئيسين :

الاول (١ - ٢٨) في مدح الرسول الاكرم وتعداد مناقبه ، والاشارة الى اخبار نبوته والتبشير بها قبل حدوثها ، وسرد امارات النبوة وآياتها المختلفة ، والاشادة بما احدثته من دوي في المشارق والمغارب .

والآخر (٢٩ - ٧٧) ، في نسب الرسول - عليه السلام - ، وقد بداه بوالده عبد الله ، وختمه بآدم أبي البشر جميعا ، متخطيا بعض الاسماء من سياقه النسب من ولد اسماعيل عليه السلام (٢٥) . وقد ذكر لكل واحد منهم ما امتاز به من صفات ، وتفرّد به من شمائل ، وعُرف عنه من اعمال هامة ، حتى وصف صنيعه في القصيدة بانه

(٢٤) يقول « هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا أبو الحجاج المزي في تهذيبه من شعر الاستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشئ (السيرة النبوية ١ : ٨١) . لكنني لم أوفق في الاهتداء الى تهذيب الشيخ المزي

(٢٥) راجع ، على سبيل المثال ، ما يلي ، ووازن سلسلة النسب فيها بما جاء في القصيدة :

- ١ - ابن هشام : سيرة النبي ١ : ١ - ٩
- ٢ - ابن عبد البر : الإتياء على قبائل الرواة ٤٩ - ٥٠
- ٣ - ابن كثير : السيرة النبوية ١ : ٧٦ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٩٥
- ٤ - ابن حزم : جهرة الاتساب ٧ - ١٢

أحسن نظم للنسب النبوي (٢٦) . هذا القسم ، على ما فيه من نعوت وشمايل ، أدخل في باب « النظم التعليمي » من الاول، وإن كانا لا يخلوان معا من ومضات الشاعرية ولعائنها . وما أحسن ما قوم به ابن كثير القصيدة وصاحبها بكلماته الموجزة : « وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وعلمه وفهمه وحفظه ، وحسن لفظه وإطلاعه واقتداره على نظم النسب الشريف في سلك شعره ، وغوصه على هذه المعاني التي هي جواهر نفيسة من قاموس بحر (٢٧) » .

ثانيا : النص

الحمد لله ، قال في سبط الله ، قال في سبيل الهدى والرشاد ، قال ابو عبيد * : وقد اعتنى الناس بنظم نسب سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأحسن ما جاء في ذلك ما نظمه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي (بالنون والشين المعجمة ، على وزن الماشي) ، وهو أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي الأنباري المعروف بابن شرشير الشاعر * . كان من الشعراء المجيدين ، وهو في طبقة ابن الرومي أبي الحسن علي بن العباس الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٨٣ ، والبحتري أبي عبادة الوليد بن عبيد الشاعر المشهور المتوفى ٢٨٤ . وهو الناشيء الأكبر ، ونصه (من الطويل) :

(٢٦) ابن كثير : السيرة النبوية ١ : ٧٧ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٩٥

(٢٧) ابن كثير : السيرة النبوية ١ : ٨١ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٩٨

(*) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النري القرطبي المالكي ، من أكابر حفاظ الحديث ، وحافظ المغرب المعروف . ولد بقرطبة ، ثم فارقها وجال في غربي الأندلس مدة ، ثم تحول الى شرقيها وسكن بعض مدنه . له عدة مؤلفات ، منها - وهي مطبوعة : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، وبهجة المجالس وأنس المجالس ، والقصد والأتم في التمرين بأصول أنساب العرب والمجم ، والاتباع على قبائل الرواة (وهذا الكتابان مطبوعان في مجلد واحد) .

توفي عام ٤٦٣ هـ بمدينة شاطبة من خمس وتسعين سنة راجع ترجمته في : مقدمة ناشر القصد والام ، والاستيعاب ٤ : ١٩٧٢ (للمحقق علي مصد البجاوي)

(*) في الأصل : شرشر ، خلافا لما في المصادر .

- ١ - مَحَتُ رَسُولُ اللَّهِ ابْنِي بِمَحِهِ
وَمَوْرَ حَظُوظِي مِنْ كَرِيمِ الْمَوَاسِمِ
- ٢ - مَحَتِ أَسْرَهُ نَاقِ الْمَدِيحِ ، مَوْحِدًا
بِأَوْضَائِهِ مِنْ مُبْعِدٍ وَمَقَارِبِ
- ٣ - نَبَتِي تَسَامَى فِي الْمَشَارِقِ نُورُهُ
فَلَا حَتَّ هَوَادِيهِ لِأَهْلِ الْمَقَارِبِ
- ٤ - اِتَّبَعَ بِهِ الْإِنْبَاءُ قَبْلَ مَجِيئِهِ
وَشَاعَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فِي كُلِّ جَانِبِ
- ٥ - وَأَصْبَحَتْ الْكُهُنُ تَهْتَفُ بِاسْمِهِ
وَيُنْفِي بِهِ رُجْمَ الظُّنُونِ الْكَوَانِبِ
- ٦ - وَأَنْطَقَتْ الْأَصْنَامُ نَطَقًا تَبَرَّاتٍ
إِلَى اللَّهِ فِيهِ مِنْ مَقَالِ الْكَاذِبِ
- ٧ - وَقَالَتْ لَاهِلُ الْكُفْرِ قَوْلًا مُبِينًا :
أَتَاكُمْ رَسُولٌ مِنْ لَوْيَ بْنِ غَالِبِ
- ٨ - وَرَأَى اسْتِرَاقُ السَّمْعِ جِنَّ فُزِّلَتْ
مَقَاعِدُهُمْ مِنْهَا رَجُومُ الْكَوَاسِبِ
- ٩ - هَدَانَا إِلَى مَا لَمْ نَكُنْ نَهْتَدِي لَهُ
، لَطُولُ الْعُمَى ، مِنْ وَاضِحَاتِ الْمَذَاهِبِ
- ١٠ - وَجَاءَ بَأْيَاتُ تَبَيَّنَ أَنَّهُمَا
دَلَائِلُ جِبَّارٍ ، مَثِيبُ مَعَارِيبِ

(١) فِي الْإِتْبَاءِ : الْمَأْوِى ، وَفِي السَّيْرِ : الْمَارِبِ

(٢) فِي الْإِتْبَاءِ : مَات . وَفِي الْإِتْبَاءِ وَالسَّيْرِ : مِنْ مَبْعَدِ

(٣) فِي الْإِتْبَاءِ وَالسَّيْرِ : نَبِيَا . وَالرَّيْعُ وَالنَّصَبُ جَائِزَانِ نَحْوِيَا

(٥) فِي الْإِتْبَاءِ وَالسَّيْرِ : وَتَنَفَّى بِهِ رَجْمَ

(٧) فِي الْإِتْبَاءِ وَالسَّيْرِ : أَتَاكُمْ نَبِي

- ١١ - ومنها انشقاق البدر حين تَعَمَّتْ
فُجُوب الضياء منه رؤوس الاخشاب
- ١٢ - ومنها بُيُوعُ الماء بين نباته
وقد عَصِمَ الوَرَادُ قَرَبَ المَشَارِبِ
- ١٣ - فَرَوَى بِهِ جُمًّا غفيرا وانهلست
باعناقته طوعا اكفُ المَذَانِبِ
- ١٤ - وبئرٌ طَفَّتْ بالماء من مَسِّ سُهْمِ
وَمِنْ قَبْلُ لَمْ تَسْمَحْ بِمُذْقَةِ شَارِبِ
- ١٥ - وَضُرْعٌ مُرَاهُ نَاسْتَدَرَّ ، ولم تكن
به ذُرَّةٌ تصفي الى كَفِّ حَالِبِ
- ١٦ - ونطق فصيح من ذراع مبينة
لكيد عَدُوٍّ للعداوة ناصِبِ
- ١٧ - وإخباره بالامر من قبل كونه
وعند مباديه بها في العواقِبِ
- ١٨ - ومن تكلم الآيات وحيّ اتى به
قريب المآتي ، مستجِمَّ العجايبِ

(١١) الأرض الخشاء : الأرض الشديدة اليابسة التي لا تمسك الماء

(١٣) في الابتاه والسيرة : وأسفلت

الجم الغفير : الجماعة الكثيرة من الناس . والمذائب : جمع مذنب ، وهو مسير
الماء من الأرض

(١٤) المذقة : الطائفة من اللبن المزوج بالماء . وأبو مذقة : الذئب

(١٥) مرى الناقة : مسح ضرعها بيده للتمر

(١٧) في الابتاه والسيرة : وعند بوابه

- ١٩ - تقاصرت الأفكار منه ، فلم تُطع
سواه ، ولم تخطر على قلب خاطب
- ٢٠ - حوى كل علم ، واحتوى كل حكمة
وفاق مرام المستر الموارب
- ٢١ - أتنا به ، لا عن روية مرتى
ولا صُحف مُستهل ، ولا وصف كاتب
- ٢٢ - يواتيه طورا في إجابة سائل
واقفاء مُستفت ، ووعظ مخاطب
- ٢٣ - واتيان برهان ، وفرض شرائع
ونص أحاديث ، ونصب مآرب
- ٢٤ - وتصريف أمثال ، وتثبيت حجة
وتعريف ذي جحد ، وتوقيف كاذب
- ٢٥ - وفي مجمع النادى ، وفي حومة الوغى
وعند حديث المضلات الغرايب
- ٢٦ - فباتني على ما شئت من طرقاته
كريم المعاني مستلذ الغرايب
- ٢٧ - يُصدق منه البعض بعضا كأنما
يلاحظ معناه بعين المراقب

(١٩) في الاتباء والسيرة :

تقاصرت الأفكار عنه ، فلم يطع بلينا ، ولم يخطر على قلب خاطب

(٢٠) وارب : خاتل ، خادع

(٢٢) في الاتباء والسيرة : وقص أحاديث

(٢٥) في الاتباء والسيرة : وعند حدوث

(٢٦) في الاتباء والسيرة : قويم المعاني مستدر الضرائب

- ٢٨ - وَعَجَزُ الْوَرَى عَنْ أَنْ يَجِيئُوا بِمِثْلِ مَا
وَصَفَّاهُ مَعْلُومٌ يَطُولُ التَّجَارِبُ
- ٢٩ - تَأَيَّى بِعَبْدِ اللَّهِ أَكْرَمَ وَالِدِ
نَبْلَجٍ مِنْهُ عَنْ كَرِيمِ الْمَنَاسِبِ
- ٣٠ - وَشَيْبَةُ ذِي الْحَمْدِ الَّذِي نَخَرَتْ بِهِ
قَرِيشٌ عَلَى أَهْلِ الْعِلَّا وَالْمَنَاصِبِ
- ٣١ - وَمَنْ كَانَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
وَيُضَدَّرُ عَنْ آرَائِهِ فِي النُّوَاصِبِ
- ٣٢ - وَهَاشِمُ الْبَنَانِي مُشِيدُ افْتِخَارِهِ
بُغْرُ الْمَسَاعِي ، وَابْتِذَالُ الْمَوَاهِبِ
- ٣٣ - وَعَبْدُ مَنَافٍ ، وَهُوَ عَلَّمَ قَوْمَهُ أَنَّ
بَسَاطَ الْإِمَانِي وَاحْتِكَامِ الرِّغَايِبِ
- ٣٤ - وَإِنَّ قَصَبًا مِنْ كِرَامِ غِرَاسِهِ
لَفِي مُنْهَلٍ لَمْ يَدْنُ مِنْ كَفِّ قَاضِبِ
- ٣٥ - بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقِبَائِلَ بَعْدِيًّا
تَقَسَّيَهَا بَتُّ الْإِكْفِ السَّوَالِبِ
- ٣٦ - وَحَلَّ كِلَابٌ مِنْ ذُرَى الْمَجْدِ مَعْقِلًا
تَقَاصَّرَ عَنْهُ كُلُّ دَانَ وَعِازِبِ

(٣٠) شَيْبَةُ : هُوَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَلَدُ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ

(٣١) فِي الْإِنْبَاءِ وَالسِّيَرَةِ : فِي النُّوَائِبِ

(٣٢) فِي الْإِنْبَاءِ وَالسِّيَرَةِ : وَامْتِنَانُ الْمَوَاهِبِ

(٣٣) فِي الْإِنْبَاءِ وَالسِّيَرَةِ : اسْتِنْفَاطُ الْإِمَانِي

(٣٤) فِي الْإِنْبَاءِ وَالسِّيَرَةِ : مِنْ كَرِيمٍ . الْقَاضِبُ : الْفَارَسُ

(٣٥) فِي الْإِنْبَاءِ وَالسِّيَرَةِ : نَهَبَ الْإِكْفِ

(٣٦) فِي الْإِنْبَاءِ وَالسِّيَرَةِ : دَانَ وَغَائِبِ

٣٧ - وَثَرَةٌ لَمْ يَحُلْ مَرِيرَةٌ عَزَمَهُ

سفاه سفيه او محوبة حبيب

٣٨ - وَكَمَبٌ عَلَا عَنْ طَالِبِ الْمَجْدِ كَمَبُهُ

فقال باعلى السعي اعلى المراتب

٣٩ - وَالْوَى لَوَى بِالْعُدَاةِ فطَوَّعَتْ

له هُمُّ الشُّمِّ الْأَنْوَفِ الْاِغَالِيبِ

٤٠ - وَفِي غَالِبٍ بَأْسٌ أَتَى النَّاسَ دُونَهُمْ

يدافع عنهم كلُّ قرن مغالـيب

٤١ - وَكَانَتْ لِفَهْرٍ فِي قَرِيشٍ خُطَابَةٌ

يعوذ بها عند افتخار المخاطـب

٤٢ - وَمَا زَالَ مِنْهُمْ مَا لَكَ خَيْرٌ مَالِكٍ

واكرم مصحوب ، وانجد صاحب

٤٣ - وَلِلنَّضْرِ طَوْلٌ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ

يجيب الى ضوء النجوم الثواقـب

٤٤ - لِعَمْرِي لَقَدْ أَبْدَى كِنَانَةَ قَبْلِهِ

محاسن تابى ان تطوع لغالـيب

٤٥ - وَمَنْ قَبْلِهِ أَبْقَى خُزَيْمَةَ حَمْدَهُ

تليد تراث عن طريف الاقارب

(٣٧) في الاصل : تحلل (بالفاء) . والحائب : الائم

(٣٨) في الانباه والسيرة : بأدنى السعي

(٤٠) في الانباه والسيرة : بأس ابى البأس دونهم ، وهو تحريف

(٤١) في الانباه والسيرة : عند اشتجار

يعوذ : يلجأ ، يعتصم

(٤٢) في الانباه والسيرة : واكرم صاحب

(٤٣) في الانباه والسيرة : * بحيث التقى ضوء النجوم الثواقب *

والطول (بسكون الواو) : الفضل والقدرة والسعة والعلو

(٤٥) في الانباه والسيرة : حميد الاقارب

٤٦ - وَمُحَرِّكَةٌ لَمْ يُدْرِكْ النَّاسُ مِثْلَهُ
أَمَفٌ وَأَقْنَى عَنْ ذَنْبِي الْمَكْشُوبِ

٤٧ - وَإِلْيَاسَ كَانَ الْيَاسَ مِنْهُ مَقَارِنًا
لَاعْدَائِهِ قَبْلَ اعْتِدَادِ الْكَثَائِبِ

٤٨ - وَفِي مُضَرٍ يُسْتَجْمَعُ الْفَخْرُ كُلُّهُ
إِذَا اعْتَرَفْتَ يَوْمًا زُخُوفَ الْمَنَاقِبِ

٤٩ - وَحَلَّ نِزَارٌ مِنْ رِيَاسَةِ أَهْلِهِ
مَحَلًّا تَسَامَى عَنْ عِيُونِ الرُّوَاقِبِ

٥٠ - وَكَانَ مَعْدَةً عُدَّةً لَوَلِيَّهِ
إِذَا خَافَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ الْمَحَارِبِ

٥١ - وَمَا زَالَ عَدْنَانٌ إِذَا عُدَّ فَضْلُهُ
تَوَحَّدَ فِيهِ عَنْ قَرِيبٍ وَصَاحِبِ

٥٢ - وَإِذَا تَأَدَّى الْفَضْلُ فِيهِ لِفَائِدَةٍ
وَارِثِ حَوَاهِ عَنْ قُرُومِ أَشْأَابِ

٥٣ - وَفِي أَدَدِ حُكْمٍ تَزِينُ فِي جِبَا
إِذَا الْحُكْمُ أَزْهَاهُ فُطُورُ الْحَوَاجِبِ

٥٤ - وَمَا زَالَ يَسْتَعْلِي هُمَيْسَعٌ بِالْعُمَلَا
وَيَتَّبِعُ آمَالَ الْبَعِيدِ الْمَرَاغِبِ

(٤٦) في الانتباه والسيرة : أمف وأقنى

(٤٨) في الانتباه والسيرة : * إذا اعتزكت يوما زخوف المناقب *
اعترف : صبر . المناقب : جمع منقاب ، الطائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين

(٥١) في الانتباه والسيرة : من قرين (بالنون) . وتوحد : انفرد

(٥٢) في الانتباه والسيرة : أشايب

(٥٣) في الانتباه والسيرة : تزين بالحجا ، وقطوب الحواجب

- ٥٥ - وَنَبَتْ بَنَتْهُ دُوْحَةُ الْعَزِّ ، وَابْتَنَى
مَعَاظِلَهُ مِنْ مُشْمَخَرٍّ الْاَهَاضِبِ
- ٥٦ - وَحَبِزَتْ لِقَبْدَارٍ سَمَاحَةً حَاتِمِ
وَحِكْمَةً لَقَمَانِ ، وَهَمَّةٌ حَاجِبِ
- ٥٧ - هُمْ نَسْلُ اسْمَاعِيلَ صَادِقٍ وَعُدِهِ
فَمَا بَعْدَهُ فِي الْفَخْرِ مَسْمَى لِذَاهِبِ
- ٥٨ - وَكَانَ خَلِيلُ اللَّهِ أَكْرَمُ مِنْ عُنْتِ
لَهُ الْأَرْضُ ، مِنْ مَاشٍ عَلَيْهَا وَرَاكِبِ
- ٥٩ - وَتَارَحَ مَا زَالَتْ لَهُ أَرْحَبِيَّةُ
تَبَيَّنَ مِنْهُ عَنْ حَمِيدِ الضَّرَائِبِ
- ٦٠ - وَنَاحُورُ بَحْرٍ ، وَالْعِدَا خَضَعَتْ لَهُ
بِأَشْيَاءَ لَمَّا يُحْصَاهَا عُدُّ حَاسِبِ
- ٦١ - وَسَارُوعُ فِي الْهَيْجَاءِ ضَيْغُمُ غَابَةِ
يُقَدُّ الْكَلَى بِالْمَرْهَفَاتِ الْقَوَاضِبِ
- ٦٢ - وَأَرْغُو قَنَاءَةً فِي الْحُرُوبِ مُحَكَّمِ
ضُنَيْنٍ عَلَى نَفْسِ الْمُشْحِ الْمَغَالِبِ

(٥٥) فِي الْإِتْبَاءِ وَالسَّيْرِ : فِي مُشْمَخَرٍّ . وَمُشْمَخَرٌّ : مَرْتَعٌ

(٥٦) فِي الْإِتْبَاءِ وَالسَّيْرِ : لِقَبْدَارٍ (بِالْدَالِ الْمَجْمُوعَةِ)

(٥٨) عُنْتٌ : خَضَعَتْ وَذَلَّتْ

(٥٩) تَارَحَ : وَالِدُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، وَيُقَالُ هُوَ آزَرُ بْنُ نَاحُورَ

(٦٠) فِي الْإِتْبَاءِ وَالسَّيْرِ :

وَنَاحُورُ نَحَّارُ الْعَدَى ، حُفِنَتْ لَهُ مَآثِرُ لَمَّا يُحْصَاهَا مَدُّ حَاسِبِ

(٦١) فِي الْإِتْبَاءِ وَالسَّيْرِ : وَأَشْرَعَ يَقْدُ الطَّلَا (بِالطَّاءِ) . وَالطَّلَى : الْإِمْتِنَاقُ أَوْ
أَصُولُهَا . وَقِيلَ : سَارُوعُ (بِالْفَيْنِ الْمَجْمُوعَةِ) ، وَهُوَ شَارُوعُ بْنُ أَرْغُو

(٦٢) فِي الْإِتْبَاءِ وَالسَّيْرِ : وَأَرْغُو نَابٍ . وَقَنَاءَةٌ فِي الْأَصْلِ : قَنَاتٌ (بِالتَّاءِ الْمُنْفُوتَةِ)

- ٦٣ - وما فالخ في فضله تَلَو قومه
ولا عابِر من دونهم في المراتب
- ٦٤ - وشالِح وأُفخِشِد وسام سَمِت بهم
سجايَا حَمَتَهُم كُلَّ زَارٍ وعابِر
- ٦٥ - وما زال نُوحٌ عند ذي العرش فاضلا
يَعَدُّهُ في المصطَفين الاطايِب
- ٦٦ - وَلَمَّا ابوه كان في الروع رائضا
جريئا على نفس الكمي المضارب
- ٦٧ - ومن قبل لَمَّا لم يزل مُتَوَشِّلِح
يذود العدا بالذائدات الشواذب
- ٦٨ - وكانت لادريس النبي منازل
من الله ، لم يُعَزَز بهمة راغب
- ٦٩ - ويادرُ بحرٌ عند أهل سماته
أبى الخزايا ، مستدقُ المذاهب

(٦٣) فالخ : هو فالخ بن عابر ، وعابر : هو عابر بن شالِح

(٦٤) في الاصل : وشالِح . والتصحيح من الانتباه والسيرة ، وهو مطابق لما في كتب الانتساب

(٦٥) في الاصل : تَعَدُّهُ

(٦٦) في الانتباه والسيرة : رائعا ، وهو تحريف . ورجل رائض : صلب عسر

(٦٧) في الانتباه : الشوارب (بالراء) ، وفي السيرة : الشواذب (بالزاي)
الشوذب : الطويل النجيب من كل شيء ، والشواذب (بالزاي) : المضبرات

(٦٨) في الانتباه والسيرة : لم تقرن

(٦٩) في الانتباه والسيرة :

ويادر بحر آل سرائه المآرب
وفي كتب السيرة : يرد ، وهو ابن اخلوح

٧٠ - وكانت لهلايلُ فيهم نضائلُ

مَهْبَةٌ من فاحشات المثالِ

٧١ - وقَيْنَانُ من قبلُ اقتنى مجدَ قومه

وفات بشاو الفضل جدُّ الركائبِ

٧٢ - وكان انوش نائش للمجد نفسه

ونزَّهها عن مُردِيات المطالبِ

٧٣ - وما زال شيكُّ بالفضائل فاضلا

سريًّا بريًّا من نميم المعايِبِ

٧٤ - وكلُّهم من نور آدم اقتبسوا

وعن عوده اجنوا ثمار المناقبِ

٧٥ - وكان رسول الله اكرمُ مُنخبِ

جری في ظهور الطيين المناخبِ

٧٦ - عقاله ، آباؤه ، أمهاته

مِیراة من فاضحات المثالِ

٧٧ - عليه سلام الله في كل شارق

الاح لنا ضوءا ، وفي كل غاربِ

— انتهى —

(٧) في الاتباه والسيرة : * وكانت لهلايلُ فيهم نضائلُ *

(٧١) في الاتباه والسيرة : * وفاد بشاو الفضل وخذ الركائبِ *
وفي كتب السيرة : قاتين ، وهو أبو مهلايل

(٧٢) في الاتباه والسيرة : شريفا بريئا

(٧٥) في الاتباه والسيرة : منجب . . . والمناجب (بالجمع)

(٧٦) في السيرة : * مقابلة آباؤه أمهاته * ، وفي الاتباه : * . . .
وأمهاته * باضافة (واو) يخل بها الوزن .

[illegible]

اهم المصادر والمراجع

١ - المصادر

- التوحيدي ، ابو حيان :
البصائر والذخائر (الجزء الثاني) . تحقيق الدكتور ابراهيم
الكيلاني ، دمشق . دون تاريخ .
- الحمري القيرواني ، ابراهيم بن علي :
زهر الاداب (الجزء الثالث) . تحقيق الدكتور زكي مبارك ،
دار الجيل ، بيروت . الطبعة الرابعة ١٩٧٢ .
- الخطيب البغدادي :
تاريخ بغداد (الجزء العاشر) . مطبعة السعادة بمصر ،
الطبعة الاولى ١٩٣١ .
- ابن خلكان ، شمس الدين :
وفيات الاعيان (الجزء الثالث) . تحقيق الدكتور احسان
عباس . دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .
- ابن رشيقي القيرواني :
العمدة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار
الجيل — بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ .
- السيوطي ، جلال الدين :
المزهر . تحقيق أحمد جاد المولى وزملائه . القاهرة ،
دون تاريخ .
- أبو الطيب اللغوي :
مراتب النحويين . تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٥ .

— ابن عبد البر القرطبي :
الانباء على قبائل الرواة . مطبعة السعادة ، القاهرة . ١٣٥٠ هـ .

— القفطي ، ابو الحسن علي بن يوسف :
انباء الرواة على انباء النحاة (الجزء الثاني) . تحقيق
محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة . ١٩٥٠ .

— ابن كثير ، اسماعيل :
١ — السيرة النبوية (الجزء الاول) ، تحقيق مصطفى عبد
الواحد . البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٤ .
٢ — البداية والنهاية في التاريخ (الجزء الثاني) . مطبعة السعادة .
الطبعة الاولى ١٩٣٢ .

— ابن النديم :
الفهرست . تحقيق محمد رضا تجدد . طهران ١٩٧١ .

٢ — المراجع

— احسان عباس (الدكتور) :
تاريخ النقد الادبي عند العرب . الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧١
بروكلمان ، كارل :

تاريخ الادب العربي (الجزء الثاني) . ترجمة الدكتور عبد
الحليم النجار . دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧ .
— بكار ، يوسف (الدكتور) :

الناسىء الاكبر ناقدا . مجلة الاديب ، بيروت ، حزيران ١٩٧٤ .
— زغلول سلام ، محمد (الدكتور) :

ابو العباس الناسىء الاكبر وكتابه في الشعر . مجلة كلية
الاداب — جامعة الرياض . المجلد الخامس (١٩٧٧ — ١٩٧٨) .

— زكي مبارك (الدكتور) :
الدلائل النبوية في الادب العربي ، البابي الحلبي ،
القاهرة ١٩٣٥ .

— شوقي ضيف (الدكتور) :
العصر العباسي الثاني . دار المعارف بمصر ، الطبعة
الثانية ١٩٧٥ .

تحقيق نسبة كتاب درة التزويل وغرة التأويل للأستاذ عمر العارسي

تنسب بعض المصادر هذا الكتاب لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الاسكاني المتوفى ٤٢٠ هـ ، كما نرى في معجم الأدباء (١) ، لياقوت ، وفي الانتان في علوم القرآن « للسيوطي » ؛ بل ان هذا الكتاب قد طبع مرتين (٢) ، فيما أعلم ، منسوباً إليه أيضاً .

« ونسبة هذا الكتاب الى هذا المصنف بحاجة الى اعادة نظر ؛ ذلك انني وجدته ، وأنا انقب في بحثي هذا ، منسوباً لمصنف آخر ، هو الراغب الاصفهاني ، الحسين بن مفضل بن محمد ، الذي عاش الى اوائل المئة الخامسة ، وذلك بتعديل طفيف أجري على العنوان ليصبح « درة التأويل في متشابه التزويل » (٣) .

وتد رأيت نسبة هذا الكتاب للراغب نسبة صريحة على أغلفة النسخ التالية للمخطوطة وعلى صفحاتها الاولى : —

- ١ — رقم ١٧٦ في مكتبة أسعد أفندي في جامع السلিমانيّة في استانبول .
- ٢ — رقم ٢٥ في مكتبة خسرو باشا في جامع السلिमانيّة في استانبول .
- ٣ — رقم ١٨٠ في مكتبة راغب باشا في استانبول .

(١) مطبعة المأمون ١٨ / ٢١٤ ، ٢١٥

(٢) طبع لأول مرة بمطبعة الخانجي بمصر ١٩٠٨ ، والثانية صدرت عن دار الأفاق الحديثة في بيروت عام ١٩٧٣

(٣) من كلمة نشرت لمدّ هذا البحث في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ١ م ٥١ عام ١٩٧٦

٤ - رقم ١٧٤٨/١/٨٥٠ في مكتبة جامع السلطان أحمد الثالث / طوب
قبوسراي ، باستنبول .

٥ - رقم ١٧٤٩/١/١٨٣٠ في مكتبة جامع السلطان أحمد الثالث / طوب
قبوسراي باستنبول .

٦ - رقم ٧ تفسير . في مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول
العربية بالقاهرة ، والصورة على (الميكروفيلم) عن مخطوط وجد
بالمتحف البريطاني برقم ٥٧٨٤ ورقم ٢٣٤ .

وقد يجري بين هذه النسخ المخطوطة ما يجري بين نسخ المخطوط
الواحد المتعددة ، من اختلاف يسير قد يكون في عنوان او في بعض التراكيب .
من ذلك ، ما نجده هنا ، ان نسخة مكتبة راغب باشا (رقم ١٨٠)
وسّيت باسم « حل متشابهات القرآن » ونسخة مكتبة خسرو باشا
(رقم ٢٥) باسم « تفسير المتشابهات » (٤) ونسخة أخرى باسم « تفسير
القرآن العظيم » (٥) ورابعة باسم « أسرار التأويل وغرة التنزيل » (٦) ،
ولكنها تلتقي في أمرين هامين ، هما النسبة الصريحة للراغب الاصفهاني (٧)
والمادة الاساسية التي يقوم عليها الكتاب من ادارة الفروق الدقيقة
بين الآيات القرآنية المتشابهة الصيغ والتراكيب .

(٤) مخطوط رقم (٢٥) مكتبة خسرو باشا بالسليمانية .

(٥) كما هو مثبت على غلاف مخطوط « الذريعة الى اخلاق (كذا) الشريعة » المنسوبة
للراغب برقم (٧٦٨) بمكتبة ابراهيم باشا بالسليمانية .

(٦) هي النسخة التي تتخذ رقم « ٧ تفسير » في مكتبة معهد المخطوطات التابع للجامعة
العربية

(٧) وينسب للراغب ، أيضا ، بروكلمان (٣ / ٥٠٥ - ٥٠٦ المبسط) ، والاعلام
٢ / ٢٧٩ ويسميه حل متشابهات القرآن ، ودائرة المعارف الاسلامية المجلد
٩ (١ / ٤٧٣) . ومن الغريب أنه معدود من مصنفات الفخر الرازي في كتابه
« النفس والروح وشرح قواها » المطبوع في الهند ١٩٦٨ .

ويقدم القول بصحة هذه النسبة للراغب ، الى جانب هذه
الاشارات ، اشارة الراغب نفسه في بعض مصنفاته اليه ، من جهة ،
واشارته اليه الى بعض كتبه المتواترة نسبتها اليه ، من جهة أخرى .
فهو في مقدمة كتاب « مفردات الفاظ القرآن » يشير اليه في قوله :
« واتبع هذا الكتاب (المفردات) ، ان شاء الله تعالى ونسأ
في الاجل ، يكتب نبيء عن تحقيق الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد
وما بينها من الفروق الغامضة ، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر
بلفظ من الالفاظ المترادفة دون غيره من اخوانه ، نحو ذكره القلب مرة
والفؤاد مرة والصدر مرة ، نحو ذكره تعالى في عقب قصة : « ان مني
ذلك لايات لقوم يؤمنون » ، وفي أخرى ، « لقوم يتفكرون » وفي أخرى
« لقوم يعلمون » ، وفي أخرى ، « لقوم يفتقون » ، وفي أخرى « لاولي
الابصار » وفي أخرى « لذي حجر » ، وفي أخرى « لاولي النهى » ، ونحو
ذلك مما يعدّه من لا يُحقّ الحق ويُبطل الباطل انه باب واحد فيقدر انه
اذا نسر « الحمد لله » بقوله « الشكر لله » و « لا ريب فيه » بـ « لا
شك فيه » فقد نسر القرآن ووفاه التبيان » (٨) .

انه في مقدمة « المفردات » رسم خطة هذا الكتاب « لينبىء عن
تحقيق الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينهما من الفروق
الغامضة » ، اي ليوضح ما بين المفردات من فروق دقيقة يخيل للقارئ
انها مترادفة على معنى واحد ، وذلك كما يمثل للقلب والفؤاد والصدر ،
وكما يمثل للآيات « لقوم يؤمنون » و « لقوم يتفكرون » وقوم يعلمون
ويفتقون ، وأولي الابصار ، وأولي النهى ، وذو حجر » . وهي امثلة
نافذة في ملاحظة الفروق الدقيقة بين الصيغ المتشابهة .

وهو ينجز ما يعد به ، وذلك في الآية (السادسة) في سورة
المائدة قوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »
وبعده « فأولئك هم الظالمون » وبعده « فأولئك هم الفاسقون » (٩) .

(٨) المطبعة الادبية ، القاهرة ١٣٠٦ هـ .

(٩) المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ .

ويضيف « وللسائل ان يسأل فيقول : الموضوع الذي وُصف فيه من لم يحكم بكتاب الله بالكفر هل باين الموضع الذي وُصف فيه من ترك حكم الله بالظلم والفسق » ؛ ثم يأخذ في الاجابة على هذا السؤال للتدليل على ان ثمة فروقا في المعنى بين هذه الآيات .

وكذلك يفعل في المسألة العاشرة من سورة الانعام ، في قوله تعالى : « قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » والآية الثانية بعدها « وقد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » والآية الثالثة « ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » (١٠) .

وكذلك يفعل في مختلف مسائل آيات هذا الكتاب ، فهو يعدد الآيات المتشابهة في السورة او في السور ثم يثير الاسئلة عن الفروق المعنوية بينها ثم يجيب عليها .

اما اشارته في هذا المصنف نفسه ، اي درة التأويل ، الى مصنفاته الاخرى ، فقد وردت في عرضه لما في سورة « الكافرون » : (قل يا ايها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا انتم عابدون ما أعبد . ولا انا عابد ما عبدتم ، ولا انتم عابدون ما أعبد ؛ لكم دينكم ولي دين) من تكرار ، اذ يقول على احدى صفحات مخطوطة « درة التأويل في متشابه التنزيل » :

« ان سال سائل عن التكرار في هذه السورة فالجواب ان يقال انا قد اجبنا في « جامع التفسير » عن ذلك بأجوبة كثيرة ، فنذكر منها واحدا في هذا الموضع ... وينتهي اجابته بقوله : ... فلم يقع تكرار على هذا الوجه الآخر الذي ذكرنا في جامع التفسير » .

وحينما راجعت كتب الخطيب الاسكافي لم أجِد فيها « جامع التفسير » هذا ، بل انه هو تفسير الراغب الموجود في مكتبة اياصوفيا برقم ٢١٢ في استانبول وهو باسم « جامع التفسير » بعينه .

(١٠) الصفحة ١٢٥ من الكتاب المطبوع في بيروت والمذكور في النقطة (٢) منه

ويعمد كل هذا فان نفس الراغب في هذا الكتاب واضح ، ذلك انه يفرق بينه كما هو دونه في احياء اللغة ، فيحدد ما بين التشابهات من تروق تدق على الكثيرين ، ويستخدم الشعر في التمثيل على شرح بعض المعاني . ومن المهم ان نلاحظ ان الاشعار التي ترد عنده هنا قد ترد او يرد بعضها في مصنفاته الاخرى .

ومما يلفت الانتباه ان احدى مخطوطات الكتاب التي تحمل رقم ١٧٤٩ ر/ ١٨٣ (١١) ، يرويها احد الرواة ، ويذكر ان الاسكافي قد املأها :

« قال ابراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن الفرج الاردستاني : هذه المسائل في بيان الايات المتشابهة لفظا بعلام ... املأها ابو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب في القلعة الفخرية » . اي ان مملئها هو الاسكافي ، لكنها مصنفة ، في المكتبة ، من مصنفات الراغب .

وهنا نتساءل عن قول ابن أبي الفرج الاردستاني « ان هذه المسائل قد املأها ابو عبد الله الخطيب » وعن عبارة « املأها » على وجه التحديد ، فقد تعني انه قد املأها على الآخرين من انشائه هو . ومعروف ان الشيخ يملئ كتبه على تلاميذه ، وقد تعني ايضا ، انه قد اجيز باملائها من قبل مبدعها ومنشئها .

فهل يكون ابو عبد الله ، الخطيب الاسكافي ، قد حملها على الراغب واملأها على الناس ؟ وقد توفي الخطيب عام ٤٢٠ للهجرة ، وعرف ان الراغب كان حيا في اوائل المئة الخامسة للهجرة (١٢) . هل املأها الاسكافي بعد ان انتحلها لنفسه ؟ ام نطه اياها آخرون ؟ .

انفسى افترض ذلك على الرغم من ان النصوص لم تسعفنا ، الى هذا الوقت ، بخبر عن لقاء تم بينهما بشكل مباشر او غير مباشر ، وذلك بالنظر لما سبق وبالنظر الى الامور التالية :

(١١) مكتبة السلطان احمد الثالث ، طوب قوسراي باستانبول

(١٢) السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات النحاة ، مطبعة الخانجي ١٢٢٦ م ص ٢٩٦ .

١ - عنوان الكتاب :

نسب الكتاب للراغب باسم « درة التأويل في مثابه التنزيل » في أغلب نسخ مخطوطاته المبينة في بداية هذا الحديث ، وإن كان قد نسب إليه ببعض الاسماء الأخرى ، كما توضح ، إذ ذاك ، أيضا .

وقد يتفق اسم المصنف على هذا النحو مع ما جاء في ذكر الراغب له في مقدمة أحد مصنفاته بقوله « كتاب ينبىء عن تحقيق الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة » فهو تأويل في مثابه التنزيل ، أي في ما نزل متشابها من آي القرآن الكريم . وبذلك يتناسب عنوانه مع مادته أكثر من تناسب العنوان الجديد « درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز » ، الذي نسب للاسكافي ، مع ما في هذا العنوان من طول لم يعرفه القرن الرابع أو القرن الخامس .

ب - مقدمة الكتاب :

لقد قَدِّمَ للكتابين بمقدمة تلتنى كلماتها وتراكيبها في بعض الاسطر ثم لا تلبث أن تختلف . ففي البداية التالية بتدوئ المقدمتان « اعلّموا ، حملة الكتاب الحكيم وحفظة القرآن الكريم ، وفقكم الله لحق علمه بعد حق تلاوته ، وإذا كنتم من (تأويله) ما يشغف قلوبكم بحلّوته ... » . وبعد ذلك تختلفان ، فنقرأ في مخطوطة « درة التأويل في مثابه التنزيل » حديث الراغب عن « خلوة اتفقت له فسطا على وحشتها بالقرآن ، وكانت خلوة عين لا خلوة قلب ، واضطرارا لا عن اختيار » ، في حين نقرأ في الكتاب المطبوع « درة التنزيل وغرة التأويل » عبارات لم نألفها في أحاديث الراغب عن نفسه من مثل قوله « ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقاننا » وقوله « جردت لحرف أشكالها مبردا » إذ قلما تحدّث الراغب بضمير المتكلم ، وإن تحدث فبتواضع العلماء ورزانتهم .

ان هذا في المقدمة في بدايتها يدل ، فيما احسب ، على ان للمصنف صاحبها هو الاول والمصنف الحقيقي ، وأما الاختلاف الجاري فيما بعد ، والذي فيه ما يُعَدُّ عما عرفنا من أخلاق الراغب ، فلملّه يدلّ على وقوع الانتحال فيها ، فيما بعد ؛ ومن هنا جاءت محاولات طبعها بطوابع المنتحلين الجدد لها للمصنف ، بأسره ، بعدها .

ثم ان في بداية المقدمة نفسها ما يحمل على الشك فيها ؛ اذ انها تفتتح على النحو التالي : « الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم ، اما بعد ... » . ان الراغب لا يطيل في افتتاحياته لمقدمات مصنفاته ، فهو لا يزيد عن حمد الله بجملة دعائية قصيرة كقوله « رَبِّ بِرٍّ وَلَا تَعْسُرْ » ، وقوله « حسبنا الله ونعم الوكيل » او امثالها ؛ ثم انه لم يستخدم « اما بعد » ، فيما اعرف ، على الاطلاق ! ولعل هذا ينهض دليلا آخر على ان المقدمة قد دخلها التحوير حينما امتدت الايدي الى المصنف بالانتحال .

ج - رواية الاردستاني :

لعل ما قدم به رواية الكتاب للافتتاحية التي نسبها للاسكافي واقتطفنا بعضها في الفترة السابقة ، لعلها تحمل في نفسها بعض ما يحمل على الشك في صحتها . يقول : « قال ابراهيم بن علي بن محمد ، المعروف بابن الفرج الاردستاني ، رحمه الله ، : هذه المسائل بيان الايات المتشابهة لفظا بأعلام نصبت عليها من المعنى ، أملاها أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله ، الخطيب — رحمه الله تعالى — في القلعة الفخرية املاء لما خلافيها ولم يحضره غيري ممن يسوغ له حمل ما يكتب فيه ويكتب به ، فكتبت عن لفظه المسائل والاجوبة ، وسألته ان يصدرها بخطبة فارتجلها كارتجاله سائر الكلام بعدها ، والله إيعان ويسر وله الحمد » .

ان الراوية — الاردستاني — في هذا التقديم ، يذكر انه لم يحضر الاملاء الا هو ممن يستطيعون حمل الرواية والقيام بأعبائها .

ولا ادري سببا لهذه الحيلة الزائدة في عدم اشارك غيره من الرواة في السماع . وهو بذلك يقرب من خبر الإحداد في الحديث ، ولعله كان اقرب الى الروح العلمية لو ان غيره حضر الاملاء والرواية وشهد بذلك .

ثم انه يروي أن الخطيب قد ارتجل وأملى من حافظته مقدمة الكتاب ، وليس في ذلك غفاسة ، لكنه يروي انه ارتجلها « كارتجاله سائر الكلام بعدها » ، أي انه بذلك ، يكون قد ارتجل مسادة الكتاب كله ؛ وهي ما عبر عنه قبلها « بالاسئلة والاجوبة » ؛ ولعل من يعرف حجم هذا المصنف يجد صعوبة في قبول خبر الاملاء هذا عن طريق الذاكرة والارتجال .

د - التمهيد للمسائل في مسافة الكتاب :

يجد المطالع للمخطوطة ونسخها المنسوبة للراغب، وللكتاب المطبوع منسوبا للخطيب، اختلافًا بينهما في التمهيد للبدء في اظهار الفروق بين الآيات المتشابهة . فلدى التعرض ، مثلا ، لما بين بعض الآيات في سورة الرحمن ، من تشابه في الفواصل ولاظهار عدم التكرار في معاني هذه الفواصل ، يفتتح الراغب حديثه على النحو التالي :

الآية الاولى : قوله تعالى « والسماء رفعها ووضع الميزان ، الا تطغوا في الميزان ، واتيتموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » ... (الآية) ؛ لم أعاد ذكر الميزان ثلاث مرات آخر هذه الآية (١٢) .

أما فيما ينسب لمحمد بن عبد الله ، الخطيب (الأسكافي) ، فالبداية رغم تقاربها الشديد مع هذه البداية، الا انها اصطفت صيغة معينة تستخدمها في كل البدايات ، وتتضح فيما يلي :

الآية الاولى : قوله تعالى : « والسماء رفعها ووضع الميزان ، الا تطغوا في الميزان ، واتيتموا الوزن بالقسط ولا تخسروا

(١٢) أسرار التأويل وغرة التزيل ، للراغب ، مخطوط ، رقم (٧ تفسير) ، بمحمد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية

الميزان ، ، للسائل أن يسأل لم كرر (وفي بعض النسخ من اعادة)
لفظ الميزان ثلاث مرات في اواخر هذه الاي (١٤) .

والصيغة كما يبدو هي « للسائل أن يسأل » فهو يكررها في بعده
شرح كل مسألة بعد ذكر الآيات التي توهم بالتكرار .

والتزام الصيغة الواحدة في التأليف ، إن دل على وحدة الشخصية
المؤلفة ، وعلى ثبات الطريقة في التأليف ، فهو قد يدل ، ايضا ، على
لون من التكلف ولزوم ما لا يلزم .

هـ - مادة الكتاب :

وبعد ، فإن كل ما مر بنا من دلائل على الشك في نسبة كتاب
« درة التأويل في متشابه التنزيل » الذي صنّفه الراغب الاصفهاني ،
لمصنّف آخر ، هو محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي ، كل هذه
الدلائل لا تتأيد الا بحجة اخرى قد تزنها جميعا ، وهي تلك التي تأتي
من مادة الكتاب ونسجه الاساسي .

والواقع أن مقابلة ما يُنسب للراغب من هذا الكتاب بما يُنسب
للخطيب واثباته هنا لن يعدو اثبات النص الواحد مرتين (١٥) ، لا اختلاف
بينهما الا ما عرضنا له في التمهيد لمسائل الكتاب ، من التزام الخطيب
بصيغة « للسائل أن يسأل » وعدم التزام الراغب لصيغة معينة . وربما
لحق أعمال الراغب ، في هذا الكتاب ، بعض الحذف ، فبدت بعض
المسائل في بعض السور أقل مما كانت .

(١٤) « درة التنزيل و غرة التأويل » المنسوب للخطيب الاسكافي رقم (١٢٣) تفسير ، محمد
المخطوطات ، وكذلك في الكتاب المطبوع بهذا الاسم ، من دار الإمام البيرونية
ص ٢٦١ . أما المخطوطات السابقة فهي مرقمة الصلحات .

(١٥) ولسهولة التأكد من ذلك يمكن المقابلة بين المخطوطتين المذكورتين في الهامش السابق ،
وهما رقم (٧) تفسير (ورقم ١٢٣) تفسير في معهد المخطوطات التابع
للجامعة العربية .

والأطراف ، بعد هذا كله ، أن نأخذ كتاب الراغب أو منتحله
قد غفل أن يحذف منه ما يدمغه بعمله هذا دمجاً ، حينما نسي أن
يسقط الإشارة إلى « جامع التفسير » (١٦) التي يشير الراغب بها
في كتابه هذا « درة التأويل في مثابه التنزيل » إلى تفسيره الذي يحدثنا
عنه في مكانه من آثاره .

(١٦) وهو ما ذكرنا أنه ورد في سورة (الكافرون) في الكتاب الذي نحاول تصحيح
النسبة إلى مبنية .

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الخامسة والأربعين

للكاتب **عزاف الطيب**
(مجمع دمشق)

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والأربعين ، في المدة الواقعة من تاريخ التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول الموافق الحادي والعشرين من شباط (فبراير) حتى الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق للثاني عشر من آذار « مارس سنة ١٩٧٩ م ؛ وعُقد خلالها ، كمعاداته ، تسع جلسات علمية ، إضافة الى جلستي الافتتاح والختام .

وفي ما يلي عرض موجز لباحث المؤتمر ومقرراته ، مع تسجيل كامل للتوصيات والقرارات التي اتخذها في جلسته الختامية :

أولا : جلسة الافتتاح :

عُقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين السادس والعشرين من شباط ١٩٧٩ ، واستمع المؤتمر والمندوبون من رجال الفكر والادب الى كل من :

١ - الدكتور **حسن اسماعيل** ، وزير التعليم والثقافة والبحث العلمي ؛ وقد أشاد في كلمته بالمؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية ، وهو يتصدى لقضايا اللغة العربية ومشكلاتها في العصر الحديث . ثم خاطب المؤتمرين قائلا : « أنتم أطباء اللغة ، تفحصون أدواءها ، وتضعون دواءها ، فإذا باللغة تشفى على أيديكم مما قد يصيبها من

علل أو يعترضها من ضعف ، وإذا بها تنهض وافرحة الصحة والسلامة
والمعنية لتؤدي رسالتها الخالدة في كل مجلات الأدب والعلم والفن .

وختتم السيد الوزير كلمته قائلا : « انتم بكل هذا رادة وقادة
لمسيرة اللغة العربية ، وسوف تستعيد بكم ما كان لهما من مكانة
علمية سامية » .

٢ — الدكتور إبراهيم منكور ، رئيس المجمع ورئيس المؤتمر ،
الذي ضمن كلمته عرضا كاملا لمشكلة تيسير تعليم اللغة العربية مذ
عنيت بها وزارة المعارف المصرية قبل خمسين سنة ، وكوّنت لجنة
من كبار رجال اللغة العربية لمعالجة هذه المشكلة ، فوضعت اللجنة
مقترحات ، ولكن مقترحاتها لم تلقَ ما تستحق من الاهتمام ، إلا من
لجنة الاصول في مجمع اللغة العربية لما احيلت اليها ، وبآخرة من
اتحاد الجامعات العربية الذي عقد سنة ١٩٧٦ ندوة خاصة بالجزائر
حول « تعليم النحو العربي » ، وقد انتهى فيها الى ضرورة تيسير
تعليم العربية ، كما انتهى في ندوة عمان سنة ١٩٧٨ ، الى توصية
المسؤولين عن التعليم بالتوسع في اعداد معلم اللغة العربية اعدادا
علميا وفنيا يكتفه من تحقيق النهضة اللغوية المنشودة .

ثم عرض الاستاذ الرئيس للنحو العربي ، مشيدا بمزاياه ،
ومعتبرا اياه من اهم آثار العقل العربي ، ومؤكدا على انه يتفوق على
اي نحو لاي امة من الامم . ثم قال : ان هذا النحو « في سعته وتعمقه ،
ان لاهم الخاصة ، فانه لا يلانم العامة بحال . . وقد انقضى زمن
ارستقراطية التعلم والتعليم ، واصبحنا نؤمن ونسعى جميعا الى
ديمقراطية التعليم وشعبيته » . ثم دعا مجددا الى العمل المتواصل في
سبيل تيسير تعليم العربية ، لان الجميع يريدون « للعربية السهولة
السليمة ان تكون لغة ابناء العربية جميعا في البيت والمدرسة ، فسي
الحقل والمصنع ، في الديوان والمكتب ، فلنيسرها لهم ، ولنحبها الى
قلوبهم » .

٣ - الدكتور محمد مهدي علام ، أمين الجمع ، وقد تلا مرثيا
مسيها لآعمال مجمع القاهرة ولجانته المتعددة ، وأتى على بيان نتيجة
مسابقة المجمع الأدبية في موضوع « الدكتور محمد كامل حسين :
مفكرا وأديبا » ، ثم سرد ثبثا بالمطبوعات التي تمكن المجمع من نشرها
خلال السنة الجمعية الماضية .

٤ - الدكتور عمر فروخ ، عضو المجمع من لبنان ، مثلا أعضاء
المؤتمر الواقفين اليه من سائر الاقطار العربية ؛ وقد جعل موضوع
كلمته يدور حول العامية واتصارها واساليبهم المتجددة ؛ مذ كانت لهم
في مصر جولة ثم اضحلت ، الى أن جعلوا من لبنان مسرحا لنشاطاتهم ،
وأخر نشاط كان لهم من أيام محدودات ، فقد تمكنوا من دفع جريدة
« النهار » البيروتية الى تخصيص احد اركانها لنشر مقال أو مقالين
بالعامية في موضوع ما ، أو في تبرير (١) تعميد العامية .

ثم عرض نتائج الدعوة الى العامية لدى بعض الدول الاوروبية ،
وكيف أدت الى انقسام الأمة الواحدة والدولة الواحدة الى شعوب
أو دول مستقلة مختلفة اللغات .

ثم حذر العرب من التساهل مع دعاة العامية ، داعيا الى اعادة
النظر في أسلوب تعليم اللغة ، والى العناية باختيار موظفي الاعلام ،
لان أسلوب التعليم الحالي ، اضافة الى لغة وسائل الاعلام الموجهة
الى الجماهير العربية ، مسؤولان الى حد كبير عن ضعف العربية
على السنة كثير من العرب واقلامهم .

وخُتمت الجلسة على أن تُعقد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى
الجمع اللغوي .

(١) في المعجم : بَرَّحَجه : قُبِل ، أما مضعف الفعل فلم يرد ، ولكن مؤخر مجمع
اللغة العربية أقر في دورته الرابعة والثلاثين اجازة التبرير في معنى التسويغ ،
استنادا الى قياسية تضعيف الفعل للتكرار والمبالغة . وقد اثبتت الكلمة
المعجم الوسيط .

ثانيا : المصطلحات العلمية :

درس المؤتمر ونقش ، خلال جلساته اليومية ، المصطلحات العلمية والفنية التي رفعتها اليه اللجان المختصة ، من طريق مجلس الجمع في القاهرة ؛ واطرؤ المؤتمر غلبتها بالاجماع حيناً وبالاكثرية احيانا اخرى ، كما جرى تعديل بعضها او اعادته الى اللجان المختصة لاستيفاء دراسته .

وبلغ عدد المصطلحات التي نظر فيها المؤتمر ٨٣٦ ، موزعة بين العلوم والفنون التالية :

١ - ١٥٨ مصطلحا في الفيزياء (الفيزيكا)

ب - ٨٨ مصطلحا في النبات .

ج - ١٤٩ مصطلحا في الكيمياء والصيدلة .

د - ١٠٨ مصطلحات في علم المياحيات (الهيدرولوجيا) .

هـ - ٨٦ مصطلحا في الجيولوجية .

و - ١٠٤ مصطلحات في علم التربية .

ز - ٨٥ مصطلحا من الفاظ الحضارة (التربية الرياضية) .

ح - ٥٨ مصطلحا في الفنون .

ثالثا : البحوث والدراسات :

استمع المؤتمر ، خلال مدة انعقاد المؤتمر ، الى عدد من البحوث والدراسات التي اقامها الاعضاء ، مناقشين ما ورد فيها او معلقين عليه . وفي ما يلي عرض موجز لتلك البحوث والدراسات ، مع اهم ما دار حولها من مناقشات او تعليقات :

١ - فجر الاعلام في اللغة العربية : بحث القاه الدكتور عمر فروخ ، عضو الجمع من لبنان ، تحدث فيه عن المفهوم المعاصر للاعلام ،

وعن الدور الذي يؤديه في توجيه الجماهير وتزويدهم بالمعلومات التي تخدم مجتمعا أو دولة ما ، أو أي فكرة معينة تُسخر أجهزة اعلامية لبثها بين الناس ، هذا دون تنبذ ببسط الحقيقة المجردة ، أو التزام بالصدق الكامل عند عرض المعلومات .

ثم عرض الباحث لفكرة الاعلام عند العرب في الجاهلية ، واستخدامهم الشعر في سبيل ذلك ، ثم بين تطور فكرة الاعلام في صدر الاسلام ، والهدف الذي كان يرمي اليه ، واتى على مجموعة الالفاظ التي وردت في القرآن الكريم والحديث تحمل معنى الاعلام ، مع تحديد معنى كل منها ، مقارنة ذلك بمفهوم الاعلام في العصر الحديث .

وأشار البحث تعليقات عديدة (١) ، حول صحة بعض الالفاظ التي وردت فيه لبيان اثرها في نفوس سامعيها ؛ فعلق الاستاذ عباس حسن على كلمتي « توافر » و « تواجد » ، مؤكدا صحتهما على انهما مزيدتان من الثلاثي ، وان لم تردا في المعاجم ؛ اما جملة « ما أخذ بالقوة لا يُستردّ الا بالقوة » التي غمز الباحث من آثارها الاعلامية ، فقال عنها : « انا اعتبرها حكمة بارعة جليلة الشأن في استتارة هم الناس لاسترداد ما أخذ منهم » .

وعلق الاستاذ محمد شوقي أمين ، بعد شكر الباحث ، بقوله : « ان وُضِم بعض الالفاظ بالغربة عن العربية فيه نظر ، ومنها لفظة « تواجد » ، فانا ارى ان استعمالها لجماعة من الناس ، مقبول لفظة ، مثلها مثل « تكاثر وتناسل » ، اي اذا كان المقصود بها اشتراك جماعة في « الوجود » . وأما قولهم : تواجد فلان ، وكان لوحده ، فلا ارى له وجهاً ، وكذلك كلمة توافر » .

(١) . اجاز المؤثر في دورته الثالثة والاربعين كلمة « عديد ومعديدة » بمعنى « كثير وكثير » واستكمال المادة اللغوية في المعجم

٢ — محمد رسول الله : قصيدة القاها الدكتور حسن علي إبراهيم
استاذ الجراحة في كلية الطب وعضو المجمع من مصر ، أوجز فيها
سيرة الرسول الاعظم (ص) في ١٢٤ بيتا استهلها بقوله :

ما نبت شوقا لجرانٍ بذى سلم
ولا ارتقت لفكر البان والمسلم

وما ابحت لريم القاع سفك دمي
في الاشهر الجلل او في الاشهر الحرم

وسيدي المصطفى ارجو شفاعة
وهو الشفيع لنا من زلة القدم

جاء الحياة يتيما قبل مولده
وفي الطفولة عانى شقوة اللطم

السي ان يقول :

هب الرسول بجيش جفل لجب
لفتح مكة فتحا غير منمرم

القوا السلاح وما استطاعوا مقاومة
من ذا يقاوم زحف العجر في الظلم

ما جاء مكة تنكيلا بمن كفروا
بل جاء للهدى والغفران والحرم

مغتال حمزة غدرا نال مقبرة
وهند اكلة الاكباد لم تسلم

ثم اختتمها قائلا :

وفي المدينة زر قبر الرسول ولا
تسبك عن الذم من هام ومنسجم

هناك من في الثرى نهجاً وموعظة
وقل هذا طريق الحق فاستقم

واطلب من الله رضواناً ومغفرة
ان الخطايا لدى الرحمن كاللحم

سألتك العفو، ربي، انني بشر
جَمُ الذنوب وانت الواسع الكرم

وقدم المؤتمرون للشاعر الكبير والجراح العظيم تهانيم على
شاعريته . وتصيفته تُعَدُّ بحق من الروائع ، فضلا عن انها تضم
سيرة عطرة متكاملة ، على صاحبها افضل السلام والتحية .

٣ - اللغة العربية ووسائل الاعلام : بحث القاه الاستاذ حسن
عبد الله القرشي ، عضو المجمع المراسل من المملكة العربية السعودية ،
وعرض فيه لمزايا اللغة العربية وسعتها ، ولوسائل الاعلام الحديثة
واثرها في الجوامير ، داعيا الى العمل على جعلها في خدمة الفصحى
وتوحيد اللهجات المتعددة ؛ وهذا لا يكون الا اذا احسن اعداد البرامج ،
وتم اختيار المذيعين من ذوي الكفايات العالية ؛ مشيرا الى المساويء
التي تنجم عن وسائل الاعلام كلما انتقد فيها احد الشرطين الملح
اليها ، فضلا عن انتقادهما معا .

٤ - قبل يكون .. ، وقبل ان يكون .. في النثر والشعر : بحث
طريف القاه الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، عضو المجمع من مصر ،
وعرض فيه لبديوان الشاعر المصري تميم بن المعز الفاطمي ، وقد وجد
فيه ظاهرة لغوية مستغربة : فالشاعر يحذف (ان) المصدرية بعد (قبل)
في كثير من شعره ، مما دفعه الى تتبع هذه الظاهرة عند غيره من
الشعراء والكتاب ، فوجدها عند عدد منهم ؛ والشاعر فيهم قد يلجأ
اليها مضطرا ، وقد يكررها في شعره دون ضرورة ؛ لذلك فهي
جديرة بالدراسة والتتبع لمعرفة الدافع اليها .

واستشهد الباحث بما وجدته عند بعض الشعراء ، أمثال : ابن
حيوس ، من القدامى ، وإيليا أبو ماضي وزكي تنصل من المعاصرين ،
كما وجدها في كتاب « الرسالة » للإمام الشافعي . وأشار أخيراً إلى أن
العامية في مصر ، يحذفون في كلامهم (أن) بعد (قبل) غير أنهم يضعون
لفظ (ما) بدلا عنها ، فيقولون : « قبل ما روح وقبل ما نام » .

وجرت تعليقات كثيرة على البحث ، كان أهمها تعليق الاستاذ
عباس حسن ، فقد قال : ان لفظة (قبل) في اللغة تضاف الى مفرد ، أو
جملة . ثم تسأل عما اذا كانت (قبل) فيما استشهد به الباحث من
المضاف الى مفرد أم الى جملة ، ليصح الحكم بصحة تلك الظاهرة أو
بفسادها .

وعلق الدكتور عمر فروخ متسائلا عما اذا كان الباحث ، وهو
شاعر معروف ، قد لجأ الى حذف (أن) بعد (قبل) في بعض شعره
أم لا ؟ وعلق الدكتور اسحق موسى الحسيني قائلا : ان العوام في
بلاد الشام والعراق يحذفون أيضا (أن) بعد (قبل) ويستخدمون
لفظ (ما) ، مما يستوجب دراسة معمقة لهذه الظاهرة ، وأردف
يقول : إنه يرى أنها قد تكون لهجة من لهجات العرب .

وختمت المناقشات بقول الباحث : ان الظاهرة كانت تصكّ أذنيه
كلما سمعها ، لذلك فقد تجنّبها في شعره . كما أناد بأن بحثه كان
مجرد عرض لهذه الظاهرة ، ولم يكن بحثا لغويا يقرّر جوازها أو
مدم صحتها .

هـ — كفاشة (١) النوادر : بحث القاه الدكتور عبد السلام هارون ،
عضو المجمع من مصر ، وجمع فيه طاقة من الطرائف المستظرفة

(١) في المعجم الوسيط : « الكفاشة : الأوراق تجعل كالدفتر ، تُقَدُّ فيها الفوائد والشواهد
(مولّد) » بينما جاء في متن اللغة : الكفاش : كلمة سريانية (معربة) ، ونقل
البطريق برصوم في كتابه « الألفاظ السريانية المعربة » قول الخفاجي في « الشفاء »
أنها معربة عن السريانية .

والنواذر المستخرية ، اقتطعتها خلال مطالعته في مختلف كتب اللغة والادب ، وكان من اهم ما ورد فيها نظرات نقدية في بعض المعجمات . وفي ما يلي بعض هذه النظرات :

ا - عرب المعجم الوسيط كلمة (صابون) في مادة (ص ب ن) العربية ، وقال انها (دخيلة) بينما قال صاحب القاموس : الصابون : معروف ، مما يدل على قدم الكلمة ؛ فان لم تكن مربية النجار ، فهي على الاقل معربة ، كما قال عنها ابن دريد (٣) .

ب - كلمة (شوربة) حشرها المعجم الوسيط في مادة (ش ر ب) بصيغة (الشربة) وذكر عنها انها (مؤلفة) ، بينما هي فارسية (٣) دخيلة على العربية ، وعربيتها : (الحساء او المرق) . واثار هذا البحث تعليقات طريفة ، من قبل كل من الاساتذة : محمد مهدي علام ، ومحمد عبد الغني حسن ، واسحق موسى الحسيني ، وشوقي ضيف ، ومحمد شوقي أمين .

(٢) في لسان العرب : الصابون الذي تُفَسَّل به الثياب معروف ، قال ابن دريد : ليس من كلام العرب . وعرف صاحب متن اللغة الصابون ونقل قوله ابن دريد ، ثم اردفها بقوله : وقال غيره : هو ما تواضعت عليه الالسنه . وفي « الالفاظ الفارسية المعربة » قال المطران ادي شير : الصابون في الفارسية والتركية والكردية واليونانية والرومية والجرمانية والانكليزية والاطالية والفرنسية والسريانية ، فلا بد ان لغة من هذه اللغات امارت اخواتها هذه اللفظة ، فذهب قوم الى انها فارسية ، وقيل ان اصلها لاتيني ، وقيل انها منسوبة الى مدينة Savon التي مُنِع فيها اول مرة الصابون (كما ذكر القاموس الفرنسي Bescherelle) . ويحتمل ان يكون سرياني الاصل ، فان الصابون مصنوع لتنظيف كل ما وسخ من الثياب وغيرها . هذا وفي المعجمات العربية : صين الشيء : صرته ، واصطنع واتصين الشيء : اتمنصره ؟

(٢) جاء في « الالفاظ الفارسية المعربة » : الشوربة : طعام مائع من الرز واللحم ، تعريب شوربا ومنه : شوربا او جوربا في جميع اللغات الشرقية المعروفة - ويرادفه . Zuppa او Soup في اللغات الأوروبية .

٦ — لَفْظَةُ تَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى الْحُبِّ : قصيدة من عيون شمس

الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، عضو المجمع من مصر ، القاهها معددا فيها مزايا العربية وفضلها ، وبخاصة في جمع الاصدقاء والزملاء على حبها والتعلق بها .

ومما جاء فيها قول الشاعر في تعداد مزايا اللغة العربية :

« بِنْتُ عَدْنَانَ » وَحَدَّثَ مِنْ قَدِيمِ	بَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
لَفْظَةُ تَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى الْحُبِّ	فَتَمْضِي سُوءٌ فِي الْعُرْنِ
رُزِقَتْ دَقَّةُ الْأَدَاءِ فَادَّتْ	كُلَّ مَا فِي الضَّمِيرِ وَالْوَجْدَانِ
كُلُّ مَعْنَى لَهُ عَلَى الْقَدِّ لَفْظٌ	فَهُمَا فِي السَّوَاءِ تَلْتَقِيَانِ
كُلُّ حَرْفٍ يَلْتَفُّ حَوْلَ أَخِيهِ	مِثْلَمَا تَلْتَفُّ فِي الْهَوَىٰ عَاشِقَانِ
يَلْتَقِي يَلْتَقِي بِهَا الْهَمْسُ بِالْجَهْرِ	وَلَطْفُ الْإِسْرَارِ بِالْإِعْلَانِ
تَنْقُلُ الْفِكْرَ فِي بَيَانٍ دَقِيقٍ	— رَبُّ مَكْرِ يَضِيقُ بِالْكُتْمَانِ —
نَهَى فِيهَا مَا فِي الطَّبِيعَةِ مِنْ سِحْرِ	وَمَا فِي الصَّنِيعِ مِنْ إِحْسَانِ

وَحَتَمَ الشَّاعِرُ الْقَصِيدَةَ بِقَوْلِهِ :

إِنَّ مَنْ فُرِّقَ الْعَرُوبَةُ أَرْضًا لَمْ يُفَرِّقْ مَنَا سِوَى الْأَبْدَانِ
نَحْنُ إِنْ نَجْتَمِعُ عَلَى اللُّغَةِ الْفَصْحَى ، سَنَبْقَى فِي وَحْدَةٍ وَكِيَانِ

٧ — مِنْ تَصْرِيفِ الضَّمِيرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : بحث قيس القاه

الاستاذ علي النجدي ناصف ، عضو المجمع من مصر ، حول الضمير العائد الى (الأنعام) في كل من الايتين الكريمتين :

١ — (وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُزَكِّيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) .

٦٦ من سورة النحل

ب - (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) .

٢١ من سورة المؤمنون

٨ - ما معنى يوم التغابن : بحث للدكتور أحمد الحوئي عضو
المجمع من مصر ، عرض فيه مختلف اقوال العلماء في تفسير كلمة ،
(التغابن) الواردة في قوله تعالى :

(يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ٩ من سورة التغابن .

ونفى الباحث ان يكون التغابن من الغبن بمعنى الظلم ،
ورجح قول من قال بان يوم التغابن هو يوم الذهول .

وانار البحث عاصفة من التعليقات اشترك فيها الاسانذة :
عبد الله بن خميس ، ومحمد أحمد سليمان ، وشوقي ضيف . أما
الاستاذ عباس حسن فقد استنكر بعض ما سمع من آراء لان « صيغة
تفاعل تجيء لرؤية الشيء على حاله كما هو ، فحين نقول (التغابن)
فهو يعني رؤية المغبون على حاله في حالة الغبن والظلم الذي وقع
عليه ، بدليل انه محرم عليه ان يغبن غيره ، وعلى هذا فكلية التغابن
يجب ان تفسر بما يتفق مع الدين واللغة » .

وعقب الباحث على الجميع قائلاً : « رايت المفسرين القدماء
والمعاصرين ذهبوا الى ان كلمة التغابن مشتقة من كلمة الغبن
بمعنى الظلم ، وهذا غير صحيح ، ولم يسلم من هذا الخطا الا مجمع
اللغة العربية ، فقد رأى بحصانة في كتابه « معجم الفاظ القرآن الكريم »
بفرد ان عرض ملخص آراء السابقين ، ان كلمة التغابن ما زالت محتاجة
الى مزيد من البيان ، ولعلني بهذا البحث قد قدمت البيان الذي كان

المجمع يتوتمه « (١) .

٩ - اللغة العربية في خدمة علوم الاحياء : بحث للدكتور محمود حافظ ، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه المفاجم الرائدة في علوم الاحياء ، وفضل اصحابها في احياء التراث وتنمية المصطلحات في هذه العلوم الهامة .

وكان مما علق به المؤتمر على البحث قول الدكتور محمد احمد سليمان : « أين أثر مثل هذا البحث الجامع عند العلماء الذين يقومون على التدريس في الجامعات العربية ، وعلوم الاحياء تدرس حتى اليوم في جامعاتنا باللغة الاجنبية ! » .

١٠ - آخر ساجع في الشام : بحث للأستاذ سعيد الانفاني ، عضو المجمع المراسل من سورية ، عرض فيه قصة القضاء على السجع في بلاد الشام ، وكيف تولى ادباء كبار وكتاب معاصرون معركة التنديد بالسجع وبيان مساوئه ، الى أن ساد المرسل في كتابات الادباء والمتأدين ، فضلا على العلماء والمؤرخين .

واشار الباحث الى ذلك الحوار الذي قام في الثلاثينيات (٢)

(١) جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم : « .. والتغابن تغاعل ، وسي به اليوم الآخر ، لنزول سعداء الدنيا فيه منازل الاشقياء ، ونزول اشقياء الدنيا فيه منازل السعداء ، على ان الفين هو الوكس والبخس في البياعات ، من معنى اللين والضعف في مدار المادة ، وأما على أن مدارها الخفاء ، فقيل : يوم التغابن تبدو الاشياء لهم بخلاف مقابيرهم في الدنيا ، وعلى الوجهين فان ما في التفاعل - التغابن - من معنى المشاركة لا يزال يحتاج الى فضل بيان ، ولعل هذا التفاعل والمشاركة تنضج من صنيع القرآن في غير موضع ، اذ يصف ما يكون بين طبقتي المجتمع من مستكبرين ويستضعفين يتبادلون الاتهام بالغبن الخادع أو الخفي للحقيقة ، حين يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : « لولا انتم لكنا مؤمنين » فيقول الذين استكبروا للذين استضعفوا : « انحن صدقناكم عن الهدى بعد ان جاءكم بل كتمم مجرمين » وهذا هو التغابن المتبادل بكل معانيه ، يوم الجمع .

(٢) اجاز مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته التاسعة والثلاثين جمع الفاظ المقود بالالف والفاء مشترطا الحاق ياء النسب بها قبل اداة الجمع .

على صفحات مجلة « الرسالة » بين الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وأمر البيان الأمير شكيب أرسلان في هذا الموضوع ، ثم تكلم عن ظاهرة السجع نُذّة تمثلت في أديب شامي كبير عاش في المهجر الأمريكي ثم عاد الى مستط رأسه ، كان السجع المطبوع يسيل عنوا على قلمه بغير تكلف ، وهو الأستاذ نظير زيتون .

١١ — الفاظ عامية مغربية لها أصل في الفصحى : بحث للأستاذ محمد الفاسي ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه قائمة من كلمات متداولة في عامية أهل المغرب ، كانت في أصلها من الفصحى ، ولكن العامية شوّهت مخارج بعض حروفها أو أبدلت حركته ، مقارنا في عرضه بين عامية المغرب وعاميات أقطار عربية أخرى .

رابعا : المعجم الكبير :

عُرِضَت على المؤتمرين المواد التي أنهى مجلس المجمع دراستها من المعجم الكبير ، وهي المواد المبتدئة من أول حرف الجيم والتاء وما يتلونها الى نهاية حرف الجيم والذال وما يتلونها .

وتداول المؤتمرين في هذه المواد ، وبعد أن استمعوا الى ملاحظات الاعضاء عليها ، ولا سيما ملاحظات الاساتذة : عبد الله بن خميس ، وعبد السلام هارون ، وعدنان الخطيب ، ومحمد أحمد سليمان ، اقروا اعادتها الى اللجنة المختصة لاعادة النظر فيها في ضوء ما قُدِّم من ملاحظات .

خامسا : اعمال لجنة الاصول :

نظر المؤتمرين في اعمال لجنة الاصول التي وافق عليها مجلس مجمع القاهرة ، وكانت كلها مسائل في النحو بهدف تيسير تعليمه للقائفة . وقد انتهى المؤتمرين الى الموافقة على أغلبيتها بالاجماع ، وعلى البقية بالاكثرية ، بعد مناقشات حامية لم يخمد أوارها الا ببيسان أقره الجميع يؤكد ان الموافقة على المسائل المعروضة لا يقصد بها

تعديل القواعد النحوية ، وإنما هي بهدف تيسر تعليم النحو على الناشئة من الطلاب .

أما المسائل النحوية التي تمت الموافقة عليها ، فهي ، كما اقترنها لجنة الأصول ، الآتية :

١ - كان واخواتها

« نرى أغلبية اللجنة الإبقاء على باب كان واخواتها على وضعه المقرر في كتب النحو . ورات الاقلية : أن في ضم الباب الى باب الفعل ، واعراب المنصوب حالا تيسر على الناشئة وتقليل للأبواب المقررة عليهم » .

٢ - كاد واخواتها

« رات أغلبية اللجنة الإبقاء على باب كاد واخواتها على وضعه المقرر في كتب النحو . ورات الاقلية : أن ضم باب كاد واخواتها الى باب الفعل ليسر تناولا واقترب الى اذهان الناشئة من جعلها بابا مستقلا » .

٣ - ما ولا ولات العاملات عمل ليس

« رات أغلبية اللجنة الإبقاء على باب « ما » و « لا » و « لات » العاملات عمل ليس على وضعه المقرر في كتب النحو للناشئة » .

٤ - ظن واخواتها واعلم وارى واخواتها

« تقترح اللجنة وضع باب ظن واعلم وارى في باب الفعل المتعدي ، على أن يكون ذلك خاصا بكتب الناشئة » .

٥ - التنازع

« بعد أن درست اللجنة المذكرات التي قُدمت اليها في موضوع التنازع وصوره ، وبعد أن ناقشت الموضوع ، ترى اللجنة أنه تيسيرا لاكتساب الاحكام الخاصة بالباب يكتفى بالصور التي توارد بها

الاستعمال في الفصحى ، وهي

١ - في مثل : **دخل وجلس محمد** : (محمد) فاعل ، فاعل

(جلس) ، وفاعل الفعل الاول متروك للعلم به

كما يقول سيبويه .

ب - في مثل : **محمد يحسن ويتقن عمله** : (عمل) مفعول به لينتن ،

واستغنى الفعل الاول (يحسن) عن مفعوله لدلالة

مفعول (يتقن) عليه .

ج - في مثل : **ناقشني وناقشت محمدا** ، يعرب : محمد مفعولا به

لـ (ناقشت) ، واستغنى عن الفاعل في الفعل الاول

لدلالة السياق عليه .

٦ - الاستفصال

« ترى اللجنة جواز رفع الاسم المشغول عنه ونصبه ، ولا داعي

لفكر حالات الوجوب او الترجيح، وتكرّر امثلته الواردة في المذكرة الى

ابوابها من كتب النحو » .

٧ - التمييز

« ترى اللجنة ان الصيغ النحوية التي تعرب تمييزا وتنفرد في

ابواب كثيرة ، يمكن جمعها في باب واحد تيسرا على الناشئة » .

٨ - التحذير والاعراء والترخيم والاستفائة والندبة

« ترى اللجنة انه لا مانع من ادخال باب التحذير والاعراء في

باب المفعول به ، وباب الاستفائة والندبة في باب النداء مع تعيين دلالة

كل صيغة منها عند عرض امثلتها ، وترى ايضا حذف باب الترخيم من

كتب النحو المدرسية » .

٩ - الاعراب التقديرية والمحلي

« ترى اللجنة ان ما انتهى اليه اتحاد المجامع العربية من الإبقاء

على الاعراب التقديرى والمحلى دون تعليل (اي دون تكليف التلاميذ تعليل خفاء الاعراب) فيه تيسير في تعليم النحو العربى ، ففى نحو : جاء القاضي ، يقال : (القاضي) مرفوع بضمه مقدرة ، وفي نحو : جاء من سائر ، يقال : (من) فاعل محله الرفع ، وفي نحو : محمد يحضر ، يقال : (يحضر) جملة فعلية خبر .

وألحق بهذا القرار قراران هما : الاول : « لا ضرورة لفكر متعلق عام للظرف او الجار والمجرور » ، الثانى : « يُكتفى بأن يقال فى اعراب الفعل المضارع المنصوب بأن المضرة بأنه منصوب بعد الادوات الظاهرة » .

١٠ - القاب الاعراب والبناء

« ترى اللجنة الاخذ بقرار الجمع عام ١٩٤٦ فى هذا الموضوع ، وهو أن يكون لكل حركة لقب واحد فى الاعراب والبناء ، وأن يكتفى بالقاب الاعراب » .

١١ - العلامات الاصلية والعلامات الفرعية

« ترى اللجنة توحيد أسماء علامات الاعراب الاصلية والفرعية ، بتسميتها : علامات اعراب » .

١٢ - الاستثناء

« انتهت اللجنة الى القرار الآتى :

اولا : المستثنى التام الموجب وغير الموجب يجوز نصبه (١) نحو : نجح الطلاب الا طالبا ، وما نجح الطلاب الا طالبا .

(١) صوغ قرار اللجنة على هذا الشكل انما كان بتأثير مذكرة للدكتور شوقي ضيف يتقدم فيها صيغة مجببة تقترح تصر تدريس الاستثناء للناشئة على حالة النصب فقال فيها : « وكان رأى - الجمع - أن لا تعرض عليهم صيغة الاستثناء مع الكلام غير الموجب ، وأنه يجوز فى المستثنى حينئذ أن يكون منصوبا على الاستثناء ، أو أن يكون مرفوعا على البدلية ، فى مثل : ما تكلم أحد الا محمدا ، فانه يجوز فى محدد الرفع على البدلية ، ولعل الجمع رأى أن يقتصر فى حالة الكلام غير الموجب على نصب المستثنى وأن يهمل القول بأنه يجوز فى المستثنى الرفع . . . » .

ثانيا : في حالة الاستثناء بخلا وعدا وحاشا يكون المستثنى منصوبا دائما
على اعتبار أن هذه كلها أدوات استثناء مثل « الا » .

ثالثا : اذا كانت أداة الاستثناء « غير أو سوى » كانت الاداة منصوبة
ومضافة ، وما بعدها مضاف اليه مثل : ما جاء أحد غير علي .
اما نحو : « ما قام الا محمد وما قام غير زيد » فهو قصر
لا استثناء .

١٣ - اعراب ادوات الشرط

« لا ترى اللجنة ضرورة ان يكلف الناشئة اعراب أسماء الشرط ،
ويُكتفى في هذا الباب بذكر ما يُجزم من هذه الادوات وما لا يُجزم ؛ ويذكر
أن هذه الادوات تقتضي جملتين : جملة الشرط وجملة الجواب ، ويجزم
فعل الشرط وفعل الجواب اذا كانا مضارعين » .

١٤ - كم الاستفهامية والخبرية

« ترى اللجنة الاكتفاء في باب كم (وهي من كنيات العدد)
بانها اذا كانت استفهامية تُميّز بمفرد منصوب ، نحو : كم كتابا قرأت ؟ .
واذا سُبقت بحرف جر يضاف المميز اليها ، نحو : بكم قرش
اشتريت الكتاب ؟

واذا كانت خبرية (للكرة) فتميز مفردا او جمعا مجرورا بالاضافة ،
نحو : كم بطل استشهد في المعركة ، او كم ابطال استشهدوا في
المعركة .

وقد يسبق تمييزها بحرف جر نحو قوله تعالى : « كم من فئة
تلبلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

١٥ - لا سيما

« انتهت اللجنة الى القرار الاتسي :
لا سيما أداة للمخالفة في الحكم بترجيح ما بعدها على ما قبلها .

في المعنى ، وإذا كان ما بعدها اسما مفردا جاز رفعه ونصبه وجزه ،
كتولك : أحبُّ الفاكهة لا سيما التفاح .

١٦ - تعريف المفعول المطلق

« انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

المفعول المطلق : اسم منصوب يؤكد عامله او يصفه او يدل عليه
نوعا ، كتولك : سار سيرا ، وصبر أجمل الصبر ، وضربته سوطا .

١٧ - تعريف الحال

« انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

الحال : وصف مؤقت نكرة منصوب لبيان هيئة صاحبه .

١٨ - تعريف المفعول معه

« انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

المفعول معه : اسم منصوب تال لواو بمعنى مع ، لا يشترك مع ما
قبل الواو في معنى العامل .

١٩ - جواز لحوق تاء الوحدة او المرة بالمصدر الثلاثي على لفظه

« انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

بناء على قول الزمخشري : ان بناء المرة قد جاء على المصدر
المستعمل ، وقول ابن يعميش : قد يزيدون التاء على المصدر المزيد .
وقول سيبويه : وقالوا أتيت أتيانة ، ولقيته لقاء ، جاؤا به على المصدر
المستعمل في الكلام ؛ ونحو أتيانة قليل ، يجوز الحاق تاء الوحدة او
المرة بالمصادر الثلاثية المزيدة .

٢٠ - نحو تيسر النحو في احكام العدد

١ - حكم جمع التصحيح في تمييز العدد المضاف :

« نرى اللجنة جواز اضافة انى العدد (من ثلاثة الى عشرة)
الى جمع التصحيح (مذكرا او مؤنثا) او جمع تكسير وصفا او غير وصف ،

استنادا الى اطلاق القول في ذلك عن ابن يعيش وابن مالك .

ب — حكم لزوم العدد حالة التانيث وجبر المعداد بمن
في أدنى المعداد :

« بعد مناقشة ما قدم الى اللجنة من مذكرات في موضوع العدد ،
لم تجد في اقوال النحاة ما يمنع من جواز تانيث أدنى العدد (من ثلاثة الى
عشرة) وجواز جر العدد بمن » .

ج — اضافة المعداد المفرد الى عدد غير مفرد :

« ترى اللجنة انه ليس هناك ما يمنع من قول الكتاب : سنة
ثمان وسبعين ونحو ذلك من اضافة المعداد المفرد الى عدد غير مفرد » .

د — حكم ابنية الكثرة في تمييز العدد المضاف :

« ترى اللجنة قبول ما شاع استعماله جمع كثرة في تمييز أدنى
العدد تيسيرا على الكتاب ، لما صرح به النحاة من استعارة جمع الكثرة
للقلة ، ودلالة جمع الكثرة على القليل والكثير ، ولما ورد من امثلة في
القرآن والحديث والشعر وكلام العرب » .

ه — التعاقب بين جمع القلة وجمع الكثرة

« بعد مناقشة الموضوع انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

دلالة الجمع ايما كان نوعه (جمع تكسير او جمع تصحيح) صالحة
للقليل والكثير ، انما يتعين أحدهما بقريضة » :

سادسا — اعمال لجنة اللهجات

عرضت على المؤثرين اعمال لجنة اللهجات متضمنة جملة
من المسائل انتهت فيها الى القرارات الآتية :

١ — القاف في العامية وغيرها

« بحثت اللجنة هذه المسألة على ضوء المذكرات المقدمة ، وانتهت

الى القرار التالي :

١ - القاف في أصل اللغات السامية : صوت لهوي شديد مهموس ، كما ينطق به الآن في الفصحى مجيدو القراءات القرآنية من القراء في الامصار العربية .

٢ - وصف قديما النحاة العرب القاف في الفصحى بانها صوت مجهور (سيوييه ٢/٤٠٥) وهو نطق لا يزال حيًّا في كثير من البوادي العربية وغيرها ، وإنْ تقدَّم فيه مُخْرَجُ القاف الى الامام قليلا ، فأصبحت كالكاف الفارسية .

٣ - تعاني القاف العربية من كثير من التغيرات ، وقد عدَّ ابن خلدون لمعاصريه ثلاثة أنواع من القاف (المقدمة ٥٥٨) ، كما انها في العصر الحاضر تنطق كالجيم الفصحى في بعض بلاد الخليج كالبحرين ، كما تنطق غينا في السودان وجنوبي العراق ، وكافا عند بعض الفلسطينيين ، و (دز) في الرياض وما حولها قى السعودية .

٤ - من تغيرات القاف : نطقها همزة في القاهرة وضواحيها ، ومحافظة القليوبية ، والوسطى ، وجزء من الفيوم . وكذلك في : دمشق وتلمسان ، وشمالى مراكش ، وفي اللغة المالطية وفي لغة اليهود في شمالى افريقيا .

٥ - قلب القاف همزة : امر حدث قديما في بعض اعلام اللغة الفينيقية ، كما توجد منه امثلة في العربية الفصحى ، فقد روت المعاجم : قشب واشب ، والقنز والانز ، وزهاق وزهاء ، وزنق وزنا ، وقرم وارم ، والقصر والاصر ، وتقبض وتابض ، والوثبة والوابة ، وقفخ وانخ ، وغير ذلك .

٦ - يبدو أن قلب القاف همزة في بعض بلاد مصر وغيرها ، ليس وليد اليوم ، فقد وردت منه بعض الامثلة في تاريخ ابن اياس (المتوفى سنة ٩٣٠هـ) وديوان ابن سودون (من شعراء العامية في القرن التاسع الهجري) .

ودارت حول تقرير لجنة اللهجات هذا ، تعليقات كثيرة ومناقشات حول مخارج حرف القاف في مختلف اللهجات العربية ، وكان من أهم التعليقات ما ورد على لسان الأستاذ عباس حسن ، فقد قال : « هذا البحث قد نوقش في أحد الكتب ، وخلاصة ما ورد فيه أن البحث في هذا الموضوع لا قيمة له ، فقد فرغ القدماء والمحدثون من تسجيل الحذف النهائي للاستشهاد ، فما جاء بعده عامي لا يَلْتَبَثُ إليه ، ولا قيمة له ؛ فالعامية بأنواعها مرفوضة حديثا وقديما ، ودراسة لهجاتها لا ينبغي أن يعنى بها المجمع » .

وقال الدكتور محمد أحمد سليمان : « إن من مهمة المجمع أن يقرب الفصحى إلى هؤلاء الناس الذين يتكلمون العامية ، ومن وسائل هذا التقريب إيضاح المسافة بين العامية والفصحى ، وهي ليست بعيدة . فهذه دراسة لها جدواها ، وهي نافعة مفيدة »
وانتهت التعليقات باقرار المؤتمرين تقرير اللجنة .

٢ - المصطلحات اللغوية

« انتهت اللجنة من المصطلحات التالية :

أولا : المعاقبة :

١ - المعاقبة في اللغة : احلال شيء محل آخر .

ب - وهي تطلق عند علماء اللغة على احلال الحرف مكان حرف آخر (اللسان : عقب) وفي أمالي القبالي (٣٦/٢ - ١٤٧) نصوص كثيرة لتعاقب الفاء والياء ، وتعاقب اللام والنون ، وتعاقب الميم والباء ، وغير ذلك . وللزجاجي كتاب عنوانه : « الإبدال والمعاقبة والنظائر » تناول فيه شيئا كثيرا من ذلك . وقد مثل سيبويه للمعاقبة بمغتلّم ومغفيلّم ومغفيلّم ، وزناديق وزنادقة .

ج - تطلق المعاقبة اطلاقا خاصا على قلب الحجازيين الواو ياء في مثل : صوام وصيام ، وصواغ وصياغ ، وتسمى « المعاقبة الحجازية » (اللسان : خيص وصوغ) .

د - لعل هذه المعاقبة الحجازية مرتبطة باتجاه الحضر الى ايثار الكسرة والياء ، في مقابل اتجاه البدو الى ايثار الضمة والواو .

هـ - يبدو ان ما في اللهجة المصرية المعاصرة من قول العامة :

« عاوز وعاز » من هذه المعاقبة الحجازية .

ثانيا : الغمغمة :

الغمغمة في اللغة : الكلام الذي لا يبين (القاموس : غم) لم تتبين اللجنة لهذه اللفظة مدلولاً محدداً ، لا بالوصف ولا بالتبثيل . فهي اذن ليست بمصطلح لغوي يُعْتَدُّ به . ولذلك رأى مجلس الجمع حين نظر في تقرير اللجنة ان يصرف النظر عنها .

ثالثا : القطعة :

ا - القطعة : لقب يعزى الى قبيلة طيء ، وهي عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه ، كالذي روي عن طيء أنها كانت تقول : يا ابا الحكا بدلا من : يا ابا الحكم (العين للخليل بن احمد ١٥٦/١) .

ب - القطعة على هذا ، نوع من ترخيم اللفظ في غير النداء .

ج - قبائل شمر التي تشغل الآن مواطن طيء القديمة في الجزيرة العربية ، تشيع فيها هذه الظاهرة .

د - يمكن ان يعد من القطعة ما في كثير من بلاد مصر في الوقت الحاضر من المحلة الكبرى ، وجزيرة بني نصر ، وأبيار ، ومعظم قرى محافظتي البحيرة وبني سويف ، من مثل قولهم :

« النهار طلا ، في : النهار طلع ، والنور ظها ، في : النور ظهر ، وغير ذلك . (مميزات لغات العرب ٢٩) . ومما ينبع به في بني سويف قولهم : المي والبي والبلا الاحمر ، والمراد : العيش والبيض والبلح الاحمر .

وجرت تعليقات قصيرة على موضوع هذا التقرير ، ثم وافق المؤتمر عليه ، بعد أن طلب الدكتور عبد الكريم خليفة تسجيل ملاحظة يقول فيها : « ان دراسة الصوتيات والعلوم الصوتية والدراسات اللغوية يجب أن تُشجّع ، لتقود العامية الى الفصحى ، وحتى لا يكون هناك التباس ، أرجو أن يتضح لنا ان اهتمامنا بالعامية ليس راجعا الى العامية ذاتها ، فنحن نهتم بالعامية لمعرفة مدى الاختلاف والاتفاق بينها وبين الفصحى ، وهذا بالطبع يؤدي الى سد الهوة بين العامية والفصحى » .

سابعاً : اعمال لجنة الالفاظ والاساليب

نظر المؤتمر في اعمال لجنة الالفاظ والاساليب المحالة الى المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة ، فأقر المؤتمر بعضها ، بينما دار نقاش شديد حول بعضها الآخر انتهى برفضه أو اعادته الى اللجنة لدراسته مجدداً .

وفي ما يلي عرض موجز لما عرض على المؤتمر من مسائل :

اولاً : الالفاظ :

١ - الصفة والمصادفة

« يشيع في الاستعمال العمري لفظ الصفة والمصادفة لمعنى حدوث الشيء والوقوع عليه عرضاً واتفاقاً دون قصد أو عمد . وقد يؤخذ على هذا أن المعجمات لم تثبت صيغة الصفة ، وأن المعنى الذي ذكرته للمصادفة — وهو مطلق وجدان الشيء أو ملاقاته — يختلف عن دلالتها العمرية التي تقتيد الاستعمال بالعرض والاتفاق .

غير انه يمكن القول بصحة الاستعمال المعاصر للمصادفة ، استناداً الى أن اللغة تفسر الموافقة بأنها : المصادفة . يقول الصاغاتي : « يقال أوفق لزيد لقائنا ، أي كان نجاة » . ويزيد الزبيدي قوله : « ومصادفة » .. ومن قول العرب : وافقت فلاناً بموضع كذا : أي

صادقته .. هذا الى أن كلاً من الموافقة والاتفاق قد استعمل منذ عصر أبي حيان ومسكويه بمعنى حدوث الشيء ، أو وقوعه بغير قصد أو تدبير .

على أن القول بأن المصادفة « مطلق الوجود » لا يمنع استعمالها في معنى الوجود المقيد بنفي العمد أو القصد أو التدبير ؛ واللغة تأنس بتخصيص العام وتقييد المطلق في بعض مقامات التعبير .

أما الصدف فلا مانع من قبولها باعتبارها مصدراً مستحدثاً من الفعل (صَدَفَ) بوزن فَرَحَ ، مثل قوي قوة ، أو باعتبارها اسم مصدر من صادف ، مثل الفرقة والخلطة ، من المفارقة والخالطة .

ولهذا ترى اللجنة : اجازة استعمال الصدف والمصادفة في المعنى الذي يستعملها المعاصرون فيه .

واقصر المؤتمرون هذا التقرير دون معارضة .

٢ - سعر التكلفة

« يشيع في اللغة التجارية المعاصرة قولهم : « هذا سعر التكلفة » ، يريدون به الثمن الذي أنفق في صنع السلعة ونقلها . وقد يردّ على الاستعمال المعاصر أن الكلمة لم تأت بهذا المعنى في معجمات اللغة ؛ غير أن هذه المعجمات ذكرت أن التكليف هو الأمر بما يشقّ ، وكلفه الأمر فتكلفه أي تجشّمه ، وحملته تكلفة إذا لم يطقه إلا تكلفاً .

وترى اللجنة أن سعر التكلفة مأخوذ من حملته تكلفة بالمعنى المتقدم ، على أساس أن السلعة كلفت صاحبها جهداً ومالاً وعناية . وعلى هذا يكون استعماله صحيحاً في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه .

واقر المؤتمر هذا التقرير دون معارضة .

٢ - مناورة

« يشيع في لغة الجيش وغيره مثل قولهم : « قسام الجنود بمناورة حربية » ، ومثل ما يتردد في لغة السياسة من قولهم : « هذه مناورة سياسية » . وقد يُعْتَرَض على اللفظ واستعماله المعاصر بعدم وروده بالمعنى العسكري أو السياسي في معجمات العربية .

ودرست اللجنة هذا ، ثم انتهت الى اجازة استعمال لفظ (المناورة) ، بدلالتيه الحربية والسياسية على احد وجهين :

الأول : ان اللفظ منقول من الكلمة الفرنسية *Manoeuvre* ، او من الكلمة الانكليزية *Maneuver* . وقد اشار المعجم الوسيط في طبعته الثانية الى انه معرّب (١) .

الثاني : ان للمناورة معنى آخر هو الدهاء ، فهي من مادة (نور) التي تحمل معنى الخداع والحيلة . ومعلوم ان وزن المفاعلة شائع في العربية مثل : المداورة ، والمراوغة ، والمشاورة ، والمحاورة .

وجرت مناقشات حادة أسفرت عن انقسام في الرأي حول ترجيح احد الوجهين اللذين استندت اليهما اللجنة . وقد اشترك في المناقشة كل من الاساتذة : محمد الفاسي ، وعز الدين عبد الله ، ومحمد مهدي علام ، واحمد الحوفي ، وابراهيم مذكور ، وعباس حسن ، وحامد جوهر ، ومحمد شوقي أمين . وكان من أهم التعليقات اشارة الدكتور محمد احمد سليمان الى أن الكلمة ، وهي معربة عن الفرنسية ، ذات معنى حقيقي هو (العمل اليدوي) ثم انتقل هذا المعنى مجازا الى المعنى العسكري ثم السياسي . وانتهى النقاش بموافقة المؤتمرين على تقرير اللجنة ، تاركين ترجيح احد الوجهين الى جهد علمي مستقل .

(١) اما في الطبعة الاولى فكان المعجم قد ذكر ان الكلمة (مولدة) .

٤ - عُمْرَة

« يشيع على السنة المعاصرين قولهم (٢) : المنزل محتاج الى عُمْرَة ، ونحو ذلك مما يستعمل فيه لفظ العمرَة مراداً به ما يحدث من اعمال الاصلاح والترميم .

وهذا خلاف ما أثبتته المعجمات من عُمُرٌ ، التي تدول حول المدة واطالة العمر .

درست اللجنة لفظ العُمْرَة ، وانتهت الى انه تمكن اجازته على انه اسم مرة من « عُمُرٌ » بمعنى بنى ، كما اثبت الفيومي في المصباح ، اذ الاصلاح نوع من البناء .

ولهذا ترى اللجنة جواز استعمال لفظ العُمْرَة في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه » .

واقَرَّ المؤتمرون تقرير اللجنة هذا .

٥ - جاهز وجاهزة

« يشيع على السنة المعاصرين قولهم : ملابس جاهزة او مساكن جاهزة ؛ وقد يؤخذ على استعمال اللفظ أن معجمات اللغة لم تثبت هذا المعنى الا (جَهَّز) المضَعَّف ؛ فالملابس مَجْهَّزة .

درست اللجنة هذا وانتهت الى أن قولهم : ملابس جاهزة ، يجاز بأحد وجهين :

اولهما : انه يمكن اشتقاق فعل ثلاثي من الجهاز باعتبارهِ اسم ذات ، ويكون (جاهز) حينئذ وصفاً من هذا الفعل .

(٢) تشيع هذه الكلمة في مصر ، ولا اعرف قطراً آخر تشيع فيه ، اما في سورية والعراق والبلاد الاخرى التي أُقِرَّت في جيوشها مصطلحات المعجم العسكري الموحَّد ، فتشيع الكلمة اسماً لقطاع الرأس عند الجنود والمنظمات شبه العسكرية .

والثاني : ان وجود المصغف يُشعر ان للمادة ثلاثيا مهملًا لم تثبت
المعجمات ، ويكون (جاهز وجاهزة) وصفا منه ، وهو كثير
في اللغة .

لهذا ترى اللجنة اجازة قول المعاصرين : « ملابس جاهزة ،
ومساكن جاهزة » .

واقر المؤتمر تقرير اللجنة بعد مناقشة حول طلب الاستاذ
عباس حسن الاكتفاء بالوجه الثاني من التعليل .

٦ - التطبيع

« يشيع في الاستعمال الحديث قولهم : تطبيع العلاقات او الحدود
بين بلدين ، بمعنى جعلها طبيعية تجري على العادة والعرف ؛ وقد
يُعتَرَض على هذا بانه ليس في اللغة طَبَعَ بالمعنى المتقدم ، حتى
يكون التطبيع مصدرا له .

غير ان العربية تسمح بالاشتقاق من اسماء الاجناس ، وهو
امر أَكْثَرُ المجمع قياسيته . وعلى هذا يكون المراد بقولنا تطبيع
العلاقات او الحدود هو تصيرها الى المعتاد المألوف بين الدول .

ولذلك ترى اللجنة ان مثل قول المعاصرين : تطبيع العلاقات
او الحدود ، قول جائز تبحيه الضوابط العربية » .

واشار هذا التقرير مناقشات حامية حول معنى الكلمة الاجنبية
التي ترجمت كلمة التطبيع عنها Normalise ، والخطأ في فهمها .
واشترك في المناقشات الاساتذة : محمد أحمد سليمان ، ومحمد عبد الغني
حسن ، ومحمد شوقي أمين ، وحامد جوهر ، وعز الدين عبد الله .
وعند التصويت قررت الاكثرية رفض الموافقة على اجازة الكلمة .

٧ - التحديث

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال لفظ « التحديث » ، بمعنى جعل الشيء حديثاً ؛ يقال : تحديث الأمة ، أو تحديث العقل العربي ، أو تحديث وسائل التعليم ، والمعنى : جعل كل منها حديثة .

وقد يبدو ان هذا مخالف لما في المعجمات من معاني حُدِّثَ المضَعَّف ، الذي يدل على التكليم أو الاخبار ، ومنه حُدِّثَ فلان صاحبه في امر ، اي كُلِّمَ فيه أو اخبره به .

غير ان اصل المادة هو حُدِّثَ ، يدل على ما يناقض القدم ، يقال : حدث حدثاً وحدثاً . ولما كانت القاعدة الصرفية ، تجيز - كما اثبت الجوهري في الصحاح ، وكما اقرّ المجمع - ان تصوغ من الفعل الثلاثي فعل المضَعَّف ، الذي يدل في بعض معانيه على الجعل أو التصيير، مثل : قَوَّاه جعله قويا ، وحَسَّنَه صَيَّرَه حسنا - لما كان الامر كذلك ، فان حُدِّثَ المضَعَّف مشتق بالمعنى المتقدم من حُدِّثَ الثلاثي . وعليه يكون معنى قولنا : حُدِّثَ فلان افكاره هو جعلها حديثة ، والمصدر منه التحديث .

لذلك كله ترى اللجنة ان الاستعمال المعصري للفعل حُدِّثَ ومصدره التحديث استعمال جائز يجري على مقاييس العربية .

وتبعاً للمناقشات التي دارت حول كلمة تطبيع ، احتدم النقاش مرة أخرى ، واشترك فيه الاساتذة : محمد الفاسي ، ومحمد عبد الغني حسن ، وعباس حسن ، ومحمد أحمد سليمان ، ومحمد شوقي أمين ، واسحق موسى الحسيني ؛ وعند التصويت قررت الاكثرية رفض الكلمة وردَّ تقرير اللجنة اليها .

٨ - التَّسْيِبُ

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال لفظ : التَّسْيِبُ ، في التعبير من حالات الإهمال واتعدام الضوابط ، أو ضعف الالتزام بالقوانين ، على حين أن المعجمات لم تثبت الفعل تَسَيَّبَ ، ولا مصدره ، وإنما اثبتت (ساب) الثلاثي و (سَبَّب) المضعف ، بمعنى أطلقه وتركه ؛ ولكن القاعدة الصرفية تقول : صيغة تَفَعَّلَ تأتي كثيرا مطاوعة لصيغة مُعَلَّلَ ، مثل كُتِّرَتْهُ فَتَكْتَسَّرُ ، وَعَلِّمَتْهُ فَتَعْلَمُ .

وعلى ذلك يكون (تَسَيَّبَ) مطاوعا للفعل سَبَّبَ والمصدر منه هو التَّسْيِبُ .

ولهذا ترى اللجنة إجازة لفظة التسيب في المعاني والمواثف التي يستعمله فيها المعاصرون .

واقترع المؤتمر هذه الإجازة .

ثانيا : الأساليب :

١ - دخل خالد بينما كان علي يتكلم

« يخطئ بعض الباحثين مثل قولهم : دخل خالد بينما كان علي يتكلم ، على أساس أنه مخالف للمشهور من استعمال العرب ، ولما نص عليه النحاة : أن (بينما) من كلمات الابتداء .

درست اللجنة هذا ثم انتهت الى أن التعبير — كما شاع عند المعاصرين — يمكن أن يجاز على أساس أن تكون (بينما) فيه ظرف زمان للاقتران فقط ، ولهذا ساغ أن تكون مثل (بين) في جواز التوسط .

وقد يستأنس للأسلوب المعاصر بقول ابن منظور في كتابه « أخبار أبي نواس ، ص ٢١٦ » :

(... وبنى لنفسه في نهر طابق الدور التي لم يبين مثلها عظماء الناس ، بينما الأصمعي يستقرض من أصحابه حاجته من المال) .

وقام جدل مريض بين مخالفي الإجازة ، ومنهم الاستاذان :
عبد السلام هارون ، واحمد الحوفي ، ومؤيديها وفي طليعتهم الاستاذان :
شوقي ضيف ، ومحمد شوقي أمين .

وَقُتِلَتِ الْإِجَازَةُ عِنْدَ جَمْعِ الْأَصْوَاتِ بِالْكَثْرَةِ .

٢ - كَلَّفَتِ الْبِنَاءُ مَا لَا كَثْرًا

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : كَلَّفَتِ الْبِنَاءُ كَذَا ، ويريدون
به الاتفاق على البناء . وقد يُعْتَرَضُ على هذا التعبير بأن الصواب
أن يقال : البناء كَلَّفَنِي ، بدلا من كَلَّفَتْه ، لان حقيقة الامر تقتضي أن
التكليف يكون من البناء لصاحبه .

وترى اللجنة أن التعبير المصري جائز ، على أنه من قبيل
القلب المعنوي الذي يتحول فيه الاسناد من الشخص الى الشيء ،
ومن أمثلته الشائعة : نهاره صائم وليله قائم » .

واقَرَّ الْمُؤْتَمِرُونَ تَقْرِيرَ الْإِجَازَةِ .

٣ - جَاءَ تَوًّا

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : « جَاءَ تَوًّا » ، يريدون به
جاء الآن . وقد يُعْتَرَضُ على هذا بأن الوجه فيه أن يقال : جاء التَّوَّةُ ،
أي الآن ، ففي اللغة : التَّوَّةُ الساعة ، الا أن الاستعمال السائغ يمكن
أخذه من قول العرب : جَاءَ تَوًّا ، أي قاصدا ، لم يتخلف في الطريق ؛
اذ القصد امر اعتباري يؤدي الى الحضور الفوري .

ولهذا ترى اللجنة إجازة قول المعاصرين : جاء تَوًّا في معناه الذي
يستعملونه فيه » .

واجيز هذا القرار بعدم الاعتراض عليه .

٤ - كد الخير على ان التوقيع مفتعل

« تردد كثيرا اشباه هاتين العبارتين : اكدت المدرسة على المواظبة ، واكد الخير على ان التوقيع مفتعل ؛ وقد درستهما اللجنة فلاحظت :

اولا : ان الفعل (اكد) فيها لازم يتعدى بعلی ، وهو في المعاجم متمدد بنفسه .

ثانيا : ان الفعل في العبارة الاولى مسلط على المواظبة نفسها ، اذ كانت تالية للحرف (على) وهو الذي اوصل الفعل اليها ، واذن تكون المواظبة في العبارة هي الامر الذي تؤكد المدرسة ، وتعني انه محقق ، والواقع انها انما تريد ان تدعو الى الاهتمام بها ، لانها راتها دون ما ينبغي ان تكون .

ويمكن تخريج هذه العبارة من وجهين :

احدهما : ان يقدَّر لأكَّد مفعول محذوف هو مصدر يدل عليه المقام ، ويصلح متعلقا لعلی ، مثل التنبيه والحث . وحذف المفعول به سائغ في العربية . واذن يكون تأويل العبارة هو : اكدت المدرسة التنبيه او الحث على المواظبة ، لتصل الى غايتها المنشودة .

واما العبارة الثانية فليس يؤخذ عليها الا جعل « اكد » لازما يتعدى بعلی ؛ ولو حذف منها هذا الحرف لتصر : اكد الخير ان التوقيع مفتعل ، ما كان لهذا المأخذ عليها من سبيل ، اما تخريجها مع الإبقاء على الحرف فبمثل ما تُخَرِّج به الاولى .

الوجه الثاني من وجهي تخريج العبارتين ان يَضْمَن الفعل (اكد) معنى نبّه ؛ يقال : نبّه على الامر ، اي وقفه عليه واعلمه به .

وافن يكون تأويل العبارتين : نُبُهَتِ المدرسةُ على المواظبة ،
والخبيرُ على أن التوقيع مفتمعل .

ولهذا ترى اللجنة أن العبارتين صحيحتان ، ولا مانع لفئة
من استعمالهما .

وجرت المناقشة حول العبارتين وتخرجهما ببرود ، حتى قال
الرئيس يظهر أن لا رفض للتعبير ولا قبول له ، بل نترك للزمن ليقول
كلمته فيه ؛ واعتبر قرار الإجازة مقبولا .

٥ - لعب دورا

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : لعب دورا ، يريدون به
إداء مهمة من المهمات في أي عمل من أعمال الحياة . وربما يسبق الى
الخطر أن العبارة غير صحيحة على أساس أن الفعل (لعب) لازم ،
ولكن لا مانع من استعماله ، ويمكن تخريج صحته من وجهين :

أولهما : أن يجعل (دورا) مفعولا مطلقا مبائثرا ، ومعلوم أن المفعول
المطلق يصف الفعل من أي وجه كان ، وكلمة (دورا) في
اللغة العربية المعاصرة تعني مهمة أو نصيبا ، وهي وصف
للفعل ، فلعِب دورا أي نصيبا ، ولذلك تصبح كلمة دور
مفعولا مطلقا .

الوجه الثاني : أن قائل هذه العبارة وما يشبهها لا يريد بالفعل (لعب)
معناه الحقيقي الذي يدل لفظه عليه ، بل يريد معنى أدّى ونحوه ،
أما لفظ (دور) فمصدر دار ، ويراد به في العبارة معنى المهمة
أو القدر أو النصيب . وإذاً يكون الفعل (لعب) فيما يعنيه
الاستعمال المعاصر في العبارة متضمنا معنى (أدّى) مثلا ، وهو
متعمد ، وإذاً يكون دورا مفعولا به للعب .

ويتضح مما سبق ما يأتي :

ان صيغة لعب دورا صحيحة لغوياً، إما على ان كلمة دورا
مفعول مطلق ، وإما على انها مفعول به لفعل لعب المضنّ معنى (ادى) .

ولا محل للاعتراض على التخريج الاول ، لان دلالة اللعب قد
تطورت في العصر الحديث ، كما تصوّره المذكرة المرافقة للاستاذ علي
النجدي ناصف ؛ لذلك ترى اللجنة ، اجازة هذا التعبير في نطاق
ما يستسيغه الذوق العام » .

وبدات مناقشات اعضاء المؤتمر تظهر ان اغلبيتهم غير راضية عن
اجازة هذا التعبير المترجم ترجمة ، مما جعل الرئيس يقول : يبدو ان
الراي الغالب هو ايثار ان نقول : ادى دورا ، بدلا من لعب دورا .
واحجم عن طرح الاجازة على التصويت (١) .

٦ - سواء كذا او كذا

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : سواء كذا او كذا ، وقولهم :
سيان كذا او كذا ، وقولهم : لا خلاف بين هذا او ذاك . وقد يرى
بعض نقاد اللغة ان استعمال (او) في هذه العبارات على غير صواب ،
اذ الصواب ان تستعمل (الواو) هنا مكان (او) فالمقام مقام جمع
يستدعي العطف باداته وهي الواو .

وقد درست اللجنة هذه الاستعمالات العصرية ، وانتهت الى
اجازتها استنادا الى ان جمهرة كبيرة من النحاة ينصّون على ان **من**
معاني (او) مطلق الجمع ، يضاف الى ذلك المروي من الشواهد
الدالة على ذلك شعرا ونثرا » .

وأبدى بعض الاعضاء رفضهم لهذا التساهل مع كل ما يشيع
من استعمالات ضعيفة او ركيكة ، ولدى طرح المسألة على التصويت
قبلت المسألة بالاكثرية .

(١) سبق للجنة ان عرضت المسألة نفسها على المؤتمر في دورته الرابعة والاربعين ،
وجرت مناقشات حولها ، وقرّر المؤتمر بالاكثرية رفضها .

ثامنا : اعمال لجنة وضع اسلوب اختيار المصطلحات العلمية

تليت على المؤتمرين التوصيات التي اقترتها لجنة وضع اسلوب اختيار المصطلحات العلمية ، والتي وافق مجلس الجمع عليها ؛ وهي عبارة من منهج متكامل لوضع المصطلحات العلمية وتعريفاتها ، وفاء باغراض التعليم العالي ، ومطالب التأليف والترجمة ، ضمن النهج العلمي العالمي في اختيار المصطلحات مع الحفاظ على التراث العربي ، وخاصة ما استقرّ منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال في العصر الحديث .

وابدى اعضاء المؤتمر موافقتهم على التوصيات التي تضمنها التقرير .

تاسعا : ختام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية صباح يوم الاثنين في الثاني عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٧٩م ، عرض فيها الدكتور محمد مهدي ملاّم، أمين الجمع ، ما انجزه المؤتمرون خلال هذه الدورة ، ثم تليت اقتراحات الاعضاء وملاحظاتهم ، وبعد مناقشتها ، تمت الموافقة على التوصيات والمقررات التالية :

١ — ان تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى اليه العالم العربي بأسره ، وسبيله الحقّ تزويد مكتبتنا بمؤلفات عربية حديثة وافية ، وقيام الاستاذ بواجبه قايما حقا نحو لغته ، وتمكين الطالب من لغته القومية ، ومن لغة أخرى اجنبية ، تربطه بموكب العلم وتقدّمه .

٢ — ان توحيد المصطلح العلمي والادبي والفني هدف منشود لعالمنا العربي ، ولكن بعض الهيئات والافراد يعمد الى اصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة في استعمال المصطلحات العربية ، لدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون . والمؤتمر

يوصي بأن يترك امر المصطلحات للمجامع العربية ، على أن ينسّق هذا في إطار اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .

٣ — يوصي المؤتمر وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي بأن تُعنى عناية كاملة بتنسيق تعليم اللغة العربية للنشء ، مستهدية في ذلك بما قرره اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في ندوة الجزائر ، وكان موضوعها (تيسير تعليم اللغة العربية) وندوة عمّان ، وكان موضوعها (تعليم اللغة العربية في ربع القرن الاخير) .

٤ — يوصي المؤتمر باعداد العاملين بالاذاعة المسموعة والمرئية ، اعدادا صوتيا ولغويا ، لمعالجة ما يبدو من تحريف في نطق بعض الحروف على السنتهم ، ومن اخطاء في ضبط بعض الكلمات . فعلى وزارات الاعلام وهيئات الاذاعة المسموعة والمرئية ، ان تستعين في علاج ذلك بالاسانذة المتخصصين في صوتيات اللغة وقواعدها النحوية .

٥ — يأسف المؤتمر لتقديم اكثر المسرحيات والتمثيلات الاذاعية (المسموعة والمرئية) باللهجات العامية ، ويوصي في عدد اكبر من التمثيلات باستخدام لغة فصحي ، يسهل فهمها على العربي من مختلف المستويات ، وفي جميع البلاد العربية .

٦ — تبلغ توصيات المؤتمر وقراراته للمجامع اللغوية والعلمية ، واتحاد المجامع والجامعات ، وجامعة الدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات التربية والتعليم والثقافة والاعلام في الوطن العربي .

٧ — يوصي المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويُقدّر للصحافة ما اخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية بعامة ، وفنون الادب بخاصة ، ويوصي كذلك بفسح مجال اوسع لذلك الزاد الثقافي والادبي .

ثم أعلن الدكتور إبراهيم محكور رئيس المؤتمر ، ختام الدورة
الخامسة والأربعين ، متمنياً للأعضاء الوافدين عودة حميدا ، آملا
لقاء الجميع في المؤتمر القادم الذي سيعقد في الأسبوع الأخير
من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٨٠ ان شاء الله .

خليل مردم بك وكتابه ،
« دمشق والقدس في العشرينات »
بقلم : عيسى الناعوري
(الأمين العام للبحر)

أهدى الي الصديق الشاعر عدنان مردم بك متفضلا نسخة من كتاب للمرحوم والده خليل مردم بك ، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق سابقا . عنوان الكتاب (دمشق والقدس في العشرينات) ، وهو يضمّ مقالات كتبها المؤلف في بداية العشرينات من هذا القرن ، ونشرها في صحف ومجلات متعددة كانت تصدر يومئذ في دمشق . ويقع الكتاب في ١٩٢ صفحة من القطع الكبير ، وتقدّم له وشرحه الشاعر عدنان نفسه .

المقالات التي يضمّها الكتاب ليس لها موضوع واحد تدور عليه ، ولا يدلّ عنوان الكتاب الا على قسم من أوله ، وهو القسم الذي يشمل رحلة المؤلف سريعة في بعض انحاء فلسطين ، في ذلك الحين من نهاية الحرب العالمية الاولى وبداية عهد الانتداب البريطاني ، وعلى جولة قام بها حاكم سوريا العام آنذاك علي رضا الركابي في اواسط سوريا وشمالها . وقد رافقه المؤلف ، فوصف مراحل الزيارة مرحلة مرحلة ، كما يفعل مندوبو الجرائد اليومية في مرافقتهم للحكام في مثل هذه الزيارات الرسمية التفقدية .

القسم الاول الخاص بفلسطين ضئيل ولا يشبع الراغب في المعرفة . وليس من شك في أن وصف احوال البلاد يومذاك امرٌ يُلدّ للقارئ ؛ ولكن يبدو أن الزيارة كانت خاطفة ، واقتصر اهتمام المؤلف فيها على وصف القليل جدا مما اثار اهتمامه من أمور قليلة العدد

وقليلة الاهمية . لقد كان ما كتبه مجرد خطوات عابرة ، ولا يزيد في مجموعه على مقالين نشر في جريدة (الف باء) في شهر شباط سنة ١٩٢٣ .

وتد فطن المؤلف الى ذلك ، فقال في مطلع مقالته الاولى — وقد نُشِرَتْ في جريدة (الف باء) في ١٣ شباط سنة ١٩٢٣ ، كما ورد في رأسها — : « لا اذكر في مقالي هذا كيف دعيتي الدواعي وحزنتي الخوافز الى السفر ، ولا مواثيت الرحيل ، وكيف نَعَبَ القطار بالبين ، وكيف بلغت فلسطين ، ولا اَتَعَرَّضُ لوصف مُدُنِها ، وعدد سكانها ، وتجاريتها وزراعتها ، ولا ابحث في طبيعة الاقليم ، وتأثيره بسكانها ، ولا اتكلم عن الآثار والمعاهد المقدسة فيها ، ولا آتي على ذكر الصهيونية وخطرها ، لَأَنَّ كُلَّ مَنْ أَمَّ فلسطين كميل بذلك ، وانما اذكر ما علق بذهني — لحسنه ولقبحه — مما رايت أو سمعت في ذلك القطر ؛ وهو لا يخلو من تفككة ان خلا من فائدة » (١) .

فما الذي رآه المؤلف جديرا بالتدوين في كتابه من هذه الرحلة ؟

هي ، في الواقع ، لقطات وخطرات ، وليست حوادث او وقائع يطول سردها . وهذا نموذج منها ، من المقال الثاني الذي يقول المؤلف إنه كان قد نُشر في جريدة (الف باء) في ١٦ شباط سنة ١٩٢٣ ، وعنوانه (العربية في فلسطين) :

« الوطنيون في فلسطين لا ينتسبون ، اذا فُكرت الانساب ، الى قُطر او مقاطعة او جبل بائد ، وانما يُمَتَّون الى العربية ليس غير . هؤلاء المعتصمون بعصبيتهم العربية تكاد تكون لغة العرب الصحيحة غريبةً في قُطْرِهِمْ ، اللهم الا في زوايا المدارس الوطنية وصدور بعض الأدباء . ويستدعي العجب ويثير الدهشة تلك اللوحات المنصوبة على ظاهر الحوانيت : فكلّ لوحة مكتوبة باللغات الثلاث : الانكليزية فالعربية ، فالعبرانية . اما الانكليزية والعبرانية فتري حروفهما

(١) دمشق والقدس في العشرينات — مؤسسة الرسالة — بيروت ١٩٧٨ ، ص ١٢

حسنة الشكل ، مستوفية قسطها من حدود الخط ، وأما العربية فتراها مرسومة بحروف ذات عِوَج ، بعيدة عن التناسب والتناسق ، كأنها الحروف المسماة ، عدا ما في مجموعها من الخطأ الفاحش في التركيب المعنوي . واليك مثالا من ذلك :

« (اتياب سُفل) يريد : سُفل الثياب » .

« و (محلّ تعمير السنان) ، يعني : طبيب الاسنان » .

« و (نورون) ، أي : قرن » (٢) .

ويتابع المؤلف ملاحظاته اللغوية حتى نهاية المقال . وأما في المقال الاول فانه يسوق ملاحظات أثقل أهمية ، وبعضها اقرب الى التفككة والنكته منه الى الملاحظة الجادة .

ولئن كان المؤلف قد اكتفى بمقالين سريعين في رحلته الفلسطينية ، فقد اطلال في وصف جولة الركابي في النبك ، وحمص، وحمّة ، وحلب ، وغيرها ، وتوقف حتى عند وصف المآذب والولائم . ومع ذلك فان مقالاته هذه — وإن تكن تدخل في باب ما يسمى بالريبورتاج الصحفي ، أكثر من سواه — تهتمّ المؤرخ الباحث في تلك الفترة من حياة الدولة العربية الهاشمية في سوريا . ثم تنتهي حصة التاريخ في الصفحة ٧٣ من الكتاب . وتبدأ بعدها مقالات أخرى تهتمّ المجمعين والباحثين اللغويين . هناك يترك المؤلف دور الرحالة والمرافق الصحفي ، ويعود الى طبيعته الادبية واللغوية . فهناك مقالات يمكن اعتبارها تمهيدا لقيام المجمع العلمي العربي في دمشق ، أو تشجيعا على دعمه وتعزيز مكانته ، أو تنبيها الى أهمية وجوده ؟ وكان المجمع يومئذ في بواكير عمره . وأنا اعلم ان مجمع دمشق قد بدأ باسم (الشعبة الاولى للترجمة والتأليف) منذ سنة ١٩١٨ ، وفي الثامن من حزيران ١٩١٩ أعيد النظر في تكوين

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧ / ١٨

الشعبة وأطلق عليها اسم (ديوان المعارف) . ثم قُسم الديوان الى قسمين ، دُمي أحدهما (ديوان المعارف) — وتحوّل في ما بعد الى (وزارة المعارف) — ودُمي الثاني (المجمع العلمي) . واستقلّ المجمع من الديوان ، وعقد جلسته الاولى بثمانية أعضاء ، بينهم الرئيس الاستاذ محمد كرد علي ، في ٣٠ تموز ١٩١٩ (٣) .

ومع ذلك فان ما كتبه المؤلف من آراء وتعليقات لغوية ، وما قاله في صدد المجمع ، يدلّ على ان المجمع لم يكن حينئذ عاملاً ، او لم تكن آثاره العملية قد ظهرت بشكل مؤثّر في حياة المجتمع السوري الخارج من الحرب ، ومن حُكم اجنبي طال أربعة قرون .

فحين يقول المؤلف في مقاله (لغة الدواوين) ، الذي نُشر في جريدة (الاردن) لصاحبها أمين سعيد ، في ٣١ آذار ١٩٢٠ (٤) : « اللغة العربية يجب احياؤها ، والدواوين هي ميادين هذا الاحياء ، مثل الجرائد . وحبذا لو نُفكر من ادباء الشام طائفة لتأسيس مجمع لغوي يكون له أعضاء عاملون ومراسلون ، ويبحث في هذه المواضيع ... » (٥) يشعر القارئ بأن المجمع لم يكن موجوداً ، والآ ما كان المؤلف ليطالب بقيامه ؛ او قد يكون حينذاك متوقفاً عن العمل .

غير اننا حين نتابع ما كتبه المؤلف في ختام المقال عينه ، ونقرأ قوله : « مما لا مندوحة عن الجهر به والتنبيه عليه ، انه لا يزال حتى الآن بعض أسماء دوائر الحكومة ، وبعض الوظائف والادوات وما يتعلق بها ، أعجمياً أو غير ملائم لاوزاع اللغة ... مما لا معنى

(٣) انظر كتاب (مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً) للدكتور عدنان الخطيب ، من مطبوعات مجمع دمشق ، سنة ١٩٦٩ ، ص ١٩ — ٢١ ، وكتاب (تاريخ المجمع العلمي العربي) تأليف أحمد الفتيح ، من مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٥٦ ، ص ٣ — ٧

(٤) دمشق والقدس في العشرينات ، تأليف خليل مريم بك ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص ٧٤

(٥) المصدر عينه ، ص ٧٩

للقوف عندها والجمود عليها مع وجود مقابل لها من الاسماء العربية الخالصة أصلاً وبقينا ... والمطالب به ويأشبهه المجمع العلمي ، ولجنة التعريب العسكرية « (٦) . نرى أن المجمع كان قائماً ، وأن هنالك أيضاً لجنة عسكرية للتعريب؛ أو قد يحل هذا القول معنى المطالبة بقيام المجمع واللجنة للعناية بهذه المصطلحات .

والواقع أن المجمع لم يكن قائماً بالمعنى الحقيقي حين ظهر المقال المذكور في جريدة الأردن بتاريخ ٣١ آذار سنة ١٩٢٠ ، بل كان متوقفاً عن العمل منذ شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٩ — أي بعد انشائه بخمسة أشهر أو نحوها فقط — وظل كذلك حتى ٧ أيلول سنة ١٩٢٠ ، كما يقول الدكتور عدنان الخطيب في كتابه (مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً — الأعضاء المؤسسون) إذ قال :

« غير أن الظروف السياسية القاسية التي كانت الحكومة العربية في سورية تمرُّ بها في أوائل عهدها ، أوقعتها في ضائقة مالية شديدة ، اضطرت معها في نهاية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ م. إلى الأمر بصرف رئيس المجمع وخمسة من أعضائه من وظائفهم توفيراً لرواتبهم ، مكتفية بعضوين إداريين للقيام بالإشراف على دأري الكتب والآثار . ولكن لم تمضِ على هذا الأمر سنة ، حتى عُهد بتاريخ ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠ م. إلى الاستاذ محمد كرد علي بوزارة المعارف ، فأعاد الحياة والنشاط إلى المجمع العلمي ، مبتدئاً بإعادة عضوين آخرين إليه ، والقيام برياسة جلساته . ومن هذا التاريخ أخذت جلسات المجمع تُعقد بانتظام كسابق عهدها ، بعد إعادة القدامي من أعضائه إليه ، وضمَّ نخبة جديدة من العلماء العاملين » (٧) .

(٦) المصدر عينه ص ٨٠ .

(٧) كتاب (مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً) لعدنان الخطيب ، مطبوعات

مجمع دمشق سنة ١٩٦٦ ، ص ٢٢

ولست اعلم متى انضم المؤلف ، خليل مردم بك ، الى عضوية المجمع ، ولكن الدكتور عدنان الخطيب في كتابه (مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاما) يضع جدولا باسماء الاعضاء المؤسسين ، وعددهم ثمانية أعضاء ، يليهم الأعضاء المضمومون ، فيصل العدد الى ١٤ عضوا ؛ ثم يجيء الاعضاء المنتخبون ، فيصل بهم العدد الى ٢٦ عضوا ، هم المجمعيون في العقد الاول من عمر المجمع الدمشقي . ويأتي اسم خليل مردم بك بين الاعضاء المنتخبين (٨) . ونحن نعلم ان (الشعبة الاولى للترجمة والتأليف) التي سبقت قيام المجمع ، كانت تستعين بعدد من الاشخاص لمساعدتها في اعمالها العلمية ، وكان من بينهم خليل مردم ، وفارس الخوري ، وآخرون ، كما يذكر ذلك احمد الفتيح في كتابه (تاريخ المجمع العلمي) (٩) .

ومما لا شك فيه ان المجمع العلمي العربي بدمشق قد حمل عبئا ثقيلا في عهد نشوئه ، اذ جاء والتركعة العثمانية كبيرة ، تشمل كل مرافق الحياة السورية — والعربية عامة — وجوانبها ، فشرع حالا في العمل لتعريب الدواوين ، واستطاع في مدى قصر ان يطرد اللغة التركية ، ويحلّ العربية محلّها في عدد غير قليل من الدوائر : كالمعارف ، والاقواف ، والشرطة ، والزراعة ، وغيرها . وكان فضله في هذه النقلة السريعة من العثمانية الى العربية كبيرا جدا ففي سنوات قلائل ، كما نرى في كتاب (تاريخ المجمع العلمي) (١٠) .

ولم يكن منتظرا ان يقضي المجمع حالا على كل ما هو دخيل ، وقد وُلِدَ في شهر حزيران عام ١٩١٩ ولادة عسيرة متعثرة بسبب سوء الظروف وقلة الموارد المالية ، مما اضطرّه الى التوقف قرابة سنة وهو بعد في عامه الاول . ولذلك نلتمس العذر لخليل مردم بك حين

(٨) المصدر منه ، ص ١٥ و ١٦ .

(٩) احمد الفتيح ، ص ٤

(١٠) المصدر منه ، ص ٢٠ / ٢١

يشكو من كثرة الدخيل في اللغة ، ويورد العديد من الامثلة على هذا الدخيل ، ويرى ان علاج ذلك لا يكون الا بمجمع لغوي قوي قادر . والامثلة التي يوردها المؤلف تجيء حيناً على شكل مفردات — مثل : « (اجتسار) بمعنى مجاسرة ، و (مغدورية) بمعنى ظلم أو غمط ، و (مخدوم) بمعنى وُكُسد ، و (غدارة) بمعنى سكين » (١١) — وحيناً تجيء على شكل خطأ في القواعد — مثل : « ادخال (لُم) على الفعل الماضي ، وادخال (الى) على (عند) ، وكذلك الخطب في العدد ، والجمع ، والتثنية ، في المذكر والمؤنث ، وفي الرفع والخفض » — (١٢) .

وقد حَمَلَ بشدة على القول المأثور : « الخطأ الشائع خير من الصواب المهجور » ، وقال ان هذه القاعدة « هي التي جعلت كثيراً من اعمالنا واقوالنا خطأ » (١٣) .

ويبلغ المؤلف قمة الاخلاص للغة وللعروبة حين يقول : « لا خير في حكومة عربية لا تُحسِّن لغة العرب ، أو تذهب في بلاغاتها مذهب الاعاجم ... وكلما كان اللسان العربي مستقلاً متحرراً ، كان ذلك عاملاً في استقلال أهله ؛ فهي مسألة علمية سياسية معا » (١٤) .



وننتقل من هذا المقال الى مقال آخر عنوانه (مستقبل اللغة العربية) نشره المؤلف — كما يقول في رأس المقال — في جريدة (المقتبس)، لصاحبها محمد كرد علي ، في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ . وفي ذلك الحين لم يكن المجمع العلمي بدمشق قد وُلِدَ بعد ، بل كان ذلك اليوم نفسه — ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ الذي نشر فيه المقال — يوم مولد الشعبة

(١١) دمشق والقدس في العشرينات ، ص ٧٦

(١٢) المصدر عينه

(١٣) المصدر عينه ، ص ٧٧

(١٤) المصدر عينه

الاولى للترجمة والتأليف (١٥) التي سبقت ظهور المجمع ، والتي « كانت مهمتها تدبر أمر اللغة العربية الرسمية ، ونشر الثقافة بين الموظفين ، واستبدال المصطلحات العربية بالتركية (١٦) . وكان من أول العاملين فيها : أمين سويد ، وأنيس سلّوم ، وعزّ الدين التنوخي ، وعيسى اسكندر المعلوف ، والشيخ سعيد الكرمي (١٧) .

في هذا المقال يستعرض المؤلف حال اللغة منذ بداوة أهلها قبل الاسلام ، حين كانوا يكتفون بما تحتاج اليه البداوة من ألفاظ قليلة ، ثم كيف راحت اللغة تتسع مع ظهور الاسلام ونشؤنه وامتداد فتوحاته ، وحاجاته الحضارية الجديدة الواسعة ، ثم كيف تراجعت اللغة مع ضعف الدولة العربية الاسلامية . وهو بذلك يؤكد أن اللغة تتبع الاحوال السياسية والاجتماعية في الأمة : فتقوى وتزدهر بقوتها ، وتموت أو تضعف بموتها أو بضعفها . ثم يصل المؤلف من ذلك الى قيام الدولة العربية الجديدة في دمشق — وقيامها بعث جديد للأمة العربية — وما يعنيه هذا من عودة العرب الى حكم أنفسهم بأنفسهم ، ومن حاجة اللغة العربية الى الانبعاث من جديد ، واستعادة سلطانها ومجدها ، فيقول :

« أما الآن وقد اتاح الله لأمة العرب أن تحكم نفسها بنفسها ، فلم يعد يفي بالحاجة ما نحن عليه من اللغة ، فقد أصبحنا باحتياج الى وضع الفاظ تقوم بمطالب الأمة الحاكمة . فماذا نفعل إذن ؟ انكتفي بما نحن عليه وندع الاسماء الاجنبية على حالها ، ثم ندعي أن لغتنا أوسع اللغات ، ولدينا علم النحت والاشتقاق والتعريب ، أم نرجع الى ترتيب دول العرب فنعيدها بعينها ونستعمل تلك الالفاظ — وهذا لا يلائم العصر ، على ما أظن — ؟ أم نصطلح على أسماء جديدة يلاحظ

(١٥) المجمع العلمي العربي في خمسين عاما ، للدكتور عفنان الخطيب ، ص ٥

(١٦) تاريخ المجمع العلمي ، لأحمد الفتوح ، ص ٢

(١٧) المصدر السابق ، ص ٤

بها الصحة ، من حيث اللغة ، ونصرفها الى المسميات الحديثة ؟ ولا
أخل أرباب الفكر الراجح ، ونزوي الأدب ، الا أنهم يرون هذا الرأي
الأخير (١٨) .

هذا الرأي الذي نادى به خليل مردم بك عام ١٩١٨ ، اي
قبل أكثر من ستين عاما ، لا يزال الى اليوم هو الذي تقوم عليه قاعدة
التعريب في العالم العربي ، سواء في الجامع اللغوية أم في غيرها من
الهيآت العاملة في تعريب المصطلحات العلمية والتقنية والسياسية
وغيرها .

والمؤلف يكرّر دعوته في ختام المقال الى قيام « جمعية تؤلف
من فحول اللغويين والعلماء والأدباء ، وتتفق على كل كلمة تضعها ، ثم
تُذيع ذلك ليكون سنة متبعة ، تعضدها الحكومة . فاذا ذلك حدث عن
مستقبل اللغة الباهر ولا حرج (١٩) .

والجمعية التي يعينها المؤلف هنا لا يمكن ان تكون غير المجمع
العلمي الذي قام بعد ذلك بعام ، والذي ظل دعوة ينادي بها خليل
مردم بك بهمة وصدق واخلاص . وكان يمهّد لقيام المجمع بمقالاته
اللغوية ، وبالدفاع عن اللغة العربية . وكان دفاعه حاراً ، ومتعدد
الميادين والاتجاهات . من ذلك أيضاً مقالته (اللغات والأمم)، وقد نشره
في (المقتبس) كذلك في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ بعد عودة المجمع
الى العمل بشهرين — وفي هذا المقال يقول المؤلف في الفقرة الاولى
منه ما يلي : « مظاهر رقي الامم ودلائل عظمتها شتى ... وأوضحها
تبيان اللغة : فهي مقياس صحيح وميزان غير خاسر . فلك أن تحكم
على ماهية كل أمة بماهية لغتها » (٢٠). وفي هذا المقال يؤكد مدى عناية
العرب البالغة بلغتهم ، فيقول : « ما أظن أمة اعتنت بلغتها كالأمة

(١٨) دمشق والقدس في العشرينات ، ص ٩٤

(١٩) المصدر منه ، ص ٩٥

(٢٠) المصدر منه ، ص ١٠٥

العربية ... كانت تعقد المجالس اللغوية في بغداد بحضرة الخلافة ،
فيحتدم الجدل وتعلو الاصوات ، وتُسْتَشْهَد الأعراب من أجل تركيب
أو لفظة (٢١) .

ثم يصل الى حاضر اللغة العربية ، فيقول بمرارة : « اننا لا
أطلب الآن ممن ابتليت العربية بكونهم من ابنائها - وانما منهم - ان
يأتوا بمثل ما أتى به آباؤهم في سبيل حفظ اللغة ... ولكن لا أقل
من الاحتفاظ بها ، والرجوع في مكاتباتنا الى ما عليه شبه العربية ...
فاننا لا اعرف قوما غير العرب يترفعون عن التكلّم بلغتهم ، ويتراطنون
بغيرها في المجالس والجامع العامة ! » (٢٢) .

وهذا الذي كان خليل مردم يشكو منه قبل ستين سنة ، ما نزال
نشكو منه في يومنا هذا اضعاف اضعاف ما كانت شكوي مردم وابناء
زمانه ؛ ففي ذلك العهد كان الذين يرطنون بلغة اجنبية اقلية نادرة ،
لا يقاس عليها ، واما اليوم فخريجو الجامعات الغربية الوف مؤلفة
او ملايين . واسوأ ما نشكو منه ان التدريس العلمي في جامعاتنا
العربية يكاد يكون كله باللغة الاجنبية ، ولهذه اللغة الاجنبية انصار
متعصبون من المدرسين العرب ، يحاربون العربية بضراوة ، وينفون
عنها المقدرة على استيعاب الفاظ الحضارة ومعانيها - وهذا أسوأ
ما يمكن ان تُطعن به العربية وأبلغه - وكأنها لم تكن يوما هي وحدها
لغة الحضارة والعلم في العالم بأسره .

ودعوة المؤلف الى (التعليم الاجباري) ، في مقاله بهذا العنوان ،
المنشور في (المقتبس) في ٦ كانون الثاني سنة ١٩١٨ ، هي دعوة من
كاتب مؤمن بفكرته وبقوميته ، يريد ان يبين امته بناء سليما متينا وهي
في بداية يقظتها ونهوضها من تحت النير الغريب . فهو يقول :

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٠٦

(٢٢) المصدر عينه ، ص ١٠٧

« عَلِمَتِ الشعوبُ المتخنة أن القوة ليست بأمواء المدافع ومتون السيوف فقط ، بل أن القوة كل القوة بتمعيم العلم بين الأفراد . فالأمة العالة لا تكون الا قوية . . . وما أبعد الفرق بين من يعطي أموره على علم ، ومن يخطب فيها خطب عشواء » (٢٣) .

وحين يرى أن الاغلبية الساحقة من الإباء هي من الاميين الذين لا يدركون قيمة العلم في الحياة ، يقول : « الرجل الذي لم يتمتع بالمعرفة ، لا يشعر بضرورتها لولده . فما على الحكومة والحالة هذه الا أن تجعل التعليم اجباريا . . . » (٢٤) .

ولقد رافق خليل مردم بك المجمع العلمي العربي — مجمع اللغة العربية الآن بدمشق ، وشيخ المجامع اللغوية والعلمية العربية كلها — منذ بواكير تأسيسه ، وبعد وفاة مؤسسه ورئيسه الاول محمد كرد علي ، تولى هو رئاسته . وخلال حياته الجمعية ، حتى وفاته سنة ١٩٥٩ ، استطاع أن يحقق الكثير مما كان يدعو اليه في سبيل عزة اللغة العربية ومجدها ، سواء بالبحوث التي كان يغذي بها مجلة المجمع ، أم بالكتب التي كان يؤلفها أو يحققها .

عيسى الناعوري

(٢٣) المصدر منه ، ص ١٠٨

(٢٤) المصدر السابق ، ص ١٠٩

حول (المقرنص) - والكهرباء

لاكثره ف. عبد الرصم

ردا على ما ذهب اليه الاستاذ عيسى الناعوري من ان « المقرنس » اصله « المقريس » بالباء، وانه مأخوذ من الكلمة اللاتينية Corpus قال الدكتور مدنان الخطيب إنها كلمة عربية، وإنها مأخوذة من القرناس الذي يعني أنف الجبل . اني أؤيد هذا الرأي ، وأود أن أضيف هذه الكلمات ايضا وتفصيلا :

القرناس (١) فسرّه ابن دريد بأعلى الجبل (الجهرة ٣/٣٣٨) . وفسرّه أبو عبيد بشبه الأنف من الجبل . وقال ابن الاعرابي انه أنف الجبل (التهذيب ٩/٣٩٥) . ولعل أوضح التفسيرات ما قاله الجوهري : « شبه الأنف يتقدم من الجبل » (٢) .

ومن هنا جاء معنى البروز . فقالوا : السقف المقرنس : عمل على هيئة السلم (٣) وكما جاء في المعجم الوسيط : المزين بخوارج منه ذات تدريج متناسب .

(١) ذكره ابن دريد (الجهرة ٣/٣٨٦) بالفهم والكر . وحكى الأزهرى في التهذيب « / ٩/٣٩٥ » قول ابن الاعرابي انه بكسر القاف ، ونسب الجوهري على انه بالفهم .

(٢) في اللسان : شبيه الأنف .

(٣) قاله الصفاتي في التكملة ٣/٤٠٨ . وهو أول من قاله بهذا العلم . ونقله الفيروزآبادي مصحفاً صحيحاً ناعشاً فقال : سيف مقرنس : مثل على هيئة السلم ! وقد لبه الزبيدي على ذلك .

أما قول الدكتور الخطيب أن القرناس لغة في القرناس ففيه نظر . فلم يرد في المعاجم القرناس لغة في القرناس ، إنما ورد الفعل قرنس لغة في قرنس . قال ابن فريد (الجهرة ٣/٢٢٨) : قرنس الديك إذا كُرَّ من ديك آخر . ولا تقول قرنس كما تقوله العامة . وقال الصفاني (التكملة ٢/٤٨) : قرنس الديك وقرنس إذا فر وقتزع (٤) .

هذا ، واشتق دوزي (تكملة المعاجم العربية ٢/٣٣٢) من القربوس وهو تعريب *ΚΡΥΠΤΙΣ* باليونانية ومن معانيه الأساس . ونقل قول صاحب محيط المحيط : قريس البيت : قاس طوله وعرضه ليساوي بين كل حائط وما يقابله . ثم قال أن من معانيه : بناء السقف وتزيينه بالنقوش وتذهيبه .

والصواب أنه بالنون كما مر، وهكذا جاء في رحلة ابن جبير (٥) .



ثانيا : قال الاستاذ روكس بن زائد العزيزي مخطئا من يقول الكهرياء بالهمزة : « الكهرياء بلا مد لأنها من الفارسية كاه ربا، أي جانب الثبن ، وليس في أصل الكلمة همزة . وكان أول من اشاع هذا الوهم العلامة المرحوم بطرس البستاني في محيط المحيط » .

كانه يجب ابقاء الكلمة المعربة على ما كانت عليه قبل تعريبها . والمعروف أن « تعريب الاسم الاعجمي هو أن تنفوه به العرب على مفاهيمها » كما قال الجوهري (٦) . وإذا قبلنا مبدأ عدم التعرض للمعرب بالتعديل والتغيير فعلينا أن نقول كاه ربا باثبات الالف (٧) .

(٤) قرنس له معنى آخر . يقال : قرنس البازي وقرنس إذا كُرَّ وَخِطَّت ميناة أول ما يصاد . وبهذا المعنى أيضا قرنس بالصاد لغة كما في التكملة . لم يذكر الجوهري الفعل قرنس بالسین إنما ذكر قرنس بالصاد فقط . وقال : باز مقرنس أي مقتنى للاصطياد ، وقد قرنسته أي اقتنيته .

(٥) رحلة ابن جبير ط دار صادر دار بيروت ص ٢٦٥ .

(٦) الصحاح / عرب .

(٧) قد ابقوا الالف مع التثاء الساكنين في راءناجج وهويسكون الماء (التاج) .

هذا ، وكثيراً ما زادت العرب همزة في أواخر الكلمات العربية
المنتهية بالالف . اليكم امثلة ذلك :

١ - ايليا وهو بيت المقدس . وايلياء بالهمز لغة فيه . واصله Aelia
بالاتينية (٨) .

٢ - زكريا . وزكرياء بالهمز لغة فيه . وقرئ بها القرآن . قال
مكي بن أبي طالب : قرأ حفص وحمزة والكسائي زكريا بغير
مد ولا همز ، ومدّه الباقون وهمزوه (٩) .

٣ - بوريا . وبوريا بلا همز لغة فيه (١٠) . وهو الحصر . واصله
بالفارسية بوريا .

٤ - مصطكا . ومصطكاء بالهمز لغة فيه (١١) . وهو يوناني
واصله *μαστίχης* .

٥ - برنساء بالهمز . واصله برنشأ (*برنشا*) بالسريانية .
فهمز كهرياء جريا على هذه السنة القديمة في التعريب .

الفكتور ف. عبد الرحيم

الجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

في ١٦/٧/١٣٩٩ هـ .

١١/٦/١٩٧٩ م .

Colonia Aelia Capitolina

(٨) هو جزء من اسمه الطويل

وسمي باسم هادريان وكان اسمه الاول Aelius . وفي ايلياء أربع لغات
أخرى ذكرها صاحب القاموس .

(٩) الكشد عن وجوه القراءات السبع (٣٤١/٢) . ولي زكريا لغة ثالثة وهي
بمذنب الالف . (الصحاح) .

(١٠) التاج .

(١١) القاموس

رَدُّ النَّاعُورِيِّ حَوْلَ (الْمَقْرِصَاتِ وَالْمَقْرِصَاتِ)

ردا على تعليق الاخوين : الدكتور عدنان الخطيب في العدد الثاني من هذه المجلة ، السنة الاولى ، والدكتور فانيام بادى عبد الرحيم الآن ، اودّ ان اوضح ما يلي :

كنت ارى ان الكتاب السوريين — والمشاركة عامة — يستعملون كلمة (المقرنس — المقرنس) ، وفي المغرب رايت المغاربة يستعملون كلمة (المقريص) — بالباء لا بالنون — للمعنى عينه . ولفت هذا الاختلاف انتباهي ، وتساءلت كيف نشأ ، مع ان المعنى واحد ، وهو الزخارف ذات الصناعة المرفهة الدقيقة المجسمة في السقوف ، والابواب ، والسقائف ، ورفوف الجدران في المساكن والقصور الاندلسية ، او ذات الطراز الاندلسي .

ولم يقنعني ما تقوله القواميس من ان (القرناس) هو « أنف الجبل » ، وان (المقرنس) هو « المعمول على هيئة السلم » ؛ فالفرق بعيد جدا بين الرهافة المدهشة والمثيرة للشاعرية في الزخارف الجبسية والخشبية الاندلسية ، وانوف الجبال او اعاليها ، وكذلك السلالم .

وتساءلت من جديد : ايّ الفريقين اقرب الى الصواب فسي تسمية هذه الزخارف : المشاركة في قولهم « مقرنسات — مقرنسات » ، ام المغاربة في قولهم « مقريصات » ، التي لا صلة لها بالسلالم ولا بانوف الجبال ؟ واذا كان « المقرنس » ما عمل على شكل سلم ، او كان نائشا كأنف الجبل ، فمن اين جاءت كلمة « المقريص » — بالباء — ؟

ولما كانت الاشكال الزخرفية الجبسية والخشبية الاندلسية التي تعنيها الكلمتان مجسمة كلها ، ومحفورة حفرا فنيًا دقيقا ناعما ، فقد خطر لي ان الكلمة مأخوذة عن اللاتينية Corpus التي تعني (الجسم) ، فيكون معنى (المقريص) : (الجسم) ؛ وهذا التعبير شائع في الفنون التشكيلية ، فيقال : المجسمات ، او الاشكال المجسمة .

ولسم اقطع بهذا الراي وحدي ، بل اغتنتم فرصة دموع وزير الثقافة المغربي ، العلامة الحاج محمد باحيني ، اياي الى القاء محاضرة في الرباط — وكان ذلك عام ١٩٧٤ — واعلنت رأبي هذا نسي اثناء المحاضرة — وتساطت إن كنت على صواب في ما ذهبت اليه . فلقي رأبي هذا تأييدا كاملا ، ولا سيما من السيد الوزير — وهو من علماء المغرب الاجلاء — مما شجعتني على الاقتناع بصواب ما ذهبت اليه ، بغض النظر عما تقوله القواميس في معنى (المقرنس والقرناس) ، وفي الفعل (قرنس وقرنس) مما لا صلة له بالمقريصات الاندلسية ، تلك الزخارف الفنية المجسمة المدهشة .

ويمد :

ليس من شك في أن قواميس اللغة هي المرجع في تقويم اللسان . ولكن القواميس ليس فيها كل شيء ، واحيانا قد يكون البون واسعا بين معنى اللفظة في القاموس وحقيقة المعنى المقصود ، مثلما هو بين انف الجبل ، والزخرفة المدرجة بدقة ونعومة متناهيتين . وهنا قد يكون الذوق ايضا عاملا مهما في تحديد اللفظ المناسب للمعنى . وقد تجلّى عامل الذوق في (المعجم الوسيط) الذي طوّر اللفظة القديمة وشروح القواميس لها ، فقال : « قرنس السقف : زينه بخوارج منه ذات تدريج متناسب ، فهو مقرنس » ، وهذا ما لم يرد في غيره من المعاجم القديمة .

* * *

ولندع الآن (المقرنس — المقرنس) جانبا — ولندع كذلك ما ورد لها وللفعلها من معان متناقضة متنافرة في المعاجم القديمة والحديثة ، ولنتساءل : من أين جاء المغاربة بكلمة (المقرنس) ، وهي غير موجودة في معجم قديم ولا حديث ، وانما ورد في القواميس مما يقارب لفظها بعض الشيء كلمة (القربوس) وهو : « حنو السرج » اي تسبه المقوس المرتفع من مقدم المقعد ومن مؤخره ؛ وهذا لا صلة له بما نريد من بعيد او قريب . الا يظنّ ما قلناه من أن هذه الكلمة

معربة من اللاتينية Corpus رايا اكثر احتمالا من سواء ،
 ما دام المعنى الذي تؤديه الكلمة المعربة اكثر انطباقا على المقصود ،
 وما دامت المعاجم لم تتعرض لها ، ولا اشارت الى اصل عربي او
 اجنبي جاءت منه ؟ أم ترى المغاربة جاؤا بها من عندهم دون رجوع
 الى اصل عربي او اعجمي ، واستعملوها دون سند ؟ الا يبدو مثل هذا
 الاعتقاد غريبا وبعيدا عن التصديق ؟

اما ما جاء في كلمة الاخ الدكتور فانيام عبد الرحيم من أن دوزي
 في (تكملة المعاجم العربية ٢/٣٣٢) قد « اشتقه من القربوس ، وهو
 تعريب $KP\eta\tau\tau i's$ باليونانية ، ومن معانيه الاساس » ، فقد
 رجعت الى دوزي ، كما رجعت الى (المعجم اليوناني — الانكليزي)
 للبدل وسكوت (العمود ٢ الصفحة ٩٩٤) فوجدته يشرح كلمة $KP\eta\tau\tau i's$
 بأنها « الحذاء الطويل ، أو الحذاء النصفني ، أو حذاء الجنود » .

وبلاحظ القارئ ان هذه اللفظة اليونانية ، بكل معانيها المذكورة
 ههنا لا قرابة بينها وبين ما نعنيه بالمقربص .

وارجو التنبيه الى انني لا اتحدث عن الفعل (قربص) او
 (قريس) ومشتقاته مهما تكن ، فما يعنيني منها غير اسم المفعول
 (المقربص) ، وليجادل من شاء كما يشاء في البقية .

وانا لذلك اترك الامر لذوي الذوق اللغوي والفني لكي يروا
 فيه رأيهم ، وانا قدّمتُ اجتهادا أرجو أن نصل منه الى الممكن
 والحقيقي . وشكرا للاخوين الكريمين عدنان الخطيب وفانيام عبد الرحيم
 على تعقيبهما .

عيسى الناعوري

رّة العزّيزيّ حول (الكهرباء)

سيادة الاخ الكريم الدكتور الفاضل
ف.ه. عبد الرحيم

تحية — على البعد — خالدة ، وبعد ،

قرأت باحترام ، ما كتبتموه ردّاً على كلمتي المنشورة في العدد
الثاني من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، بشأن كلمة (كهرباء) .

الحق اني لا اوجب تعريب الكلمة بلفظها الاعجمي ؛ لكن ، اذا
زدنا همزة في آخر الكلمة ، وجب علينا ان نقلب الهمزة عند النسبة
واوا فنقول : « كهرباوي ، وكهرباوية » والاستاذ يرى معنى ثقل الكلمة ،
ومن حقنا ان نحافظ على رشاقة هذه اللغة التي شرف الله قدرها .

واذا اراد سيادة الاستاذ بحثا مفصلا عن هذه القضية ، فارجو
منه ان يرجع الى كتاب العلامة المرحوم الاب انستاس ماري الكرملّي
(اغلاط اللغويين الاقدمين) المطبوع في بغداد — دار الايتام سنة ١٩٣٣
من صفحة ٢٤٠ الى ٢٦٠ .

ختاماً ، ارجو ان تجودوا وتقبلوا اسمي الاحترام ،

٢٥ رجب ١٣٩٩ هـ

مان ١٩٧٩/٦/٢٠ م

باخلاص

روكس بن زائد العزّيزي

أخبار جمعية

ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية

عمان - ١٠/٣١ - ١١/٣ / ١٩٧٨ م.

١ - ٤ / ذي الحجة / ١٣٩٨ هـ.

في تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء الاول من شهر ذي الحجة سنة ١٣٩٨ للهجرة ، الحادي والثلاثين من شهر اكتوبر / تشرين الاول سنة ١٩٧٨ للميلاد ، تفصل جلالة الملك الحسين بن طلال المعظم بافتتاح الندوة الرابعة لاتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية ، في مدرج سمير الرفاعي في الجامعة الاردنية ، والتي في الحفلة كلمة حيى فيها رؤساء المجامع والوفود المشتركة في الندوة ، وأبدى دعمه الكريم للمجامع واعمالها ورسالتها القومية العظيمة الاهمية . ثم القى كل من الدكتور عبد الكريم خليفه ، رئيس المجمع الاردني ، والدكتور ابراهيم مذكور ، رئيس اتحاد المجامع ، رئيس المجمع المصري، كلمته .

ثم انتقلت الوفود وأعضاء المجمع الاردني الى نادي الجامعة حيث التقوا بجلالة الملك ، ولقوا من جلالته كل حفاوة وترحيب .

وبعد ذلك بدأت الندوة اعمالها في رحاب الجامعة الاردنية ، فكانت تعقد جلسة صباحية وأخرى مسائية ، لتستمع الى ملخصات لكلمات أعضاء الوفود ، وتناقشها . وقد بقي في هذه الندوة ، خلال ايامها الثلاثة ، عشرة بحوث ، وخرجت الندوة بعد ذلك بتوصيات يجدها القارئ في نهاية الحديث .

وقد عقدت الندوة بضيافة مجمع اللغة العربية الاردني ، واشترك فيها أعضاء المجمع الاردني ، ووفود تمثل المجامع الشقيقة في مصر وسوريا ، وباحثون من بلدان عربية متعددة ؛ ولم يشارك فيها المجمع العلمي العراقي لظروف خاصة .

وكان المشتركون في هذه الندوة من الوفود العربية الشقيقة هم :
الدكتور إبراهيم بيومي محكور ، رئيس اتحاد المجامع ، رئيس مجمع
القاهرة

الدكتور حسني سبيع ، رئيس مجمع دمشق

الدكتور محمد مهدي علام — مصر

الاستاذ عبد العليم فوده — مصر

الدكتور إبراهيم السامرائي — العراق

الدكتور عدنان الخطيب — سوريا

الدكتور شكري فيصل — سوريا

الاستاذ عادل ستف الحيط — الكويت

الدكتور عمر فروخ — لبنان

الاستاذ عبد الله بن خميس — المملكة العربية السعودية

الاستاذ محمد الحبيب بن الخوجه — تونس

السيدة ليلى طراد — رئيسة تحرير مجمع القاهرة

السيد نجيب نادر — مراقب الشؤون المالية في مجمع القاهرة

وكان من المنتظر أن يحضر من المجمع العراقي كل من الدكتور
عبد الرزاق محيي الدين ، والدكتور عبد الستار الجواري .

ومن المغرب والسودان الدكتور عبد الهادي التازي ، والدكتور
عبد الله الطيّب ؛ ولكنهم لم يتمكنوا من الحضور .

والمجمع الاردني الذي رحّب بالاشقاء الأجلاء في أول ندوة يشارك
فيها من ندوات الاتحاد ، يؤكّد حرصه الشديد على دعم الاتحاد ،
وعلى استمراره في أداء رسالته لوحدة اللغة ، ووحدة المنطلق لتحقيق
أهداف المجامع المشاركة فيه ، لتُظَلَّ اللغة العربية العزيزة منطلق
الوحدة القومية والعزة العربية .

كلمة مهالة الملك العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الاخوة أعضاء مجامع اللغة العربية

أيها السيدات والسادة

انه لمن دواعي سروري أن أكون معكم في هذا اللقاء القومي ،
الثقافي لافتتاح ندوة اتحاد مجامع اللغة العربية ، وأن أرحب بالاخوة
أعضاء المجمع العربية الشقيقة المشاركين في هذه الندوة متمنياً لهم
طيب الإقامة بين أهلهم وأخوانهم في بلدهم الثاني الأردن .

ان اللغة العربية هي الوعاء الاساسي ، والرباط المتين الذي حفظ
تراثنا وحضارتنا عبر القرون الطويلة ، وكانت اللغة العربية اولى
اللغات الاساسية التي حملت رسالة الحضارة العربية والاسلامية ،
ونقلت العلم والآداب والفنون الى سائر انحاء العالم ، وساهمت بقدر
عظيم في نقل الكتب العلمية النادرة ونتاج الفكر الانساني ، فكان لها
فضل المحافظة على اقدم العلوم والآداب والفنون التي ظهرت في
العالم . وفي الوقت الذي خَبَتْ فيه مسيرة العلم في وطننا العربي لفترة
من تاريخنا القريب ، وسبقتنا أجزاء من العالم في ميادين العلم والتقنية ،
استطاعت لغتنا العربية الحفاظ على تراثنا وحضارتنا ، وحماية روح
التضامن والشخصية القومية الموحدة بين أبناء أمتنا ، ووضعتهم في
طريق الحرية والنضال من أجل مستقبل جديد . ومع ذلك فإنّ على
لغتنا العربية أن تنفتح على المفاهيم العصرية ، وتتفاعل مع التيارات
الفكرية المختلفة في هذا العالم المتجدد ، لتحمل الى أبناء أمتنا روح
العصر وفكره العلمي ، وأن تتمكن من مواكبة المسيرة العلمية الحديثة
نحو التقدم لتحقيق رخاء الانسان وسعادته . ان مجامع اللغة

العربية، وهي تحمل عبء الحفاظ على لغتنا وتراثنا وحضارتنا، تقع عليها مسؤولية الاضطلاع بتقدم اللغة العربية لتستوعب التقنية الحديثة، والعلوم المتقدمة، والفكر المعصري، عن طريق توحيد المصطلحات، ووضع المعاجم الكتيلة بمواكبة متطلبات الآداب والعلوم والفنون في العصر الحديث، واحياء التراث العربي والاسلامي في هذه المجالات، وجعلها لغة للحضارة في الحاضر كما كانت لغة للحضارة في الماضي .

انمنى لكم جميعا بلوغ الاهداف المنشودة لرفع لواء العلم في امتكم، ونشر حضارتها الخالدة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلية رئيس مجمع اللغة العربية الاردني الدكتور عبد الكريم خليفة

صاحب الجلالة الملك المعظم ،

ايها الضيوف من شيوخ العربية وحماة من الرباط الى بغداد ،

ايها الحفل الكريم ،

انه لشرف كبير ان اتف في هذه المناسبة التاريخية ، حيث يعقد اتحاد الجامع اللغوية العربية ندوته الاولى في الأردن المجاهد الصابر ، لكي انتقم بالشكر العميق الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، لتفعله برعاية هذه الندوة بكل ما ترمز اليه من اهداف سامية ، في خدمة العربية ، لغة « القرآن » الكريم ، دستور امتنا الخالد ، ومقوم وجودها على مرّ القرون، وعبر الحملات والغزوات الاجنبية، قديمها وحديثها ...

ليست اللغة العربية اداة مشتركة للتعبير والتفاهم بين أقطار العروبة فحسب ، ولكنها اللغة التي تتصل اتصالا جوهريا بتراث الامة وقيمتها وعقيدتها وخصائص وجودها . ولا اعلم ان هنالك لغة من لغات العالم تشارك العربية فيما تميّزت به من هذه الصفات .

ولقد ادرك الاردن الحبيب هذه الحقيقة منذ نشأته الحديثة ، فجعل من خدمة اللغة العربية والتأكيد على اهميتها ، هدفا من اهدافه القومية السامية ، وذلك بالرغم من الظروف القاسية التي مرّت به ، وبالرغم من امكاناته المادية والبشرية المحدودة اذ ذاك . ولذا كانت فكرة انشاء « مجمع اردني » للمشاركة في خدمة لغة العروبة والاسلام ، من الافكار الاساسية التي اراد جلالته المغفور له الملك عبد الله بن الحسين تحقيقها في اثر دخوله شرقي الاردن مستقطبا رجالات العرب واحرارها . فقد امر بانشاء مجمع علمي في الاردن سنة ١٩٢٤ ، وانتخب له عددا من العلماء الاجلاء ، رحمهم الله جميعا .

ولئن حالت اسباب مادية وعلمية دون تحقيق هذه الامنية الغالية
اذ ذاك ، فقد استمرت جذوتها حية في ضمير هذا البلد العربي الاسلامي
الاصيل ، لانها تشكل احدى سماته الاساسية التي تميز طبيعة
نظرته الى جوهر وجوده وكيانه ، من خلال ايمانه بوحدة امتنا العربية
ومصيرها المشترك . ولذا ، وبعد تطورات ومراحل لا مجال لذكرها
الآن ، صدرت الارادة الملكية السامية سنة ١٩٧٦ ، بالموافقة على
« قانون مجمع اللغة العربية الاردني » الذي ينص على أن يؤسس في
المملكة الاردنية الهاشمية مجمع يسمى « مجمع اللغة العربية
الاردني » ...

وان « المجمع الاردني » ، ليستوحي في مسيرته واعماله ، فلسفة
امتنا العربية وتراثها ولغتها الخالدة بخلود هذا « القرآن » العزيز ؛
فاتخذ من « قبة الصخرة » في القدس الاسر شعارا له . وكان
من اولى الخطوات التي قام بها ، اتصاله بالمجامع اللغوية الشقيقة
في القاهرة ودمشق وبغداد التي رحبت به اجمل ترحيب ، وأصبح
عضوا في اتحاد مجامع اللغة العربية الذي نعز به وبرئيسه العالم
الجليل الاستاذ الدكتور ابراهيم مذكور ، حفظه الله وأبقاه . ونحن في
المجمع الاردني ، نعتبر انفسنا لجنة من لجان مجعنا العربي الكبير ،
نترجم من خلاله ارادة بلدنا المجاهد الصابر في المساهمة بكل ما
يعلي شأن امتنا في ميادين التقدم والمعرفة . وانه لمن البديهيات
القول بان الامّة لا تستطيع أن ترقى الى مجال الابداع العلمي الا من
خلال لغتها القومية . وان الانسان ليستطيع أن يستوعب في فترة
زمنية محدودة بلغته القومية ، اضعاف ما يستطيع استيعابه باللغة
الأجنبية، مهما كانت درجة اتقانه لهذه اللغة .

وقد أدركت الامم المنحرة في العصر الحديث هذه الحقائق ،
فاستطاعت أن تصل من خلال لغاتها القومية الى ذروة ما وصلت اليه
العلوم والتقنيات الحديثة . والأمثلة على ذلك كثيرة ؛ فقد استطاعت
اليابان أن تصل من خلال اللغة اليابانية الى ذروة ما وصل اليه

العلم والتقنيات الحديثة ؛ وكذلك فعل الاتحاد السوفيتي من خلال اللغة الروسية، وهو أيضا ما صنعه الآن الصين من خلال اللغة الصينية ... دون أن نذكر أمها أخرى وشعوبها لم تكن لغاتها ما للغة العربية من تجربة تاريخية وعطاء علمي إبداعي .

وفي وسط هذه العواصف التي باتت تهبّ على أمتنا ، من استعمار استيطاني صهيوني احتلّ البلاد ، ووطئ المقدسات ، وشرّد الأهل والأخوة ، الى هجمات شرسة مسمومة ، مغلفة أحيانا ، وسافرة أحيانا أخرى ، تستهدف مناهضة « اللغة العربية الفصحى » ، باعتبارها العامل الاصيل في وحدة أمتنا واستمرار وجودها ، وارتباط ماضيها بحاضرها ، بل واستشراف مستقبلها ... اتول في وسط هذه العواصف تمخر سفينة الأمل مؤمنة بالنصر والوحدة والتقدّم ، لكي تلحق بركب الحضارة العالمية ، وتساهم في تقدّم الإنسان ؛ ولها من تاريخها الحضاري دافع قويّ ورصيد خصب . وهنا تحتلّ اللغة العربية الفصحى مكانة أساسية ؛ والعربية الفصحى لغة حيّة ومطواعة في ذاتها .

ونحن نعتقد أن القضية الاولى التي يجب أن تُطرح في مؤسساتنا اللغوية والعلمية هي : كيف يمكن أن تكون لغتنا العربية لغة العلم والفكر والتقنيات الحديثة ، اللغة التي تستوعب جميع معطيات الحضارة العالمية الحديثة ، كما استوعبت ، في تاريخها الزاهر ، حصيلة المعارف الانسانية . وكانت العدة قرون ، اللغة العالمية الاولى في العلم والفكر والفن .

واستجابة لهذا الهدف الكبير ، استهلّ المجمع الاردني أعماله ، بمحاولة استقصاء شامل لجميع المصطلحات الأعجمية والدخيلة التي تُستعمل في مختلف مؤسسات الدولة ، الرسمية منها والخاصة ، ووضع المقابلات لها من المصطلحات العربية ، مستعينا بحصيلة الجهود الخيرة التي أُنجزت في هذا المضمار ، بالتنسيق مع المجامع اللغوية العربية

من خلال اتحادنا المبين . وان حرصنا على تعريب المصطلحات ، لا يوازيه الا حرصنا على توحيد لغة العلم والتقنيات الحديثة ، على نطاق جميع المؤسسات العلمية في الوطن العربي .

واسهاما متواضعا من « مجمع اللغة العربية الاردني » في هذا الاتجاه ، فقد قام بالفعل ، متعاوننا مع عدد من علماء الجامعة واساتذتها ، بترجمة عدد من الكتب العلمية التي تُدرّس في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ، شملت مجال الرياضيات ، والاحياء، والكيمياء، والفيزياء ... ومنذ بضعة ايام تسلم المجمع بعض هذه المشاريع المنجزة . وفي خلال اسابيع قليلة ، ان شاء الله ، سيتسلم بقيتها ، حيث ستُمنع للطباعة والنشر بأفضل ما يمكن من دقة واخراج .

ان قضية جعل اللغة العربية لغة العلم والحضارة الحديثة ، قضية تتعلق بنا نحن ابناء هذه اللغة ، ولا تتعلق بطبيعة اللغة من حيث جوهرها .

لقد قامت مجامعنا اللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد بجهود خيرة ومشكورة ، الى جانب ما تبذله بعض المؤسسات العلمية والجامعية في الوطن العربي ، ولا سيما فيما حملت لواءه « جامعة دمشق » منذ أكثر من خمسين عاما ، بالرغم من الظروف القاسية والامكانيات المحدودة ...

وعُقدت مؤتمرات واثيمت ندوات على مستوى الوطن العربي ... ووضعت معاجم لغوية وأُترت مصطلحات علمية .. وصدرت توصيات ... ولكنني اود ان اقرر هنا حقيقة معروفة ، وهي ان اللغة لا تحيا في بطون الكتب والمعاجم الموضوعة على الرفوف ، ولكنها تحيا بالاستعمال والتفاعل في قاعات التدريس والبحث والمختبرات ، وعلى صفحات الدوريات المختصة ، وفي مجالات التأليف والترجمة ؛ فهي عملية متكاملة لا يمكن ان يفصل بعضها عن بعض ، دون المساس بجوهر الهدف وتحقيقه .

وفي سياسة العمل الدؤوب الصامت ، قُرِّرَ اتحاد مجامع اللغة العربية ان يُعقد ندوة في مجمع اللغة العربية الاردني ، وجعل موضوعها : "تعليم اللغة العربية خلال الربع القرن الاخير" . وسيُدرس الخبراء ، في اطار هذا الموضوع ، ومن خلال تقييم هذه المرحلة ، « أسباب ضعفنا في اللغة العربية » . ولهذا الموضوع جوانب متعددة لا بدّ من معالجتها ... فمنها ما يتعلق بالمعلم ، من حيث تكوينه العلمي والاهتمام به ورعايته، ومنها ما يتعلق بالمنهاج وحسن اختياره .. ومنها ما يتعلق بطرق التدريس واساليبها الحديثة المتطورة ... ومنها ما يتعلق بالكتاب المقرّر، من حيث الجودة في المادة والطباعة والاخراج ... ومن اهم هذه الجوانب ايضا ما يتعلق بسياسة التعليم التي يطبقها فعلا هذا البلد العربي أو ذاك ، ولا سيّما في جمل اللغة العربية لغة التدريس والبحث في جميع مستويات التعليم ، وفي جميع الكليات ، العلمية منها والانسانية ، وبين مختلف ألوان المعرفة الانسانية .

ونحن على يقين — إن شاء الله — ان أساتذتنا، من خبراء العربية وشيوخ مجامعها، سيمالجون هذه القضايا ، وسيضيفون آراء سديدة نافعة الى آراء اخوة آخرين من خبراء اجتمعوا في فترات سابقة . ولكننا نعتقد ايضا أن دراسة المشكلات ووضع الحلول واقتراح التوصيات ، على اهمية ذلك كله ، سيبقى نظرية عقيمة اذا لم يُحوَّل الى عمل فعّال، ويأخذ مجراه الى التطبيق .

وفي هذا الصدد أودّ ان أشير الى احدى النتائج التي توصّل اليها الخبراء المتخصصون في تعليم اللغة العربية ، الذين اجتمعوا بعمّان ، في مثل هذا الوقت من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٧٤ ، بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فقد جاء فيها ما يلي :

« تدارس الخبراء مشكلة التعليم الجامعي والعالي، وعدم استخدام اللغة العربية في الكليات والمعاهد العلمية والتقنية في كثير من الدول العربية . وتقديرا منهم لاثّر التدريس بهذه اللغة في ترسيخ

مكانتها في مراحل التعليم العام وتصحيح نظرة الطلاب اليها ، وإيماننا منهم بالأهداف القومية التي ترمي الى التخلص من آثار الفترة الاستعمارية السابقة ، ومما أحدثته في الأمة العربية من عوامل الفاقة وضعف ثقافتها بذاتها ولغتها ، واقتناعا منهم بأثر العلم والتقنيات الحديثة في النهضة الحضارية المرجوة ، وإدراكا منهم لمرونة اللغة العربية وقدرتها على أن تطوّر لأعباء التعريب ومتطلباته ، وإيماننا بأن تعريب التعليم لا يتعارض بحال مع إتقان اللغات الأجنبية، ومتابعة البحث العلمي، والمشاركة فيه ، وانتفاعا بتجارب الأمم الأخرى التي جعلت لغتها القومية لغة التعليم في التعليم الجامعي ، دون أن تكون أرقى من الأمة العربية لغة أو حضارة ، وإفادة من التجربة القائمة في الجامعات السورية، فإنهم يوصون بما يلي :

— أن تتخذ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الخطوات اللازمة والفورية لتنفيذ ما سبق أن اقترنه جملة من المؤتمرات والندوات واجتماعات الخبراء ، سواء في ذلك مؤتمرات الأطباء والعلميين والمجمعين والجامعيين ، من ضرورة اتخاذ اللغة العربية لغة للتدريس في الكليات الجامعية والمعاهد العالية .

— أن تسعى المنظمة لاستصدار قرار سياسي في هذا الموضوع على أعلى المستويات، وذلك لوضع حد للتردّد في تنفيذ هذا المبدأ ، الذي أصبح ضرورة قومية أساسية وحاجة علمية ملحة .

وهي أربع سنوات مضت ، والآمال ما زالت معقودة، إن شاء الله، على استصدار مثل هذا القرار ...

وأخيرا أودّ أن استاذن جلالة الملك المعظم ، بأن أرخّب بالضيوف العلماء في بلدكم الأردن المجاهد ، وفي رحاب الحسين، قائد مسيرته وباني نهضته ، متمنيا لهم طيب الإقامة، ولندوتنا النجاح .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عمان في ٣١/١٠/١٩٧٨ .

كلمة رئيس اتحاد الجامعات العربية ابراهيم بيومي مكرور

صاحب الجلالة !

سيداتي ! سادتي !

ان السيد رئيس مجمع اللغة العربية الاردني في كلمته الجامعة لم يترك ما يمكن ان اضيفه ، اللهم الا الحمد والثناء ، وأوكل الناس بذلك هو صاحب الجلالة الملك المعظم .

حقا إنه لشرف عظيم ان يتفضل جلالتك بأن يشمل هذه الندوة برعايته ، وان يشهد بنفسه حفل افتتاحها — وفي هذا ما فيه من اعتداد بالعربية ، ورغبة أكيدة في تكريمها ، وتكريم المشتغلين بهما . وان تشريفه اليوم لكل فريد يضرب للناس ، وهو من اعرفهم بضرب المثل الصالح . وكما نعتز بتمثله هذا ، ونزداد عزما وقوة على بذل كل ما نستطيع في سبيل خدمة لغتنا القومية . ولا غرو، فهذا صنيع كريم من ملك كريم . وباسم اتحاد الجامعات واعضاء مجلس ادارته جميعا أتقدم الى جلالته الملك المعظم باسم عبارات الشكر ، واصدق آيات الاجلال والتقدير .

واتحاد الجامعات هيئة علمية حديثة التكوين ، لسم يمض على قيامها الا بضع سنوات ، وهدفها الأول هو ربط الجامعات بعضها ببعض ، والعمل معا على النهوض بالعربية ، وجعلها وافية بمتطلبات العلم والحضارة ، وجديرة حقا بان تُعدّ بين اللغات العالمية الكبرى . وقد قام هذا الاتحاد ، اول ما قام ، على ثلاثة أعضاء : مجمع دمشق ، ومجمع القاهرة ، ومجمع بغداد ؛ وفتح بابه لكل مجمع لغوي جديد ، واسمعه ان انضم اليه أخيرا عضو رابع ، هو مجمع عمان الشباب ،

وقد رُحِبَ به الترحيب كله ، وقرّر ان يكون أول لقاء له في كنفه
وتحت رايته . ولم يتردد العضو الزميل في ان يوجّه الى الاتحاد
دعوته ، وان يستضيف أعضاء مجلس ادارته وخبرائه . وباسمهم
جميعاً أتدّم للمجمع الاردني اخلص الشكر . ولست في حاجة ان اقول :
إننا نزلنا اهلاً ومكاناً سهلاً .

وقد درج اتحاد المجمع في ندواته على ان يضيق من دائرتها ،
لكي يفسح المجال للأخذ والردّ والبحث والتحصيل ، وعلى ان يضم
الى أعضائه نفراً من كبار المتخصصين ، لكي يفيد من علمهم وخبرتهم .
ويحرص على ان يمثل هؤلاء العلماء العالم العربي اكبر تمثيل ممكن ؛
ويسعدني ان أقرّر انهم يسارعون دائماً الى تلبية دعوتنا ، ويسمعون
للاشتراك معنا في أداء واجبنا . وفي ندوتنا هذه عشرة كرام من
شيوخ المغرب والمشرق ، بحثوا ودرسوا ، وقدموا لنا بحوثهم ،
وحضّر أغلبهم لعرضها ، ولم يتخلّف منهم الا اثنان لظروف القاهرة ،
واعتقد ان بحوثهم تنوب عنهم . ولهم جميعاً من اتحاد المجمع
اجزل الشكر واخلصه . ولست في حاجة ان أنوّه بالمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم ، فهي منّا والينا ، وليست رسالتنا الا جزءاً
من رسالتها الكبرى ، ويعوّل عليها الاتحاد فيما يضطلع به . وكان
السيد الدكتور محيي الدين صابر ، مديرها العام ، حريصاً على ان يكون
معنا ، لولا اعباء متعددة تمسك به في باريس اليوم ، ثم تمتدّ به بعد
إيماهم الى الجزائر ؛ وهو يبعث اليكم بعظيم أسفه واطيب أمانيه .

وقد اثار السيد رئيس المجمع الاردني الى مشكلة تعريب
التعليم الجامعي ؛ وبقيني أنسا في سبيل حلّها ؛ ولا يتطلب الامر الا
ارادة صادقة وعزيمة قوية . وقد عرّينا فعلاً دراسات جامعية كثيرة
في العلوم الانسانية ، وبعض العلوم الطبيعية ، وعلينا ان نستكمل
خطانا . ولم يبق محلّ لذلك الزعم الخاطيء الذي يقول بان العربية
لا تستطيع ان تواجه متطلبات العلم والتكنولوجيا الحديثة . اقول
إنه زعم خاطيء ، لأننا كتبنا وأنشأنا في العلوم الحديثة طوال ربع القرن

الماضي كتبنا متعددة ومتنوعة ، وغذينا المكتبة العربية علميا بغذاء ملحوظ . والاحتجاج بالمصطلح العلمي العربي ونقصه وعدم وفائه بالحاجة باطل أيضا ، فقد أخرجنا منه الكثير ، وبرهنت العربية على مرونتها وسعة صدرها . واسمحوا لي أن اشير الى أن مجمع القاهرة احس بهذه الصعوبة منذ اربعين سنة ، ومنحها حظاً كبيراً من عنايته ، وشغل بها معظم جلساته وأخرج منها عشرات الآلاف التي يترقبها الباحثون والدارسون ويرحبون بها . وفي وسعي أن اقرر أن كتب المصطلحات والمعجمات المتخصصة من أكثر ما أخرجته المطبعة العربية في العشرين سنة الأخيرة ، وكثيراً ما نؤوه اصحابها بجهود المجمع اللغوية العلمية واسهامها . ويُعَدُّ اتحاد الجامعات وجامعة الرياض لمؤتمر كبير حول تعريب التعليم الجامعي ، وموعِدُنَا منه نهاية العام القادم ، إن شاء الله ؛ وآمل أن نصل به الى قرارات حاسمة .

وموضوع ندوتنا وثيق الصلة بتعريب التعليم الجامعي ، لانه ان لم يحسن الطالب لغته ، وان لم يستطع أن يشرح افكاره بعبارات واضحة ، فلا سبيل الى تعليم ولا الى تعريب . وقصْدُنَا ان نعالج في هذه الندوة موضوع « تعليم العربية في ريع القرن الاخير » ، لكي نكشف عن مواطن الضعف والقوة ، ونرسم وسائل العلاج الناجحة . ولجميع الاردن شأن في اختيار هذا الموضوع ، وهو كما يبدو اقرب الى العمل والتنفيذ منه الى البحث والنظر . وحاولت وزارات التربية والتعليم معالجته في السنوات الاخيرة ، وعقدت من اجله بعض المؤتمرات والندوات . وربما ظن أن المجمعين ليسوا الا مجرد رجال بحث ونظر ، وأن المجمع اشيء ما تكون بصوامع مغلقة الابواب والنوافذ ، ولا صلة لها بالحياة العامة . وهذا زعم خاطيء كل الخطأ ، لان المجمعين يَعْنُون اليوم عناية تامة باللغة المعاصرة في منها وتراكيبها ، في الفاظها واساليبها ، ويبسّرون من أمرها ما استطاعوا . وقد كانت آخر ندوة لاتحاد المجمع في الجزائر عام ١٩٧٦ ، ودارت حول تيسر تعلم العربية ، وانتهت الى طائفة من التوصيات والتوجيهات .

وكمادتنا، امددنا لنحوه اليوم كراسه عمل ضخمة تشتمل على
جهد اساتذة اجلّاء ، وخبراء متخصصين ؛ وكم وددت ان لو أُعِدَّتْ
في وقت مبكر ، ووُزِعَتْ على الجامع الأعضاء ، والسادة الخبراء قبل
النحوه بزمن . ولكن البريد لم يُسَعِفْنَا ، ولم نُخْرِجْهَا الا منذ ايام .
وها هي ذه بين ايديكم . وانا كبير الرجاء في اننا سنُخْرِجُ منها بتشخيص
الداء وتقديم انجع وسائل الدواء . وكل ما ارجو ان يستجيب لها
التلاميذ والطلاب ، وان يُعْنَى بها المعلمون والمرتبون . ونعوّل التعويل
كله على وزارات التربية والتعليم في العالم العربي بأسره ، فهي جهاز
التنفيذ والاشراف والمسؤولة عن التقويم والتعديل ، والنهوض والاصلاح .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د. ابراهيم منكور

رئيس اتحاد الجامع اللغوية العربية

توصيات الندوة ومقرراتها

أبدى اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية رغبته في عقد ندوته الرابعة في المملكة الاردنية الهاشمية ، بمناسبة قيام مجمع اللغة العربية الاردني فيها . وقد شاء ان يكون موضوع هذه الندوة : « تعليم اللغة العربية في ريع القرن الاخير » ، توَصُّلاً الى معرفة اسباب ضعف العرب في لغتهم القومية ، ومعالجة هذا الضعف .

وبالاتفاق مع المجمع الاردني عُقدت الندوة في عمان صباح الثلاثاء، ١٠ ذى الحجة ١٣٩٨ هـ ٣١ من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٨ م . وقد تفضّل جلالة الملك الحسين برعاية الندوة ، والتي في حفلتها الافتتاحية كلمة سامية ، أشاد فيها بمنزلة اللغة العربية تاريخياً وثقافياً ، ودعا الى مضاعفة الجهد في الحفاظ عليها ، وصيانة تراثها القومي .

وُعِدَّتْ الجلساتُ بعد ذلك من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٣١/١٠/١٩٧٨ م . حتى مساء الخميس ٣/١١/١٩٧٨ م . وشارك فيها عشرة من الخبراء الباحثين من مختلف الاقطار العربية . وفيما يلي التوصيات والمقررات التي أسفرت عنها الندوة :

١ - ان تقوم المجامع اللغوية العلمية ، متعاونة فيما بينها ، بالاسراع في اخراج المعاجم المتخصصة في مختلف الموضوعات العلمية والفنية ، وبالعمل ، عن طريق اتحاد المجامع ، على وحدة المصطلح العربي في مختلف الاقطار العربية .

٢ - تُرَحِّبُ الندوة بما قام به مجمع القاهرة من وضع معجم مدرسي باسم (المعجم الوجيز) وترجو سرعة نشره وتعميمه .

٣ - توصي الندوة بتنشيط التعاون في خدمة اللغة العربية بين مختلف الهيآت الرسمية والخاصة ، ولا سيما منظمات جامعة الدول

العربية ، والجامعات ، والمجامع اللغوية العلمية ، ووزارات
التعليم العالي ، والتربية والتعليم ، والثقافة والاعلام ، في مختلف
البلدان العربية .

٤ - التوسُّع في ترجمة كتب المعارف الانسانية المختلفة ، وتنسيق
العمل فيها توفيراً للجهد بعدم التكرار ، وضماناً لسلامة
مستوى الترجمة .

٥ - التوسُّع في ترجمة الكتب العلمية المختلفة ، ولا سيما ما كان
منها ذا صلة مباشرة بمناهج الدراسات الجامعية ، والتنسيقُ
في هذا العمل بين جميع الهيئات والجهات المعنية به ، وذلك
لتيسير التعليم العلمي في الجامعات باللغة العربية .

٦ - تُرَحَّبُ الندوة بما قام به المجمع الاردني من ترجمة اربعة كتب
علمية : في الرياضيات ، والكيمياء ، والبيولوجيا ، والجيولوجيا .
وترجو سرعة نشر هذه الكتب وتعميمها لخدمة التعليم الجامعي .

٧ - دعوة الوزارات والهيئات المعنية الى تشجيع المسابقات الادبية
والعلمية ، ومنح الجوائز المجدية للفائزين .

٨ - نَرَى الندوة أن من واجبها التنبيه على ظاهرة كتابة اسماء
المحالِّ العامة باسماء اجنبية وبحروف عربية ، لمسا في ذلك من
اساءة الى اللغة العربية والروح القومية .

٩ - وفي ما يتعلق بوسائل الاعلام ، توصي الندوة بالعمل على تقديم
البرامج والمسلسلات في الاذاعات المسموعة والمرئية باللغة
الفصحى في كل مجال يمكن استخدام هذه اللغة فيه .

١٠ - وتوصي الندوة كذلك باعداد المذيعين اعداداً لغوياً ، لتجنُّب
الاطِّاء الاذاعية ، كما توصي أن تُضَبَّط المواد المقدمة في الاذاعة
المسموعة والمرئية بالشكل ضبطاً كافياً ، تجنُّباً للاخطاء اللغوية .

١١ - تقديرًا لمنزلة الصحافة العربية في نهضتنا الثقافية ، توصي الندوة بأن تُعنى الصحف والمجلات بسلامة لغتها وأسلوبها في ما تنشره من مقالات وأخبار .

وفي ما يتعلق برفع مستوى اللغة العربية في المدارس والمعاهد توصي الندوة بما يلي :

١٢ - العمل على التوسُّع في إعداد المعلمين أعدادًا علميًا وفنيًا لتدريس اللغة العربية ، تحقيقًا للنهضة التي نسعى إليها .

١٣ - الاشراف على لغة الكتاب المدرسي في جميع المواد ضمانًا لسلامة لغته .

١٤ - تَخَيُّر النصوص الأدبية التي تمثل روح الأمة وقيمها في جميع مراحل التعليم العام .

١٥ - انسجامًا مع قواعد التربية السليمة ، توصي الندوة توصية خاصة بعدم ازدواجية اللغة في مرحلة التعليم الابتدائي ، منعًا لمزاحمة اللغة الأجنبية للغة القومية في هذه السن .

١٦ - العناية بإعداد معلمين ذوي كفاية لتدريس الخط العربي ، ومنح الخط العربي الزمن الكافي في خطة الدراسة . والعناية كذلك برسم الحروف (الإملاء) .

١٧ - الحث على أن تكون الاناشيد والأغاني المدرسية بالعربية الفصيحة .

١٨ - حث جميع الإدارات المدرسية والمدرسين على التقيد باللغة الفصيحة في تدريس مختلف المواد ، وفي الحوار مع التلاميذ .

١٩ - تُقدِّم الندوة خالص شكرها وتقديرها لمجمع اللغة العربية الأردني لضيافته الكريمة ، كما تقدم خالص الثناء والاعتراف

بالجميل للجامعة الاردنية ، بجميع اجهزتها،على ما تفضلت بتقديمه
للندوة من المساعدات المتنوعة ، التي اتاحت للندوة نجاحها
العظيم .

٢. - ترفع الندوة برقية شكر وعرفان بالجميل الى جلالة الملك
الحسين المعظم ، بمناسبة انتهاء الندوة التي تفضل جلالتـه
فشملها برعايته السامية .

لجنة المتابعة في مجمع اللغة العربية الاردني

على اثر ندوة اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية التي عقدت في عمان من ١٠/٣١ الى ١٩٧٨/١١/٣ ، رأى المجمع ان يؤلف لجنة من اعضائه لمتابعة تنفيذ توصيات الندوة ، فتألفت اللجنة برئاسة رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفه ، وعضوية الدكتور محمود ابراهيم ، والاستاذ عبد الرحمن بشناق ، والامين العام الاستاذ عيسى الناعوري - مقرراً لها - .

وبدأت اللجنة بالكتابة الى وزير التربية والتعليم لاجل عقد ندوة، او ندوات، مع رجال التربية لتبادل الراي في وسائل دعم اللغة العربية في المدارس . وكتبت الى وزير الاعلام من اجل عمل ندوات مع رجال الاذاعة والتلفزيون للغرض عينه .

ورد وزير الاعلام واعدأ بالإعداد لدورات للمذيعين في الاذاعة والتلفزيون ، يشارك فيها المجمع . كما عقد المجمع جلسة مع مساعد مدير الاذاعة السيد سليمان المشيني ، ورئيس قسم البرامج الثقافية السيد نايف ابو عبيد ، كما عقد جلسة اخرى مع مدير برامج التلفزيون الاردني السيد فاروق جرار . وبحث معهم الوسائل الكفيلة بدعم اللغة العربية في هاتين المؤسستين . وواعد الجميع بالتعاون مع المجمع الى اقصى الحدود ، للمشاركة في الرسالة الواحدة التي يسمى المجمع الى تحقيقها في خدمة اللغة العربية .

ثم عقد المجمع ندوة للمشرفين التربويين في وزارة التربية والتعليم ووكالة غوث اللاجئين ، استغرقت ثلاثة ايام ، واشترك فيها نحو ستين مشرفاً . ودرست الندوة اوضاع اللغة العربية في المدارس ، والوسائل الكفيلة بمعالجتها . وخرجت الندوة بتوصيات ومقررات قام

المجمع بارسالها الى كل الجهات المعنية التالية في الاردن والعالم العربي :

المجامع اللغوية والعلمية العربية .

وزارات التربية والتعليم .

وزارات الاعلام .

وزارات الثقافة :

الجامعات العربية .

مكتب تنسيق التعريب في الرباط .

وقد قررت لجنة المتابعة العودة الى الاتصال بوزارة التربية والتعليم الاردنية في مطلع العام الدراسي القادم، للاتفاق معها على متابعة تنفيذ التوصيات في المدارس . كما ان ادارة التعليم في وكالة الغوث قد اهتمت بالامر اهتماما كافيا ، فقامت بتوزيع توصيات الندوة على مختلف ادارات التربية والتعليم التابعة لها في الاردن ، وسوريا ، والضفة الغربية ، وقطاع غزة ، حاثه على تنفيذ هذه التوصيات تنفيذا تاما .

وفي ما يلي توصيات الندوة :

توصيات ندوة مشرفي اللغة العربية

الخميس — ١٣/جمادى الثانية/١٣٩٩هـ

الموافق — ١٠/ايار/١٩٧٩م

عقدت لجنة المتابعة اجتماعها الختامي لندوة مشرفي اللغة العربية صباح الخميس ١٣/٦/١٣٩٩هـ. الموافق ١٠/٥/١٩٧٩م ، برئاسة الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفه ، وحضور الاعضاء السادة :

الاستاذ الدكتور محمود ابراهيم والاستاذ عبد الرحمن بشناق
والأمين العام الاستاذ عيسى الناعوري .

واشترك في الاجتماع احد عشر شخصا من المشرفين التربويين
في وزارة التربية والتعليم ووكالة الغوث ، وكلية التربية في الجامعة
الاردنية .

وُخِصَّت الجلسة لمناقشة التوصيات التي سبق أن وضعتها لجنة
الصياغة المؤلفة من :

الاستاذ عيسى الناعوري ،	مقررا
والسادة التالية أسماؤهم ،	أعضاء :
السيد عمر الشنقيطي ،	
السيد محمد عطيات ،	عن وزارة التربية والتعليم والمحافظة ،
السيد سمير استيتيه ،	ومعاهد المعلمين .
السيد محمد الوحش ،	
السيد محمد عبد القادر ،	
السيدة عواطف أبو عيد ،	عن وكالة الغوث

استهل الرئيس الجلسة بالتنبيه الى ان الغرض من هذه الندوة
ليس مجرد الخروج بتوصيات توضع على الرف ، وانما هو مقدار ما
نستطيع ان نلتزم نحن بتحقيقه من هذه التوصيات في ميدان عملنا
المدرسي اليومي ، دون ان ننتظر أوامر عليا للتنفيذ ، ودون انتظار
لتسهيلات تقدمها لنا جهات عليا ما دام في وسعنا ، كمعلمين ومشرفين
في الميدان ان نقوم بها .

وعقب الاستاذ بشناق بقوله :

لا بدّ لنا من تقسيم التوصيات الى نوعين :

- ١ - الالتزامات التي نقوم بها نحن .
- ٢ - التوصيات الى جهات أخرى ، كالوزارة ، والجامعة ، وغيرها .
وعلينا ان نحدد التوصية ، والسبل المؤدية الى تحقيقها ، فـلا
نبقيها توصية عائمة .

وعقَّب الدكتور محمود إبراهيم بقوله انه كان ينبغي تمثيل قسم اللغة العربية وكلية التربية في الجامعة الأردنية معنا ، لكي تلتزم الجامعة بما يتعلق بها من توصيات .

ثم انتقلت اللجنة الى مناقشة التوصيات ، واستقرَّ النقاش على التوصيات التالية :

١ - ما يلتزم به المشرفون والمعلمون في المدارس والمعاهد :

١ - الالتزام باللغة العربية الفصيحة في التدريس والتخاطب ، من قبل مدرّسي جميع المواد ، ومن قبل العاملين في حقل التربية .

٢ - توجيه المدارس الى الاهتمام باقامة النوادي ، وتعزيز النشاطات اللامنهجية ، وجعل اللغة الفصيحة لغة التخاطب والتعامل فيها ، واثاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن من الطلاب للمشاركة في الاذاعات المدرسية ، وفي كلمات الصباح .

٣ - الاهتمام بمكتبة المدرسة ، ودعم التعاون بين معلم اللغة العربية ومعلم المكتبة في تزويد المكتبة بالكتب المناسبة لمختلف الاعمار ، وتشجيع المعلم والطالب على المطالعة والاستزادة من المعرفة ، وإيلاء عناية خاصة بأدب الطفل .

٢ - توصيات الى وزارة التربية والتعليم :

٤ - العمل على ان يتم تدريس اللغة العربية بجميع موادها من خلال نصوص أدبية جيدة ، من أجل تربية الذوق ، والنظر الى اللغة العربية باعتبارها وحدة متكاملة .

٥ - ربط تدريس اللغة العربية بتراث الأمة الحضاري ، وتوظيف اللغة للاستجابة لحاجات العصر الحضارية .

٦ - أن تُؤلَّى الوزارة اهتماما خاصا بالمرحلة الابتدائية ، من حيث توفير المعلمين المؤهلين لتدريس اللغة العربية ، وتخصيص اشراف منفصل لهذه المرحلة .

٧ - أن تلتزم الوزارة بالمصطلحات التي تصدر عن مجمع اللغة العربية الاردني ، وعن اتحاد الجامعات العلمية واللغوية العربية ، فتدخلها في الكتب المدرسية .

٨ - العمل على تحسين الظروف المادية والعلمية والنفسية لمعلم اللغة العربية ، ومعاملته معاملة معلمي الندرية .

٩ - الاهتمام بالخط العربي ، وتدريبه في معاهد المعلمين ، وفي الدورات التدريبية للمعلمين ، لكي يتمكن المعلمون من تعليمه لطلابهم - ولا سيما الرقعة والنسخ - بأسلوب صحيح .

١٠ - عقد دورات لمعلمي العربية ، لرفع مستواهم العلمي والثقافي والمهني .

١١ - تأليف لجنة متابعة في الوزارة للاشراف على تنفيذ هذه التوصيات ، وتعاون معها لجنة المتابعة في المجمع .

٣ - توصيات اخرى :

١٢ - عقد امتحان قدرات للطلبة الجدد في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك في اللغة العربية ، واعتبارها مادة أساسية في جميع التخصصات؛ وكذلك عقد امتحان عند التخرج ، وربط تخرج الطالب بنجاحه في هذا الامتحان . ويترتب على هذا أن تكون العربية مادة أساسية في جميع سني الدراسة الجامعية ، وفي جميع الفروع العلمية والانسانية .

١٣ - تأليف لجنة مشتركة : من مجمع اللغة العربية ، ووزارة التربية والتعليم ، والجامعتين الاردنيتين ، لاجراء دراسات وبحوث لتُطوّر مشكلات تدريس اللغة العربية ، والعمل على وضع الحلول المناسبة لها اعتمادا على ما تُسفر عنه هذه الدراسات والبحوث من نتائج .

١٤ - اهتمام أجهزة الاعلام المختلفة بأدب الطفولة ، بحيث تكون برامج الاطفال متلائمة مع نمو الطفل ، ومرتبطة ، في الوقت نفسه ، بالتراث وبحاجات المجتمع والطفولة ؛ والحرص على أن تكون جميع برامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون ناطقة باللغة العربية الفصحى .

٤ - توصية خاصة :

لما كان خريجو كلية العلوم في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك - ومثلها ايضا الجامعات العربية كلها - ينتقلون من الجامعة الى تدريس العلوم في المدارس الثانوية ؛ ولما كان التعليم كله في المرحلة الثانوية يتم باللغة العربية وليس بأية لغة أجنبية ، فقد آن الاوان لتدريس العلوم كلها في الجامعة باللغة العربية كذلك ، لكي يُسهّل على الخريجين بعدئذ تدريسها بالعربية .



هذا وقد بدأت الجلسة الساعة ٩٣٠ صباحا وانتهت ١٢٣٠ ظهرا .

المجمع العلمي العراقي

تلقى مجمع اللغة العربية الاردني الرسالة التالية من سيادة الاخ
والزميل الكريم الدكتور صالح احمد العلي ، رئيس المجمع العلمي العراقي
الجديد ، نشرها هنا مع التهنئة للمجمع الشقيق ، ورئيسه واعضائه ،
بعد اعادة تأليفه بشكل اوسع ، وبصورة توخّدت بين المجمع الثلاثة
التي كانت قائمة من قبل في العراق الشقيق ، وهي : (العربي -
والكردي - والآثوري) . واننا لنتمنى للمجمع الشقيق كلّ النجاح في
اداء رسالته العظيمة الى اللغة العربية العزيزة وتراثها المجيد .

نص الرسالة

الرقم - ٩٧٤

التاريخ - ١٩٧٩/٥/١٤

الاستاذ الفاضل الدكتور عبد الكريم خليفه

رئيس مجمع اللغة العربية الاردني

تحية مباركة وبعد :

يسرني ان اخبركم انه قد تم تعيين رئيس واعضاء المجمع
العلمي العراقي طبقا لقانونه الجديد (رقم ١٦٣ لسنة ١٩٧٨) . وانسي
اذ اعبر عن تقديرنا جميعا وتحياتنا لشخصكم الكريم ، ولكافة الزملاء
من اعضاء مجمع اللغة العربية الاردني ، نرجو ان ينمو التعاون الوثيق
بين مجموعتنا ، وندعو الله العلي القدير ان يوفّقنا في خدمة امتنا ،
وفي العمل على تنمية لغتها وثقافتها بما يضمن ما ننشده لها من
مستقبل زاهر ومكانة سامية ، وما يكفل تحقيق وحدتها . وبرفقتيه
نسخة من قانون المجمع العلمي العراقي (رقم ١٦٣ لسنة ١٩٧٨) ،
وقائمة بأسماء اعضاءه

وتقبلوا عظيم تقديرنا ، وفائق تحياتنا .

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

رد المجمع الاردني على الرسالة

وقد ردّ رئيس المجمع الاردني على رسالة زميله رئيس المجمع العراقي بالرسالة التالية ، ناقلا اليه تهنئة المجمع الاردني :

الرقم : ٢٧٦/٤/٦

التاريخ : ٢ / رجب / ١٣٩٩ هـ

الموافق : ٢٨ / ايار / ١٩٧٩ م

سيادة الاخ الكريم الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي المحترم
رئيس المجمع العلمي العراقي / الوزيرية / بغداد

ابعث الى اخي الكريم بأطيب التحية :

واشارة الى كتابكم الكريم رقم ٧٩٤ تاريخ ١٤/٥/١٩٧٩م يسرني
ان انقل اليكم اخلص التهنة ، باسم مجمع اللغة العربية الاردني
واسمي ، بمناسبة تعيينكم رئيسا للمجمع العلمي العراقي ، راجيا
ان تتفضلوا بنقل تهنئتنا كذلك الى كل أخ من اعضاء المجمع العلمي
العراقي الشقيق .

وان مجمعنا الاردني ليرحب كل الترحيب بأقصى ما يمكن من
التعاون الوثيق بين مجمعيننا لخدمة امتنا العزيزة وثقافتها ، واعلاء
شأنها . وهو يبعث الى الاخ الزميل بتقديره العميق لشخصكم الكريم
ولكل عضو من اعضاء المجمع الشقيق .

حفظكم الله وبارك في جهودكم الخيرة . ،،

الدكتور عبد الكريم خليفه

رئيس المجمع

وفي ما يلي أسماء أعضاء المجمع الجديد حسب قرار مجلس
قيادة الثورة :

تنفيذا لقرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٤٧١ والمؤرخ ١٩٧٩/٤/٥
تقرر ما يلي :

أولاً - يعيّن الدكتور صالح أحمد العلمي، الاستاذ في كلية الآداب بجامعة
بغداد، رئيساً للمجمع العلمي العراقي .

ثانياً - يعيّن السادة التالية أسماؤهم أعضاء عاملين في المجمع العلمي
العراقي :

١ - الدكتور سعدون حمادي	١٧ - الدكتور عبد العزيز البسام
٢ - محمود شيت خطاب	١٨ - سنحاريب (زكا) عيواص
٣ - عزيز عقراوي	١٩ - كوركيس عواد
٤ - الدكتور أحمد سوسة	٢٠ - الشيخ محمد الخال
٥ - الدكتور مسارع الراوي	٢١ - ضياء شيت خطاب
٦ - الشيخ عبد الكريم المدرس	٢٢ - الدكتور جوامير مجيد سليم
٧ - محمد بهجت الاثري	٢٣ - الدكتور علي المياح
٨ - موسى عبد الصمد	٢٤ - يوسف خيدو البازي
٩ - طه باقر	٢٥ - الدكتور جميل الملايكة
١٠ - الدكتور يوسف حبي	٢٦ - الدكتور يوسف عز الدين
١١ - الدكتور محمود الجليلي	٢٧ - الدكتور جلال محمد صالح
١٢ - الدكتور ناجي عباس أحمد	٢٨ - الدكتور زكي صالح
١٣ - الدكتور منذر ابراهيم الشاوي	٢٩ - الدكتور علي عطيه عبد الله
١٤ - الدكتور جواد علي	٣٠ - الدكتور جابر الشكري
١٥ - الدكتور جميل سعيد	٣١ - الدكتور حسن كتاني
١٦ - الدكتور عبد العال الصكبان	٣٢ - الدكتور نجيب خرونة

- ٣٢ — ميخائيل عواد
 ٣٤ — الدكتور نوري القيسي
 ٣٦ — الدكتور كامل حسن البصير
 ٣٧ — اندراوس حنا
 ٣٥ — الدكتور فخري محمد صالح
 الدباغ

الاسباب الموجبة لاعادة تأليف المجمع العلمي العراقي

واما الاسباب الموجبة لحلّ المجمع السابقة الثلاثة وتوحيدها في مجمع واحد باسم « المجمع العلمي العراقي » ، فقد نُصَّ عليها في مستهل « قانون المجمع العلمي العراقي رقم (١٦٣ لسنة ١٩٧٨) ، في الفقرة التالية :

« بالنظر لاهمية التنسيق والتكامل بين المؤسسات العلمية المتخصصة وذات المهمات المتشابهة ، ولما دلت عليه تجربة المرحلة السابقة من بعثة للجهود والطاقات والخبرات لتمدّد المجمع العلمية في الوطن الواحد ، فقد ارتؤي وضع اطار تنظيمي موحد لهذه المجمع ، يؤمّن التنسيق والتكامل فيما بينها ، مع الحفاظ على الغايات الوطنية العلمية الاساسية التي قامت من أجلها المجمع السابقة » .

المجمع الاردني وتدريب تدريس العلوم

دفع مجمع اللغة العربية الاردني اخيرا الى الطبع ثلاثة كتب جديدة في : (الكيمياء ، والبيولوجيا ، والجيولوجيا) اضافة الى كتاب الرياضيات الذي ستنهي طباعته قريبا جدا . واما الكتب الثلاثة الجديدة فتستصدر عن المطبعة في نهاية شهر ايلول المقبل . وبذلك تكون هذه الكتب معدة للاستعمال مع مطلع العام الاكاديمي الجديد .

وسينفخ المجمع خلال شهر تموز المقبل الى المطبعة بكتاب خامس في الفيزياء . وهذه الكتب كلها هي من الكتب التي تدرس في السنة الاولى في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ؛ وكان المجمع قد ألف لجانا لترجمتها ، ضمن الحملة الكبرى التي يقوم بها من اجل تعريب تدريس العلوم ، واحلال اللغة العربية المحل اللائق بها ، باعتبارها لغة علم وحضارة .

وجدير بالذكر ان كل كتاب من الكتب الخمسة المذكورة ينتهي بمعجم صغير يشمل المصطلحات العلمية الواردة فيه ، باصلها الانكليزي ومقابلها العربي ، تيسيرا لنشر المصطلح العلمي بين مدرسي العلوم المختلفة في الجامعات العربية .

وكان المجمع قد ابلغ المراجع الشقيقة والجامعات العربية بأسرها بترجمته لهذه الكتب الخمسة ، واهتمامه بتدريس العلوم بالعربية في الجامعات العربية . وقد تلقى العديد من الطلبات من هذه الكتب من مختلف الجامعات ، ولا سيما من العراق ، والمملكة العربية السعودية ، وليبيا ؛ كما طلب قسم كبير من الجامعات الاخرى نماذج من هذه الكتب عند صدورها ، من اجل تقرير موقفها .

والمجمع يأمل ان تكون الاستجابة لحملته القومية المخلصة عامة شاملة ، لاعزاز اللغة العربية ، واعادتها الى مكانتها القديمة لغة علم وحضارة .

تعريب التطعيم العلمي الجامعي

وجه رئيس مجمع اللغة العربية الاردني الدكتور عبد الكريم خليفه الكتاب التالي الى كل من رئيس الجامعة الاردنية ورئيس جامعة اليرموك، بناء على قرار من مجلس المجمع ، يدعوها فيه الى تدريس العلوم في الجامعتين باللغة العربية ، بدلا من الانكليزية . وذلك ضمن حملة المجمع الرامية الى دعم اللغة العربية ، واحلالها محل اللاتق بها بلمتبارها لغة علم وحضارة ، وليس بها تصور من استيعاب المصطلحات العلمية الجديدة .

وفي ما يلي نص الكتاب :

ابعث اليكم بخالص التحية والتقدير ، وبعد :

لسان مجلس مجمع اللغة العربية الاردني ، قد ناقش السبل والوسائل المؤدية الى دعم اللغة العربية واغنائها ، والعمل على جعلها لغة العلم والحضارة والمعرفة في يومها هذا ، مثلما كانت في الامس الغابر .

وانطلاقا من الروح العلمية الهادفة التي ناقش بها المجلس هذا الموضوع العظيم الاهمية ، قرّر المجلس الكتابة اليكم ، وانتم في موقع المسؤولية في هذا البلد العربي العزيز ، آملا أن تصبح اللغة العربية في جامعتكم الزاهرة هي لغة التدريس للعلوم المختلفة ، وأن ينمّ ذلك في القريب العاجل ، بحيث تتخذ جامعتكم الموقرة زمام المبادرة والقيادة في هذا الاجراء الكبير الاهمية بين الجامعات العربية .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي ،،

رئيس المجمع الاردني
الدكتور عبد الكريم خليفه

وزير المواصلات الاردني يدعو للتعاون مع المجمع ويكرم اللغة العربية ويدعمها

قام الدكتور سعيد التل ، وزير المواصلات، وعضو مجمع اللغة العربية الاردني ، بتوجيه الكتاب التالي الى المدير العام لمؤسسة المواصلات السلوكية واللاسلكية ، من اجل دعم اللغة العربية في المؤسسة ، والتعاون مع المجمع في وضع مقابلات عربية للمصطلحات الاجنبية المستعملة فيها ، واستخدام هذه المصطلحات العربية بشكل اساسي في جميع مراسلات المؤسسة ومعاملاتها .

والمجمع اذ يحيي الدكتور سعيد التل على هذه الخطوة الرائدة ، وعلى هذا الحرص على تكريم اللغة العربية ودعمها ، ليرجو ان تقوم الوزارات والدوائر والمؤسسات الاخرى جميعها بمثل هذا الاجراء ، لتكون لغتنا القومية هي الاساس في كل معاملاتها .

وتقديرًا لهذا الموقف النبيل ، يُسَرُّنا ان ننشر في ما يلي نص كتاب السيد الوزير :

الرقم — ١٩٩٣/١/١١

التاريخ — ١٣٩٩/٤/٣ هـ.

الموافق — ١٩٧٩/٤/٢ م.

عطوفة المدير العام

الموضوع : استخدام المصطلحات الانجليزية

كثيرا ما يلاحظ استخدام المؤسسة للمصطلحات الانجليزية في مراسلاتها ؛ واعتقد ان ذلك يعود إما الى عدم المعرفة للمصطلحات العربية المقابلة لها ، او، في حالة المعرفة ، يعود السبب الى « عدم التألف » على استعمالها بدلا من المصطلحات الانجليزية .

أن لغة العولة الرسمية هي اللغة العربية وان واجبنا الوطني
والقومي استخدام لغتنا العربية وتطويرها باستمرار ، لتصبح أداة
الاتصال في جميع مجالات العمل؛ علماً بأنها أثبتت وسوف تثبت دائماً ،
أنها قادرة على النمو والتطور .

لما تقدم فاني اقترح اتباع الخطوات التالية ، او أية خطوات
اخرى ترونها مناسبة لزيادة الاعتماد على اللغة العربية في مراسلات
المؤسسة :

١ - ان يتم تعاونٌ فيما بين المؤسسة ومجمع اللغة العربية
الاردني، لوضع قاموس مؤقت يجمع المصطلحات المستخدمة في
المؤسسة وما يقابلها في اللغة الانجليزية ، بحيث يتم تشكيل
لجنة لمتابعة جميع هذه المصطلحات ، والاتصال مع مجمع
اللغة الاردني لاجراج هذا القاموس الى حيز الوجود .

٢ - ان يتم استخدام المصطلح العربي بشكل اساسي في جميع
مراسلات المؤسسة، الا في الحالات التي يخشى اللبس فيها ،
فيكتب بجانب هذا المصطلح، وبين قوسين ما يقابله في اللغة
الانجليزية .

٣ - ان يقوم معهد التدريب التابع للمؤسسة باستخدام المصطلحات
العربية .

واقبلوا احترامي ،،،

وزير المواصلات
رئيس مجلس الادارة
سعيد القل

التسميات الأجنبية على المحال التجارية

بناء على قرار من مجلس المجمع ، بعث رئيس المجمع بالكتاب التالي الى السيد أمين العاصمة ، يرجو فيه العمل على كتابة أسماء عربية على الشركات والمحال التجارية الاردنية ، بدلا من الاسماء الاجنبية التي تحتل مكان اللغة القومية في الشوارع والاسواق .
وبعث بنسخ من الكتاب كذلك الى الجهات الاخرى المعنية .

والمجمع يرجو أن يكون لكتابه وقرار مجلسه الاستجابة الجديرة بهما ، واللائقة بمكانة اللغة العربية العزيزة وتراثها الجيد .
وفي ما يلي نص الكتاب :

الرقم — ٨٢٥/٤/٣

التاريخ — ١٩٧٨/١٢/٢١ م.

الموافق — ٢٢/محرم/١٣٩٩ هـ.

معالي أمين العاصمة المحترم

الموضوع — الاسماء الأجنبية على المحال العامة

باسم مجمع اللغة العربية الاردني، اكتب الى معاليكم، بملء الاسف والمرارة، حول موضوع يتعلق بكرامة اللغة العربية ، وكرامة الأمة من ورائها . واحب أن انقل اليكم أن وفود البلدان العربية التي شاركت في ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية التي عُقدت بضيافة المجمع الاردني من ١٠/٣١ الى ١٩٧٨/١١/٣ ، قد لاحظت، بكل أسف، أن الاسماء الاجنبية على المتاجر والمحال العامة ، وكتابتها بحروف عربيّة ، في البلدان العربية عامة ، لا في الاردن فحسب ، انها هي اهانة للأمة كلّها في لغتها . والأمة التي تتهاون في كرامة لغتها انها تتهاون بواجب من واجباتها القومية ، وتدللّ على عدم ثققتها بنفسها .

ان الاسماء الاجنبية منتشرة في الاردن انتشارا واسعا جداً
يدعو الى خيبة الامل في شعور المواطنين بالفيرة على لغتهم العربية :
لغة دينهم ولغة قوميتهم .

وتزداد الإساءة حين يجيء الى بلدنا اجنبيٌّ مَنَّ يعرفون العربية ،
فيحاول ان يقرأ الاسماء على المتاجر والمحال العامة ، فيُنكر ما تعلم
قراعه بالعربية ، لان الأسماء غريبة عن العربية ، ولا تدعو الى
تصديق الاجنبي انه في بلد عربي .

والجميع يعلم انكم تشاركونه الفيرة على كرامة اللغة العربية ،
وتعلمون ان كرامة اللغة القومية هي من كرامة الامة . ولذلك يناشدكم
الجميع ان تقوموا بعمل حاسم يجعل المواطن يؤمن بلغته ، ويشق
بامتته ، ويحرص على قوميته ؛ فنرى هذه الاسماء الغريبة
المخلجة تزول عن لافتات المتاجر والمحال العامة ، وبذلك يشعر
المواطن بأنه عربي ، في بلد عربي ، ويشعر الزائر الاجنبي بأنه يزور
بلدا عربيا يحترم لغته ويعتز بها ؛ ذلك ان أسماء المحال العامة في
بلدنا هي بعضٌ من لون المواطن الحقيقي ، وجزءٌ من يقينه ، وصورة
من ايمانه بوطنه وقوميته .

وليس في هذا اي اعتداء على حرية المواطنين ، فحريتهم تبدأ
من حيث تنتهي حرية المجموع . والمواطن الذي يعتدي على لغته مثل
هذا الاعتداء المبين ، من الخير ان يُجَدَّ القانون من حرّيته ليحفظ حرية
الامة وكرامتها .

وتفضلوا بقبول احترامي ،،،

رئيس الجمع
الدكتور عبد الكريم خليفه

من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني

ضمن اعمال التعريب التي يقوم بها المجمع ، صدر هذا العام كراسان هما :

١ - تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها .

٢ - مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف .

وهما اول كتابين علميين يُصدرهما المجمع ؛ وقد تعاون على وضع الكتاب الاول مع مديرية المواصفات والمقاييس في وزارة الصناعة والتجارة الاردنية ، ومع عدد من العلماء والخبراء الاردنيين ؛ وتعاون في الثاني مع بعض الخبراء من الجامعة الاردنية ، والبنك المركزي ، ووزارة الصناعة والتجارة .

وقد وُزّع الكتابان على الجامعات الشقيقة ، والجامعات العربية ، وكثير من الجهات العلمية والدوائر المعنية في العالم العربي .

ويناقش مجلس المجمع في الآونة الحاضرة مجموعات أخرى من المصطلحات المستعملة في الدوائر الرسمية ، تمهيدا لاقترارها واصدارها في كراسات أخرى ، او مشروعات معاجم ، املا في اقرارها من قبل اتحاد الجامعات لاجل توحيدها في العالم العربي .



مجلة البحوث والدراسات العربية

تصدر سنويا عن معهد البحوث والدراسات العربية

صدر العدد الأول من المجلة في مارس (آذار) ١٩٦٩ .

— هيئة تحرير المجلة يسرها ان تدعو الباحثين والاساتذة من اعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية وغيرهم لنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية في المجلة وخاصة في المجالات المتعلقة ببحث ودراسة المشكلات العربية المعاصرة من جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية والقانونية . كما تعنى المجلة ايضا بابرار الملامح الرئيسية للأدب العربى المعاصر وبخاصة مايعكس منها الروابط الفكرية بين شتى اقطار الوطن العربى الى جانب اهتمامها الخاص بالدراسات الفلسطينية .

— ترحو هيئة التحرير من السادة الاساتذة الذين يرغبون في نشر ابحاثهم باللغة العربية ان يرفق كل منهم ببحثه ملخصا بلغة اوروبية حديثة فيما لا يزيد عن الف كلمة ، كما يرجى ايضا ممن يرغب في نشر بحثه بلغة اوروبية حديثة ان يقدم ملخصا باللغة العربية بما لا يزيد ايضا عن الف كلمة ، ويراعى في الحالين ان يتراوح المقال او البحث بين ستة آلاف وثمانية آلاف كلمة .

— ترسل كافة المكاتبات والابحاث المتعلقة بالمجلة على العنوان التالى :

الاستاذ الدكتور محمد صفى الدين ابو العز
رئيس معهد البحوث والدراسات العربية

(١ شارع الطلبات - جاردن سيتى - ص . ب ٢٢٩ القاهرة)

— تقدم ادارة المجلة لكل من السادة المشتركين في تحريرها بحوثهم على سبيل الاهداء العدد الذى نشر به البحث بالإضافة الى عشرين فصلا من البحث .

— كافة الابحاث والدراسات المنشورة بهذه المجلة تعبر عن آراء كتابها ولا تحمل بالضرورة وجهة نظر المعهد او اية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث .

— قيمة العدد ٥٠٠ جنية مصرى او ٤ دولارات امريكية بخلاف رسوم البريد .